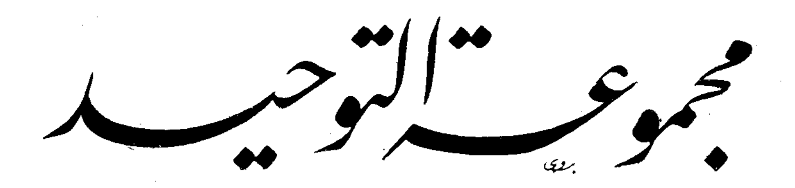



وتحتوي

على ست عشرة رسالة

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية وشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب
ونخبة من علماء المسلمين الأفاضل رحمهم الله تعالى
ونفع المسلمين بعلومهم

أُعيد طبعه على نفقة المكتبة السّلفيّة
لصاحبها محمّد عبد المحسن المكتبي بالمدينة المنوّرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أمَّا بعد : اعلم أرشدك الله تعالى أن الله خلق الخلق ليعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً . قال تعالى : ( وما خلقت الجنّ والانس إلا ليعبدون ) (١) .

والعبادة : هي التوحيد ، لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه، كما قال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) (٢) .

وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصِّفات .

أما توحيد الربوبية ، فهو الذي أقر به الكفَّار على زمن رسول الله ﷺ ، ولم يُدخلهم في الاسلام ،وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم ، وهو توحيد بفعله تعالى . والدليل قوله تعالى :

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ (٢) سورة النحل ، الآية : ٣٦

(قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحيّ من الميّت، ويخرج الميّت من الحيّ، ومن يدبّر الأمر، فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون)[1] (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله، قل أفلا تذكرون . قل من رب السّموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله، قل فانى تسحرون)[2] والآيات على هذا كثيرة جداً، أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر .

الأصل الثاني : وهو توحيد الألوهية، فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه . وهو توحيد الله بأفعال العباد، كالدّعاء، والنذر، والنحر، والرّجاء، والخوف، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والإنابة

ودليل الدعاء قوله تعالى : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)[3] وكل نوع من هذه الأنواع عليها دليل من القرآن .

وأصل العبادة: تجريد الاخلاص لله تعالى وحده، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ . قال تعالى : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله

(١) سوة يونس، الآية : ٣١ (٢) سورة المؤمنون، الآيات : ٨٤-٨٩

(٣) سورة غافر، الآية : ٦٠

أحداً )[١] وقال تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون )[٢] وقال تعالى : ( له دعوة الحق ) الى قوله تعالى : ( وما دعاء الكافرين إلا في ضلال )[٣] وقال تعالى : ( ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير )[٤] والآيات معلومات . وقال تعالى : ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )[٥] وقال تعالى ( قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم )[٦].

والأصل الثالث : فهو توحيد الذات والأسماء والصّفات . وقال تعالى : ( قل هو الله أحد ، الله الصّمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد )[٧] وقال تعالى : ( ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون )[٨] وقال تعالى : ( ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير )[٩] .

ثم اعلم أنَّ ضدَّ التوحيد الشرك ، وهو ثلاثة أنواع : شرك أكبر ، وشرك أصغر ، وشرك خفي .

والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى : ( إن الله لا يغفر أن

(١) سورة الجن ، الآية : ١٨
(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥
(٣) سورة الرعد ، الآية : ١٤
(٤) سورة الحج ، الآية : ٦٢
(٥) سورة الحشر ، الآية : ٧
(٦) سورة آل عمران ، الآية : ٣١
(٧) سورة الاخلاص
(٨) سورة الاعراف ، الآية : ١٨٠
(٩) سورة الشورى ، الآية : ١١

يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً )[١] ( وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار )[٢] .

وهو أربعة أنواع :

النّوع الأول : شرك الدعوة . والدليل قوله تعالى: ( فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلمّا نجاهم الى البرّ إذا هم يشركون )[٣] .

النوع الثاني : شرك النيّة والارادة والقصد ، والدليل قوله تعالى : ( من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النّار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون )[٤] .

النوع الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قوله تعالى : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمّا يشركون )[٥] وتفسيرها

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١١٦ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٧٢
(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٥ (٤) سورة هود ، الآيتان :١٥-١٦
(٥) سورة التوبة ، الآية: ٣١

الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم، كما فسَّرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله، فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أنَّ عبادتهم طاعتهم في المعصية (١).

النوع الرابع: شرك المحبَّة، والدليل قوله تعالى: ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبُّونهم كحب الله ) (٢).

والنوع الثاني (٣): شرك أصغر، وهو الرياء، والدليل قوله تعالى: ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ) (٤).

والنوع الثالث: شرك خفي، والدليل عليه قوله ﷺ: « الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل ».

وكفَّارته قوله ﷺ: « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذَّنب الذي لا أعلم ».

فالكفر كفران: كفر يخرج من الملَّة، وهو خمسة أنواع:

النوع الأول: كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى: ( ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذَّب بالحق لما جاءه، أليس في جهنم

---

(١) رواه الترمذي وحسنه (٢) سورة البقرة، الآية ١٦٥
(٣) يعني من أنواع الشرك الثلاثة (٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠

مثوى للـكافرين )[١] .

النوع الثاني : كفر الإباء والاستكبار مع التصديق ، والدليل قوله تعالى : ( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكانَ من الـكافرين )[٢] .

النوع الثالث : كفر الشك ، وهو كفر الظن ، والدليل قوله تعالى : ( ودخل جنَّته وهو ظالم لنفسه قال ما أظنُّ أن تبيد هذه أبداً ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددتُ إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً . قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذي خلقك من ترابٍ ثم من نطفة ثم سوَّاك رجلاً لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً )[٣] .

النوع الرابع : كفر الاعراض ، والدليل قوله تعالى : ( والذين كفروا عما أنذروا معرضون )[٤] .

النوع الخامس : كفر النّفاق ، والدليل قوله تعالى : ( ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون )[٥] .

وكفر أصغر لا يخرج من الملَّة ، وهو كفر النعمة ،والدليل قوله تعالى : ( وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٨ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٣٤
(٣) سورة الكهف ، الآيات :٣٥-٣٨ (٤) سورة الاحقاف ، الآية : ٣
(٥) سورة المنافقون ، الآية : ٣

رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون )[١].

وأمّا النفاق فنوعان : اعتقادي ، وعملي .

فأمّا الاعتقادي ، فهو ستة أنواع : تكذيب الرسول ، أو تكذيب بعض ما جاء به ، أو بغض الرسول ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول .

وأمّا العملي : فهو خمسة أنواع ، والدليل قوله ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعدَ أخلف ، وإذا أُئتمن خان » ، « وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر »[٢] .

فهذه الأنواع الخمسة ، وصاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار[٣] نعوذ بالله من النفاق والشّقاق وسوءِ الأدب ، والله أعلم .

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١١٢

(٢) هذه رواية أخرى للحديث في مسلم وغيره .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اعلم رحمك الله تعالى : [أنه من] الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاث مسائل :

الأولى : أن الله خلقنا ، ولم يخلقنا عبثاً ، ولم يتركنا هملاً ، بل أرسل الينا رسولاً ، وعنده كتاب ، من أطاعه فهو في الجنة ، ومن عصاه فهو في النار ، والدليل قوله تعالى : ( إنا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً )(٢) .

المسألة الثانية : أنَّ أعظم ما جاء به هذا الرسول أن لا يشرك مع الله في عبادته أحد ، والدليل قوله تعالى : ( وأنَّ المساجد لله فلا تدعوا

---

(١) قوله : فهذه الأنواع الخمسة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار مراده بالأنواع الخمسة ، أنواع الكفر المخرج من الملة ، كما تقدم بيانها . وأما أنواع النفاق العملي ، فليست مرادة هنا بهذا الكلام ، مع أنه قد قيل في الكذب على رسول الله عمداً : إنه كفر ، كما ذكره العلماء عن والد إمام الحرمين ابن الجويني ، فليحذر الذين يطلقون القول على رسول الله من غير تثبت ولا رواية صحيحة .

(٢) سورة المزمل ، الآيتان : ١٥-١٦

مع الله أحداً )[١] .

المسألة الثالثة : أنّ من وحّد الله وعبد الله لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، والدليل قوله تعالى : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون )[٢] .

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله تعالى أنّ أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت ، والايمان بالله ، والدليل قوله تعالى : ( ولقد بعثنا في كلّ أمّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )[٣] .

فأمّا صفة الكفر بالطاغوت ، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها ، وتكفّر أهلها وتعاديهم .

وأمّا معنى الإيمان بالله ، أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده

(١) سورة الجن ، الآية : ١٨ (٢) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢

(٣) سورة النحل ، الآية : ٣٦

دون من سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفيها عن كل معبود سواه ، وتحب أهل الاخلاص وتواليهم ، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم ؛ وهذه ملة إبراهيم التي سفه من رغب عنها .

وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله تعالى : ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنَّا برآءُ منكم وممَّا تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده )(١) .

والطاغوت عامٌّ في كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة فهو طاغوت ، من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله ، فهو طاغوت ، والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة :

الأول : الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله ، والدليل قوله تعالى : ( ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوٌّ مبين )(٢) .

الثاني : الحاكم الجائر المغيّر لأحكام الله ، والدليل قوله تعالى : ( ألم ترَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً )(٣) .

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية : ٤ (٢) سورة يس ، الآية : ٦٠

(٣) سورة النساء ، الآية : ٦٠

الثالث : الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى : ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون )[١]

الرابع : الذي يدعي علم الغيب من دون الله ، والدليل قوله تعالى : ( عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً )[٢] وقال تعالى : ( وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين )[٣] .

الخامس : الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة ، والدليل قوله تعالى : ( ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين )[٤]

واعلم أن الانسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت ، والدليل قوله تعالى : ( فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم )[٥]

الرشد : دين محمد ﷺ ، والغي : دين أبي جهل . والعروة الوثقى :

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٤
(٢) سورة الجن ، الآيتان : ٢٦-٢٧
(٣) سورة الانعام ، الآية : ٥٩
(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٩
(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦ وأولها : ( لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن ... )

شهادة أن لا إله إلا الله ، وهي متضمنة للنفي والاثبات ، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له .

بسم الله الرحمن الرحيم

الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول : وهي معرفة ربه ، ودينه ، ونبيه .

الأصل الأول : إذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربي الله الذي رباني بنعمته ، وخلقني من عدم إلى وجود ، والدليل قوله تعالى : ( إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم )(١) .

وإذا قيل لك : بأي شيء عرفت ربك ؟ فقل : عرفته بآياته ومخلوقاته ، فأما الدليل على آياته فقوله(٢) تعالى : ( ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ، ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون )(٣) .

ودليل مخلوقاته قوله تعالى : ( إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين )(٤) .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥١

(٢) الاصل : قوله

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٣٧

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤

وإذا قيل لك : لأيّ شيء خلقك الله ؟ فقل : خلقني لعبادته وطاعته واتباع أمره واجتناب نهيه ، ودليل العبادة قوله تعالى : ( وماخلقت الجنّ والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين )[١] ودليل الطاعة قوله تعالى : ( ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول )[٢] يعني كتاب الله وسنة نبيه .

وإذا قيل لك : أيّ شيء أمرك الله به وأي شيء نهاك عنه ؟ فقل : أمرني بالتوحيد ونهاني عن الشرك. ودليل الأمر قوله تعالى: (إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون )[٣] ودليل النهي عن الشرك قوله تعالى : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء )[٤] و( إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)[٥].

الأصل الثاني : إذا قيل لك : مادينك؟ فقل : ديني الاسلام، وهو الاستسلام والاذعان والانقياد إلى الله تعالى ، والدليل قوله تعالى : ( إنّ الدين عند الله الاسلام )[٦] ، ( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن

---

(١) سورة الذاريات ،الآيات : ٥٦-٥٨ (٢) سورة النساء ، الآية : ٥٩

(٣) سورة النحل ، الآية : ٩٠

(٤) سورة النساء ، الآية : ١١٦ وتمامها : ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً.

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٧٢ (٦) سورة آل عمران ، الآية : ١٩

يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين )(١)

وهو مبني على خمسة أركان : أولها شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .

فأما دليل الشهادة قوله تعالى: ( شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)(٢)

ودليل أن محمداً رسول الله قوله تعالى: ( ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين )(٣)

ودليل الزكاة قوله تعالى: ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم )(٤)

ودليل الصوم قوله : ( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم )(٥)

وإذا قيل لك : الصيام شهر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ( شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه )(٦)

وإذا قيل لك : الصيام في الليل أو في النهار ؟ فقل : في النهار ،

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ (٢) سورة آل عمران، الآية : ١٨
(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٠ (٤) سورة التوبة ، الآية : ١٠٣
(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ (٦) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥

والدليل قوله تعالى: ( وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل )(١) .

ودليل الحج قوله تعالى : ( ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين )(٢) .

وإذا قيل لك: وما الايمان؟ فقل: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، والدليل قوله تعالى : ( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير )(٣) .

ودليل القدر قوله تعالى : ( إنا كل شيء خلقناه بقدر )(٤) .

وإذا قيل لك : وما الاحسان ؟ فقل : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، والدليل قوله تعالى : ( إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون )(٥) .

وإذا قيل لك : منكر البعث كافر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ( زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير )(٦) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٧ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ٩٧
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥ (٤) سورة القمر ، الآية : ٤٩
(٥) سورة النحل ، الآية : ١٢٨ (٦) سورة التغابن ، الآية : ٧

الأصل الثالث : إذا قيل لك : من نبيك ؟ فقل : محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من كنانة ، وكنانة من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل ، وإسماعيل من إبراهيم ، وإبراهيم من نوح ، ونوح من آدم ، وآدم من تراب . والدليل قوله تعالى : ( إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ) (١) .

وإذا قيل لك : من أول الرسل ؟ فقل : أولهم نوح ، وآخرهم ، وأفضلهم محمد ﷺ . والدليل قوله تعالى : ( إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ) (٢) .

وإذا قيل لك : بينهم رسل ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) (٣) .

وإذا قيل لك : محمد بشر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ( قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ) (٤) .

وإذا قيل لك : محمد عبد ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥٩
(٢) سورة النساء ، الآية : ١٦٣
(٣) سورة النحل ، الآية : ٣٦
(٤) سورة الكهف ، الآية : ١١٠

باركنا حوله )(١) .

وإذا قيل لك : كم عمره ؟ فقل : ثلاث وستون سنة ، أربعون منها قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبيًا ورسولاً ، نبئ بـ(اقرأ) ، وأرسل بـ(المدثر) ، وخرج على الناس فقال : (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا )(٢) فكذبوه وآذوه وطردوه وقالوا : ساحر كذاب ، فأنزل الله عليه : ( وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ) (٣) بلده مكة ، وولد فيها ، وهاجر إلى المدينة وبها توفي ، ودفن جسمه . وبقي علمه ، نبي لا يعبد، ورسول لا يكذب؛ بل يطاع ويتبع، صلوات الله وسلامه عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فهذه أربع قواعد من قواعد الدين ، يميز بهن المسلم دينه من دين المشركين .

القاعدة الأولى : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية ، يشهدون أن الله هو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبر لجميع الأمور ، ولم يدخلهم ذلك في الاسلام ، والدليل

(١) سورة الاسراء ، الآية : ١ (٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٨
(٣) سورة البقرة ، الآيه : ٢٣

قوله تعالى: ( قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ومن يدبّر الأمر؟ فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون ) [١].

القاعدة الثانية: أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ما أرادوا ممن قصدوا إلا قربة وشفاعة. والقربة: قوله تعالى: ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) [٢].

ودليل الشفاعة قوله تعالى: ( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل أتنبؤون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض، سبحانه وتعالى عما يشركون ) [٣].

القاعدة الثالثة: بعث النبي ﷺ إلى أهل الأرض وهم على أديان مختلفة، وعبادات متفرقة، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد النبيين والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، وقاتلهم صلى الله عليه وسلم ولم يفرّق بينهم، والدليل قوله تعالي: ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ) [٤].

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣١ (٢) سورة ص، الآية: ٣
(٣) سورة يونس، الآية: ١٨ (٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٩

ودليل[١] الملائكة قوله تعالى: (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)[٢].

ودليل النبيين قوله تعالى: (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد. إن تعذبهم فانهم عبادك، وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم)[٣].

ودليل الصالحين قوله تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً)[٤]

---

(١) أي الدليل على عبادة المشركين الملائكة. ويقال كذلك فيما بعده من الأدلة. وعبادتهم إياهم: دعاؤهم والالتجاء إليهم، لأنهم يعتقدون أنهم يخلقون أو يرزقون أو يدبرون أمراً من الأمور، فان ذلك خاص بالله، ولكن قصدهم التقرب إلى الله بدعائهم، كما هو ظاهر من نصوص الكتاب والسنة.

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٤٠-٤١ (٣) سورة المائدة، الآيات: ١١٦-١١٨

(٤) سورة الاسراء، الآيتان: ٥٦-٥٧

ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى : ( أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى )[١]

القاعدة الرابعة : أنّ الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يخلصون في الشدّة ، ويشركون في الرخاء .

والدليل قوله تعالى : ( فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلمّا نجّاهم الى البرّ إذا هم يشركون )[٢] .

وأهل زماننا هذا يشركون في الشدة ، وفي الرخاء كذلك والله أعلم[٣] .

فان قيل : فما الجامع لعبادة الله ؟

قلت : طاعته بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه .

فان قيل : فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله ؟ قلت : من أنواعها الدعاء ، والاستعانة ، والاستغاثة ، وذبح القربان ، والنذر ،

(١) سورة النجم ، الآيتان:١٩، ٢٠ (٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٥

(٣) هذا هو الواقع من عباد القبور الآن ، ويعتقدون شركهم وجهلهم وضلالهم قربة تقربهم إلى الله ، وعلماء الضلال ودعاة البدعة يحرفون الكلم عن مواضعه ، فالشرك الاكبر جعلوه توسلاً وطاعة ، ومع ذلك يضللون من دان الله بالتوحيد الخالص وأفرده بالعبادة .

وما أحسن ماقال ابن القيم :

هربوا من الرق الذي خلقوا له فبلوا برق النفس والشيطان

وقال أيضاً :

وخصومنا قد كفّرونا بالذي هو غاية التوحيد والايمان

والخوف ، والرجاء ، والتوكل ،والانابة ، والمحبة ، والخشية ،والرغبة، والرهبة ، والتالّهة ، والركوع ، والسجود ، والخشوع ، والتذلّل ، والتعظيم الذي هو من خصائص الالهية .

ودليل الدعاء قوله تعالى : ( وأن المساجد لله، فلا تدعوا مع الله أحداً )[١] وقوله تعالى : ( له دعوة الحق،والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء )[٢] الى قوله : ( وما دعاء الكافرين إلا في ضلال )[٢] .

ودليل الاستعانة قوله تعالى : ( إيّاك نعبد وإيّاك نستعين )[٣].

ودليل الاستغاثة قوله تعالى : ( إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم )[٤] .

ودليل الذبح قوله تعالى :( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لاشريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين )[٥].

ودليل النذر قوله تعالى : ( يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً )[٦] .

ودليل الخوف قوله تعالى : ( إنما ذالكم الشيطان يخوّف

(١) سورة الجن ، الآية : ١٨ (٢) سورة الرعد ، الآية : ١٤
(٣) سورة الفاتحة ، الآية : ٤ (٤) سورة الأنفال ، الآية : ٩
(٥) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣ (٦) سورة الدهر ، الآية : ٧

أولياءه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين )[١] .

ودليل الرجاء قوله تعالى : ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً )[٢] .

ودليل التوكل قوله تعالى : ( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين )[٣] .

ودليل الإِنابة قوله تعالى : (وأنيبوا إلى ربِّكم وأسلموا له)[٤]

ودليل المحبَّة قوله تعالى : ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبُّونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشدُّ حبّاً لله )[٥] .

ودليل الخشية قوله تعالى : ( فلا تخشوا الناس واخشون )[٦] .

ودليل الرغبة والرهبة قوله تعالى : ( إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين )[٧] .

ودليل التالثة قوله تعالى : ( وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم )[٨] .

ودليل الركوع والسجود قوله تعالى : ( يا أيُّها الذين آمنوا

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٥
(٢) سورة الكهف ، الآية : ١١٠
(٣) سورة المائدة ، الآية : ٢٣
(٤) سورة الزمر ، الآية : ٥٤
(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥
(٦) سورة المائدة ، الآية : ٤٤
(٧) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٠
(٨) سورة البقرة ، الآية : ١٦٣

اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)[١].

ودليل الخشوع قوله تعالى: (وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله، لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً)[٢] الآية ونحوها. فمن صرف شيئاً من هذه الأنواع لغير الله فقد أشرك بالله غيره.

فان قيل: فما أجلُّ أمرٍ أمرَ الله به عباده؟ فقل: توحيده بالعبادة. وقد تقدم بيانه، وأعظم نهي نهى الله عنه الشرك به، وهو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة. فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله، فقد اتخذه ربّاً وإلهاً، وأشرك مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة. وقد تقدم من الآيات ما يدل على أن هذا هو الشرك الذي نهى الله عنه، وأنكره على المشركين.

وقد قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاءُ، ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً)[٣]. وقال تعالى: (ومن يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)[٤]

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٧ (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٦ (٤) سورة المائدة، الآية: ٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : تضمنت ثلاث آيات ثلاث مسائل:

الآية الأولى: فيها المحبّة. إنّ الله منعم، والمنعم يحب على قدر إنعامه.

والمحبّة تنقسم على أربعة أنواع :

محبّة شركيّة وهم الذين قال الله فيهم : ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله )[١] الى قوله : (وما هم بخارجين من النار )[١] .

المحبة الثانية : حب الباطل وأهله ، وبُغض الحق وأهله ، وهذه صفة المنافقين .

المحبة الثالثة طبعيّة ، وهي محبة المال والولد، إذا لم تشغل عن طاعة الله ولا تعين على محارم الله ، فهي مباحة .

والمحبة الرابعة : حب أهل التوحيد ، وبغض أهل الشرك ، وهي أوثق عرى الايمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه .

الآية الثانية : فيها الرجاء .

والآية الثالثة : فيها الخوف (إيّاك نعبد)، أي أعبدك يارب بما

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ١٦٥-١٦٧

مضى بهذه الثلاث : بمحبتك ، ورجائك ، وخوفك ، فهذه الثلاث أركان العبادة ، وصرفها لغير الله شرك . وفي هذه الثلاث الرد على من تعلّق بواحدة منهن ، كمن تعلّق بالمحبة وحدها ، أو تعلق بالرجاء وحده ، أو تعلق بالخوف وحده . فمن صرف واحدة منهنّ لغير الله فقد أشرك. وفيها من الفوائد الردّ على الثلاث الطوائف التي كلّ طائفة تتعلق بواحدة منها ، كمن عبد الله بالمحبة وحدها. وكذلك من عبدالله بالرّجا وحده، كالمرجئة، وكذلك من عبدالله بالخوف وحده ، كالخوارج .

(إيّاك نعبد وإيّاك نستعين) فيها توحيد الأُلوهية ، وتوحيد الربوبية.

(إياك نعبد) فيها توحيد الأُلوهية، و(إياك نستعين) فيها توحيد الربوبية .

اهدنا الصراط المستقيم ، فيها الرد على المبتدعين .

وأما الآيتان الأخيرتان، ففيها[1] من الفوائد ذكر أحوال الناس ، قسمهم الله ثلاثة أصناف : منعم عليه ، ومغضوب عليه ، وضالّ .

فـ(المغضوب عليهم) : أهل علم ليس معهم عمل . و(الضالين) : أهل عبادة ليس معها علم وإن [كان] سبب النزول في اليهود والنصارى ، فهي لكل من اتصف بذلك .

الثالث : من اتصف بالعلم والعمل ، وهو المنعم عليهم ، وفيها من الفوائد التبري من الحول والقوة ، لأنه منعم عليه . وكذلك فيها

(١) في الأصل : فيها .

معرفة الله على التمام ، ونفي النقائص عنه تبارك وتعالى . وفيها معرفة الانسان ربه، ومعرفة نفسه، فانه إذا كان رب، فلابد من مربوب ، وإذا كان هنا راحم ، فلا بد من مرحوم ، وإذا كان هنا مالك ، فلا بد من مملوك ، وإذا كان هنا عبد ، فلا بد من معبود ، وإذا كان هنا هادٍ ، فلا بد من مهدي ، وإذا كان هنا منعم عليه ، فلا بد من منعم ، وإذا كان هنا مغضوب عليه ، فلا بد من غاضب .

فهذه السورة تضمنت الألوهية ، والربوبية ، ونفي النقائص عن الله عز وجل ، وتضمنت معرفة العبادة وأركانها ، والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الاسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعفا عنه بمنه وكرمه آمين .

تأمّل رحمك الله ستة مواضع من السيرة ، وافهمها فهماً حسناً ، لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ، ودين المشركين لتتركه ، فان أكثر من يدّعي الدين ، ويدّعي أنه من الموحدين لا يفهم الستة كما ينبغي .

الأولى: قصة نزول الوحي ، وفيها أن أول ما أرسله الله به : ( يا أيها

المدثر قم فأنذر )[١]. فاذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة، ويعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون شيئاً من العبادة، ويتقربون بها إلى الله، مثل الحج، والعمرة، والصدقة على المساكين، وغير ذلك وأجلّها عندهم الشرك، فهو أجلّ ما يتقربون به إلى الله عندهم، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا: ( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )[٢]. وقال تعالى: ( إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون )[٣].

فأول ما أمر به الانذار عنه، قبل الانذار عن الزنا وغيره، وعرفت أن منهم من تعلَّق على الأصنام، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بني آدم، ويقولون: ما نريد منهم إلا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالانذار عنه في أول آية أرسل بها، فان أحكمت هذه المسألة، فيابشراك، خصوصاً إذا عرفت أن ما بعدها أعظم من صلاة الخمس، ولم تفرض إلا في ليلة الاسراء سنة عشر بعد حصار الشعب وموت أبي طالب، وبعد هجرة الحبشة بسنتين.

فاذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة، والعداوة البالغة لكل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة، رجوت أن تعرف المسألة.

---

(١) سورة المدثر، الآيتان: ١-٢ (٢) سورة الزمر، الآية: ٣
(٣) سورة الاعراف، الآية: ٣

الموضع الثاني : أنه ﷺ لما قام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد ، لم يكرهوا ، واستحسنوا ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، إلى أن صرح بسب دينهم ، وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمّروا له ولأصحابه عن ساق العداوة ، وقالوا : سفّه أحلامنا ، وعاب ديننا ، وشتم آلهتنا .

ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه ، ولا الملائكة ولا الصالحين . لكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون ، جعلوا ذلك شتماً .

فاذا عرفت هذه ، عرفت أن الانسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك ، إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض ، كما قال تعالى : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله )[١] .

فاذا فهمت هذا فهماً جيداً ، عرفت أن كثيراً من الذين يدّعون الدين لا يعرفونها ، وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك العذاب ، والأسر ، والضرب ، والهجرة إلى الحبشة ، مع أنه ﷺ أرحم الناس ، لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم ، كيف وقد أنزل الله : ( ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله )[٢] .

---

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢ (٢) سورة العنكبوت ، الآية : ١٠

فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه، فكيف بغير ذلك .

الموضع الثالث : قصة قراءته ﷺ سورة النجم بحضرتهم ، فلما بلغ ( أفرأيتم اللاَّت والعزَّى) ألقى الشيطان في تلاوته : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، فظنوا أنَّ رسول الله ﷺ قرأها ، ففرحوا بذلك وقالوا كلاماً معناه : هذا الذي نريد ، ونحن نعرف أنَّ الله هو النافع الضَّار وحده لا شريك له ، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده،فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه . فشاع الخبر أنهم صادقوه[1] وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا ، فلما أنكر ذلك رسول الله ﷺ عادوا إلى أشر ما كانوا عليه ، ولما قالوا له : إنَّك قلت ذلك ، خاف من الله خوفاً عظيماً ، حتى أنزل الله عليه ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيَّته )[2] الآية ، فمن فهم هذه القصة ثم شك بعدها في دين النبي ﷺ ،ولم يفرق بينه وبين دين المشركين ، فأبعده ، خصوصاً إن عرف أن قولهم تلك الغرانيق [3]، الملائكة .

الموضع الرابع : قصَّة أبي طالب فمن فهمها فهماً حسناً ،وتأمل

(١) أي تابعوا النبي وآمنوا به (٢) سورة الحج ، الآية : ٥٢

(٣) مسألة الغرانيق كثر فيها القال والقيل ، فمنهم من أنكرها بعقله ، كما في « فتح الباري » لابن حجر ، و « فتح القدير » للشوكاني . وحكى في «جمع البيان» الصفوي أنها من وضع الزنادقة ،والله أعلم بحقيقة الحال وقال ناصر الدين الألباني: هذه القصة باطلة لا تصح ،وليس لها إسناد تقوم به الحجة ،وعامة طرقها مراسيل لا تصلح للتقوية . وقد فصلت القول في ذلك في رسالة خاصة،أرجو الله أن ييسر طبعها قريباً .

إقراره بالتوحيد، وحث الناس عليه، وتسفيه عقول المشركين، ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك، ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول الله ﷺ إلى أن مات، ثم صبره على المشقة العظيمة، لكن [لما] لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول، لم يصر مسلماً، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم، ثم مع قرابته ونصرته، استغفر له رسول الله ﷺ، فأنزل الله عليه (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى)[1] الآية. والذي يبين هذا أنه إذا عرف رجل من أهل البصرة أو الحساء يحب الدين ويحب المسلمين، مع أنه لم ينصر الدين بيدٍ ولا مال، ولا له من الأعذار مثل ما لأبي طالب، وفهم الواقع من أكثر من يدّعي الدين، تبين له الهدى من الضلال، وعرف سوء الأفهام، والله المستعان.

الموضع الخامس: قصة الهجرة، وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها؛ ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها، وهي أن من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يهاجر، من غير شك في الدين، وفي تزيين دين المشركين، ولكن محبة الأهل والمال والوطن، فلما خرجوا إلى بدر خرجوا مع المشركين كارهين، قتل بعضهم

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٣

بالرمي ، والرامي لا يعرفه ، فلما سمع الصحابة: أن صح من القتلى فلان أو فلان ، شق عليهم وقالوا : قتلنا إخوانا ، فأنزل الله ( إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم )(١) إلى قوله : ( وكان الله عفواً غفوراً )(١)

فمن تأمل قصتهم ، وتأمل قول الصحابة: قتلنا إخواننا أنه لو يبلغ عنه كلاماً في الدين أو كلاماً في تزيين دين المشركين ، لم يقولوا : قتلنا إخواننا ، فان الله قد بين لهم وهم قبل الهجرة أن ذلك كفر بعد الايمان بقوله تعالى : ( من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان )(٢) .

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله فيهم ، فان الملائكة تقول : ( فيم كنتم؟ )(١) ولم يقولوا : كيف تصديقكم؟ ( قالوا كنا مستضعفين في الأرض )(١) لم يقولوا : كذبتم مثل ما يقول الله للمجاهد الذي يقول : جاهدت في سبيلك حتى قتلت ، فيقول الله : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ؛ بل قاتلت ليقال : جريء ، وكذلك يقولون للعالم والمتصدق : كذبت بل تعلمت ليقال : عالم ، وتصدقت ليقال : جواد وأما هؤلاء فلم يكذبوهم، بل أجابوهم بقولهم : ( ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها )(١) ويزيد ذلك إيضاحاً للعارف والجاهل الآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى : ( إلا المستضعفين من الرجال

---

(١) سورة النساء ، الآيتان ٩٧-٩٩ (٢) سورة النحل ، الآية : ١٠٦

والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ) (١) .

فهذا أوضح جداً أن هؤلاء خرجوا من الوعيد ، فلم يبق شبهة ، لكنْ لمن طلب العلم ، بخلاف من لم يطلبه ، بل قال الله فيهم : ( صمٌ بكم عمي فهم لا يرجعون ) (٢) .

ومن فهم هذا الموضع والذي قبله ، فهم كلام الحسن البصري .قال: ليس الايمان بالتحلي ، ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال ، وذلك أن الله تعالى يقول : ( إليه يصعد الكلم الطيِّب ، والعمل الصالح يرفعه ) (٣).

الموضع السادس: قصة الردة بعد موت النبي صلى اللهُ عليه وسلم ، فمن سمعها ثم بقي في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمّون العلماء ، وهي قولهم : هذا هو الشرك ، لكن يقولون : لا إله إلا الله ، ومن قالها لا يكفر بشيء . وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس (٤) معهم من الاسلام شعرة ، ولكن يقولون : لا إله إلا الله ، وهم بهذه اللفظة إسلام، وحرّم الاسلام مالهم ودمهم مع إقرارهم أنهم تركوا الاسلام كله (٥) ومع علمهم بانكارهم البعث ، واستهزائهم

(١) سورة النساء ، الآية: ٩٨ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨

(٣) سورة فاطر ، الآية : ١٠ (٤) في الاصل: ليسوا

(٥) أقول قد صدر في هذه الايام كتاب ألفه رجل عالم ، ولكنه سلك مسلكا في موضع من كتابه فقال مما قال: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة ، ولو لم يأت بشيء =

بمن أقرّ به ، واستهزائهم ، وتفضيلهم دين آبائهم مخالفاً لدين النبي ﷺ ، ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين المردة الجهلة أن البدو أسلموا، ولو جرى منهم ذلك كله ، لأنهم يقولون : لا إله إلا الله،ولزم قولهم أن اليهود أسلموا ، لأنهم يقولونها ، وأيضاً كفر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة ، أعني البوادي المتصفين بما ذكرنا.

والذي يبيّن ذلك من قصة الرِّدَّة أن المرتدين افترقوا في ردتهم ، فمنهم من كذّب النبي ﷺ ، ورجعوا إلى عبادة الأوثان وقالوا : لو كان نبياً ما مات ، ومنهم من ثبت على الشهادتين ، ولكن أقر بنبوة مسيلمة ظناً أن النبي ﷺ أشركه في النبوة ، لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك ، فصدقهم كثير من الناس، ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك . ومن شك في ردتهم فهو كافر ، فاذا عرفت أن العلماء أجمعوا أن الذين كذبوه ،ورجعوا إلى عبادة الأوثان، وشتموا رسول الله ﷺ . ومنهم من أقر بنبوة مسيلمة في حال واحدة

= من أركان الاسلام .ولا شك أن هذا مما طغى به القلم وزل به القدم ، فان النبي ﷺ رتب دخول الجنة والنجاة من النار على القيام بأركان الاسلام ، كما في حديث معاذ وغيره ، والانسان يدخل في الاسلام بكلمة التوحيد حكما ، فان أتى بأركان الاسلام ، صار مسلماً حقيقة يستحق دخول الجنة والنجاة من النار . وتأمل ما ذكره الشيخ هنا ، فهو فصل الخطاب .

ولو ثبت على الاسلام كله . ومنهم من أقر بالشهادتين ، وصدّق طليحة في دعواه النبوة . ومنهم من صدق العنسي صاحب صنعاء . كل هؤلاء أجمع العلماء أنهم سواء ومنهم من كذب النبي ﷺ ورجع إلى عبادة الأوثان على حال واحدة . ومنهم أنواع ، آخرهم الفجاءة السلمي لما وفد على أبي بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين ويطلب من أبي بكر أن يمده ، فأعطاه سلاحاً ورواحل ، فاستعرض السلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم ، فجهز أبو بكر جيشاً لقتاله ، فلما أحس بالجيش قال لأميرهم : أنت أمير أبي بكر ، وأنا أميره ولم أكفر . فقال : إن كنت صادقاً فألق السلاح ، فألقاه ، فبعث به إلى أبي بكر ، فأمر بتحريقه بالنار وهو حي ، فاذا كان هذا حكم الصحابة في هذا الرجل مع إقراره بأركان الاسلام الخمسة ، فما ظنك بمن لم يقر من الاسلام بكلمة واحدة ؛ إلا أن يقول : لا إله إلا الله بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها ، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ ، ومن كتاب الله ، ويقولون هذا دين الحضر ، وديننا دين آبائنا ، ثم يفتون هؤلاء المردة الجهال أن هؤلاء مسلمون ولو صرحوا بذلك كله إذا قالوا : لا إله إلا الله ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

وما أحسن ما قال واحد من البوادي لما قدم علينا وسمع شيئاً من الاسلام . قال : أشهد أنا كفار ، يعني هو وجميع البوادي ، وأشهد أن

المطوع الذي يسمينا أهل إسلام أنه كافر، آخره والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن نواقض الاسلام عشرة نواقض[1]:

الأول: الشرك في عبادة الله. قال الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[2] و(إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)[3] ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، كفر إجماعاً.

الثالث: من لم يكفر المشركين، أو يشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو

(١) من أهم ما يجب على المسلم الموحد الحريص على دينه، أن يعرف نواقض الاسلام، فان أكثر الناس يجهلها ولا يعرفها، فلهذا وقعوا في الشرك الأكبر وهم يحسبون أنهم مهتدون.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨ (٣) سورة المائدة، الآية: ٧٢

أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضّلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر .

الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ، ولو عمل به ، كفر .

السادس : من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه ، كفر ، والدليل قوله تعالى: (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم )[1] .

السابع : السحر ، ومنه الصرف ، والعطف ، فمن فعله أو رضي به كفر ، والدليل قوله تعالى : ( وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر )[2] .

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى: (ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)[3] .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد كما وسع الخضر [الخروج] عن شريعة موسى عليه السلام ، فهو كافر .

العاشر : الاعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل

---

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٦٥-٦٦ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥١

قوله تعالى : ( ومن أظلم ممن ذكر بأيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون )[١] .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجادّ والخائف ، إلا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطراً ، وأكثرما يكون وقوعاً ، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

وبعد : فهذه عشر درجات قالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في قوله : ( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً )[٢] .

فهذا كلام وجيز يبيّن غربة الدين لمن تدبره ، وهو عشر درجات :

الأولى : تصديق القلب أنّ دعوة غير الله باطلة ، وقد خالف فيها من خالف[٣] .

الثانية : أنها منكر يجب فيها البغض ،وقد خالف فيها من خالف .

الثالثة : أنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة ،وقد خالف فيها من خالف .

(١) سورةالسجدة، الآية : ٢٢ (٢) سورة الجن ، الآية : ١٨

(٣) أي لأنها شرك ، وصرف للعبادة لمن لايستحقها ، والمشركون خالفوا في ذلك فاعتقدوا جواز الشرك وصرف العبادة لغير الله ، والدعاء مخ العبادة ، فخالفوا الحق الذي جاء به النبي ﷺ واعتقدوا الباطل وعملوا به .

الرابعة : أن هذا هو الشرك بالله الذي لا يغفره ، وقد خالف فيها من خالف .

الخامسة : أن المسلم إذا اعتقده أو دان به كفر ، وقد خالف فيها من خالف .

السادسة : أن المسلم الصادق إذا تكلم به هازلا أو خائفا أو طامعا، كفر بذلك لعلمه ، وأين ينزل القلب هذه الدرجة ويصدقه بها ؟! وقد خالف فيها من خالف .

السابعة : أنك تعمل معه عملك مع الكفار من عداوة الأب والابن وغير ذلك ، وقد خالف فيها من خالف.

الثامنة : أن هذا معنى لا إله إلا الله . والإله : هو المألوه . والأله : عمل من الأعمال ، وكونه منفيا عن غير الله ترك من التروك.

التاسعة : القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

العاشرة : أن الداعي لغير الله لا يقبل منه الجزية [1] كما يقبل من اليهود ، ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود ، لأنه أغلظ

(١) أي لأن الجزية لا تؤخذ إلا من اليهود والنصارى والمجوس على القول الصحيح الراجح من حيث الدليل ، والخلاف مشهور .

كفراً . وكل درجة من هذه الدرجات إذا علمت بها تخلف عنك بعض من كان معك ، والله أعلم .

قوله: عند كل درجة. وقد خالف فيها من خالف ناس يعتقدون أن دعوة غير الله جائزة ، والرسول ومن آمن به مخالفون لهم ، وناس ما يكفرون بالطاغوت ولا يبغضونه ، والرسول وأتباعه مخالفون لهم. بل ملّة إبراهيم هي الكفر بالطاغوت ، والايمان بالله ، وهكذا سائر الدرجات ، والله أعلم .

قوله تعالى : ( قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم ، وأمرت أن أكون من المؤمنين . وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فإن فعلت فانك إذاً من الظالمين )[١].

فيه ثمان حالات :

وقوله تعالى: ( فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون )[٢].

الأولى : ترك عبادة غير الله مطلقاً ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل ، كما جرى لسعد مع أمه .

(١) سورة يونس ، الآيات : ١٠٤-١٠٦ (٢) سورة الروم ، الآية : ٣٠

الحالة الثانية : أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه، لا يفطن عما يريد الله من إجلاله ورهبته ، فذكر هذه الحالة بقوله ( ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم )[١] .

الحالة الثالثة : إن قدّرنا أنه ظن وجود الترك والفعل ، فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ، ولو لم يفض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت[٢] الذين لا يبلغون الغاية في العداوة، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم .

الحالة الرابعة : إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث ، فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين . والجد والصدق هو إقامة الوجه للدين .

الحالة الخامسة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع ، فلا بد من مذهب ينتسب إليه ، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية ، وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحاً، ففي الحنيفية عنه غنية .

الحالة السادسة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست ، فقد يدعو من غير قلبه نبياً ، أو غير شيء من مقاصده ، ولو كان ديناً يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا ، خصوصاً عند الخوف، أنه لا يدخل في هذا .

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٠٤ (٢) في الأصل: كثيرة فيها من الطواغيت.

الحالة الثامنة : أنه ظن سلامته من ذلك ، لكن غيره من إخوانه فعله خوفاً ، أو لغرض من الأغراض ، هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين ؟ أو يقول : كيف يكفر ؟! فهو يحب الدين ويبغض الشرك ، وما أعز من يتخلص من هـذا ؛ بل ما أعز من يفهمه وإن لم يعمل به ؛ بل ما أعز من لا يظنه جنوناً ، والله أعلم .

## باب

شروط الصلاة تسعة :

الاسلام ،والعقل ،والتميز ، والطهارة ،وستر العورة ،واجتناب النجاسة ، والعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية بالقصد .

## باب

أركان الصلاة أربعة عشر ركناً :

القيام مع القدرة ،وتكبير الاحرام ، وقراءة الفاتحة ،والركوع والرفع منه ، والاعتدال ، والسجود ، والرفع منه ، والجلوس بين السجدتين ، والطمأنينة في الجميع ، والتشهد الأخير ، والجلوس له ، والتسليمة الأولى[1] ، وترتيب الأركان .

(١) أي والثانية سنة أو واجبة،والصحيح أن التسليمتين ركن من أركان الصلاة.

## باب

مبطلات الصلاة ثمانية :

الكلام العمد ، والضحك ، والأكل ، والشرب ، وكشف العورة ، والانحراف عن جهة القبلة، والعبث الكثير، وحدوث النجاسة.

## باب

موجبات الصلاة ثمانية :

التكبيرات غير تكبيرة الاحرام. الثاني : قول سمع الله لمن حمده لامام ومنفرد . الثالث: قول ربنا ولك الحمد الرابع: تسبيح الركوع: الخامس : تسبيح السجود السادس : قول رب اغفرلي بين السجدتين، والواجب مرة . السابع : التشهد الأول لأنه عليه السلام فعله وداوم على فعله وأمر به ، وسجد للسهو حين نسيه . الثامن : الجلوس له .

## باب

فرائض الوضوء ستة أشياء :

غسل الوجه ، وغسل اليدين إلى المرفقين ، ومسح جميع الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين ، والترتيب ، والموالاة.

## باب

شروط الوضوء خمسة :

ماء طهور، وكون الرجل مسلماً مميزاً[1] ، وعدم المانع، ووصول الماء إلى البشرة ، ودخول الوقت في دائم الحدث .

## باب

نواقض الوضوء ثمانية :

الخارج من السبيلين، والخارج الفاحش من البدن ،وزوال العقل بنوم أو غيره ، ولمس المرأة بشهوة ، ومس الفرجين لآدمي ، وغسل الميت، وأكل لحم الجزور، والردة عن الاسلام أعاذنا الله منها. والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله رحمه الله تعالى : أصل دين الاسلام وقاعدته أمران :

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه .

قلت : وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصر ، كقوله تعالى: ( قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله

---

(١) في الأصل : وكون الرجل أن يكون مسلماً مميزاً .

ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله )[١] الآية أمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله الذي دعا إليه العرب وغيرهم. والكلمة: هي لا إله إلا الله، ففسرها بقوله: أن لا نعبد إلا الله.

فقوله: أن لا نعبد. فيه معنى لا إله، وهو نفي العبادة عما سوى الله.

قوله: إلا الله، هو المستثنى في كلمة الإخلاص. فأمره تعالى أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده، ونفيها عمن سواه. ومثل هذه الآية كثير يبين أن الإلهية هي العبادة، وأنها لا يصلح منها شيء لغير الله، كما قال تعالى: ( وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه )[٢] معنى: ( قضى ): أمر ووصّى، قولان، ومعناهما واحد.

وقوله: ( ألا تعبدوا ) فيه معنى لا إله.

وقوله: ( إلا إياه ) فيه معنى إلا الله، وهذا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم: ( أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره )[٣] فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً، والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ( إذ قال لأبيه وقومه

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤ (٢) سورة الاسراء، الآية: ٢٣
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٨

إنني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني )[١] فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله . وقال عنه عليه السلام:( وأعتزلكم وما تدعون من دون الله)[٢] فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما كما صرح به في قوله تعالى : ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده )[٣] والذين معهم من الرسل ، كما ذكره ابن جرير . وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا[٤] رحمه الله ، من التحريض على التوحيد ، ونفي الشرك ، والموالاة لأهل التوحيد ، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له ، فان من فعل الشرك فقد ترك التوحيد ، فانهما ضدان لا يجتمعان ، فمتى وُجد الشرك انتفى التوحيد . وقد قال تعالى في حق من أشرك : ( وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار )[٥] فكفره تعالى باتخاذ الأنداد ، وهم الشركاء في العبادة . وأمثال هذه الآيات كثير ، فلا يكون المرء موحداً إلا بنفي الشرك ، والبراءة منه ، وتكفير من فعله .

---

(١) سورة الزخرف ، الآيتان : ٢٦، ٢٧ (٢) سورة مريم ، الآية : ٤٨

(٣) سورة الممتحنة ، الآية : ٤

(٤) يعني به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

(٥) سورة الزمر ، الآية : ٨

ثم قال رحمه الله تعالى :

الثاني : الإنذار عن الشرك في عبـادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله ، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا ، وهو دين الرسل أنذروا قومهم عن الشرك ، كما قال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )[1] . وقال تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون )[2]. وقال تعالى : ( واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا الله)[3].

قوله في عبادة الله :

العبادة: اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه، من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة .

قوله : والتغليظ في ذلك .

وهذا موجود في الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : ( ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين )[4] ( ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين )[5] ولولا التغليظ لما جرى على النبي ﷺ وأصحابه من قريش ماجرى من الأذى العظيم، كما هو مذكور في السيرة مفصلاً ،

(١) سورة النحل ، الآية : ٣٦
(٢) سورة الانبياء ، الآية : ٢٥
(٣) سورة الاحقاف ، الآية: ٢١
(٤) سورة الذاريات ، الآية : ٥٠
(٥) سورة الذاريات ، الآية : ٥١

فانه بادأهم بسب دينهم، وعيب آلهتهم.

قوله رحمه الله تعالى : والمعاداة فيه، كما قال تعالى : ( اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد )[1] والآيات في هذا كثيرة جداً، كقوله : ( وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله )[2]. والفتنة : الشرك. ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لايحصى من الآيات، فلابد من تكفيرهم أيضاً.

هذا هو مقتضى لاإله إلا الله كلمة الاخلاص، فلايتمّ معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكاً في عبادته، كما في الحديث الصحيح : « من قال لاإله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله ».

فقوله : وكفر بما يعبدون من دون الله، تأكيد للنفي فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد، لم يعصم دمه وماله، فهذه الأمور هي تمام التوحيد، لأن لا إله إلا الله قيّدت في الأحاديث بقيود ثقال، بالعلم، والإخلاص، والصدق، واليقين، وعدم الشك، فلايكون المرء موحداً إلا باجتماع هذا كله، واعتقاده، وقبوله، ومحبته، والمعاداة فيه، والموالاة، فبمجموع ما ذكره شيخنا رحمه الله يحصل ذلك.

(١) سورة التوبة، الآية : ٦ (٢) سورة الأنفال، الآية : ٣٩

ثم قال رحمه الله تعالى: والمخالف في ذلك أنواع: فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع، فقبل الشرك واعتقده ديناً، وأنكر التوحيد واعتقده باطلاً، كما هو حال الأكثر.

وسببه الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد، ومايناقيه من الشرك والتنديد واتباع الأهواء، وما عليه الآباء كحال من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل، فرموا أهل التوحيد بالكذب، والزور، والبهتان، والفجور. وحجتهم: إنا وجدنا آباءنا، كذلك يفعلون.

وهذا النوع من الناس والذين بعده، قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الإخلاص، وما وضعت له، وما تضمنته من الدين الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وهو دين الاسلام الذي بعث الله به جميع أنبيائه ورسله، واتفقت دعوتهم عليه كما لا يخفى فيما قضى الله تعالى عنهم في كتابه.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومن الناس من عبد الله وحده، ولم ينكر الشرك، ولم يعاد أهله.

قلت: ومن المعلوم من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد، ولم يأت به وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك والكفر بالطاغوت المذكور في الآية.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم، فهذا

النوع أيضاً لم يأت بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك ، وما تقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان إجماعاً ، وهو مضمون سورة ( الاخلاص ) ، و ( قل يا أيها الكافرون ) .

وقوله في آية الممتحنة : (كفرنا بكم) ومن لم يكفِّر من كفّره القرآن، فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه .

ثم قال رحمه الله : ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه .

فالجواب : أن من لم يحب التوحيد لم يكن موحداً ، لأنه هو الدين الذي رضيه الله لعباده ، كما قال تعالى : ( ورضيت لكم الاسلام ديناً )[1] فلو رضي بما رضي به الله وعمل به لأحبه ، ولا بد من المحبة لعدم حصول الاسلام بدونها ، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد .

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى: الاخلاص محبة الله ،وإرادة وجهه . فمن أحبَّ الله أحب دينه . وما لا فلا . وبالمحبة[2] يترتب عليها كلمة الاخلاص من شروط التوحيد .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه .

قلت : ومن كان كذلك فلم ينف ما نفته لا إله إلا الله من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه ، فهذا ليس من

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣ (٢) كذا الاصل والظاهر أن فيه سقطاً ،ولعل الصواب : والمحبة يترتب عليها كلمة الاخلاص التي هي ...

الاسلام في شيء أصلاً، ولم يعصم دمه ولا ماله، كما دل عليه الحديث المتقدم.

وقوله رحمه الله: ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره،فلم ينفه، ولا يكون موحداً إلا من نفى الشرك وتبرأ منه وممن فعله، وكفرهم. وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه لا إله إلا الله ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها، فليس من الاسلام في شيء، لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم، ويقين، وصدق، وإخلاص، ومحبة، وقبول، وانقياد. وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء. وإن قال: لا إله إلا الله،فهو لا يعرف ما دلّت عليه وما تضمنته.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره.

فأقول: هذا كالذي قبله، لم يرفعوا رأساً بما خلقوا له من الدين الذي بعث الله به رسله، وهذه الحال حال من قال الله فيهم: ( إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل أسبيلا )[1].

وقوله رحمه الله: ومنهم ـ وهو أشد الأنواع خطراً ـ من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره، ولم يبغض من تركه، ولم يكفرهم.

فقوله رحمه الله: وهو أشد الأنواع خطراً، لأنه لم يعرف قدر

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٤

ما عمل به ،ولم يجيء بما يصحح توحيده من القيود الثقال التي لابد منها، لما علمت أن التوحيد يقتضي نفي الشرك ، والبراءة منه ، ومعاداة أهله ، وتكفيرهم مع قيام الحجة عليهم ، فهذا قد يغتر بحاله ، وهو لم يجيء بما عليه من الأمور التي دلت عليها كلمة الاخلاص نفياً وإثباتاً .

وكذلك قوله رحمه الله : ومنهم من ترك الشرك وكرهه ، ولم يعرف قدره ، وهذا أقرب من الذي قبله ، لكن لم يعرف قدر الشرك ، لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآيات المحكمات ، كقول الخليل : ( إنني بَراء مما تعبدون .إلا الذي فطرني )[١].

وقوله : ( إنا براآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً )[٢]

فلا بد لمن عرف الشرك وتركه ، من أن يكون كذلك من الولاء ، والبراء من العابد والمعبود ، وبغض الشرك وأهله ، وعداوتهم.

وهذان النوعان هو[٣] الغالب على أحوال كثير ممن يدعي الاسلام ،فيقع منهم من الجهل بحقيقته ما يمنع الاتيان بكلمة الاخلاص ، وما اقتضته ، على الكمال الواجب الذي يكون به موحداً، فما أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين ؟ !

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان:٢٦-٢٧ (٢) سورة الممتحنة ، الآية : ٤٠

(٣) في الاصل : هي .

فاذا عرفت أن الله كفَّر أهل الشرك ، ووصفهم به في الآيات المحكمات ، كقوله: ( ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر )[١] وكذلك السنة .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى: فأهل التوحيد والسنة يصدقون الرسل فيما أخبروا ، ويطيعونهم فيما أمروا ، ويحفظون ما قالوا ، ويفهمونه ، ويعملون به ، وينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ويجاهدون من خالفهم تقربا إلى الله ، وطلباً للجزاء من الله لا منهم .

وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به ، ونهوا عنه ، ولا بين ما صح عنهم ، ولا ما كذب عليهم ، ولا يفهمون حقيقة مرادهم ، ولا يتحرّون طاعتهم . بل هم جهال بما أتوا به ، معظمون لاغراضهم .

قلت : ما ذكره شيخ الاسلام يشبه حال هذين النوعين الآخرين . بقي مسألة حديث[٢] تكلم فيها شيخ الاسلام ابن تيمية، وهو عدم تكفير المعيَّن ابتداءً[٣] لسبب ـ ذكره رحمه الله ـ أوجب له التوقف

(١) سورة التوبة ،الآية : ١٧ (٢) اكذا الاصل

(٣) أي قبل إقامة الحجة الشرعية التي يكفر جاحدها ، ولكن لا يقال لمن يعمل الكفر: إنه مسلم وهو يعبد غير الله ،بل يقال: كل من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله ، كالدعاء ، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة ، فهو كافر . ولكن الشخص المعين لا يكفر ابتداء قبل تعريفه ببطلان عمله.

في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه .

قال رحمه الله تعالى : ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأحد أن يدعو أحداً من الأموات ، لا الأنبياء ، ولا الصالحين ، ولا غيرهم ، بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ، ولا إلى ميت ، ونحو ذلك . بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها ، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ﷺ . ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين ، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين ما جاء به الرسول مما يخالفه . انتهى .

قلت : فذكر رحمه الله ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة ، إلا بعد البيان والاصرار ، فانه قد صار أمة واحدة ، ولأن من العلماء من كفره بنهيه لهم عن الشرك في العبادة ، فلا يمكنه أن يعاملهم إلا بمثل ما قال ، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في ابتداء دعوته ، فانه إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال : ألله خير من زيد ، تمريناً لهم على نفي الشرك ، بلين الكلام ، نظر إلى المصلحة وعدم النفرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال شيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن رفع الله درجاته بمضاعفة حسناته مجيباً عن إيراد أورده جهمي ضالّ على بعض الاخوان :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد : فقد وردت علينا أسئلة من عُمان ، صدرت من جهمي ضالّ ، يستعجز بها بعض المسلمين .

فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم ، ومالا فائدة فيه لا يحتاج إلى الاشتغال بالجواب عنه .

فما ينبغي أن نجيب عنه قوله : إن الاسم مشتق من السمو ، أو من السمة ، واشتقاق الاسم من هذين ذكره العلماء في كتبهم ، لكن يتعين أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق ، وما معنى الاشتقاق الذي يذكره العلماء ، فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين . وإن كانا مذكورين في كتب النحاة وغيرهم ، وقد ذكرته في « فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد » .

وأما سؤاله عن الفرق بين القضاء والقدر ، فالقدر : أصل من أصول الايمان . كما في سؤال جبريل ، وما أجابه رسول الله ﷺ حين سأله قال : « الايمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

وفي الحديث الصحيح : « إن أول ما خلق الله القلم[(١)]. فقال له : اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة»[(٢)] أي جرى بما يكون مما يعلمه الله تعالى ، فانه تعالى يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، لا يعزُب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .

وأما القضاء فيطلق في القرآن ويراد به إيجاد المقدر ، كقوله : ( فقضاهن سبع سماوات في يومين )[(٣)] .

وقوله ( فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض )[(٤)] .

ويطلق ويراد به[(٥)] الإخبار بما سيقع مما قدر كقوله :(وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب )[(٦)] أخبرهم في كتابهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين .

---

(١) أي بعد خلق العرش كما قال ابن القيم في النونية :

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الرحمن

هل كان قبل العرش أوهو بعده؟ ... قولان عند أبي العلا الهمذاني

والحق أن العرش قبل ، لأنه ... وقت الكتابة كان ذا أركان

وكتابة القلم الشريف تعقبت ... إيجاده من غير فصل زمان

(٢) صحيح ،رواه أحمد وغيره. وقد خرجته فيتخريج أحاديث شرح القصيدة الطحاوية رقم (١٤٢)

(٣) سورة غافر ، الآية : ١٢

(٤) سورة سبأ ، الآية : ١٤

(٥) في الاصل : بها .

(٦) سورة الاسراء ، الآية : ٤

ويطلق ويراد به الأمر، والوصية، كما قال: ( وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ) [١] أي أمر ووصّى.

ويطلق ويراد به الحكم، كقوله: ( وقضي بينهم بالحق ) [٢]

ويطلق ويراد به القدر، ونحو ذلك.

وأما ما زعمه من أن الأدلة الدالة على استوائه على عرشه لا تمنع أن يكون مستوياً على غيره.

فالجواب أن نقول: قد أجمع أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً على أنه لا يجوز أن يوصف الله بما لا يصف به نفسه، ولا وصفه به رسوله ﷺ ومن وصفه بغير ماوصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، فهو جهمي ضالٌّ مضلٌّ، يقول على الله بلا علم. وقد ذكر سبحانه استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه: في سورة ( الأعراف )، وفي سورة ( يونس ) وفي سورة ( الرعد )، وفي سورة ( طه )، وفي سورة ( الفرقان )، وفي سورة ( السجدة )، وفي سورة ( الحديد ) ولم يذكر تعالى أنه استوى على غير العرش، ولا ذكره رسوله ﷺ فعلم أنه ليس من صفاته التي يجوز أن يوصف بها. فمن أدخل في صفات الله ما لم يذكر في كتاب الله ولا في سنة رسوله،

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ٢٣ (٢) سورة الزمر، الآية: ٦٩

فهو جهمي يقول على الله ما لا يعلم . وقد قال الله تعالى : ( تعرج الملائكة والروح إليه ) [١] ( إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ) [٢] ( يخافون ربهم من فوقهم ) [٣] ( إني متوفيك ورافعك إليّ ) [٤] ( بل رفعه الله إليه ) [٥] ( وهو العلي العظيم ) [٦] ( وهو العلي الكبير ) [٧] علو القدر ، وعلو القهر ، وعلو الذات ، لا يجوز أن يوصف إلا بذلك كله لكماله تعالى في أوصافه ، فله الكمال المطلق في كل صفة وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله ﷺ . وقال تعالى : ( رفيع الدرجات ذو العرش ) [٨] فذكر العرش عند هذه الصفة من أدلة فوقيته تعالى ، كما هو صريح فيما تقدم من الآيات ، وكقوله تعالى: ( تكاد السماوات يتفطّرن من فوقهن والملائكة يسبّحون بحمد ربهم ) [٩] الآية .

وذكر النبي ﷺ في معنى قوله تعالى : ( هو الأول والآخر والظاهر والباطن ) [١٠] الآية « اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ،

---

(١) سورة المعارج ، الآية: ٤
(٢) سورة فاطر الآية : ١٠
(٣) سورة النحل ، الآية : ٥٠
(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٥٥
(٥) سورة النساء ، الآية : ١٥٨
(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥
(٧) سورة سبأ ، الآية : ٢٣
(٨) سورة غافر ، الآية : ١٥
(٩) سورة الشورى ، الآية : ٥
(١٠) سورة الحديد ، الآية ٣

وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » .

فقوله : « فليس فوقك شيء » نص في أنه تعالى فوق جميع المخلوقات ، وهو الذي ورد عن الصحابة والتابعين من المفسرين وغيرهم في معنى قوله : ( الرحمن على العرش استوى ) [1] إن معنى استوى استقر وارتفع وعلا ، وكلها بمعنى واحد ، لا ينكر هذا إلا جهمي زنديق ، يحكم على الله وعلى أسمائه وصفاته بالتعطيل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

والنصوص الدالة على إثبات الصفات كثيرة جداً . وقد صنف أهل السنة من المحدثين والعلماء مصنفات كباراً ، ومن ذلك كتاب « السنة » لعبد الله ابن الإمام أحمد ، ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين والأئمة ، وكتاب « التوحيد » لإمام الأئمة محمد بن خزيمة ، وكتاب « السنة » للأثرم صاحب الإمام أحمد ، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي ، وكتاب « السنة » للخلال ، وكتاب « العلو » للذهبي وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ، ولله الحمد والمنة

ونذكر بعض الأحاديث الصريحة في المعنى ، فمن ذلك ما في

(١) سورة طه ، الآية : ٥
وذكر ابن القيم في النونية أربعة معان لكلمة استوى هذه المذكورة وزاد صعد.

«الصحيح» عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السماوات منه رجفة ـ أو قال: رعدة ـ شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا، وخرّوا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مرّ على سماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قاله جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل.

ففي هذا الحديث التصريح بأن جبريل ينزل بالوحي من فوق السماوات السبع، فيمر بها كلها نازلاً إلى حيث أمره الله، وهذا صريح بأن الله تعالى فوق السماوات على عرشه، بائن من خلقه، كما قال عبد الله بن المبارك لما قيل له: بمَ نعرف ربنا؟ قال: بأنه على عرشه، بائن من خلقه. وهذا قول أئمة الإسلام قاطبة، خلافاً للجهمية الحلولية، والفلاسفة، وأهل الوحدة، وغيرهم من أهل البدع.

فرحم الله أهل السنة والجماعة المتمسكين بالوحيين وصح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي» فهو عنده فوق العرش. وفي

حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه الذي رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، أن النبي ﷺ ذكر سبع سماوات وما بينهما[1]، ثم قال: «وفوق ذلك بحر، بين أعلاه وأسفله، كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، ما بين أظلافهن وركبهن، كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهن العرش، ما بين أعلاه وأسفله، كما بين سماء إلى سماء، والله تعالى فوق ذلك»[2].

وفي حديث ابن مسعود الذي رواه عبد الرحمن بن مهدي شيخ الامام أحمد، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن ذرّ، عن عبد الله بن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله تعالى فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم

والجهمية جحدوا هذه النصوص، وعاندوا في التكذيب، فصاروا بذلك كفاراً عند أكثر أهل السنة والجماعة، وهذا القدر الذي ذكرنا كافٍ في بيان ما عليه أهل السنة والجماعة من علو الله تعالى على جميع المخلوقات، واستوائه على عرشه. وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك، ولو ذهبنا نذكر ما ورد في ذلك لاحتمل مجلداً.

(١) في الاصل: بينهما.

(٢) ضعيف، علته عبد الله بن عميرة. قال الذهبي: فيه جهالة.

فالحمد لله الذي حفظ على الأمة دينها في كتابه وسنة رسوله، وبنقل العلماء الذين هم في هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل، وهدانا إلى ذلك، فأبطل الله بالعلماء كل بدعة وضلالة حدثت في هذه الأمة، فيالها من نعمة ما أجلها في حق من تلقّى الحق بالقبول، وعرفه ورضي به، نسأل الله أن يجعلنا شاكرين لنعمه، المثنين بها عليه، فله الحمد لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه خلقه.

فأهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرّف به إليهم من صفات كماله اللائقة بجلال الله، فأثبتوا له تعالى ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وعرفوه بأفعاله وعجائب مخلوقاته، وبما أظهره لهم من عظيم قدرته، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه، فعبدوا رباً أحداً صمداً، إلهاً واحداً، وهو الله الذي الإلهية وصفه، فالخلق خلقه، والملك ملكه، لا شريك له في إلهيته، ولا في ربوبيته، ولا في ملكه، تعالى وتقدس، كما قال تعالى: (قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس)[1]، ونزهوه عما تنزه عنه، وعن كل ما فيه عيب ونقص، وعن كل ما وصفته الجهمية وأهل البدع، مما لا يليق بجلاله وعظمته. فعطّلوه من صفات الكمال، وصاروا إنما يعبدون عدماً، لأنهم وصفوه بما ينافي الكمال ويوقع في النقص العظيم،

(١) سورة الناس، الآيات: ١ـ٣

فشبهوه بالناقصات تارة ، وبالمعدوم تارة ، فهم أهل التشبيه كما عرفت من حالهم وضلالهم ومحالهم .

وأما ما أورده هـذا الجهمي الجاهل من آيات العلم ، كقوله : ( وهو معكم أينما كنتم )(١) وقوله : ( ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم )(٢) فلا منـافاة بين استوائه على عرشه ، وإحاطة علمه بخلقه ، والسياق يدل على ذلك .

أما الآية الأولى فهي مسبوقة بقوله تعالى : ( هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء ومـا يعرج فيها )(١) ، ذكر استواءه على عرشه ، وذكر إحاطة علمه بما في الأرض والسماوات ثم قال : ( وهو معكم أينما كنتم )(١) أي : بعلمه المحيط بما كان وما يكون .

وأما الآية الثانية ، فهي كذلك مسبوقة بالعلم ، وختمها تعالى به فقال : ( ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض مايكون من نجوى ثلاثـة إلا هو رابعهم )(٢) إلى قوله : ( إن الله بكل شيء عليم )(٢) .

فعلم أن المراد علمه بخلقه ، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ،

(١) سورة الحديد ، الآية : ٤ (٢) سورة المجادلة ، الآية : ٧

كما قال تعالى : ( الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً )[1] .

وهذا المعنى الذي ذكرنا ، هو الذي عليه المفسرون من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية وأهل البدع ، فحرموا معرفة الحق لانحرافهم عنه ، وجهلهم به وبالقرآن والسنة ، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الإيمان . ومن المعلوم أنه لا يقبل الحق إلا من طلبه .

وأما أهل البدع ، فأشربوا في قلوبهم ماوقعوا فيه من البدع والضلال ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فاذا عرف ذلك فيتعين أن نسأل هذا الجهمي وغيره من المبتدعة عن أمور لا يسع مسلماً[2] أن يجهلها ، لأن الاسلام يتوقف على معرفتها .

فمن ذلك : مامعنى كلمة الاخلاص لا إله إلا الله ؟

وما الآلهية المنفية بلا النافية للجنس ؟ وماخبرها ؟

ومامعنى الآلهية التي ثبتت لله وحده دون ماسواه ؟

(١) سورة الطلاق ، الآية : ١٢ (٢) في الاصل : مسلم .

وما أنواع التوحيد وألقابه وأركانه؟ ومامعنى الاخلاص الذي أمر الله به عباده، وأخبرهم أنه له وحده ؟

وماتعريف العبادة التي خلقوا لها ؟

وما أقسام العلم النافع الذي لايسع أحداً جهله ؟

وما معنى اسم الله تعالى الذي لايسمى بهذا الاسم غيره؟

وماصفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه؟

فالجواب عن هدا مطلوب، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ وصلى الله على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم باحسان إلي يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه ست مسائل سئل عنها الشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى وعفا عنا وعنهم أجمعين وعن سائر المسلمين آمين.

المسألة الأولى: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار الحربية لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب: الحمدلله، إن كان يقدر على إظهار دينه ولا يوالي المشركين،

جاز له ذلك، فقد سافر بعض الصحابة رضي الله عنهم ، كأبي بكر وغيره من الصحابة إلى بلدان المشركين لأجل التجارة، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ ، كما رواه أحمد في «مسنده» وغيره . وإن كان لا يقدر على إظهار دينه ، ولا على عدم موالاتهم ، لم يجز له السفر إلى ديارهم ، كما نص على ذلك العلماء ، وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك ، ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد ، وفرض عليه عداوة المشركين ، فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك ، لم يجز وأيضاً فقد يجره ذلك إلى موافقتهم أو إرضائهم ، كما هو الواقع كثيراً ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فساق المسلمين ، نعوذ بالله من ذلك .

المسألة الثانية : هل يجوز للانسان أن يجلس في بلد الكفار وشعائر الكفر ظاهرة لأجل التجارة ؟

الجواب عن هذه المسألة ، هو الجواب عن التي قبلها سواء ، ولا فرق في دار الحرب أو دار الصلح ، فكل بلد لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها ، لا يجوز له السفر إليها .

المسألة الثالثة : هل يفرق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين ، أو المدة البعيده .

الجواب : أنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة ، فكل بلد لا

يقدر على إظهار دينه فيها ولا على عدم موالاة المشركين ، لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً إذا كان يقدر على الخروج منها

المسألة الرابعة : في معنى قوله تبارك وتعالى : ( إنكم إذاً مثلهم)[1] وقوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه ، فانه مثله »

الجواب : إن معنى الآية على ظاهرها ، وهو أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين ، من غير إكراه ولا إنكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، فهو كافر مثلهم وإن لم يفعل فعلهم، لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر ، والرضى بالكفر كفر .

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضي بالذنب كفاعله ، فان ادعى أنه يكره ذلك بقلبه ، لم يقبل منه ، لأن الحكم على الظاهر ، وهو قد أظهر الكفر فيكون كافراً .

ولهذا لما وقعت الردة بعد موت النبي ﷺ ، وادعى أناس أنهم كرهوا ذلك ، لم يقبل منهم الصحابة ذلك ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، إلا من أنكر بلسانه وقلبه ، وكذلك قوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله » على ظاهره ، وهو أن الذي يدعي الاسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم ،

(١) سورة النساء ، الآية : ١٤٠

بحيث يعده المشركون منهم، فهو كافر مثلهم وإن ادعى الاسلام، إلا إن كان يظهر دينه ولا يوالي المشركين

ولهذا لما ادعى بعض الناس الذين أقاموا في مكة بعد ما هاجر النبي ﷺ، فادعوا الاسلام، إلا أنهم أقاموا في مكة، يعدهم المشركون منهم، وخرجوا معهم يوم بدر كارهين للخروج فقتلوا، فظن بعض الصحابة أنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله تعالى فيهم: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم)[1] الآية.

قال السدي وغيره من المفسرين: إنهم كانوا كفاراً، ولم يعذر الله منهم إلا المستضعفين.

المسألة الخامسة: هل يقال لمن أظهر علامات النفاق ممن يدعي الاسلام: إنه منافق، أم لا؟

الجواب: إنه من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه، كارتداده عند التحريب على المؤمنين، وخذلانهم عند اجتماع العدو، كالذين قالوا: لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم، وكونه إذا غلب المشركون التجأ معهم، وإن غلب المسلمون التجأ إليهم، ومدحه للمشركين بعض الأحيان، وموالاتهم من دون المؤمنين، وأشباه هذه العلامات

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧

التي ذكر الله أنها علامات للنفاق ، وصفات للمنافقين ،فانه يجوز إطلاق النفاق عليه وتسميته منافقاً . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك كثيراً ، كما قال حذيفة رضي الله تعالى عنه : إن الرجل ليتكلم بالكلمة في عهد رسول الله ﷺ فيكون بها منافقاً ، وكما قال عوف بن مالك لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح : كذبت ، ولكنك منافق. وكذلك قال عمر في قصة حاطب : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . وفي رواية : دعني أضرب عنقه فانه منافق ، وأشباه ذلك كثير . وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عبادة لما قال ذلك الكلام : كذبت ولكنك منافق: تجادل عن المنافقين.

ولكن ينبغي أن يعرف أنه لا تلازم بين إطلاق النفاق عليه ظاهراً ، وبين كونه منافقاً باطناً ، فاذا فعل علامات النفاق جاز تسميته منافقاً لمن أراد أن يسميه بذلك وإن لم يكن منافقاً في نفس الأمر ،لأن بعض هذه الأمور قد يفعلها الانسان مخطئاً لا علم عنده ، أو لمقصد يخرج به عن كونه منافقاً . فمن أطلق عليه النفاق لم ينكر عليه ، كما لم ينكر النبي ﷺ على أسيد بن حضير تسميته سعداً منافقاً ، مع أنه ليس بمنافق، ومن سكت لم ينكر عليه، بخلاف المذبذب الذي ليس مع المسلمين ولا مع المشركين ، فانه لا يكون إلا منافقاً .

واعلم أنه لا يجوز إطلاق النفاق على المسلم بالهوى والعصبية ،

أو لكونه يشاحن رجلاً في أمر دنيا ، أو يبغضه لذلك ، أو لكونه يخالف في بعض الأمور التي لايزال الناس فيها مختلفين. فليحذر الانسان أشد الحذر ، فانه قد صح في ذلك الحديث عن النبي ﷺ فيمن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله[1] ، وإنما يجوز من ذلك ما كانت العلامات مطردة في النفاق ، كالعلامات التي ذكرنا وأشباهها ، بخلاف مثل الكذبة والفجرة ونحو ذلك ، وكان قصد الانسان ونيته إعلاء كلمة الله ونصر دينه .

المسألة السادسة : في الموالاة والمعاداة ، هل هي من معنى لا إله إلا الله، أو من لوازمها ؟

الجواب أن يقال : الله أعلم ، لكن بحسب[2] المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم ، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم ، وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الايمان عمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم .

وأما كون ذلك من معنى لا إله إلا الله أو لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وإنما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك ، وأوجبه ، وأوجب العمل به ، فهذا هو الفرض والحتم الذي لا شك فيه، فمن

(١) المعروف في «الصحيحين» وغيرهما أن ذلك كفر ، وفي « مسلم » مرفوعاً « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » . (٢) الأصل (أحسب) .

عرف أن ذلك من معناها أو من لازمها ، فهو حسن وزيادة خير . ومن لم يعرفه ، فلم يكلف بمعرفته ، لا سيما إذا كان الجدال والمنازعة فيه مما يفضي إلى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الايمان وجاهدوا في الله وعادوا المشركين ووالوا المسلمين، فالسكوت عن ذلك متعين ، وهذا ما ظهر لي. على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى، والله تعالى أعلم، ولله الحمد والمنَّة، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة ، وأن يجعلك مباركا أين ما كنت ، وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر ، وإذا ابتلي صبر ، وإذا أذنب استغفر ، فان هذه الثلاث عنوان السعادة .

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم ، أن تعبد الله مخلصاً له الدين ، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها ، كما قال تعالى: ( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون )[1] .

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦

فاذا عرفت أن الله خلقك لعبادته ، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة ، فاذا دخل الشرك فسدت ، كالحدث إذا دخل في الطهارة ، كما قال تعالى : ( ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حطبت أعمالهم وفي النار هم خالدون )(١)

فاذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل ، وصار صاحبه من الخالدين في النار ، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك ، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة ، وهي الشرك بالله ، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتابه :

الأولى أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين أن الله هو الخالق ، الرازق المحيي ، المميت ، النافع ، الضار ، الذي يدبر جميع الأمور ، وما أدخلهم ذلك في الاسلام . والدليل قوله تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحيَّ من الميِّت ويخرج الميِّت من الحيِّ ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون )(٢).

القاعدة الثانية : أنهم يقولون : ما توجّهنا إليهم ودعوناهم إلا

---

(١) سورة التوبة ، الآية: ١٧ (٢) سورة يونس، الآية : ٣١

لطلب القربة والشفاعة ، نريد من الله لا منهم ، لكن بشفاعتهم والتقرب إليهم .

ودليل القربة قوله تعالى : ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . إن الله لا يهدي من هو كاذب كفّار ) [١] .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : ( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض. سبحانه وتعالى عمّا يشركون ) [٢] .

القاعدة الثالثة : أن النبي ﷺ ظهر على ناس متفرقين في عباداتهم ، منهم من يعبد الشمس والقمر ، ومنهم من يعبد الصالحين ، ومنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، وقاتلهم صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق بينهم . والدليل قوله تعالى : ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ) [٣] .

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى : ( ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣ (٢) سورة يونس ، الآية : ١٨
(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٣٩

خلقهنّ إن كنتم إياه تعبدون )[١] .

ودليل الصالحين قوله تعالى : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً )[٢] .

ودليل الملائكة قوله تعالى : ( ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون . فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون )[٣] .

ودليل الأنبياء قوله تعالى : ( وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٧ (٢) سورة الاسراء ، الآيتان : ٥٦-٥٧
(٣) سورة سبأ ، الآيات : ٤٠-٤٢

شيء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم )[١]

ودليل الأشجار والأحجار حديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال : « الله أكبر، إنها السنن قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ( اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال : إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبَّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين )[٢] .

القاعدة الرابعة : أن مشركي زماننا أعظم شركاً من الأولين ، لأن الأولين يخلصون لله في الشدة ، ويشركون في الرخاء ، ومشركي زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة .

والدليل قوله تعالى : ( فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم

---

(١) سورة المائدة ، الآيات : ١١٦-١١٨

(٢) سورة الأعراف ، الآيات : ١٣٨-١٤٠

وليتمتعوا فسوف يعلمون )[١] .

تمت والحمدلله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا قيل لك : من ربك ؟ فقل: ربي الله . فإذا قيل لك: أي شيء معنى الرب ؟ فقل : المعبود المالك المتصرف . فاذا قيل لك : أي شيء أكبر ما ترى من مخلوقاته ؟ فقل: السماوات والأرض. فاذا قيل لك: أي شيء تعرفه به ؟ فقل : أعرفه بآياته ومخلوقاته . وإذا قيل لك : أي شيء أعظم ما ترى من آياته ؟ فقل: الليل والنهار .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ( إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين )[٢] .

فاذا قيل لك : أي شيء معنى الله ؟ فقل : معناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين فاذا قيل لك: لأي شيء الله خلقك؟ فقل : لعبادته . فاذا قيل لك : أي شيء عبادته ؟ فقل : توحيده وطاعته .

---

(١) سورة العنكبوت ، الآيتان : ٦٥ ، ٦٦

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤

فاذا قيل لك : أي شيء يدل[1] على ذلك؟ فقل: قوله تعالى: (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون )[2] . وإذا قيل لك : أي شيء أول ما فرض الله عليك ؟ فقل : كفر بالطاغوت ، وإيمان بالله .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم )[3] .

فاذا قيل لك : أي شيء العروة الوثقى ؟ فقل : لا إله إلا الله ، ومعنى لا إله إلا الله : لا إله ، نفي . إلا الله؛ إثبات .

فاذا قيل لك : أي شيء أنت نافٍ ، وأي شيء أنت مثبت ؟ فقل: نافٍ جميع ما كان يعبد من دون الله ، ومثبت العبادة لله وحده لا شريك له .

فاذا قيل لك : أي شيء الدليل على ذلك ؟ فقل: قوله تعالى : ( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني )[4] .

فاذا قيل لك : أي شيء النفي ؟ وأي شيء الاثبات ؟ فقل : دليل النفي : ( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون )[5] هذا النفي ، ودليل الاثبات : ( إلا الذي فطرني )[6] .

(١) في الأصل : دليل .
(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦
(٤) سورة الزخرف، الآيتان: ٢٦و٢٧
(٥) سورة الزخرف، الآية : ٢٦
(٦) سورة الزخرف ، الآية : ٢٧

فاذا قيل لك : أي شيء الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ؟ فقل : توحيد الربوبية فعل الرب[1] ، مثل الخلق ، والرزق ، والاحياء ، والاماتة ، وإنزال المطر ، وإنبات النبات ، وتدبير الأمور .

وتوحيد الإلهية ، فعلك العبد مثل الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والانابة ، والرغبة ، والرهبة ، والنذر ، والاستعانة ، وغير ذلك من أنواع العبادة .

فاذا قيل لك : أي شيء دينك ؟ فقل : ديني الاسلام ، وأصله وقاعدته أمران : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له . والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه ، والانذار عن الشرك في عبادة الله تعالى ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله ، وهو مبني على خمسة أركان :

أولها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت مع الاستطاعه.

ودليل الشهادة قوله تعالي : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم )[2]

ودليل أن محمداً رسول الله قوله تعالى : ( ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين )[3].

---

(١) لعل الأولى أن يقال: توحيد الربوبية: اعتقاد تفرد الرب بالفعل، وتوحيد الآلهية : إفراد العبد ربه في العبادة .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٨ (٣) سورة الاحزاب ، الآية : ٤٠

والدليل على إخلاص العبادة والصلاة؛والزكاة قوله تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة )[١] .

ودليل الصوم قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون )[٢] .

ودليل الحج قوله تعالى :( ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين )[٣] .

وأصول الايمان ستة : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

والإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فاذا قيل:من نبيك ؟فقل:محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بلده . مكة ، وهاجر إلى المدينة وعمره ثلاث وستون سنة ، منها أربعون ما نبيء فيها وثلاث وعشرون ني رسول[٤]، نبيء بـ(إقرأ) ، وأرسل بـ(المدثر) .

---

(١) سورة البينة ، الآية : ٥ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣
(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٩٧ (٤) كذا الاصل .

فاذا قيل : هو مات، أم لم يمت[١]؟ فقل: مات ، ودينه لا يموت[٢] إلى يوم القيامة . والدليل قوله تعالى : ( إنَّك ميّت وإنهم ميّتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون )[٣]

والناس إذا ماتوا يبعثون ؟ فقل : نعم والدليل قوله تعالى : ( منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى )[٤]. والذي ينكر البعث كافر . والدليل قوله تعالى : ( زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثنَّ ثم لتنبؤنَّ بما عملتم وذلك على الله يسير )[٥].

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً .

---

(١) في الاصل : أو مامات .
(٢) في الاصل : مامات .
(٣) سورة الزمر ، الآيتان: ٣٠، ٣١
(٤) سورة طه ، الآية : ٥٥
(٥) سورة التغابن ، الآية : ٧

# استدراك

وقع في صفحة (٣١) رقم الحاشية (٣) نقص في العبارة ، والعبارة بتمامها :
مسألة الغرانيق كثر فيها القال والقيل ، فمنهم من أنكرها بعقله ، ومنهم من صحت عنده الرواية فصدق بها. ومنهم من سلك مسلكاً جمع فيه بين الرواية والدراية ، كما في « فتح الباري » لابن حجر ، و« فتـــح القدير » للشوكاني .
وحكى في «مجمع البيان» للصفوي أنها من وضع الزنادقة، والله أعلم بحقيقة الحال.
وقال ناصر الدين الألباني: هذه القصة باطلة لا تصح، وليس لها إسناد تقوم به الحجة ، وعامة طرقها مراسيل لا تصلح للتقوية . وقد فصلت القول في ذلك في رسالة خاصة ، أرجو الله أن ييسر طبعها قريباً .

ووقع سهواً تعليق رقم (١) في صفحة (١٠) وهو تعليق للصفحة (٩) رقم (٣) عند قول المؤلف : فهذه الأنواع الخمسة ، فاقتضى التنويه .

# هذه
# مسائل الجاهلية

تأليف

الشيخ الإمام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله : هـذه أمور خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين ، مما لا غنى للمسلم عن معرفتها ، فالضد يظهر حسنه الضد ، وبضدها تتبين الأشياء . فأهم ما فيها وأشدها خطراً ، عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية ، تمت الخسارة ؛ كما قال تعالى : ( والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله ، أولئك هم الخاسرون )[1].

المسألة الأولى : أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته ، يريدون شفاعتهم عند الله ؛ كما قال تعالى : ( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله )[2]؛

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٥٢ (٢) سورة يونس الآية : ١٨

وقال تعالى : ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ) (١)

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ ، فأتى بالاخلاص وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل ، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار .

وهذه المسألة التي تفرّق الناس لأجلها بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت العداوة ، ولأجلها شرع الجهاد ، كما قال تعالى : ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ) (٢)

الثانية : أنهم متفرقون في دينهم ، كما قال تعالى : ( كل حزب بما لديهم فرحون ) (٣) ، وكذلك في دنياهم ، ويرون ذلك هو الصواب ، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله : ( شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ) (٤) وقال تعالى : ( إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ) (٥) .

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣
(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٣٩
(٣) سورة الروم ، الآية : ٣٢
(٤) سورة الشورى ، الآية : ١٣
(٥) سورة الانعام ، الآية : ١٥٩

ونهانا عن مشابهتهم بقوله : ( ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات )[(١)]

ونهانا عن التفرق في الدين بقوله : ( واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا )[(٢)] .

الثالثة : أن مخالفة ولي الأمر [عندهم] وعدم الانقياد له فضيلة ، والسمع والطاعة ذل ومهانة ، فخالفهم رسول الله ﷺ ، وأمر بالصبر على جور الولاة ، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة ، وغلظ في ذلك ، وأبدأ فيه وأعاد .

وهذه الثلاث التي جمع بينها فيما ذكر[(٣)] عنه في « الصحيحين » أنه قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : ألاّ تعبدوا إلا الله ، ولاتشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم » . ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها .

الرابعة : أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد ، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم ، كما قال تعالى : ( وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٥ (٢) سورة آل عمران، الآية : ١٠٣

(٣) لو قال (ورد) كان أولى، فانصيغة (ذكر) للتصنيف في اصطلاح أهل العلم.

وإنا على آثارهم مقتدون )[١] وقال تعالى : ( وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير )[٢] فأتاهم بقوله : ( قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة )[٣] الآية ، وقوله : ( اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون )[٤] .

الخامسة : أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر، ويحتجون به على صحة الشيء ، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته ، وقلة أهله ، فأتاهم[٥] بضد ذلك، وأوضحه في غير موضع من القرآن .

السادسة: الاحتجاج بالمتقدمين، كقوله (فما بال القرون الأولى)[٦] (ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين)[٧] .

السابعة : الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال ، وفي الملك والمال والجاه ، فرد الله ذلك بقوله : ( ولقد مكنّاهم فيما إن مكناكم فيه )[٨] الآية وقوله : (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به )[٩]. وقوله : ( يعرفونه

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٢٣
(٢) سورة لقمان ، الآية : ٢١
(٣) سورة سبأ ، الآية : ٤٦
(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٣
(٥) في الأصل (فأتتهم) .
(٦) سورة طه ، الآية : ٥١
(٧) سورة المؤمنون ، الآية : ٢٤
(٨) سورة الأحقاف، الآية ٢٦
(٩) سورة البقرة ، الآية : ٨٩

كما يعرفون أبناءهم )[(١)] الآية .

الثامنة : الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء ، كقوله : ( أنؤمن لك واتبعك الأرذلون )[(٢)] . وقوله : ( أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا )[(٣)] ، فرده الله بقوله : ( أليس الله بأعلم بالشاكرين )[(٣)] .

التاسعة : الاقتداء بفسقة العلماء ، فأتى بقوله : ( يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله )[(٤)] . وبقوله : ( لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل )[(٥)] .

العاشرة : الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله ، وعدم حفظهم ، كقوله : ( بادي الرأي )[(٦)] .

الحادية عشرة : الاستدلال بالقياس الفاسد ، كقوله : ( إن أنتم إلا بشر مثلنا )[(٧)] .

الثانية عشرة : ابتكار القياس الصحيح ، والجامع لهذا وما قبله ، عدم فهم الجامع والفارق .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٦
(٢) سورة الشعراء ، الآية : ١١١
(٣) سورة الانعام ، الآية : ٥٣
(٤) سورة التوبة ، الآية : ٣٤
(٥) سورة المائدة ، الآية : ٧٧
(٦) سورة هود ، الآية : ٢٧
(٧) سورة ابراهيم ، الآية : ١٠

الثالثة عشرة : الغلو في العلماء والصالحين ، كقوله : ( يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق )(١) .

الرابعة عشرة : أن كل ما تقدم مبني على قاعدة وهي النفي والاثبات ، فيتبعون الهوى والظن ، ويعرضون عما آتاهم الله .

الخامسة عشرة : اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم ، كقوله : ( قلوبنا غلف )(٢) ( يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول )(٣) ، فأكذبهم الله ، وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، والطبع بسبب كفرهم .

السادسة عشرة : اعتياضهم عما أتاهم من الله بكتب السحر ، كما ذكر الله ذلك في قوله : ( نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان )(٤) .

السابعة عشرة : نسبة باطلهم إلى الأنبياء ، كقوله : ( وما كفر سليمان )(٤) وقوله : ( ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً )(٥)

الثامنة عشرة : تناقضهم في الانتساب ، ينتسبون إلى إبراهيم ، مع إظهارهم ترك اتباعه .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧١ (٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٥
(٣) سورة هود ، الآية : ٩١ (٤) سورة البقرة ، الآيتان : ١٠١، ١٠٢
(٥) سورة آل عمران ، الآية: ٦٧

التاسعة عشرة : قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين ، كقدح اليهود في عيسى ، وقدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ .

العشرون : اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين ، ونسبته إلى الأنبياء كما نسبوه لسليمان .

الحادية والعشرون : تعبدهم بالمكاء والتصدية .

الثانية والعشرون : أنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً .

الثالثة والعشرون : أن الحياة الدنيا غرتهم، فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه، كقوله:(نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين)[1] .

الرابعة والعشرون : ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأنفة ، فأنزل الله : ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم)[2] الآية .

الخامسة والعشرون: الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء كقوله: ( لو كان خيراً ماسبقونا إليه )[3] .

السادسة والعشرون: تحريف كتاب الله من بعد ماعقلوه وهم يعلمون.

السابعة والعشرون: تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله، كقوله: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله)[4] الآية.

الثامنة والعشرون : أنهم لا يعقلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم،

(١) سورة سبأ ، الآية : ٣٥ (٢) سورة الأنعام ، الآية : ٥٢

(٣) سورة الأحقاف ، الآية : ١١ (٤) سورة البقرة ، الآية : ٧٩

كقوله : ( نؤمن بما أُنزل علينا )[١] .

التاسعة والعشرون : أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة كما نبه الله عليه بقوله : ( فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين)[١] .

الثلاثون : وهي من عجائب آيات الله أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع ، وارتكبوا ما نهى الله عنه من الا فة ، صار ( كل حزب بما لديهم فرحون )[٢] .

الحادية والثلاثون : وهي من عجائب الله أيضاً ، معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة ، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبيهم ، وفتنتهم غاية المحبة، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما آتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر ، وهي من دين آل فرعون .

الثانية والثلاثون : كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهوّدونه ، كما قال تعالى : ( وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء )[٣] الآية .

الثالثة والثلاثون : إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم ، كما فعلوا في حج البيت فقال تعالى: (ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلا من سفه نفسه)[٤] .

الرابعة والثلاثون : أن كل فرقة تدعي أنها الناجية ، فأكذبهم الله بقوله : ( هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين )[٥] . ثم بين الصواب بقوله:

(١) سورة البقرة، الآية : ٩١
(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٥٤
(٣) سورة البقرة ، الاية : ١١٣
(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٣٠
(٥) سورة النمل ، الآية : ٦٤

( بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن )[١] الآية .

الخامسة والثلاثون : التعبد بكشف العورات ، كقوله : ( وإذا فعلوا فاحشة )[٢] الآية .

السادسة والثلاثون : التعبد بتحريم الحلال ، كما تعبد بالشرك.

السابعة والثلاثون: التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله.

الثامنة والثلاثون: الالحاد في الصفات، كقوله تعالى: (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون )[٣] .

التاسعه والثلاثون: الالحاد في الأسماء كقوله تعالى: ( وهم يكفرون بالرحمن )[٤] ،

الأربعون : التعطيل ، كقول آل فرعون[٥] .

الحادية والأربعون : نسبة النقائص إليه .

الثانية والأربعون : الشرك في الملك ، كقول المجوس .

الثالثة والأربعون : جحود القدر .

الرابعة والأربعون : الاحتجاج على الله .

الخامسة والأربعون : معارضة شرع الله بقدره .

السادسة والأربعون مسبة الدهر، كقولهم :(وما يهلكنا إلا الدهر).

---

(١) سورة البقرة، الآيه : ١١٢ (٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٨

(٣) سورة فصلت ،الآية : ٢٢ (٤) سورة الرعد ، الآية : ٣٠

(٥) يشير الى ماحكاه الله عنه في قوله : ( ماعلمت لكم من إله غيري ) سورة القصص ، الآية : ٣٨ .

السابعة والأربعون: إضافة نعم الله إلى غيره كقوله: ( يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها )(١).

الثامنة والأربعون: الكفر بآيات الله.

التاسعة والأربعون: جحد بعضها.

الخمسون: قولهم: ( ما أنزل الله على بشر من شيء )(٢).

الحادية والخمسون: قولهم في القرآن: (إن هذا إلا قول البشر)(٣).

الثانية والخمسون: القدح في حكمة الله تعالى.

الثالثة والخمسون: أعمال الحيل الظاهرة والباطنة في دفع ماجاءت به الرسل، كقوله: (ومكروا ومكر الله)(٤). وقوله تعالى: (وقالت طائفةمن أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار)(٥).

الرابعة والخمسون: الاقرار بالحق ليتوصلوا به إلى دفعه كما قال في الآية(٦).

الخامسة والخمسون: التعصب للمذهب، كقوله بعدها(٧): (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم )(٨).

السادسة والخمسون: تسمية أتباع الاسلام شركاء، كما ذكره في قوله تعالى: ( ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم

(١) سورة النحل، الآية: ٨٣ (٢) سورة الانعام، الآية: ٩١
(٣) سورة المدثر، الآية: ٢٥ (٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٢
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٢ وتمامها ( واكفروا آخره لعلهم يرجعون )
(٦) يعني المتقدمة. (٧) الاصل(فيها) (٨) سورة آل عمران، الآية: ٧٣

يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله )[١] الآية .

السابعة والخمسون : تحريف الكلم عن مواضعه .

الثامنة والخمسون : تلقيب أهل الهدى بالصُّباة والحشوية .

التاسعة والخمسون : افتراء الكذب على الله .

الستون : كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك، كما قال[٢] : ( أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض )[٣] .

الحادية والستون : رميهم إياهم بالفساد في الأرض، كما في الآية .

الثانية والستون : رميهم إياهم بانتقاص دين الملك، كما قال تعالى: (ويذرك وآلهتك)[٣] وكما قال تعالى: (إني أخاف أن يبدل دينكم)[٤] الآية.

الثالثة والستون : رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك، كما في الآية .

الخامسة والستون : رميهم إياهم بتبديل الدين ، كما قال : ( إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد )[٥] .

السادسة والستون : رميهم إياهم بانتقاض الملك ، كقولهم . ( ويذرك وآلهتك )[٦] .

السابعة والستون : دعواهم العمل بما عندهم من الحق ، كقوله : ( نؤمن بما أنزل علينا )[٧] مع تركهم إياه .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩ (٢) حكاية عن الملأ من قوم موسى .
(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٧ (٤) سورة غافر ، الآية : ٢٦
(٥) سورة غافر ، الآية : ٢٦ (٦) سورة الآعراف ، الآية : ١٢٧
(٧) سورة البقرة ، الآية : ٩١

الثامنة والستون: الزيادة في العبادة، كفعلهم يوم عاشوراء.

التاسعة والستون: نقصهم منها، كتركهم الوقوف بعرفات.

السبعون: تركهم الواجب ورعاً[1].

الحادية والسبعون: تعبدهم بترك الطيبات من الرزق.

الثانية والسبعون: تعبدهم بترك زينة الله.

الثالثة والسبعون: دعواهم الناس إلى الضلال بغير علم.

الرابعة والسبعون: دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه، فطالبهم الله بقوله: ( إن كنتم تحبون الله )[2] الآية.

الخامسة والسبعون: دعواهم إياهم إلى الكفر مع العلم.

السادسة والسبعون: المكر الكبّار، كفعل قوم نوح.

السابعة والسبعون: أن أئمتهم: إما عالم فاجر، وإما عابد جاهل، كما في قوله: ( وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله )[3] إلى قوله: ( ومنهم أميّون )[4].

الثامنة والسبعون: تمنيهم الأماني الكاذبة، كقوله لهم: ( لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودة )[5] وقولهم: ( لن يدخل الجنة إلا من

---

(١) مثل ترك ستر العورة أثناء الطواف.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١ وتمامها ( فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٥

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٨

(٥) سورة البقرة، الآية: ٨٠

كان هوداً أو نصارى )[١].

الثمانون : إتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد .

الحادية والثمانون: اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد، كما ذكر[٢] عن عمر.

الثانية والثمانون : اتخاذ السرج على القبور .

الثالثة والثمانون : اتخاذها أعياداً .

الرابعة والثمانون : الذبح عند القبور .

الخامسة والثمانون التبرك بآثار المعظمين، كدار[٣] ابن حزم لعبث مكرمة قريش .

السابعة والثمانون: الفخر بالأحساب .

الثامنة والثمانون : الاستسقاء بالأنواء .

التاسعة والثمانون : الطعن في الأنساب .

التسعون : النياحة .

الحادية والتسعون: أن أجلّ فضائلهم الفخر بالأنساب، فذكر الله فيه ما ذكر .

الثانية والتسعون: أن أجل فضائلهم أيضاً الفخر ولو بحق، فنهي عنه.

الثالثة والتسعون : أنّ الذي لا بد منه عندهم تعصب الانسان

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١١

(٢) الاولى أن يقال (ورد) فان السند الى عمر بذلك صحيح .

(٣) على هامش الاصل ( الندوة . نسخة ) .

لطائفته، ونصر من هو منها ظالماً أومظلوماً ، فأنزل الله في ذلك ما أنزل .

الرابعة والتسعون : أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره ، فأنزل الله : ( ولا تزر وازرة وزر أخرى )[١] .

الخامسة والتسعون : تعيير الرجل بما في غيره ، فقال : « أعيرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية » .

السادسة والتسعون : الافتخار بولاية البيت ، فذمهم الله بقوله: ( مستكبرين به سامراً تهجرون )[٢] .

السابعة والتسعون : الافتخار بكونهم ذرية الانبياء ، فأتى الله بقوله : ( تلك أمة قد خلت لها ما كسبت )[٣] الآية .

الثامنة والتسعون : الافتخار بالصنائع ، كفعل أهل الرحلتين على أهل الحرث .

التاسعة والتسعون: عظمة الدنيا في قلوبهم ، كقولهم: (لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم )[٤] .

المائة : التحكم على الله كما في الآية .

الحادية بعد المائة : ازدراء الفقراء ، فأتاهم بقوله : ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ )[٥] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٤ (٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٦٧
(٣) سورة البقرة ، الآية: ١٣٤ (٤) سورة الزخرف ، الآية : ٣١
(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٥٢

الثانية بعد المائة : رميهم أتباع الرسل بعدم الاخلاص وطلب الدنيا، فأجابهم بقوله: (ما عليك من حسابهم من شيء)[٣] الآية وأمثالها.

الثالثة بعد المائة : الكفر بالملائكة .

الرابعة بعد المائة : الكفر بالرسل .

الخامسة بعد المائة : الكفر بالكتب .

السادسة بعد المائة : الاعراض عما جاء عن الله .

السابعة بعد المائة : الكفر باليوم الآخر .

الثامنة بعد المائة : التكذيب بلقاء الله .

التاسعة بعد المائة : التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر، كما في قوله :(أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه)[١] ومنها التكذيب بقوله : ( مالك يوم الدين )[٢] وقوله : ( لا بيع فيه ولا خلَّة ولا شفاعة)[٣] وقوله : ( إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)[٤].

العاشرة بعد المائة : الايمان بالجبت والطاغوت

الحادية عشرة بعد المائة : تفضيل دين المشركين على دين المسلمين.

الثانية عشرة بعد المائة : لبس الحق بالباطل .

الثالثة عشرة بعد المائة : كتمان الحق مع العلم به .

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٠٥ (٢) سورة الفاتحة ، الآية : ٣

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٤ (٤) سورة الزخرف ، الآية : ٨٦

الرابعة عشرة بعد المائة : قاعدة الضلال ، وهي القول على الله بلا علم .

الخامسة عشرة بعد المائة : التناقض الواضح لما كذبوا الحق ، كما قال تعالى : ( بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج )[١] .

السادسة عشرة بعد المائة : الايمان ببعض المنزل دون بعض .

السابعة عشرة بعد المائة : التفريق بين الرسل .

الثامنة عشرة بعد المائة : مخالفتهم فيما ليس لهم به علم .

التاسعة عشرة بعد المائة : دعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم .

العشرون بعد المائة : صدهم عن سبيل الله من آمن به .

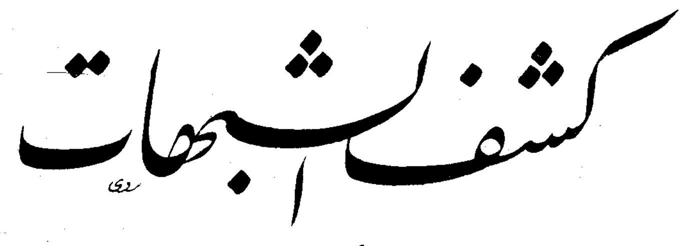
الحادية والعشرون بعد المائة : مودتهم الكفر والكافرين .

الثانية والعشرون بعد المائة : والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، والثامنة ، والتاسعة ، والعشرون ، وتمام الثلاثين ، والواحدة والثلاثون بعد المائة : العيافة ، والطرق ، والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم إلى الطاغوت ، وكراهة التزويج بين العيدين ، والله أعلم .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) سورة ق ، الآية : ٥



تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده.

فأولهم نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين: وَدٍّ، وسُواعٍ، ويَغُوثَ، ويعوقَ، ونَسر.

وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبدون، ويحجون، ويتصدقون، ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله إليهم محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم

أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله ، لا يصلح منه شيء لا لملك مقرَّب ، ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهما ، وإلا فهؤلاء المشركون مقرُّون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له ، وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلا الله ، ولا يدبر الأمر إلا هو ، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن ، والأرضين ومن فيهن ؛ كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره .

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا ، فاقرأ قوله تعالى : ( قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمَّن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبّر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل : أفلا تتقون ؟ )[1] وقوله : ( قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون ؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون الله ، قل فأنَّى تسحرون )[2] وغير ذلك من الآيات .

فاذا تحققت أنهم مقرّون بهـذا ، وأنه لم يدخلهم في التوحيد

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٣١ (٢) سورة المؤمنون ، الآيات : ٨٤-٨٩

الذي دعاهم اليه رسول الله ﷺ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد، كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً.

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى، وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى اخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)[1]، وكما قال تعالى: (له دعوة الحق، والذين يدعون من دنه لا يستجيبون لهم بشيء)[2] وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام، وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم.

عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون، وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكاً،

(١) سورة الجن، الآية: ١٨ (٢) سورة الرعد، الآية: ١٤

أو نبياً، أو وليّاً، أو شجرة، أو قبراً، أو جنّياً. لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبِّر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد، فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله. قالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن هذا لشيء عجاب)[1]

فاذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهلة الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني.

والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبِّر الأمر إلا الله. فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله.

إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي

(١) سورة ص، الآية: ٥

قال الله فيه : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به )[١] الآية ، وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد سواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا ، أفادك فائدتين :

الأولى : الفرح بفضل الله وبرحمته ، كما قال تعالى : ( قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون )[٢] .

وأفادك أيضاً الخوف العظيم ، فانك إذا عرفت أن الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل ، فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله ، كما ظن المشركون ، خصوصاً إن ألهمك الله تعالى ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين : ( اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة )[٣] فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله .

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء ، كما قال تعالى : ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً )[٤] وقد

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٨ وتمامها : ( ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ) .
(٢) سورة يونس ، الآية : ٥٨ (٣) سورة الأعراف ، الاية : ١٣٨
(٤) سورة الانعام ، الآية : ١١٢

يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب وحجج، كما قال تعالى: ( فلمّا جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم )[١].

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله تعالى لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل: ( لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجدأ كثرهم شاكرين )[٢]. ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حجج الله وبيناته، فلا تخف ولا تحزن ( إن كيد الشيطان كان ضعيفاً )[٣].

والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ( وإن جندنا لهم الغالبون )[٤]، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد منّ الله علينا بكتابه الذي جعله تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها،

(١) سورة غافر، الاية : ٨٣ (٢) سورة الاعراف، الآيتان : ١٦-١٧
(٣) سورة النساء، الآية : ٧٦ (٤) سورة الصافات، الآية : ١٧٣

كما قال تعالى : ( ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً )[١] قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة .

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكل ما احتج به المشركون في زماننا علينا فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل ومفصل :

أما المجمل ، فهو الأمر العظيم ، والفائدة الكبيرة لمن عقلها ، وذلك قوله تعالى : ( هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله )[٢] .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » .

مثال ذلك ، إذا قال لك بعض المشركين : ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون )[٣] أو إن الشفاعة حق ، أو إن الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ، فجاوبه بقولك : إن

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٣٣ (٢) سورة آل عمران، الآية : ٧
(٣) سورة يونس ، الآية : ٦٢

الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرّون بالربوبية، وأنه كفَّرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم: (هؤلاء شفعاؤنا عند الله)[1] هذا أمر محكم بيّن لا يقدر أحد أن يغيّر معناه، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن، أو كلام رسول الله ﷺ، لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل، وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى، فلا تستهن به، فانه كما قال تعالى: (وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظ عظيم)[2].

وأما الجواب المفصّل، فان أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، يصدّون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له: وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم، فجاوبه بما تقدم، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرّون بما ذكرت، ومقرّون أن أوثانهم لا تدبر

(١) سورة يونس، الآية: ١٨ (٢) سورة فصلت، الآية: ٣٥

شيئاً ، وإنما أرادوا منها الجاه والشفاعة ، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه .

فان قال : هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً ؟ فجاوبه بما تقدم ، فانه إذا أقرَّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ، ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر ، فاذكر له أن الكفار ؛ منهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم : ( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب )[١] الآية ، ويدعون عيسى بن مريم وأمه . وقد قال تعالى : ( ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم )[٢] . وأذكر له قوله تعالى : ( ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون )[٣] ، وقوله تعالى : ( وإذ قال الله

---

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٥٧ (٢) سورة المائدة ، الآيتان : ٧٥، ٧٦

(٣) سورة سبأ ، الآيتان : ٤٠، ٤١

يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب )[(١)] .

فقل له : عرفت أن الله كفَّر من قصد الأصنام و كفَّر أيضاً من قصد الصالحين ، وقاتلهم رسول الله ﷺ .

فان قال : الكفار يريدون منهم ، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضارّ المدبر لا أريد إلا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم .

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء ، واقرأ عليه قوله تعالى : ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )[(٢)] ، وقوله تعالى : ( ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله )[(٣)] ، واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فاذا عرفت أن الله وضحها في كتابه ، وفهمتها فهماً جيداً ؛ فما بعدها أيسر منها .

فان قال : أنا لا أعبد إلا الله ، وهذا الالتجاء اليهم ودعاؤهم ليس

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ١١٦ (٢) سورة الزمر ، الآية : ٣

(٣) سورة يونس ، الآية : ١٨

بعبادة . فقل له : أنت تقرّ أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله ، فاذا قال : نعم . فقل له : بيّن لي هذا الذي فرضه الله عليك ، وهو إخلاص العبادة لله ،وهو حقه عليك ،فانه لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فبيّنها له بقولك : قال الله تعالى : ( أدعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين )[١] . فاذا أعلمته بهذا ، فقل له :هل علمت هذاعبادة لله ؟ فلا بد أن يقول : نعم . والدعاء مخ العبادة ، فقل له : إذا أقررت أنها عبادة، ودعوت الله ليلاً نهاراً خوفاً وطمعاً ، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره ، هل أشركت في عبادة الله غيره ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : فاذا عملت بقول الله تعالى : ( فصلّ لربك وانحر )[٢] وأطعت الله ونحرت له ، هل هذا عبادة ؟ فلا بد أن يقول: نعم . فقل له : فان نحرت لمخلوق ، نبي ، أو جني ، أو غيرهما ، هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقرّ ويقول : نعم . وقل له أيضاً : المشركون الذين نزل فيهم القرآن ، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللاّت وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء ، والذبح ، والالتجاء ، ونحو ذلك؟ وإلا فهم مقرّون أنهم عبيده وتحت قهره ، وأن الله هو الذي يدبر

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٥ (٢) سورة الكوثر ، الآية : ٢

الأمر ، ولكن دعوهم والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جداً .

فان قال : أتنكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها ؟ فقل : لاأنكرها ، ولا أتبرأ منها ، بل هو ﷺ الشافع المشفَّع ، وأرجو شفاعته ، ولكن الشفاعة كلها لله تعالى ، كما قال تعالى : ( قل لله الشفاعة جميعاً ) [1] ولا تكون إلا من بعد إذن الله ، كما قال تعالى : ( من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه ) [2] ولا يشفع في أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه ، كما قال تعالى : ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ) [3] وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : ( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ) [4] فاذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن الله تعالى إلا لأهل التوحيد . تبين لك أن الشفاعة كلها لله ، وأطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفعه فيّ ، وأمثال هذا .

فان قال : النبي ﷺ أعطي الشفاعة ، وأنا أطلبه مما أعطاه الله .

فالجواب : أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا . فقال تعالى :

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٤٤
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥
(٣) سورة الانبياء ، الآية : ٢٨
(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥

( فلا تدعوا مع الله أحداً )[1] فاذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك ، فأطعه في قوله : ( فلا تدعوا مع الله أحداً )[1] وأيضاً فان الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ ، فصح أن الملائكة يشفعون ، والأفراط يشفعون ، والأولياء يشفعون ، أتقول : إن الله أعطاهم الشفاعة فاطلبها منهم ؟ فان قلت هذا ، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه . وإن قلت : لا . بطل قولك : أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله .

فان قال : أنا لا أشرك بالله شيئاً ، حاشا وكلا ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك . فقل له : إذا كنت تقرأ أن الله حرّم الشرك أعظم من تحريم الزنا ، وتقر أن الله لا يغفره ؛ فما هذا الأمر الذي حرّمه الله ، وذكر أنه لا يغفره؟ فانه لا يدري. فقل له : كيف تبرّئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ كيف يحرّم الله عليك هذا ، ويذكر أنه لا يغفره ، ولا تسأل عنه ولا تعرفه ؟ أتظن أن الله يحرّمه ولا يبيّنه لنا ؟ فان قال : الشرك عبادة الأصنام ، ونحن لا نعبد الأصنام . فقل له : مامعنى عبادة الأصنام ؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن . وإن قال : هو من قصد خشبة ، أو حجراً ، أو بنية على قبر ، أو

(١) سورة الجن ، الآية : ١٨

غيره، يدعون ذلك، ويذبحون له. يقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا ببركته. فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها. فهذا أقرّ أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال له أيضاً قولك: الشرك: عبادة الأصنام، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يرد ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة، أو عيسى، أو الصالحين، فلا بد أن يقرّ لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب. وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله، فسره لي؟ فان قال: هو عبادة الأصنام. فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي. فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده. فقل: مامعنى عبادة الله وحده، فسرها لي؟ فان فسرها بما بينه القرآن، فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدّعي شيئاً وهو لا يعرفه؟ وإن فسر ذلك بغير معناه، بيّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه كما صاح

إخوانهم حيث قالوا : ( أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هـذا لشيء عُجاب )(١) .

فاذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، هو الشرك الذي نزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه ، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين :

أحدهما : أن الأولين لا يشركون ، ولا يدعون الملائكة ، والأولياء ، والأوثان مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء ، كما قال تعالى : ( وإذا مسَّكم الضر في البحر ضلَّ من تدعون إلا إياه ، فلما نجَّاكم إلى البر أعرضتم . وكان الانسان كفوراً )(٢) وقال تعالى : ( قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين . بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون )(٣) وقال تعالى : ( وإذا مسَّ الانسان ضر دعا ربه منيباً إليه )(٤) إلى قوله : ( قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار )(٤) وقوله : ( وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين )(٥)

(١) سورة ص ، الآية : ٥ (٢) سورة الاسراء ، الآية: ٦٧

(٣) سورة الانعام ، الآية : ٤٠ (٤) سورة الزمر ، الآية : ٨ وتمامها:

(ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله).

(٥) سورة لقمان ، الآية : ٣٢

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه ، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضرّ والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ، وينسون ساداتهم ، تبيّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً جيداً راسخاً ؟ والله المستعان .

والأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقرّبين عند الله ، إما أنبياء ، وإما أولياء ، وإما ملائكة . أو يدعون أحجاراً ، أو أشجاراً مطيعةً لله ليست عاصيةً ، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس ، والذين يدعونهم ، هم الذين يحكون عنهم الفجور ، من الزنا ، والسرقة ، وترك الصلاة ، وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر ، أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به .

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء ، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا ، وهي من أعظم شبههم ، فأصغ سمعك لجوابها ، وهي أنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، ويكذبون الرسول ﷺ ، وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ، ويجعلونه سحراً ، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،

ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

فالجواب: أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الاسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه. كمن أقرّ بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقرّ بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقرّ بهذا كله وجحد الصوم، أو أقرّ بهذا كله وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)[1] ومن أقرّ بهذا كله وجحد البعث، كفر بالاجماع، وحل دمه وماله، كما قال تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. أولئك هم الكافرون حقاً)[2] الآية.

فاذا كان الله قد صرّح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ و ١٥١ وتمامها: (واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً).

ببعض ، فهو الكافر حقاً ، زالت هذه الشبهة وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه لذي أرسله الينا .

ويقال أيضاً : إذا كنت تقرّ أن من صدّق الرسول في كل شيء ، وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالاجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق(١) بذلك كله ، لا يجحد هذا ، ولا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن كما قدمنا .

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج .

فكيف إذا جحد الانسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ؟ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟! سبحان الله ما أعجب هذا الجهل ! .

ويقال أيضاً : هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة ، وقد أسلموا مع النبي ﷺ ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويؤذّنون ويصلون فان قال : إنهم يقولون : إن مسيلمة نبي . قلنا : هذا هو المطلوب . إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحلّ ماله ودمه ، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة ، فكيف

---

(١) في الأصل : وكذب ، ولا يستقيم المعنى به .

بمن رفع شمسان أو يوسف[١] أو صحابياً أو نبياً في رتبة جبَّار السموات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه! (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون)[٢].

ويقال أيضاً: الذين حرّقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدّعون الاسلام، وهم من أصحاب علي رضي الله عنه، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟! أتظنون أن الصحابة يكفّرون المسلمين؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب كفر.

ويقال أيضاً: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدّعون الاسلام، ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم. وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

(١) يوسف وشمسان وتاج، أسماء لبعض المتقدين في تلك البلاد الذين يدعون مع الله أو من دون الله؛ كالبدوي، والدسوقي، والمتبولي، وأمثالهم في مصر، وكابن عربي في دمشق.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٩

ويقال أيضاً : إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب ؟ ( باب حكم المرتد ) وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة، كل نوع منها يكفِّر، ويحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب .

ويقال أيضاً : الذين قال الله فيهم : ( يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم )[1] أما سمعت الله كفَّرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحِّدون؟ وكذلك الذين قال الله فيهم :( قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم )[2] فهؤلاء الذين صرَّح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح .

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم : تكفِّرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها، فانه

(١) سورة التوبة ، الآية : ٧٤ (٢) سورة التوبة ، الآيتان : ٦٥،٦٦

من أنفع ما في هذه الأوراق .

ومن الدليل على ذلك أيضاً ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، أنهم قالوا لموسى : ( اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة )[1] وقول أناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط . فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: (اجعل لنا إلهاً)[1] ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة .وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك ، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ : اجعل لنا ذات أنواط ، لم يكفروا .

فالجواب أن نقول : إن بني إسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا . ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا ، وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل :التوحيد فهمناه ، أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان ، وتفيد أيضاً أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري ، فنبه على ذلك وتاب من ساعته ، أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٣٨

وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر ، فانه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً ، كما فعل رسول الله ﷺ .

ولهم شبهة أخرى : يقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال : لا إله إلا الله وقال: « أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله؟!» وكذلك قوله : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله؟» وأحاديث أخر في الكف عمن قالها . ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ، ولا يقتل ، ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم ، وهم يقولون : لا إله إلا الله ، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويصلون ويدعون الاسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب ، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله ، وأن من جحد شيئاً من أركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها ، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع ، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ؟ ! ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .

فأما حديث أسامة ،فانه قتل رجلاً ادعى الاسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفاً على دمه وماله والرجل إذا أظهر الاسلام وجب

الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله في ذلك : (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا )[1] أي فتثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه، والتثبت ،فان تبين منه بعد ذلك ما يخالف الاسلام قتل ، لقوله : ( فتبينوا ) ولو كان لا يقتل إذا قالها ،لم يكن للتثبت معنى . وكذلك الحديث الآخر وأمثاله ، معناه ما ذكرناه أن من أظهر الاسلام والتوحيد وجب الكف عنه ، إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك .

والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال : « أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ » وقال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » هو الذي قال في الخوارج : « أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً ، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم ، وهم تعلموا العلم من الصحابة ، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ، ولا كثرة العبادة ، ولا ادّعاء الاسلام لمّا ظهر منهم مخالفة الشريعة ، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة .

وكذلك أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة ، حتى أنزل الله تعالى : ( يا أيها الذين

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٤

آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ) (١) وكان الرجل كاذباً عليهم ، فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه .

ولهم شبهة أخرى : وهي ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بابراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ . قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً .

فالجواب أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه ، فإن الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها ، كما قال تعالى في قصة موسى : ( فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ) (٢) وكما يستغيث الانسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق . ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم ، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله .

إذا ثبت ذلك ، فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل صالح حي، يجالسك ويسمع كلامك ، وتقول له : ادع الله لي ، كما كان أصحاب

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٦ (٢) سورة القصص ، الآية : ١٥

رسول الله ﷺ يسألونه في حياته . وأما بعد موته ، فحاشا وكلا أنهم سألوه [١] ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف دعاؤه نفسه ؟ !

ولهم شبهة أخرى : وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار ، اعترض له جبريل في الهواء ، فقال : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم عليه السلام : أما إليك فلا . قالوا : فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً ، لم يعرضها على إبراهيم .

فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى ، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فإنه كما قال الله تعالى فيه : ( شديد القوى )[٢] . فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يضع إبراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير ، يرى رجلاً محتاجاً ، فيعرض عليه أن يقرضه ، أو أن يهب له شيئاً يقضي به حاجته ، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ، ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منَّة فيه

---

(١) كذا في الاصل . والمراد أنهم ماسألوه . وهذا التعبير مستعمل في نجد ، وفي الأمصار في النفي ، أي حاشا أن يكونوا سألوه .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٥

لأحد فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟

ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جداً تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها فنقول:

لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فان اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فان عرف التوحيد ولم يعمل به، فهو كافر معاند، كفرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم[1]، وغير ذلك من الأعذار، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الاعذار، كما قال تعالى: (اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً)[2] وغير ذلك من الآيات، كقوله: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)[3] فان عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه، أو لا يعتقده بقلبه، فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار)[4].

(١) هذا من حكاية قولهم، يريدون به أنه لا يكون مقبولا عندهم الا من وافقهم.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٩ (٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٦

(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٥

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة، تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به، لخوف نقص دنيا، أو جاه، أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فاذا سألته عما يعتقد بقلبه، فاذا هو لا يعرفه. ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله، أولاهما ما تقدم من قوله: (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)(١) فاذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به خوفاً من نقص مال، أو جاه، أو مداراة لأحد، أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثانية قوله تعالى: (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)(٢). فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالايمان. وأما غير هذا، فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً، أو مداراة، أو مشحة بوطنه، أو أهله، أو عشيرته، أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره. والآية تدل على هذا من جهتين:

الأولى: قوله: (إلا من أكره)(٢) فلم يستثن الله إلا المكره. ومعلوم أن الانسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام. وأما عقيدة

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٦ (٢) سورة النحل، الآية: ١٠٦

القلب فلا يكره أحد عليها .

والثانية : قوله تعالى : ( ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة )[1]. فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل ، أو البغض للدين ، أو محبة الكفر ، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا ، فآثره على الدين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، آمين

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فهذه رسالة في مسألة رجلين تناظرا. فقال أحدهما: لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله، فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك.

الجواب: الحمد لله رب العالمين. إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة تبلغنا أمر الله؛ فهذا حق؛ فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر به وما نهى عنه؛ وما أعده لأوليائه من كرامته؛ وما وعد به أعداءه من عذابه؛ ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العليا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك إلا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده.

فالمؤمنون بالرسل، المتبعون لهم، هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى؛ ويرفع درجاتهم ويكرمهم فى الدنيا والآخرة.

وأما المخالفون للرسل، فانهم ملعونون، وهم عن ربهم ضالون محجوبون. قال الله تعالى: (يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) [1]

(١) سورة الاعراف، الآيتان: ٣٥، ٣٦

وقال تعالى : ( فإما يأتينكم مني هدى ، فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ) [١] .

قال ابن عباس: تكفل الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه، أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة. وقال تعالى عن أهل النار :( كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ) [٢] وقال تعالى : ( وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) [٣] وقال تعالى : ( وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ) [٤] . وقال الله تعالى : ( إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى

(١) سورة طه ، الآيات :١٢٣ — ١٢٧ (٢) سورة الملك ، الآتيان : ٨ ، ٩

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٧١

(٤) سورة الانعام ، الآيتان : ٤٨ ، ٤٩

نوح والنبيين من بعده ؛ وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل )[1] ومثل هذا في القرآن كثير ، وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين، واليهود، والنصارى ؛ فإنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده ؛ وهم الرسل الذين بلّغوا عن الله أمره وخبره ؛ قال تعالى: (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس )[2] .
ومن أنكر هذه الوسائط، فهو كافر باجماع أهل الملل . والسور التي أنزلها الله تعالى بمكة، مثل: الأنعام والأعراف، وذوات (آلر)، (وحم)، (وطس) ونحو ذلك، هي متضمنة لأصول الدين، كالايمان بالله ورسله واليوم الآخر؛ وقد قص الله قصص الكفار الذين كذبوا الرسل ، وكيف أهلكهم ونصر رسله والذين آمنوا . قال تعالى : ( ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ) .[3] وقال : ( إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ،ويوم يقوم

---

(١) سورة النساء ، الآيات : ١٦٣ - ١٦٥
(٢) سورة الحج ، الآية : ٧٥
(٣) سورة الصافات ، الآيات : ١٧١ – ١٧٣

الاشهاد ) [١] فهذه الوسائط ،تطاع وتتبع ويقتدى بها ، كما قال تعالى : ( وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ) [٢] . وقال تعالى :( من يطع الرسول فقد أطاع الله ) [٣] وقال تعالى : ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ) [٤] وقال : ( فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ) [٥] . وقال تعالى : ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ) [٦] .

وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ،ودفع المضار ، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ،ونصرهم وهداهم ، يسألونه ذلك،ويرجون إليه فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفّر الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء ، يجتلبون بهم المنافع ،ويدفعون بهم المضار . لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حق . قال الله تعالى : (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم

(١) سورة غافر ، الآية : ٥١ (٢) سورة النساء ، الآية : ٦٤
(٣) سورة النساء ، الآية : ٨٠ (٤) سورة آل عمران ، الآية : ٣١
(٥) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧ (٦) سورة الاحزاب ، الآية : ٢١

استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)[١].

وقال تعالى: (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع)[٢]. وقال تعالى: (وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع)[٣] وقال سبحانه: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً)[٤].

وقال: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)[٥].

وقالت طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة، فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً، وأنهم يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه. وقال تعالى: (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا

(١) سورة السجدة، الآية: ٤
(٢) سورة الانعام، الآية: ٥
(٣) سورة الانعام الآية: ٧٠
(٤) سورة الاسراء، الآيتان: ٥٦، ٥٧
(٥) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢، ٢٣

ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون )[١] فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط، يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران لذنب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين وقد قال تعالى: (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون. ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين )[٢] وقال تعالى: ( لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً )[٣] وقال تعالى: ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً. إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً. لقد أحصاهم وعدهم عداً. وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً)[٤]

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٩، ٨٠

(٢) سورة الانبياء، الآيات: ٢٦-٢٩ (٣) سورة النساء، الآية: ١٧٢

(٤) سورة مريم، الآيات: ٨٨- ٩٥

وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض، سبحانه وتعالى عما يشركون)[١] وقال تعالى: (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)[٢] وقال تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه)[٣] وقال تعالى: (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله)[٤] وقال تعالى: (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده)[٥] وقال تعالى: (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره؟ أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته؟ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)[٦]

ومثل هذا كثير في القرآن، ومن[٧] سوى الأنبياء من مشايخ العلم والدين، فمن أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم؛ فقد أصاب في ذلك

وهؤلاء إذا أجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة،

(١) سورة يونس، الآية: ١٨ (٢) سورة النجم، الآية: ٢٦
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ (٤) سورة يونس، الآية: ١٠٧
(٥) سورة فاطر، الآية: ٢ (٦) سورة الزمر، الآية: ٣٨
(٧) كذا الاصل ولعل الصواب (وأما).

وإن تنازعوا في شيء ردوه إلى الله والرسول، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق، بل كل واحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله ﷺ.

وقد قال النبي ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء، فان الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر»(١)

ومن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه، كالحجّاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج!

فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فان تاب وإلا قتل.

وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أنداداً.

وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى، فان الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة.

(١) رواه أبو داود وغيره بسند حسن.

إما لاخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه . ومن قال: إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير ، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين

الوجه الثاني : أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ، ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه ، فلا بد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل . قال تعالى : ( قل أدعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير )[1] وقال تعالى ( وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا )[2] وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربه ومليكه ، فهو الغني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير اليه ، بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم ، وهم في الحقيقه شركاؤهم في الملك ، والله تعالى ليس له شريك في الملك ، بل

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ٢٢ (٢) سورة الاسراء ، الآية : ١١١

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

والوجه الثالث : أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والاحسان اليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج ، فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه ، أو من يدل عليه ، بحيث يكون يرجوه ويخافه ، تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته ، إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه .

والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو إذا أجرى نفعُ العباد بعضهم على بعض ، فجعل هذا يحسن إلى هذا ، ويدعو له ، ويشفع فيه ونحو ذلك ؛ فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع إرادة الاحسان والدعاء والشفاعة . ولا يجوز أن يكون في الوجود من يُكرهه على خلاف مراده ، أو يُعلمه ما لم يكن يعلم ، أو من يرجوه الرب ويخافه ولهذا قال النبي ﷺ : « لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ولكن ليجزم المسألة ، فانه لا مكره له » والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون إلا باذنه ،

كما قال : ( مَنْ ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ؟ )[(١)] وقال تعالى : ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى )[(٢)] . وقد قال تعالى : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له )[(٣)]

فبين أن كل من دعي من دونه ، ليس له ملك ولا شرك في الملك ، ولا هو ظهير . وأن شفاعتهم لا تنفع إلا لمن أذن له . وهذا بخلاف الملوك ، فان الشافع عندهم قد يكون له ملك ، وقد يكون شريكاً لهم في الملك ، وقد يكون مظاهراً لهم معاوناً لهم على ملكهم ، وهؤلا يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك هم وغيرهم ، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم ، وتارة لخوف منهم ، وتارة لجزاء إحسانهم إليه ومكافأتهم ولإنعامهم عليه ، حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته ، لذلك فانه محتاج إلى الزوجة وإلى الولد ، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعة مملوكه ، فاذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ، أو أن يسعى في ضرره .

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض ، كلها من هذا الجنس ، فلا

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٢) سورة الانبياء ، الآية : ٢٨

(٣) سورة سبأ ، الآيتان : ٢٢ و٢٣

يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة ، والله تعالى لا يرجو أحداً ، ولا يخافه ، ولا يحتاج إلى أحد ، بل هو الغني . قال تعالى : ( ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون )(١) إلى قوله : ( قالوا اتخذ الله ولداً ، سبحانه هو الغني ، له ما في السماوات وما في الأرض )(٢) والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة قال تعالى : ( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون )(٣) . وقال تعالى : ( فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون )(٤) وأخبر عن المشركين أنهم قالوا : ( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )(٥) . وقال تعالى : ( ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون )(٦) . وقال تعالى : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم

(١) سورة يونس الآية : ٦٦
(٢) سورة يونس، الآية : ٦٨
(٣) سورة يونس ، الآية: ١٨
(٤) سورة الأحقاف ، الآية : ٢٨
(٥) سورة الزمر ، الآية : ٣
(٦) سورة آل عمران، الآية : ٨٠

الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ) [١] . فأخبر أن ما يدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويله ، وأنهم يرجون رحمته ،ويخافون عذابه ،ويتقربون إليه. فهو سبحانه قد نفى ما أثبتوا للملائكة والأنبياء إلا الشفاعة باذنه. والشفاعة هي الدعاء ؛ ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع ، والله قد أمر بذلك ؛ لكن الداعي الشافع ليس له أن يدعو ويشفع إلا باذن الله له في ذلك ، فلا يشفع شفاعة نهي عنها ، كالشفاعة للمشركين ، والدعاء لهم بالمغفرة قال تعالى : ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ) [٢] . وقال تعالى في حق المنافقين : ( سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ) [٣]
وقد ثبت في « الصحيح » أن الله تعالى نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين ، وأخبر أنه لا يغفر لهم ، كما في قوله : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) [٤] . وقوله : ( ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا

(١) سورة الاسراء، الآيتان: ٥٦-٥٧ (٢) سورة التوبة، الآيتان : ١١٣-١١٤
(٣) سورة المنافقون ، الآية : ٦ (٤) سورة النساء ، الآية : ٤٨

وهم فاسقون )[١] وقال تعالى : ( سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم )[٢] . وقد قال تعالى : ( ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين )[٣] في الدعاء ، ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله ، مثل أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم ، أو المغفرة للمشركين ونحو ذلك ، أو يسأله ما فيه معصية لله عز وجل ، كإعانته على الكفر والفسوق والعصيان ، فالشفيع الذي أذن الله له في الشفاعة ، شفاعته في الدعاء الذي ليس فيه عدوان ، ولو سأل أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه ، فانهم معصومون أن يقروا على ذلك . كما قال نوح : ( إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين )[٤] . قال تعالى : ( يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين )[٥] وكل داع شافع دعا الله سبحانه وتعالى وشفع ، فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء الله وقدره ومشيئته ، وهو الذي يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة ، فهو الذي خلق السبب والمسبب ؛ والدعاء من جملة الأسباب التي قدرها الله سبحانه

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٨٤ (٢) سورة المنافقون، الآية : ٦

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٥٥ (٤) سورة هود ، الآية : ٤٥

(٥) سورة هود ، الآيات : ٤٦-٤٧

وتعالى وإذا كان كذلك ، فالالتفات(١) إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً ، نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكلية ، قدح في الشرع .

بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله سبحانه وتعالى ، والله يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم ما شاء .

والدعاء مشروع أن يدعو الأعلى للأدنى ، والأدنى للأعلى ، فطلب الشفاعة والدعاء من الأنبياء ، كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي ﷺ في الاستسقاء ، ويطلبون منه الدعاء ، بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه . والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء ومحمد ﷺ ، وهو سيد الشفعاء ، وله شفاعات يختص بها ، ومع هذا فقد ثبت في « الصحيحين »(٢) عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ ، فانه من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون ذلك العبد ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة » وقد قال لعمر لما أراد أن يعتمر وودعه : « يا أخي لا تنسني من دعائك » .(٣)

---

(١) كأنه يعني الاعتماد والتوكل على الاسباب كما هو شأن الملحدين .

(٢) هذا من افراد مسلم ولم يخرجه البخاري (٣) رواه أبو داود وغيره بسند ضعيف .

فالنبي ﷺ قد طلب من أمته أن يدعوا له ، ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم ؛ بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها ، مع أنه ﷺ له مثل أجورهم في كل ما يعملونه ، فإنه قد صح عنه أنه ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً » وهو داعي الأمة إلى كل هدى ، فله مثل أجورهم في كل ما اتبعوه فيه ، وكذلك إذا صلوا عليه ، فإن الله يصلي على أحدهم عشراً ، وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه من دعائهم له ، فذلك الدعاء قد أعطاهم الله أجرهم عليه ، وصار ما حصل له به من النفع نعمة من الله عليه .

وقد ثبت عنه ﷺ في « الصحيح » أنه قال : « ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوة ، إلا وكل الله به ملكاً ، كلما دعا لأخيه بدعوة قال الملك الموكل به : آمين ولك مثل ذلك » وفي حديث آخر : « أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب » .

فالدعاء للغير ينتفع به الداعي والمدعو له ، وإن كان الداعي دون المدعو له ، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له . فمن قال لغيره : ادع لي وقصد انتفاعهما جميعاً بذلك ، كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى ، فهو نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما ، والمسؤول

فعل ما ينفعهما، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى، فيثاب المأمور على فعله والآمر أيضاً يثاب مثل ثوابه، لكونه دعا اليه لا سيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد، كما قال تعالى: ( واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات )[١] فأمره بالاستغفار، ثم قال: ( ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه تواباً رحيماً )[٢] فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول لهم إذ ذاك، مما أمر اللّه به الرسول، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولم يأمر اللّه مخلوقاً أن يسأل مخلوقاً شيئاً لم يأمر اللّه المخلوق به، بل ما أمر اللّه به العبد أمر إيجاب أو استحباب ففعله، هو عبادة لله، وطاعة وقربة إلى اللّه وصلاح لفاعله وحسنة فيه، وإذا فعل ذلك كان من أعظم إحسان اللّه اليه وإنعامه عليه، بل أجل نعمة أنعم اللّه بها على عباده أن هداهم للايمان.

والايمان: قول وعمل جائز بالطاعة والحسنات، وكلما ازداد العبد عملاً للخير، ازداد إيمانه.

هذا هو الانعام الحقيقي المذكور في قوله: ( صراط الذين أنعمت عليهم )[٣] وفي قوله: ( ومن يطع اللّه والرسول فأولئك مع الذين

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩ (٢) سورة النساء، الآية: ٦٤

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٦

أنعم الله عليهم )[١]

بل نعم الدنيا بدون الدين هل هي من نعمة أم لا؟ فيه قولان مشهوران للعلماء من أصحابنا وغيرهم. والتحقيق أنها نعمة من وجه. وإن لم يكن نعمة تامة من وجه.

وأما الانعام بالدين الذي ينبغي طلبه، فهو ما أمر الله به، من واجب ومستحب، فهو الخير الذي ينبغي طلبه باتفاق المسلمين، وهو النعمة الحقيقية عند أهل السنة، إذ عندهم أن الله هو الذي أنعم بفعل الخير. والقدرية عندهم إنما أنعم بالقدرة عليه الصالحة للضدين.

والمقصود هنا أن الله لم يأمر مخلوقاً أن يسأل مخلوقاً إلا ما كان مصلحة لذلك المخلوق، إما واجب، أو مستحب، فانه سبحانه لا يطلب من العبد إلا ذلك، فكيف يأمر غيره أن يطلب منه غير ذلك، بل قد حرّم على العبد أن يسأل العبد ماله إلا عند الضرورة، وإن كان قصده مصلحة المأمور، أو مصلحته ومصلحة المأمور، فهذا يثاب على ذلك. وإن كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لانتفاع المأمور، فهذا من نفسه أتي ومثل هذا السؤال لا يأمر الله تعالى به قط، بل قد نهى عنه، إذ هذا سؤال محض المخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته، والله يأمرنا أن نعبده ونرغب اليه، ويأمرنا أن نحسن

---

(١) سورة النساء، الآية : ٩٦

إلى عباده، وهذا لم يقصد لا هذا ولا هذا، فلم يقصد الرغبة إلى الله ودعاءه وهو الصلاة، ولا قصد الاحسان إلى الخلق الذي هو الزكاة، وإن كان العبد قد لا يأثم بمثل هذا السؤال، لكن فرق ما بين ما يؤمر به العبد وما يؤذن له فيه، ألا ترى أنه قال في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «إنهم لا يسترقون» وإن كان الاسترقاء جائزاً وهذا قد بسطناه في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية، فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عبّاد الأوثان، كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله، وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى، حيث قال: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم، وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)[1] وقال تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)[2] أي فليستجيبوا لي إذا دعوتهم بالأمر والنهي، وليؤمنوا بي، أي أن أجيب دعاءهم لي بالمسألة والتضرع. وقال تعالى:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١ (٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦

( فاذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب )[١] . وقال تعالى : ( وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه )[٢]. وقال تعالى : ( أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض )[٣] وقال تعالى : ( يسأله من في السماوات والأرض ، كل يوم هو في شأن )[٤]

وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه ، وحسم مواد الإشراك به حتى لا يخاف أحد غير الله ، ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل إلا عليه ، وقال تعالى : ( فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً )[٥] . وقال تعالى : ( إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه )[٦] أي يخوفكم أولياءه ( فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين )[٧] . وقال تعالى : ( ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية )[٨] . وقال تعالى : ( إنما يعمر مساجد الله من آمن

(١) سورة الانشراح ، الآيتان : ٧ و ٨
(٢) سورة الاسراء ، الآية: ٦٧
(٣) سورة النمل ، الآية : ٦٢
(٤) سورة الرحمن ، الآية : ٢٩
(٥) سورة المائدة ، الاية : ٤٤
(٦) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٧٥
(٧) سورة النساء ، الآية : ٧٧
(٨) سورة التوبة ، الآية : ١٥

بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله )[١].

وقال تعالى: ( ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون )[٢] فبين أن الطاعة لله ورسوله.

وأما الخشية فلله وحده. وقال تعالى: ( ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله )[٣].

ونظيره قوله تعالى: ( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل )[٤].

وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته، ويحسم عنهم مواد الشرك، إذ هذا تحقيق قولنا: لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب، بكمال المحبة والتعظيم، والاجلال والاكرام، والرجاء والخوف، حتى قال لهم: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء محمد». وقال له رجل: ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده». وقال: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت». وقال: «من حلف بغير الله فقد أشرك». وقال لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٢
(٢) سورة النور، الآية: ٥٢
(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٩
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣

استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما أنت لاق ، فلو جهدت الخليقة على أن تنفعك لم تنفعك إلا بشيء كتبه الله لك ، ولو جهدت أن تضرك لم تضرك إلا بشيء كتبه الله عليك » وقال أيضاً : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، وإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ، ورسوله » . وقال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » وقال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » وقال في مرضه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا . قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجداً .

وهذا باب واسع، ومع علم المؤمن أن الله رب كل شيء ومليكه ، فانه لا ينكر ما خلقه الله من الأسباب ، كما جعل المطر سبباً لإنبات النبات قال الله تعالى : ( وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ) (١). وكما جعل الشمس والقمر سبباً لما يخلقه بهما ، وكما جعل الشفاعة والدعاء سبباً لما يقضيه بذلك ، مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت ، فان ذلك من الأسباب التي يرحمه الله بها ، ويثيب عليها المصلين عليه .

(١) سورة البقرة ، الآية: ١٦٤

لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور :

أحدها أن السبب المعين لا يستقبل بالمطلوب ؛ بل لا بد معه من أسباب أخر ، ومع هـذا فلها موانع ، فان لم يكمل الله الأسباب ، ويدفع الموانع ، لم يحصل المقصود ، وهو سبحانه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس ، وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله .

الثاني : أن لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم ، فمن أثبت شيئاً سبباً بلا علم ، أو يخالف الشرع كان مبطلاً ، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء .

وقد ثبت « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال : « إنه لا يأ بخير ، وإنما يستخرج به من البخيل » .

الثالث : أ الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سبباً إلا أن تكون مشروعة ، فان العبادات مبناها على التوقيف ، فلا يجوز ان أ لـ بالله فيدعو غيره وإن ظن أن ذلك سبب في حصول أغر

ولا لا يعبـد الله بالبدع المخالفة للشريعة وإن ظن ذلك .

ن الشياط ـ تعين الانسان على بعض مقاصده إذا أشرك .

و قد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الانسان ،

فلا يحل له ذلك ، إذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به ، إذ الرسول ﷺ بعث بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها .

فما أمر الله به فمصلحته راجحة ، وما نهى عنه فمفسدته راجحة ، وهذه الجمل لها بسط لا تحتمله هذه الوريقات ، والله أعلم .

والحمد لله وحده ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~

# هدية طيبة

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوليّه، والصلاة على نبيّه.

سئل الشيخ رحمه الله تعالى عن معنى: لا إله إلا الله

فأجاب بقوله: اعلم رحمك الله أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والاسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون، وليس المراد بقولها باللسان مع الجهل بمعناها، فان المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلّون ويتصدقون، ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض ما خالفها، ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله مخلصاً» وفي رواية: «خالصاً من قلبه» وفي رواية: «صادقاً من قلبه». وفي حديث آخر: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد

من دون الله » . إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة .

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات ؛ نفي الإلهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات ، حتى محمد صلى الله عليه وسلم ، وجبريل ، فضلاً عن غيرهم من الأولياء والصالحين .

إذا فهمت ذلك،فتأمل هذه الألوهيةالتي أثبتها الله لنفسه، ونفاها عن محمد وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة من خردل .

فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا : السر والولاية .

والإله معناه : الولي الذي فيه السر، وهو الذي يسمونه: الفقير والشيخ ، وتسميه العامة: السيّد ، وأشباه هذا، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن الانسان يلتجئ إليهم ، ويرجوهم ، ويستغيث بهم . ويجعلهم واسطة بينه وبين الله . فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط ، هم الذين يسميهم الأولون : الآلهة . والواسطة : هو الإله . فقول الرجل : لا إله إلا الله ، إبطال للوسائط . وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة ، فذلك بأمرين :

الأول : أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، وقتلهم ، ونهب أموالهم ، واستحل نساءهم ، كانوا مقرّين لله سبحانه

بتوحيد الربوبية . وهو أنه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا يحيي ، ولا يميت ، ولا يدبر الأمور إلا الله وحده ، كما قال تعالى : ( قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السَّمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله )[١] .

وهذه مسألة عظيمة مهمة ، وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله ، ومقرّون بها ، ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الاسلام ، ولم يحرّم دماءهم ولا أموالهم ، وكانوا أيضاً يتصدقون ، ويحجون ، ويعتمرون ، ويتعبدون ، ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عز وجل

ولكن الأمر الثاني: هو الذي كفَّرهم، وأحلّ دماءهم وأموالهم ، وهو أنهم لم يشهدوا الله بتوحيد الألوهية، وهو أنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له ، ولا يستغاث بغيره ، ولا يذبح لغيره، ولا ينذر لغيره ، لا لملك مقرب، ولا نبي مرسل. فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر ، ومن نذر لغيره فقد كفر ، وأشباه ذلك .

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين ، مثل : الملائكة ، وعيسى ،

(١) سورة يونس ، الآية : ٣١

وعزير ، وغيرهم من الأولياء ، فكفروا بهذا ، مع إقرارهم بأن الله هو الخالق ، الرازق ، المدبر .

إذا عرفت هـذا ، عرفت معنى : لا إله إلا الله ، وعرفت أن من نحا[1] نبياً ، أو ملكاً ، أو ندبه[2] ، أو استغاث به، فقد خرج من الاسلام ، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ .

فان قال قائل من المشركين : نحن نعرف أن الله هو الخالق ، الرازق، المدبر، ولكن هؤلاء الصالحين مقرَّبون ، ونحن ندعوهم وننذر لهم ، وندخل عليهم ، ونستغيث بهم ، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة ، وإلا فنحن[3] نفهم أن الله هو الخالق المدبر .

فقل : كلامك هـذا مذهب أبي جهل وأمثاله ، فانهم يدعون عيسى ، وعزيراً ، والملائكة ، والأولياء ، يريدون ذلك كما قال تعالى : ( والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )[4] . وقال : ( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله )[5] .

فاذا تأملت هذا تأملاً جيداً ، عرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية ، وهو تفرد بالخلق والرزق والتدبير، وهم ينحون[6]

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب (ناداه) . (٢) أي قصد .
(٣) في الأصل : نحن (٤) سورة الزمر ، الآية : ٣
(٥) سورة يونس ، الآية : ١٨ (٦) أي يقصدون

عيسى ، والملائكة ، والأولياء ، يقصدونهم لأنهم[1] يقربونهم إلى الله ، ويشفعون عنده .

وعرفت أن من الكفار خصوصاً النصارى ، منهم من يعبد الله الليل والنهار ، ويزهد في الدنيا ، ويتصدق بما دخل عليه منها ، معتزل في صومعة عن الناس ، ومع هذا كافر عدو لله ، مخلّد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء ، يدعوه ، أو يذبح له ، أو ينذر له ، تبين لك كيف صفة الاسلام الذي دعا اليه نبيّك ﷺ ، وتبين لك أن كثيراً من الناس عنه بمعزل ، وتبين لك معنى قوله ﷺ : «بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » .

فالله الله يا إخواني ، ، تمسّكوا بأصل دينكم ، وأوله وآخره ، وأسه وراسه ، شهادة أن لا إله إلا الله ، واعرفوا معناها وأحبّوها ، وأحبوا أهلها ، واجعلوهم إخوانكم ، ولو كانوا بعيدين ، واكفروا بالطواغيت وعادوهم ، وأبغضوهم وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم ، أو قال : ما عليّ منهم ، أو قال : ما كلفني الله بهم ، فقد كذب هذا على الله وافترى ، فقد كلفه الله بهم ، وافترض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم .

(١) في الأصل : أنهم .

فالله الله، تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً، اللهم توفّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه تبيّن لك أنّ كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفراً من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ. قال الله تعالى: (وإذا مسكم الضر في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفوراً)[1].

فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسّهم الضر تركوا السادة والمشايخ، ولم يستغيثوا بهم، بل أخلصوا لله وحده لا شريك له، واستغاثوا به وحده، فاذا جاء الرخاء أشركوا.

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا، ولعلّ بعضهم يدّعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد، واجتهاد، وعبادة، إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله، مثل معروف[2]، أوعبد القادر الجيلاني، وأجلّ من هؤلاء، مثل زيد بن الخطاب، والزبير، وأجلّ من هؤلاء، مثل رسول الله ﷺ. فالله المستعان. وأعظم من ذلك وآثم أنهم يستغيثون بالطواغيت، والكفرة والمردة، مثل شمسان، وإدريس، ويونس وأمثالهم، والله سبحانه أعلم.

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ٦٧ (٢) أي معروف الكرخي

الحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله عَلَى خير خلقه محمد وآله أجمعين (١).

~~~~~~~~

(١) قف و تأمل كلام الشيخ قدس الله روحه في جنات النعيم، و تدبر الفرق بين كفر الجاهلية الأولى و كفر جاهلية هذا الزمان وماقبله بعدة قرون، فأهل الجاهلية الأولى يشركون في الرخاء ويخلصون لله في الشدائد ، وجاهلية زماننا شركهم دائم، فهم لا يلجؤون إلى الله لافي شدة ولا في رخاء ، و يعبدون الصالحين بل و الطالحين من الأموات والغائبين ، وماأضل العامة إلا علماء الضلال، فهم الذين حملوهم على الكفر والضلال والله المستعان .
~~~~~~~~

# أوثق عرى الايمان

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين .

اعلم أولاً أيدك الله بتوفيقه ، أن أوثق عرى الايمان : الحب في الله ، والبغض في الله، وهذا وجهه في أهل بلد مرتدين، أو بادية[1]، وهم بنو عم ، ويجيء لهم ذكر عند الأمراء ،فيتسبب بالدفع عنهم حميَّة دنيوية ، إما بطرد نكال ، أو دفن نقائص المسلمين ، أو يشير بكف المسلمين عنهم ، هل يكون هذا موالاة نفاق ؟ أو يصير كفراً ؟ فان كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ، ما حكمه ؟ وكذلك إذا عرفت هذا من إنسان ، ماذا يجب عليك ؟ أفتنا مأجوراً[2]

فأقول : أولاً : إن الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين ، من الكفار ، والمنافقين ، وجفاة الأعراب الذين يعرفون بالنفاق ،

(١) يقصد بذلك جفاة الأعراب الذين يعرفون بالنفاق ، وسيأتي ذكرهم .

(٢) كذا في الاصل ولايخلو من غموض .

ولا يؤمنون بالله ورسوله ﷺ، وأمرهم بالجهاد، والإغلاظ عليهم بالقول والفعل، وتوعدهم باللعن والقتل، كقوله: ( ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتّلوا تقتيلاً )[١].

وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم، وكيف يدّعي رجل محبّة الله وهو يحب أعداءه الذين ظاهروا الشياطين على عدوانهم واتخذوهم أولياء من دون الله؟ كما قيل:

تحبُّ عدوّي ثمّ تزعم أنّني صديقك إن الود عنك لعازب[٢]

وبالجملة: فالحب في الله، والبغض في الله أصل عظيم من أصول الايمان، يجب على العبد مراعاته ولهذا جاء في الحديث: « أوثق عرى الايمان: الحب في الله، والبغض في الله ».

ولذلك أكثر الله من ذكره في القرآن. قال تعالى: ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء مِن دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة )[٣].

قال بعض المفسرين: نهوا أن يوالوا الكافرين، كقرابة بينهم، أو صداقة قبل الاسلام، أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر.

وقوله: ( من دون المؤمنين )[٣] يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة[٤] عن موالاة الكفار، فلا تؤثروهم عليهم؛ ومن يفعل ذلك

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨ (٢) أي لبعيد وغائب.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٦ (٤) في الاصل: مدحه.

فليس من الله في شيء : أي ومن يتول الكفرة ، فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية ، يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأساً . وهذا أمر معقول ، فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان ( إلا أن تتقوا منهم تقاة)[١] فرخص في موالاتهم إذا خافوهم فلم يحسنوا معاشرتهم إلا بذلك ، وكانوا مقهورين لا يستطيعون إظهار العداوة لهم ؛ فحينئذٍ تجوز المعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء، ينظر[٢] زوال المانع، كما قال تعالى : ( إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان )[٣] .

قال ابن عباس : ليس التقية بالعمل ، إنما التقية باللسان قال أيضاً : نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة[٤] من دون المؤمنين ، إلا أن يكون الكفار ظاهرين ، ويظهرون لهم اللطف ، ويخالفوهم في الدين ، وذلك قوله : ( إلا أن تتقوا منهم تقاة)[١] ذكره ابن جرير وابن أبي حاتم .

وقال تعالى :( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم)[٥] الآية . قال القرطبي : لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم .

قال تعالى:( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم )[٦] إلى آخر قوله:

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨ (٢) بمعنى ينتظر .
(٣) سورة النحل ، الاية : ١٠٦ (٤) أي بطانة وأصحاب سر .
(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١١٨ (٦) سورة المائدة ، الآية : ٥١

(فان حزب الله هم الغالبون)[١] قال حذيفة: ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر، لهذه الآية: (ومن يتولهم منكم فانه منهم)[٢].

قال مجاهد في قوله تعالى: (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم)[٣] قال: المنافقون في مصانعة اليهود، ومداخلتهم واسترضاعهم أولادهم إياهم.

وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى: (أذلة على المؤمنين)[٤] قال: أهل رقة على أهل دينهم (أعزة على الكافرين)[٤] وقال: أهل غلظة على من خالفهم في دينهم. وكذا نقل معناه عن غير واحد من السلف.

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء)[٥].

وقال تعالى: (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون)[٦]. والآية بعدها. وقال تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٦
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٢
(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٧
(٦) سورة المائدة، الآية: ٨٠

عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير )[١] . فقد أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين مع دعواهم الاسلام ، وأمر بالإغلاظ عليهم قولاً وفعلاً .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية : ( جاهد الكفار ) بالسيف ( والمنافقين ) باللسان ( واغلظ عليهم ) قال : أذهب الرفق عنهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ( جاهد الكفار والمنافقين ) ، قال : بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وليلقه بوجه مكفهر ، أي عابس متغير من الغيظ والبغض . ذكره ابن أبي حاتم ، وجاء ـ معناه في حديث ـ مرفوعاً ؛ رواه البيهقي في «الشعب» .

وقال تعالى : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم )[٢] الآية . نفى سبحانه وتعالى الايمان عمَّن هذا شأنه ، ولو كانت مودته ومحبته ومناصحته لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم، فضلاً عن غيرهم .

وقال تعالى : ( ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النار )[٣] قال ابن عباس : ولا تركنوا ، قال : لا تميلوا . وقال عكرمة : أن تطيعوهم ، أو تودوهم ، أو تصطنعوهم . ومعنى تصطنعوهم : أي تولوهم الأعمال، كمن يولي الفسَّاق والفجَّار .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٧٣ (٢) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢

(٣) سورة هود ، الآية : ١١٣

وقال الثوري : ومن لاق[1] لهم دواة، أو برى لهم قلماً، أو ناولهم قرطاساً دخل في هذا . قال بعض المفسرين في الآية في النهي : متناول للانحطاط في هواهم ، والانقطاع إليهم ، ومصاحبتهم ، ومجالستهم ، وزيارتهم ، ومداهنتهم ، والرضى بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزي بزيهم ، ومد العين إلى زهرتهم ، وذكره بما فيه تعظيم لهم . وتأمل قوله ؛ ( ولا تركنوا ) والركون : هو الميل اليسير .

وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة )[2] إلى قوله : ( أولئك هم الظالمون )[3] . وصح أن صدر هذه السورة نزلت في حاطب بن أبي بلتعة ، لما كتب إلى المشركين يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم .

وجاء في تفسير قوله تعالى : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر )[4] الآية : أنها في أبي عبيدة بن الجراح لما قتل أباه يوم بدر كما رواه الطبراني ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وغيرهم .

وعن ابن جريج ، قال : حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ ، فصكه أبو بكر صكة سقط ؛ فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال: « أفعلت يا أبا بكر ؟ » فقال : والله لو كان السيف قريباً مني لضربته . فنزلت :

(١) في الاصل لات والصحيح لاق من لاق الدواة: اذا جعل لها ليقة وأصلح مدادها .
(٢) سورة الممتحنة، الآيه : ١ (٣) سورة الممتحنة ، الآية : ٩
(٤) سورة المجادلة ،الآية : ٢٢

( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر )[١] . رواه ابن المنذر. وهذا والله أعلم في أول الاسلام ، فان أبا قحافة أسلم عام الفتح ، فلم يكن ليسب النبي ﷺ بعد الاسلام ، وأبو بكر خرج مهاجراً من مكة ، ولم يعد إليها إلا بعد الاسلام في عمره مع النبي ﷺ .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، وعادى في الله ، ووالى في الله ، فانما تنال ولاية الله بذلك . رواه ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم .

وفي حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد أما زهدك في لدنيا فتعجلت راحة نفسك ، وأما انقطاعك إلي فتعززت به ، فما عملت فيما لي عليك ؟ قال : يا رب ! وما لك علي ؟ قال : هل واليت لي ولياً ، أو عاديت لي عدواً » .

وقال تعالى : ( والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير )[٢] فعقد تعالى الموالاة بين المؤمنين ، وقطعهم من ولاية الكافرين ، وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض ، وإن لم يفعلوا ذلك وقع من الفتنة والفساد الكبير شيء عظيم وكذلك يقع فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد وعلم الأمر

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢ (٢) سورة الانفال ، الآية : ٧٣

بالمعروف ، والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله ، والبغض في الله ، والمعاداة في الله ، والموالاة في الله ؛ ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ، لم يكن فرقاناً بين الحق والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار ، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، والآيات في هذا كثيرة .

وأما الأحاديث فروى أحمد عن البراء بن عازب : « أوثق عرى الإيمان : الحب في الله ، والبغض في الله » وفي حديث مرفوع : « اللهم لا تجعل للفاجر عندي يداً ، ولا نعمة فيوده قلبي ، فإني وجدت فيما أوحي إليّ : لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله » . رواه ابن مردويه وغيره .

عن أبي ذرّ مرفوعاً : « أفضل الأعمال الحب في الله ، والبغض في الله » . رواه أبو داود . ورواه أحمد مطولاً . وفي « الصحيحين » : عن ابن مسعود مرفوعاً : « المرء مع من أحبّ » وعن ابن مسعود مرفوعاً : « لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي » رواه ابن حبان في « صحيحه » .

وعن علي مرفوعاً : « لا يحب رجل قوماً إلا حشر معهم » رواه الطبراني باسناد جيّد . قاله ابن المنذر وقد روى أحمد معناه : « عن عائشة بإسناد جيّد أيضاً » عنها مرفوعاً : « الشرك أخفى من دبيب

الذّر على الصفا في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور ، أو تبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب في الله ، والبغض في الله ؟ » قال الله تعالى : ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله )[1] الآية ، رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد فقد جعل النبي ﷺ في هذا الحديث : الحب على شيء من الجور وإن قل ، والبغض على شيء من العدل وإن قلّ عن الشرك ، فليحذر أشد الحذر من موادة أعداء الله من الكفار والمنافقين .

وعن بريدة مرفوعاً: «لا تقولوا للمنافق سيّد ، فانه إن يكن[2] سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل » رواه أبو داود ، والنسائي بإسناد صحيح . ورواه الحاكم ولفظه : « إذا قال الرجل للمنافق : يا سيدي فقد أغضب ربه عز وجل » وقال : صحيح الاسناد .

وعن ابن مسعود مرفوعاً : « مثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل بعير تردى في بئر ، فهو ينزع بذنبه » رواه أبو داود ، وابن حبان. قال ابن المنذر : ومعنى الحديث أنه وقع في الإثم، وهلك البعير إذا تردى في بئر ، فصار ينزع بذنبه فلا يقدر على الخلاص . والأحاديث في ذلك كثيرة .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣١ (٢) في الأصل: فانه إن لم يكن .

# فصل

## في ذكر الآثار عن السلف

وهي كثيرة، فنذكر منها بعضها:

قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم)(١) إلى قوله: (إن الله عليم بذات الصدور)(٢) والآية بعدها. قال ابن عبَّاس في الآية: رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود، لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن بطانتهم لخوف الفتنة عليهم: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً)(١) قال: هم المنافقون. رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه قيل له: إن هاهنا(٣) غلاماً من أهل الحيرة، حافظاً، كاتباً فلو اتخذته كاتباً؟ قال: قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين. رواه ابن أبي شيبة.

وعن الربيع: (لا تتخذوا بطانة) قال: لا تستدخلوا المنافقين تتولونهم دون المؤمنين. وفي «تفسير القرطبي» في الكلام على هذه الآية: نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكافرين

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨ (٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٩

(٣) في الأصل: هذا

واليهود وأهل الاهواء دخلاً ووايجاً يفاوضونهم في الآراء، ويسندون اليهم أمورهم. ويقال: كلّ من كان على خلاف دينك ومذهبك لا ينبغي أن تخادنه. قال: عن المرء لا تسأل واسأل عن قرينه، فكل قرين بالمقارن يقتدي. وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «اعتبروا الناس بأخدانهم. ثم بين المعنى الذي لأجله ورد النهي عن المواصلة. قال: «لا يؤلونكم خبالاً» يعني فساداً، يعني لا يتركون فسادكم. قال: وقدم أبو موسى الأشعري على عمر رضي اللهُ عنه بحساب، فدفعه إلى عمر فأعجبه، فقال لأبي موسى أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس؟ فقال: إنه لا يدخل المسجد. فقال: لم؟! أجُنُب هو؟ قال: إنه نصراني، قال: فانتهره، وقال: لا تدنهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خوّنهم الله.

ومن كتاب الامام محمد بن وضاح قال: سئل بن [1] جاء في الأثر: «من جالس صاحب بدعة فقد مشى في هدم الاسلام». وقال الأوزاعي: كانت أسلافكم تشهد عليهم ـ أي على أهل البدع ـ ألسنتهم، وتشمئز منهم قلوبهم، ويحذرون الناس بدعتهم.

(١) كذا في الأصل.

وقال الحسن: لا تجالس صاحب بدعة، فإنه يمرض قلبك وقال إبراهيم: لا تجالسوا أهل البدع ولا تكلموهم، فإني أخاف أن ترتد قلوبكم. روى هذه الآثار ابن وضاح.

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: اعلم رحمك الله أن كلام السلف في معاداة أهل البدع والضلالة انتهى، فاذا كان هذا كلام السلف وتشديدهم في معاداة أهل الضلالات، ونهيهم عن مجالسهم، فما ظنك بمجالسة الكفار والمنافقين، وجفاة الأعراب الذين لا يؤمنون بالله ورسوله، والسعي في مصالحهم، والذب عنهم، وتحسين حالهم، مع كونهم بين اثنتين، إما كافر أومنافق، ومن يتّنهم بمعرفة الاسلام منهم قليل، فهذا من رؤوسهم وأصحابهم، وهو معهم يحشر يوم القيامة: قال تعالى: ( احشروا الذين ظلموا وأزواجهم )[١] الآية. وقال تعالى: ( وإذا النفوس زوّجت )[٢] وقد تقدّم الحديث: « لا يحب رجل قوماً إلا حُشر معهم ».

# فصل

## في التنبيه على حاصل ما تقدم

قد نهى الله سبحانه عن موالاة الكفار، وشدد في ذلك، وأخبر

(١) سورة الصافات، الآية: ٢٢ (٢) سورة التكوير، الآية: ٧

أن من تولاهم فهو منهم وكذلك جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ، وأخبر النبي ﷺ أن من أحب قوماً حشر معهم .

ويفهم مما ذكرنا من الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور ، من فعلها دخل في تلك الآيات ، وتعرض للوعيد بعسيس النار ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه

أحدها : التولي العام . الثاني : المودة والمحبة الخاصة . الثالث : الركون القليل . قال تعالى : ( ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف المات ثم لا تجد لك علينا نصيراً )[١] فاذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه ، فكيف بغيره ؟

الرابع : مداهنتهم ، ومداراتهم قال الله تعالى : ( ودّوا لو تُدهنُ فيُدهنون )[٢]

الخامس : طاعتهم فيما يقولون ، وفيما يشيرون ، كما قال تعالي : ( ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرُطاً )[٣] وقال تعالى : ( ولا تطع كل حلاّف مهين )[٤] الآيات .

السادس : تقريبهم في الجلوس ، والدخول على أمراء الاسلام .

(١) سورة الاسراء ، الآيتان : ٧٤، ٧٥ (٢) سورة القلم ، الآية : ٩

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٢٨ (٤) سورة القلم ، الآية : ١٠

السابع : مشاورتهم في الأمور .

الثامن : استعمالهم في أمر من أمور المسلمين ، أي أمر كان ، إمارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك .

التاسع : اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين .

العاشر : مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم .

الحادي عشر : البشاشة لهم والطلاقة .

الثاني عشر : الإكرام العام .

الثالث عشر : استئمانهم وقد خونهم الله .

الرابع عشر : معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل ، كبري القلم ، وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم .

الخامس عشر : مناصحتهم .

السادس عشر : اتباع أهوائهم .

السابع عشر : مصاحبتهم ومعاشرتهم

الثامن عشر : الرضى بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزيي بزيهم .

التاسع عشر : ذكر ما فيه تعظيم لهم ، كتسميتهم سادات وحكماء ؛ كما يقال للطاغوت[1] : السيد فلان ، أو يقال لمن يدعي علم الطب : الحكيم ، ونحو ذلك .

---

(١) في الأصل : لطواغيت

المشرون : السكنى معهم في ديارهم ، كما قال ﷺ : « من جامع المشركين وسكن معهم ؛ فانه مثلهم » . رواه أبو داود .

إذا تبين هذا ، فلا فرق في هذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائه منهم ، أو مع غيرهم ، كما في آية المجادلة ، وحينئذ فالذي يتسبب بالدفع عنهم حميَّة إما بطرح نكال ، أو دفن نقائص المسلمين ، أو يشير بكف المسلمين عنهم ؛ من أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين والمنافقين وغيرهم ، خصوصاً المرتدين ينبغي أن تكون الغاظة عليهم أشد من الكافر الأصلي ، لأن هذا عادى الله على بصيرة ، وعادى رسوله ﷺ بعدما عرف الحق ثم أنكره وعاداه والعياذ بالله ، فاذا كان من أعان ظالماً، فقد شاركه في ظلمه ، فكيف بمن يمين الكفار والمنافقين على كفرهم ونفاقهم ؟! وإذا كان من أعان ظالماً مسلماً في خصومة ظلم تكون عند حاكم، شريكاً لظالم[1] ، فكيف بمن يمين الكفار ، ويذب[2] عنهم عند الأمراء ؟!

وإذا كان الحراميَّة الذين يأخذون أموال الناس، إذا بذلوا للأمير مالاً على أن يكف عنهم، فهو رئيسهم ، فما ظنك بمن يسر إلى الكفار المودة ؟ ويُعلمهم أنه يحبهم ليواصلوه ويكرموه، كما نص على ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ،وغيره لكن طرح النكال إن كان عن مسلم مظلوم ، فالشفاعة فيه والسعي في إسقاطه بالرأي ونحوه حسن .

(١) في الاصل: خصومة ظلم يكون عند حاكم شريك لظالم (٢) في الاصل: وذب.

وإن كان عن مرتد، فلا نعما لعترته ولا كرامة . ويكفي في ذلك ما رواه أحمد والترمذي وحسَّنه ، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود، قال : لما كان يوم بدر جيء بالأسرى وفيهم العباس ، فقال رسول الله ﷺ : « ما تأمرون في هؤلاء الأسرى ؟ » فقال أبو بكر : قومك يا رسول الله وأهلك ، فاستبقهم لعل الله يتوب عليهم . وفي حديث أنس ، عن أحمد : نرى أن تعفو عنهم ، وتقبل منهم الفداء . رجع الحديث إلى ابن مسعود ، فقال عمر : يا رسول الله ! كذبوك ، وأخرجوك ، وقاتلوك ، قدمهم فاضرب أعناقهم . فدخل النبي ﷺ ولم يردَّ عليهم شيئاً، فخرج رسول الله ﷺ ، وقال : «يا أبا بكر ! مثلك مثل إبراهيم عليه السلام ، قال : ( فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ) [1] . ومثلك يا عمر كمثل نوح قال : ( ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّاراً ) [2] أنتم عالة ، فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق » . فأنزل الله : ( ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ) [3] الآيتين مختصراً . وفي حديث أنس : فأنزل الله ( لولا كتاب من الله سبق ) [4] الآية .

وفي حديث ابن عمر ، عن أبي نعيم : فلقي رسول الله ﷺ عمر فقال : « كاد أن يصيبنا في خلافك شر » . وفي رواية عنه عند ابن

(١) سورة ابراهيم ، الآية : ٣٦
(٢) سورة نوح ، الآية : ٢٧
(٣) سورة الانفال ، الآية : ٦٧
(٤) سورة الانفال ، الاية : ٦٨

المنذر وابن مردويه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم، ولو نزل عذاب ما أفلت إلا عمر » .

فاذا كان هذا في رأي للصديق رضي الله عنه الذي اجتهد فيه ، ونصح لله ولرسوله ﷺ ، فما ظنك بمن يفعل ذلك حمية دنيوية لا لغرض دين ، ولا يقصد وجه الله بذلك ، بل لا يقصد إلا الدنيا ؟! فان قيل : فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يذم أبا بكر على التشبيه ، بل شبهه بإبراهيم وعيسى وميكائيل عليهم السلام ، وشبه عمر بجبريل ونوح وموسى عليهم السلام .

قيل : المراد في الموافقة في أهل اللين والرحمة ، لا في خصوص هذه المسألة ، فان الصواب فيها مع عمر قطعاً بكتاب الله ، ومع ذلك توعد الله في أخذ الفداء بالعذاب لولا ما سبق من كتاب الله أنه رأي للصديق رضي الله عنه الذي اجتهد فيه ، فكيف بمن ينصح لهم ، ويرفق بهم ، ويرى الكف عن القتال ، ويشير باسقاط النكال عنهم من غير مسوغ شرعي بل بمجرد المحبة الدنيوية . وأما من يشير بكف المسلمين عنهم ، فان كان مراده بذلك تأليفهم على الدخول في الاسلام ، أو دخلوا فيه ، أو واعدوه بالدخول فيه عن قريب ، وكان المصلحة في تركهم قليلة[1] ونحوه ؛ يجوز ذلك . وإن كان المراد به أن لا يتعرض

(١) في الأصل : قليل .

المسلمون لهم بشيء لا بقتال ولا نكال وإغلاظ ونحو ذلك ، فهو من أعظم أعوانهم ، وقد حصلت له موالاتهم مع بُعد الديار ، وتباعد الأقطار ، كما قيل :

سهم أصاب ورامية [ بذي سلم ](١) من بالعراق لقد أبعدت مرماك

وأما من يشير بترك نقائص المسلمين لهم إن كانوا مرتدين ، فهذا عند الفقهاء مخطئ آثم ، لأنه يجب على المرتد ضمان ما أتلفه للمسلمين في حال الردة ، خصوصاً من تكرر منه الردة مراراً ، فانه لا يقصد بذلك في هذا الزمان إلا الإغارة والنهب لا غير ، فترك ذلك له من أعظم المعاونة على الإثم والعدوان ولهذا لما صار هذا أمراً سائغاً عند بعض الناس انفتحت للبدوان(٢) أبواب الردة ، وأتوها مهطعين من كل وجه ، ولو كان هذا مصلحة في بعض الأوقات رآها بعض الأمراء ، فلا يجب طرد ذلك لكل أحد في كل زمان ، فاعلم ذلك .

وأما قول السائل : هل يكون هذا موالاة نفاق ، أم يكون كفراً ؟ فالجواب : إن كانت الموالاة مع مساكنتهم في ديارهم ، والخروج معهم في قتالهم ، ونحو ذلك ، فانه يحكم على صاحبها بالكفر ، كما قال تعالى : ( ومن يتولهم منكم فإنه منهم )(٣) . وقال تعالى : ( وقد

---

(١) سقطت من الاصل ، والبيت للشريف الرضي من إحدى حجازياته .

(٢) لعله يريد بذلك البدو (٣) سورة المائدة ، الآية : ٥١

نزّل عليكم في الكتاب أنْ إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويستهزأُ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم )[١] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من جامع المشركين ، وسكن معهم فانه مثلهم » وقال : « أنا بريء من مسلم بين أظهر المشركين » . رواهما أبو داود .

وإن كانت الموالاة لهم في ديار الاسلام إذا قدموا إليهم ونحو ذلك ، فهذا عاصٍ ، آثم ، متعرض للوعيد وإن كانت موالاتهم لأجل دينهم ، يجب عليه من التعزير بالهجر والأدب ونحوه ما يزجر أمثاله . وإن كانت الموالاة لأجل دينهم ، فهو مثلهم ، ومن[٢] أحب قوماً حشر معهم . ولكن ليتفكر السائل في قوله: حمية دنيويّة ، يمكن هذا لا بلاغ المحبة في قلوبهم ؛ وإلا فلو كان يبغضهم في الله ومايعاديهم، لكان أقر شيء لعينه ما يسخطهم؛ ولكن كما قال ابن القيِّم :

تحبُ أعداء الحبيب ، وتدَّعي حُبَّاً له ، ما ذاك في إمكان

وأما قول السائل : فإن كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ،ما حكمه ؟فالجواب :لا يخلو ذلك عن أن يكون شاكاً في كفرهم، أو جاهلاً به ، أو يقر بأنهم كفرة هم وأشباههم ؛ ولكن لا يقدر على مواجهتهم وتكفيرهم ، أو يقول : أقول: غيرهم كفار ، لا أقول: إنهم

(١) سورة النساء ، الآية : ١٤٠ (٢) في الاصل : ولمن

كفار. فان كان شاكاً في كفرهم أو جاهلاً بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على كفرهم؛ فان شك بعد ذلك وتردد، فانه كافر باجماع العلماء، على أن من شك في كفر الكفار فهو كافر(١).

وإن كان يقر بكفرهم، ولا يقدر على مواجهتهم بتكفيرهم فهو مداهن لهم، ويدخل في قوله تعالى: ( ودّوا لو تدهن فيدهنون )(٢) وله حكم أمثاله من أهل الذنوب.

وإن كان يقول: أقول غيرهم كفار، ولا أقولهم كفار، فهذا حكم منه باسلامهم، إذ(٣) لا واسطة بين الكفر والاسلام، فان لم يكونوا

(١) أقول: لاشك أن من دعا غير الله، أو ذبح لغير الله، أو استغاث بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، أنه كافر، لانه صرف العبادة لغير الله كحال عباد البدوي والعيدروس، وعلي بن أبي طالب وأمثالهم، ولقد زلت قدم بعض الناس ممن يدعي وينسب نفسه إلى العلم فقال: إن الرافضة ليسوا بكفار ولا نخرجهم من الاسلام، وأباح أكل ذبائحهم، حتى أعان الله على بيان خطئه وعرفه الناس. وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية: من دعا علي بن أبي طالب فهو كافر. ومن شك في كفره فهو كافر. وهذا الحكم شامل لكل من دعا غير الله. وإذا سئل هذا المفتي عن ذبيحة الرافضي: قال سموا الله عليها وكلوها. ولا أدري هل هذا مبلغ علمه أو مغالطة وتلبيس؟ فليس النزاع في التسمية، بل النزاع في أنها ذبيحة مشرك، فلا تحل ولو سمى عليها كما يسمي المسلمون، والعجب كل العجب أنه نجدي نشأ في ديار الموحدين أهل البصائر في الدين.

(٢) سورة القلم، الآية: ٩ (٣) في الاصل: إذا

كفاراً فهم مسلمون ،وحينئذ فمن سمى الكفر إسلاماً .أو سمى الكفار مسلمين فهو كافر، فيكون هذا كافراً .

وأما قوله : إذا عرفت هذا من إنسان ، ماذا يجب عليك ؟ فالجواب : يجب عليك أن تنصحه وتدعوه إلى الله سبحانه ، وتعرّفه قبيح ما ارتكبه ، فان تاب فهذا هو المطلوب ، وإن أصر وعاند فله حكم ما ارتكبه، إن كان كفراً فكافر ، وإن كان معصية أو إثماً فعاص آثم ، يجب الانكار عليه ، وتأديبه وهجره وإبعاده حتى يتوب وقد هجر النبيّ ﷺ من تخلف عن غزوة واحدة ، ونهى عن كلامهم والسلام عليهم، فكيف بمن يوالي الكفار ، ويظهر لهم المودة؟! هذا ما[1] نقلناه من تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ رحمه الله ،عفا عنه .

---

(١) في الاصل : بما .

هذا سؤال أورده الشيخ الإمام عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب على طلبة العلم من أهل نجد وأهل الأحساء، فأجاب الشيخ العالم عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بُطَين هذا الجواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قولكم ـ دام فضلكم ـ في تعريف العبادة ، وتعريف توحيد العبادة ، وأنواعه ، وتعريف الاخلاص ؟ وما بين الثلاثة من العموم والخصوص ؟ وهل هو مطلق أو وجهي ؟ وما معنى الإله ؟ وما معنى الطاغوت الذي أمرنا باجتنابه والكفر به ؟

الجواب(١) : الحمد لله رب العالمين . أما العبادة في اللغة فهي من

(١) المجيب هو الامام الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين لصفير بطن العائذي عائذ الظفير . ولد رحمه الله في الروضة من بلدان سدير في نجد ، وتلقى العلم عن أكابر علماء عصره ، وارتحل الى شقرا من بلدان الوشم ، وقد تولى قضاء الطائف بأمر الامام سعود بن عبدالعزيز ، وفي أيام الامام تركي بن عبد الله طلب أهل عنيزة من الامام تركي أن يرسله إلى عنيزة ليكون قاضياً ومدرساً ، فأجابهم الامام وأمر بالارتحال إليهم ، وذلك في حدود سنة ١٢٥٠ هـ فتوجه إليها وأخذ معه جدي الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع ، وكان ملازماً للقراءة عليه، وقد تزوج بنته فجاءت بابنين :

أحدهما : عمي عبد الرحمن بن محمد بن مانع تلميذه وتلميذ الشيخ عبد الرحمن ابن حسن وتلميذ الشيخ عبد اللطيف ، ولما مات الشيخ عبد الرحمن بن حسن سنة ١٢٨٥ هـ رثاه بمرثية أثبتها الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى صاحب تاريخ

الذل . يقال : بعير معبَّد : أي مذلل . وطريق معبد : إذا كان مذللاً ،

ـ « عقدالدرر » بتاريخه ، وفيها يقول في ذكر آل الشيخ :

أولئك أشياخي وقومي وسادتي وهم قدوتي حتى أوسَّدَ في قبري

وقد تولى قضاء القطيف للامام عبد الله بن فيصل ، وترجمه الزركلي في « الأعلام » ، ومات بالاحساء .

والابن الثاني : والدي عبد العزيز بن محمد بن مانع ، وقد أخذ العلم عن والده وعن العلامة الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم وغيرهما .

ولما تولى القضاء واجتهد في نشر العلم ، بعث اليه العلامة الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى الاشيقري قصيدة يقول فيها :

سلام سليم كالجمان المنضد يروح على قطر القصيم ويغتدي
أخص به عبد العزيز بن مانع إمام الهدى والدين نجل محمد
إمام به الفيحا عنيزة أشرقت وفاقت سمواً فوق غفر وفرقد

ومات سنة ١٣٠٧ هـ وللعلامة الشيخ عبد الله ابن بطين عدة مؤلفات مذكورة في غير هذا الموضع ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٨٢ هـ في شقرا ، وقد أقام في عنيزة نحواً من عشرين سنة رحمه الله تعالى .

وهذه فائدة ينبغي ذكرها هنا وهي :

أن السجود لله عبادة ، فصرفه لغير الله شرك . وقد ذكر ابن القيم في « إغاثة اللهفان » أن الانحناء للمخلوق ، من السجود . وأطال رحمه الله الكلام في هذا الشأن ، ومما شاع وذاع بين كثير ممن لم يقدر الله حق قدره في كثير من الأمصار أن بعض الهمج الرعاع ممن أذل نفسه وصرف عبادة ربه لمخلوق مثله ، ان هذا الجاهل اذا سلَّم على من يعظمه ، قبل يده ، ثم وضع جبهته عليها ، فاذا كان تقبيل اليد جائزاً على أحد الأقوال ، فوضع الجبهة على اليد حرام بلا نزاع ، لأنه سجود لغير الله ، فهو من أنواع الكفر التي يجب إنكارها . وقد علمنا أن بعض المدرسين بعد إتمام الدرس يتهافت على يده وتقبيلها والسجود عليها الجهال ، فأي فائدة حصلت من هذا الواعظ اذا كان يقر الكفر ولا ينكره ، نسأل الله السلامة ، والاستقامة على الحق .

قد وطئته الأقدام، وكذلك الدين أيضاً من الذل. يقال: دنته فدان؛ أي أذللته فذل.

وأما تعريفها في الشرع، فقد اختلفت عباراتهم في تعريفها والمعنى واحد. فعرفها طائفة بقولهم: هي ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي. وعرفها طائفة بأنها: كمال الحب مع كمال الخضوع.

وقال أبو العباس رحمه الله تعالى: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الباطنة والظاهرة؛ فالصلاة، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والاحسان إلى الجار، واليتيم، والمسكين، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والانابة اليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك؛ فالدين كله دخل في العبادة انتهى.

ومن عرفها بالحب مع الخضوع؛ فلأن الحب التام مع الذل التام، يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له، فالعبد هو الذي ذلله الحب والخضوع لمحبوبه، فبحسب محبة العبد لربه وذله له تكون طاعته.

فمحبة العبد لربه ، وذله له ، يتضمن عبادته وحده لا شريك له ، والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل، ومعنى الحب ؛ فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ؛ كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ليس العبادة غير توحيد المحبة ، مع خضوع القلب والأركان :

والحب نفس وفاقه فيما يحب وبغض مالا يرتضي بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذي الاحسان

فعرّف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح ؛ فمن أحب شيئاً وخضع له ، فقد تعبّد قلبه له ؛ فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة ، ولا الخضوع بلا محبة عبادة .

فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة، فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر. فمن خضع لإنسان مع بغضه له، لم يكن عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له، لم يكن عابداً له، كما يحب ولده وصديقه ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة الكاملة ، والذل التام إلا لله سبحانه . إذا عرف ذلك فتوحيد العبادة هو إفراد الله سبحانه بأنواع العبادة المتقدم تعريفها ، وهو نفس العبادة المطلوبة شرعاً، ليس أحدهما دون الآخر ؛ ولهذا قال ابن عباس : كل ما ورد في القرآن من العبادة ، فمعناه التوحيد . وهذا هو التوحيد الذي

دعت اليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به المشركون

وأما العبادة من حيث هي، فهي أعم من كونها توحيداً عموماً مطلقاً ، فكل موحّد عابد لله ، وليس كل من عبد الله يكون موحداً

ولهذا يقال عن المشرك: إنه يعبد الله مع كونه مشركاً . كما قال الخليل ﷺ : ( أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ) (١) وقال عليه السلام ( إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهدين ) (٢) فاستثنى الخليل ربّه من معبوديهم، فدل على أنهم يعبدون الله سبحانه . فإن قيل : ما معنى النفي في قوله سبحانه : ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) (٣) قيل : إنما نفى عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت ، ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد .

وقد نبّه ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا المعنى اللطيف في «بدائع الفوائد» فقال لما أنجز كلامه على سورة (قل يا أيها الكافرون) :

وأما المسألة الرابعة : وهو أنه لم يأت النفي في حقهم إلا باسم الفاعل ، وفي جهته جاء بالفعل المستقبل تارة ، وباسم الفاعل أخرى ، وذلك ـ والله أعلم ـ لحكمة بديعة ، وهي أن المقصود الأعظم براءته من

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ـ٧٧ (٢) سورة الزخرف، الآيتان : ٢٦و٢٧

(٣) سورة الكافرون ، الآيتان : ٣و٥

معبوديهم بكل وجه وفي كل وقت ، فأتى أولاً بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد ، ثم أتى في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبوت ، فأفاد في النفي الأول أن هذا لا يقع مني ، وأفاد في الثاني أن هذا ليس وصفي ولا شأني ، فكأنه قال : عبادة غير الله لا تكون فعلاً لي ولا وصفاً ، فأتى بنفيين مقصودين بالنفي . وأما في حقهم فإنما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل ، أي الوصف الثابت اللازم للعابد لله منتف عنكم ، فليس هذا الوصف ثابتاً لكم ، وإنما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة لم يشرك معه فيها أحداً ؛ وأنتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه . وإن عبدوه في بعض الأحيان فان المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره ، كما قال أهل الكهف : ( وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله )[1] أي اعتزلتم معبوديهم إلا الله فإنكم لم تعتزلوه .

وكذا قول المشركين عن معبوديهم : ( إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى )[2] فهم كانوا يعبدون الله ، ويعبدون معه غيره ؛ لم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم ، ونفى الوصف ، لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتاً على عبادة الله موصوفاً بها .

فتأمل هذه النكتة البديعة ، كيف تجد في طيها أنه لا يوصف

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٦ (٢) سورة الزمر ، الآية : ٣

بأنه عابد لله وإن عبده، ولا المستقيم على عبادته إلا من انقطع اليه بكليته، وتبتل اليه تبتيلاً، لم يلتفت إلى غيره، ولم يشرك به أحداً في عبادته، وأنه إن عبده وأشرك به غيره فليس عابداً لله ولا عبداً له.

وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة التي هي أحد سورتي الإخلاص التي تعدل ربع القرآن، كما جاء في بعض السنن، وهذا لا يفهمه كل أحد، ولا يدركه إلا من منحه الله فهماً من عنده، فله الحمد والمنة. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وأما الإخلاص: فحقيقته أن يخلص العبد لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنفية ملة إبراهيم ﷺ التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الاسلام (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[1] وهي ملة ابراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)[2].

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على اشتراط الاخلاص للأعمال والأقوال الدينية، وأن الله لا يقبل منها إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه.

ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥ (٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٠

نيَّاتهم ، ويرون الإخلاص أعز الأشياء وأشقها على النفس ، وذلك لمعرفتهم بالله وما يجب له ، وبعلل الأعمال وآفاتها ، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم، وإنما يهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه ، أو المنقصة له .

قال الامام أحمد رحمه الله : أمر النية شديد .

وقال سفيان الثوري : ماعالجت شيئاً أشد علي من نيتي لأنها تتقلب عليَّ .

وقال يوسف بن أسباط: تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد .

وقال سهل بن عبد الله: ليس على النفس شيء أشق من الاخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب .

وقال يوسف بن الحسين : أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم اجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر. فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته ، وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء ؛ لأن الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى .

وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص ، وهل هو وجهي أو مطلق ؟ فقد قدَّمنا أن العبادة من حيث هي أعم من توحيد العبادة

عموماً مطلقاً ، وأن العبادة المطلوبة شرعاً هي نفس توحيد العبادة، ودل كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص حيث قال:

فلواحد كن واحداً في واحد أعني سبيل الحق والايمان
هـذا وثاني نوعي التوحيد تو حيد العبادة منك للرحمن
أن لا تكون لغيره عبداً ولا تعبد بغير شريعـة الايمان
فتقوم بالاخلاص والايمان والا إحسان في سر وفي إعلان
والصدق والاخلاص ركنا ذلك التـ وحيد كالركنين للبنيان

إلى أن قال :

وحقيقة الاخلاص توحيد المرا د فلا يزاحمه مراد ثاني
والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ل الجهد لا كسلاً ولا متواني
والسنة المثلى لسالكها فتو حيد الطريق الأعظم السلطان

فقوله رحمه الله : والصدق والإخلاص ركنا ذلك التوحيد؛ جعل الاخلاص أحد ركني توحيد العبادة ،والصدق ركنه الآخر ،وفسَّر الصدق بما ذكر وقال في بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للاخلاص. فعرّفنا ـ رحمه الله ـ أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص ، ولم يذكر إلا عموماً مطلقاً .

وأما العموم الوجهي ؛ فالظاهر أن المراد به إذا كان أحد الشيئين

أعم من وجه وأخص من وجه، والعموم الذي بين مطلق العبادة وبين توحيد العبادة، والاخلاص مطلقاً لا وجهي. وأما إلا له فهو الذي تألهه القلوب بالمحبة، والخضوع، والخوف، والرجاء، وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة، والتوكل، والاستغاثة، والدعاء، والذبح، والنذر، والسجود، وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، فهو إله بمعنى مألوه؛ أي معبود. وأجمع أهل اللغة أن هذا معنى الإله.

قال الجوهري: أله ـ بالفتح ـ إلاهة، أي عبد عبادة. قال: ومنه قولنا: الله وأصله إله على فعال، بمعنى مفعول، لأنه مألوه بمعنى معبود؛ كقولنا: إمام، فعال بمعنى مفعول، لأنه مؤتم به قال: والتأليه: التعبيد. والتأله: التنسك والتعبد. قال رؤبة: سجن واسترجعن من تأله. انتهى.

وقال في القاموس: أله إلاهة وألوهة، عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة. واختلف فيه على عشرين قولاً، يعني في لفظ الجلالة قال: وأصله إلاه بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه. قال: والتأله: التنسك والتعبد انتهى.

وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود، وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين، فظن أن الإله هو القادر على الاختراع، وهذه زلة عظيمة وغلط

فاحش، إذا تصوّره العامي العاقل تبيّن له بطلانه، وكأنّ هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه، ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرّون بأن الله هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك مشركون. ومن أبعد الأشياء أن عاقلاً يمتنع من التلفظ بكلمة يقر بمعناها ويعترف به ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، هذا ما لا يفعله من له أدنى مسكة من عقل.

قال أبو العباس رحمه الله تعالى: وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظنّ أن الألوهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله، فان المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد. كما قال تعالى: ( ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ الله )(١) وقال تعالى: ( قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون؟ سيقولون لله، قل أفلا تذكرون؟! )(٢) الآيات. وقال تعالى: ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون )(٣)

قال ابن عبّاس: تسألهم من خلق السماوات والأرض، فيقولون الله، وهم مع هذا يعبدون غيره!

---

(١) سورة لقمان، الاية: ٢٥ (٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٨٤و٨٥
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٦

وهذا التوحيد من التوحيد الواجب، لكن لا يحصل به الواجب، ولا يخلص بمجرده عن الاشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يخلص لله الدين، فلا يعبد إلا إياه، فيكون دينه لله. والإله هو المألوه الذي تألهه القلوب، فهو إله بمعنى مألوه لا بمعني إله. انتهى.

وقد دل صريح القرآن على معنى الإله، وأنه هو المعبود كما في قوله تعالى: ( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فانه سيهدين. وجعلها كلمة باقية في عقبه )(١)

قال المفسرون: هي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، باقية في عقبه: أي ذريته.

قال قتادة: لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده والمعنى: جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في ذرية إبراهيم، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي كلمة: لا إله إلا الله.

فتبين أن موالاة الله بعبادته، والبراءة من كل معبود سواه هو معنى لا إله إلا الله.

إذا تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة المتقدم

(١) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦-٢٨

تعريفها، كالحب والتعظيم والخوف والرجا والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك ، فقد عبد ذلك الغير ، واتخذه إلهاً ، وأشركه مع الله في خالص حقه ، وإن فرَّ من تسمية فعله ذلك تألُّهاً وعبادة وشركاً .

ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها، فلو سمي الزنا والربا والخمر بغير أسمائها ، لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زنا وربا وخمراً ونحو ذلك . ومن المعلوم أن الشرك إنما حرّم لقبحه في نفسه ، وكونه متضمناً مسبَّة الرب ، وتنقصه ، وتشبيهه بالمخلوقين ، فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه؛ كتسميته توسلا وتشفعاً وتعظيماً للصالحين ، وتوقيراً لهم ونحو ذلك فالمشرك مشرك شاء أم أبى ، كما أن الزَّاني زان شاء أم أبى ، والمرابي مراب شاء أم أبى .

وقد أخبر النبي ﷺ أن طائفة من أمته يستحلون الربا باسم البيع ، ويستحلون الخمر باسم آخر غير اسمها ، وذمَّهم على ذلك ، فلو كان الحكم دائراً مع الاسم لا مع الحقيقة لم يستحق الذَّم ، وهذه من أعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديما وحديثاً ، أخرج لهم الشرك في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم ، وغيَّر اسمه بتسميته إياه توسلا وتشفعاً ونحو ذلك ؛ والله الهادي إلى سواء السبيل .

وأما تعريف الطاغوت: فهو مشتق من طغا ، وتقديره طغوت ،

ثم قلبت الواو ألفاً . قال النحويون : وزنه فعلوت ، والتاء زائدة . قال الواحدي : قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله ، يكون واحداً وجمعاً ، ويذكر ويؤنث قال تعالى : ( يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)[1] فهذا في الواحد. وقال تعالى في الجمع : ( والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور إلى الظلمات)[2] وقال في المؤنث :( والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها )[3] قال : ومثله في أسماء الفلك؛ يكون واحداً وجمعاً ، ومذكراً ومؤنثاً . قال الليث وأبو عبيده والكسائي وجماهير أهل اللغة : الطاغوت : كل ماعبد من دون الله وقال الجوهري الطاغوت: الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال . وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف : كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت .وقال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما وكثير من المفسرين :الطاغوت: الشيطان .

قال ابن كثير : وهو قول قوي جداً ، فانه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان، والتحاكم اليها، والاستنصار بها. وقال

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٠ (٢) سورة البقرة ، الآية: ٢٥٧

(٣) سورة الزمر ، الآية : ١٧

الواحدي عند قول الله تعالى ( يؤمنون بالجبت والطاغوت )[1] كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت .

قال ابن عباس في رواية عطية : الجبت: الأصنام ، والطاغوت: تراجمة الاصنام الذين يكونون بين أيديهم، يعبّرون عنها الكذب ليضلوا الناس . وقال في رواية الوالبي : الجبت : الكاهن ، والطاغوت : الساحر وقال بعض السلف في قوله سبحانه : ( يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت )[2] إنه كعب بن الأشرف وقال بعضهم : حيي بن أخطب ؛ وإنما استحقا هذا الاسم لكونهما من رؤوس الضلال ، ولإفراطهما في الطغيان ، وإغوائهما الناس ، ولطاعة اليهود لهما في معصية الله ، فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : ( يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ) لما ذكر ما قيل: إنها نزلت في طلب التحاكم إلى كعب ابن الأشرف ، أو إلى حاكم الجاهلية وغير ذلك قال : والآية أعم من ذلك كله ، فانها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل ؛ وهو المراد بالطاغوت ههنا فتحصل من مجموع كلامهم ـ رحمهم الله ـ أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله ، وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسنه ، ويشمل أيضاً كل

(١) سورة النساء ، الآية : ٥١ (٢) سورة النساء ، الآية : ٦٠

من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله، ويشمل أيضاً الكاهن والساحر، وسدنة الأوثان إلى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضللة للجهال، الموهمة أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من توجه إليه وقصده، وأنه فعل كذا وكذا مما هو كذب، أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من قصده، فيوقعهم في الشرك الأكبر وتوابعه وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان؛ فهو الطاغوت الأكبر، والله سبحانه وتعالى أعلم. هذا ما جمعه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين شكر الله سعيه.

هذه رسالة

# أسباب نجاة السول من السيف المسلول

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ماقولكم علماء المسلمين في رجل يقول: نحن نقول: لا إله إلا الله ولا تكفون عنا؛ والكفار الأولون إذا قالوها كف عنهم؟ وأنتم تقولون: إنكم تقولونها وتشركون، فما نقول حتى تكفوا عنا؟ أفتونا مأجورين.

المسألة الثانية: هل يلزم للرجل أن يتمذهب بمذهب واحد من المذاهب الأربعة أم لا؟ وما يجب عليه في ذلك؟ بيِّنوا لنا الجواب رحمكم الله.

الحمد لله الذي جبل عباده على طبائع شتى، فمنهم شاكر، ومنهم كفور، وجعلهم فريقين: فريق منهم يتقربون إليه بالذبح لغير الله، والنذر للطواغيت، وبالدف والطبل والزمور[1]، وفريق منهم يتقربون إليه بتوحيده، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، وبالحج المبرور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ شهادة عبد مخلص في

(١) في الاصل: الزنبور.

توحيده غير شاك ولا كفور. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أحيى به الملة الحنيفية حتى أضاء الحق، وتمزق الديجور، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان، صلاة دائمة إلى يوم البعث والنشور وسلم تسليماً.

أما بعد: فالجواب عن المسألة الأولى وهي قول السائل: ماتقولون في: لاإله إلا الله؟ فنقول: لاإله إلا الله هي كلمة الإسلام، وهي مفتاح دار السلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي قامت بها الأرض والسماوات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على العباد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الايمان، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة، ومن كان آخر كلامه لاإله إلا الله دخل الجنة، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وهي المنشور الذي لايدخل الجنة أحد إلا به، والحبل الذي لايصل إلى الله إلا من تعلق بسببه، وبها انقسم الناس إلى شقيّ وسعيد، ومقبول وطريد، فهي وإن كانت كلمة قيدت بالقيود الثقال:

فإذا كان إمام الحنفاء، لم تحصل له قول: لاإله إلا الله، ولم تتم له المحبة والموالاة وهو إمام المحبين إلا بالمعاداة، كما قال تعالى: (أفرأيتم

ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدوٌّ لي إلا ربَّ العالمين )[١] فإنه لا ولي إلا يبرأ ، ولا ولاء لله إلا بالبراءة من كل معبود سواه ، وهذا معنى قول : لا إله إلا الله كما قال تعالى : ( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين. وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه )[٢] فأورثها إمام الحنفاء عليه السلام لأتباعه يتوارثونها الأنبياء بعضهم لبعض .

فلما بعث بها محمد ﷺ ، ودعا إليها، أمره الله أن يبين هذين الركنين؛ كما ذكر الله ذلك في سورة « الاخلاص » أمره أن يقول : ( قل يا أيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون... إلى قوله : لكم دينكم ولي دين )[٣]

وعرف المشركون ذلك حين دعاهم إلى قول : لا إله إلا الله قالوا: ( أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن هذا لشيء عجاب )[٤] .

وكذلك ماجرى له ﷺ مع عمه عند وفاته لما قال له : ياعم قل: لا إله إلا الله، وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية ، فقالا له : أترغب

---

(١) سورة الشعراء ، الآيات : ٧٥-٧٧
(٢) سورة الزخرف ، الآيات : ٢٦-٢٨
(٣) سورة الكافرون ، الآيات : ١ - ٦
(٤) سورة ص ، الآية : ٥

عن ملة عبد المطلب؟ عرفوا معناها أن فيها التولي والتبري[(١)] .

وكذلك ﷺ أمره الله أن يدعو أهل الكتاب إليها وهم يقولونها. قال تعالى : ( قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله )[(٢)] الآية .

وفي « صحيح مسلم » عنه ﷺ أنه قال : « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عزّ وجل » . فتبين بذلك خطأ المغرورين ، وبطلان حجة المبطلين ، فإن لا إله إلا الله معناها كما تقدم النفي والاثبات ، وحقيقتها الموالاة والمعاداة ، ثم لابدّ مع ذلك من البغض والاعتزال للداعي والمدعو ، والعابد والمعبود مع الكفر بهم ، كما ذكر الله ذلك . قال تعالى : ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا

(١) ولقد ضل عن الصراط المستقيم ، ونابذ الكتاب العزيز ، وسنة الصادق المصدوق ؛ من زعم اسلام أبي طالب وفي عدم إسلامه عبرة للمعتبر وتبصره للمتبصر ، يتبين منها أنه لا ينجي العبد من النار إلا متابعة ما جاء به النبي ﷺ من التوحيد والعمل الصالح . وأما الانساب والقرابات فلا تنجي وحدها من النار ، والغلاة جهلوا ذلك . وحدثني كافر في لبنان قد ارتد آباؤه عن الاسلام وهو يتبجح بأنه علوي من أبناء فاطمة ، فقلت : ماينجيك من عذاب الله إلا الاسلام .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦٤

بُرآءُ منكم و مِمَّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده )[١].

وكذلك ما جرى للنبي ﷺ وأصحابه مع قومهم من الاعتزال والعداوة العظيمة، وما جرى لسعد مع أمه[٢] رضي الله عنه. وكما ذكر الله ذلك أيضاً عن الخليل عليه السلام مخبراً، قال تعالى: (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله )[٣] الآية وقال تعالى مخبراً عن أهل الكهف: ( وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله )[٤] فذكر الله عنهم في هذه الآيات المحكمات أنهم بدأوا بالمشركين، واعتزلوهم قبل المعبودين، فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان إذا كان علماؤهم لا يعرفون معناها كما عرف جهال الكفار؟ ولا يعملون بمقتضاها ولا حقيقتها، بل عندهم لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه؛ وهي كلمة عليها أُسِّسَت الملة، ونصبت القبلة، ونبه الله على فضلها، وعظم شأنها أنبياؤه ورسله.

قال تعالى في حق نبيه محمد ﷺ: ( فاعلم أنه لا إله إلا الله )[٥]

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤

(٢) أي لما أسلم سعد وأبت أمه أن تسلم، ومنعت نفسها من الأكل إلا إذا رجع سعد إلى دينها. والحديث مشهور، وهو في رياض الصالحين.

(٣) سورة مريم، الآية ٤٨ (٤) سورة الكهف، الآية: ١٦

(٥) سورة محمد، الآية: ١٩

انزلت عليه ﷺ هذه الآية الكريمة في السنة الثامنة من الهجرة بالمدينة ، وكذلك في الحديث المشهور عنه ﷺ : « أن موسي قال : يارب ! علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به قال يا موسى ! قل: لا إله إلا الله . قال يا رب ! كل عبادك يقولون هذا . قال يا موسى! لو أن السموات السبع وعامرهنّ غيري ، والأرضين السبع في كفّة ، ولا إله إلا الله في كفّة ، لمالت بهنّ لا إله إلا الله ».

فليتأمّل الناصح لنفسه عظم شأن هذه الكلمة ، وعظم أركانها في المبتدى ، وفضلها وعظم شأنها في المنتهى ؛ فاذا كان لا بد من هذه الشروط المتقدمة في البداية ، والتنبيه على فضلها ، وعظم شأنها في النهاية مع سيّد المرسلين ، وموسى الكليم عليهما السلام ، فمن الظن بغيرهما؟ والآيات والاخبار في ذلك كثيرة معلومة ؛ وإنما ذكرنا إشارة على ماقيّدت به من القيود .

وأما الكلام عليها فأكثر العلماء والشراح في ذلك ، ولكن ما تسعه هذه الأوراق ؛ ومعناها الجامع : لا إله . أي لا معبود في الوجود بحق إلا الله ، ولأجل هذا المعنى قال تعالى : ( الر كتابٌ أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . ألاّ تعبدوا إلا الله)(١) فأخبر الحكيم الخبير أنه أنزل كتاباً محكماً ، مفصّلاً ، ألاّ يعبدوا إلا

(١) سورة هود ، الآيتان : ١و٢

هو . وقوله : ( أن لا تعبدوا )[١] من: إرادة من أجل ألاّ تعبدوا إلا الله ، فأخبر أن الحكيم الخبير أنزل كتابه من أجل ذلك ، وهذا أيضاً هو معنى لا إله إلا الله .

وأما الإله فأصله في اللغة من الوله يقال : وله الفصيل ، وأله الفصيل إذا اشتد حبه إلى أمه ، فقلبت الواو همزة فالإله من تألهه القلوب بالمحبة والإجلال والتعظيم ، والخوف والرجاء والدعاء ،وتوابع ذلك من التوكل والانابة والذبح والنذر والرغبة والرهبة والخشية والتوبة ؛ فجميع التعظيم هو مستحق له حتى لا يحلف إلا به.

وسر لا إله إلا الله إفراد الله بذلك كله وتوابعه ، والإله صفة تدور مع القصد ، فمن قصد بشيء من أنواع العبادة والتعظيم والتبرّك فهو إله ؛ كما في حديث أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين. ونحن حُدثاء عهد بكفرٍ ،وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها : ذات أنواط فمررنا بسدرةٍ أخرى، فقلنا يا رسول الله ! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال ﷺ : «الله أكبر » ـ ثلاثاً ـ إنها السنن قلتم،والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة قال : «لتركبنَّ سنن من كان قبلكم» . رواه الترمذي وصححه

(١) سورة هود ، الآية : ٢

ومن لوازم الاله ألا يلتجأ إلا اليه ، ولا يطاع إلا أمره ،فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، فان المحقق هو المتيقن بقلبه ، القائم بها قولاً وفعلاً . قال تعالى : ( والذين هم بشهاداتهم قائمون ) [1] فلم يكن قائماً بشهادته في ظاهره وباطنه، وفي قلبه وقالبه، إلا من كان شهادته على الأوصاف المذكورة ، فحياة الروح بهذه الكلمة ، كما أن حياة البدن بوجود الروح فيه ، فلا أنفع للعبد من إقباله على الله، واشتغاله بذكره وتنعمه بتوحيده ، ومحبته وإيثاره لمرضاته . ويتفاوت في ذلك الخلق تفاوتاً عظيماً ، حتى أن منهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، كما في حديث السبعين الألف ، ووصفهم ﷺ بأنهم « الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » . فأهل لا إله إلا الله ، المحققون لها في نعيم الدنيا ، وفي البرزخ ، وفي الآخرة في الجنة ، وحرمهم الله على النار . وبقدر ما ينقص العبد في معرفتها ، والعمل بها ، والثبات عليها ، وتحقيق العمل بمقتضاها يضعف يقينه وسيره وصبره ، فلا يثبت على الصراط في الدنيا إلا من حقق هـذه الكلمة ، ومرورهم على الصراط في الآخرة بقدر سيرهم واستقامتهم؛ فمعطى ومحروم، والفضل بيد الله ، نسأل الله الثبات عليها ، وأن يجعل الخاتمة لنا وللمسلمين عند الوفاة عليها برحمته إنه أرحم الراحمين .

(١) سورة المعارج ، الآية : ٣٣

# فصل

وهنا المقصود بالجواب عما سأل عنه السائل ؛ فجوابه من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن الله شرع الجهاد ، وأمر بالقتال ، وبيّن لنا الحكمة في ذلك وموجبه ، وما يحصل به الكف . قال تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة )[1] قال المفسرون : أي شرك : ( ويكون الدين كله لله ) [1] والدين اسم عام ؛ وهو ما بعث الله به محمداً ﷺ ، كما قال تعالى : ( فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص ) [2] وقال تعالى: ( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين )[3] وقال ﷺ في الحديث الصحيح : « بعثت بالسَّيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله لا يشرك به شيئاً » ... الحديث .

الوجه الثاني : أن الله أمر بقتال المشركين كافة، وبيّن لنا ذلك. قال تعالى : ( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ) [4] إلى قوله : ( فإن تابوا ) أي عن الشرك ( وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم )[4] فبيّن سبحانه وتعالى أنه لا يكف عنهم حتى يقيموا أعلام الإسلام

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٣٩ (٢) سورة الزمر ، الآيتان : ٢و٣
(٣) سورة البينة ، الاية : ٥ (٤) سورة التوبة ، الآية : ٥

الظاهرة؛ وهي هذه الثلاثة الأركان [1] كما ذكر الله في الآية المتقدمة في قوله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) [2] إلى قوله (وذلك دين القيِّمة) [2] وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل».

وهذه الثلاثة الأركان أيضاً أمر ﷺ معاذاً لما بعثه إلى اليمن أن يدعو اليها، ونبَّهه على الأهم فالأهم، كما في حديثه، وأخذ بذلك الخلفاء رضي الله عنهم، فأبو بكر قاتل مانعي الزكاة وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقاتلوا طوائف أهل الردَّة وهم يقولونها.

وهذا الذي ذكرنا هو الذي يجب به الكف عن قتال العامة إذا أقاموه كما تقدم.

الوجه الثالث: ما يجب به الكف عن الخاصة في مثل هذا الزمان وغيره، فهي الكلمة التي تفيد الفعل والترك، كما في حديث أبي معبد المقداد بن الأسود قال: قلت: يا رسول الله! أرأيت إن لقيت رجلاً

(١) في الاصل: هذه الثلاثة أركان.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥

من المشركين، فاقتتلنا، فضرب إحدى يديّ بالسيف، ثم لاذ بشجرة فقال: أسلمت لله، أأقتله؟ قال: «لا، فانك إن قتلته كان بمنزلتك، وكنت بمنزلته قبل ذلك» متفق عليه.

والمعنى: أنه بمنزلتك معصوم الدم والمال، وأنت بمنزلته، أي مباح الدم بالقصاص لورثته، لا بمنزلته في الدين، والله أعلم.

فاذا عرف المسلم عظم شأن هذه الكلمة، وما قيدت به من القيود، ولا بدّ مع ذلك أن يكونَ بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، فان اختل نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلماً كما ذكر الله ذلك وبيَّنه في كتابه، فاذا كان الرجل مسلماً وعاملاً بالأركان، ثم حدث منه قول أو فعل أو اعتقاد[١] يناقض ذلك لم ينفعه ذلك، كما قال الله تعالى للذين تكلموا بالكلام في غزوة تبوك: (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)[٢] وقال تعالى في حق الآخرين: (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم)[٣].

فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان؟ جعلوا التلفظ بها عادة وهذياناً؛ والقمقمة بحروفها، فهي عندهم الاسلام والايمان، مع ما هدموه من التوحيد الذي هو حق لله، وأكبوا وأقبلوا على عبادة المشاهد

(١) في الأصل: ثم حدث منه قولاً أو فعلا أو اعتقاداً.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٦ (٣) سورة التوبة، الآية: ٧٤

والأوثان، وضيّعوا الفرائض وسائر الأركان ، وزيّن لهم ما ارتكبوه من التبدع والتنطّع والعصيان ، إلا أنهم يقولون : لا إله إلا الله ، فما أحسن ما قاله شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : لا إله إلا الله سماها الله كلمة التقوى ، فجعلوها كلمة الفجور . وذكرنا عليها إشارة على طريق الايجاز والاختصار ، خشية الاطالة والله المستعان ·

وأما الذي يجب به الكف عن القتال ، فهو لابد من إقامة أعلام الاسلام الظاهرة المتقدمه في الآيات المحكمات، ذكرها الله بعد الأمر بالقتال ، وكذلك في الأحاديث الصحيحة الصريحة ، فبدأ بالتوحيد ، وترك الشرك، ثم ذكر بعده : ( وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة )[1] ثم ذكر بعد ذلك : ( فخلوا سبيلهم )[1] والنبي صلى الله عليه وسلم قال بعد ذكره الثلاثة : « فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام » وفي بعض الآيات : ( ويكون الدين كله لله )[2] وهذا الذي يجب به الكف، كما دل عليه الكتاب والسنة، وفعل سلف الأمة، وهذا الذي عليه الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين .

وأما الخاصة : فهو كما قدمنا يجب الكف إذا أظهر بقول أو فعل ما يدل على تركه دينه ودخوله في الاسلام كما تقدم في الحديث .

(١) سورة التوبة ، الآية : ٥ (٢) سورة الانفال ، الآية : ٣٩

وليس المراد بالجواب الخاصة ، إنما يراد به العامة ، فاذا وجدت[١] طائفة ممتنعة عن إحدى الثلاثة المذكورة ، فوتلوا إما التوحيد الذي هو محض حق الله على العبيد ،أو الصلاة التي هي الفارقة بين الكفر والاسلام ، أو الزكاة التي أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتال مانعيها. وكذلك أجمع العلماء أيضاً على ذلك ، وتتبع ما ورد في ذلك يطول، إذ كل مصنف ذكر ذلك ، وكذلك الشراح والفقهاء رحمهم الله ، وهذا مصرح به في كتبهم ؛ ولو قالوا : لا إله إلا الله لم يكف عنهم ، أو عملوا ببعض الشرائع وتركوا بعضاً ، ولكن : ( من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً )[٢] .

## فصل

وأما المسألة الثانية ؛هل يلزم الرجل أن يتبع مذهباً من المذاهب الأربعة أم لا ؟

فالجواب : أن الله أوجب على عباده أن يتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم ، كما ذكر الله ذلك في آي القرآن ، وما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ كما أمر الله بذلك ، ودلت عليه السنّة . وعلق الله النجاة والفلاح باتباعه

(١) في الأصل : اذا كان موجوداً .

(٢) سورة الكهف ، الاية : ١٧

ﷺ ، وذكر الله ذلك في كم موضع[١] . ولا يجب على الخلق أن يتبعوا رجلاً بعينه غيره ﷺ ، وانقسم[٢] في ذلك الناس أقساماً ، وتحزبوا أحزاباً ، وصار ( كلّ حزب بما لديهم فرحون )[٣] والاتباع والاقتداء أنواع : منه ما هو محرم ، كما ذكر الله عن الكفار : ( وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ؟ )[٤] وقال تعالى : ( وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون )[٥] وقال تعالى : ( وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا)[٦] الآية ، وقال تعالى: ( يوم تقلّب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا )[٧] الآية .

النوع الثاني: ماذكره الله عن أهل الكتاب في تقليدهم ، واتخاذهم

(١) أي في عدة مواضع . (٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٥٣
(٣) في الاصل : وانقسموا . (٤) سورة البقرة ، الآية : ١٧٠
(٥) سورة الزخرف ، الآية : ٢٣ (٦) سورة المائدة ، الآية : ١٠٤
(٧) سورة الأحزاب ، الآيتان : ٦٦و٦٧

أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وهذا أيضاً يحرم على كل مسلم مشابهتهم .

قال أبو بكر في « الجامع » باب فساد التقليد ونفيه والفرق بينه وبين الاتباع .

قال أبو عمر : قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه فقال : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله )(١) .

وروي عن حذيفة رضي الله عنه وغيره قال : لم يعبدوهم من دون الله ، ولكنهم أحلوا وحرموا عليهم فاتبعوهم .

وقال عدي بن حاتم : أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب . فقال : « ياعدي! ألق هذا الوثن من عنقك » وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة ، حتى أتى على هذه الآية : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)(١). قال : فقلت : يارسول الله ! إنا لم نتخذهم أرباباً . قال: « بلى، أليس يحلون لكم ماحرم عليكم فتحلونه، ويحرمون عليكم ما أحل لكم فتحرمونه؟ » فقلت : بلى . قال : « فتلك عبادتهم » . والحديث في «المسند» و«الترمذي» مطولاً .

وقال أبو البختري في قوله عز وجل: ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣١

أرباباً من دون الله)[١] قال : أما إنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ماأطاعوهم، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه ، وحرامه حلاله، فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية .

فمن عرف هذه المقدمة ، عرف أن ليس بيننا وبين الناس اختلاف في المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم، بل وقع بيننا وبينهم النزاع عند معارضتهم للحق ودفعه بهذين النوعين ؛ كما كان هذاهو الواقع من أهل هذا الزمان ، وليس لهم حجَّة إلا ذلك ، وارتكابهم المحرمات واتِباعهم الأهواء والشهوات، ومع ذلك يزعمون[٢] بأنهم ينتسبون إلى المذاهب، وليسوا كذلك، فإن من انتسب إلى شيء وليس عليه حقيقته، لم ينفعه ذلك ، فإنَّ النصارى لم ينفعهم انتسابهم إلى عيسى ، وكذلك اليهود لم ينفعهم انتسابهم إلى موسى .

وقد قال الله تعالى لنبيه : ( ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون )[٣] إلى قوله : ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات )[٤] . ثم ذكر بعد ذلك : ( أفرأيت من اتخذ إلَهه هواه وأضله الله على علم )[٥]

(١) سورة التوبة، الآية : ٣١ (٢) في الاصل : ينتمون .
(٣) سورة الجاثية ، الآية : ١٨ (٤) سورة الجاثية ، الآية : ٢١
(٥) سورة الجاثية ، الآية : ٢٣

إلى قوله : ( أفلا تذكرون )[١] ولأن الله تعالى قال : ( فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم )[٢]

قال الشيخ ابن القيم رحمه الله : جمع الله الطرق في طريقين: إما هدى، وإما[٣] هوى، وكذلك في الآية المتقدمة: إما متبع لشريعته ﷺ التي جعله الله عليها ورضيها لعباده ، وإما متخذ إلهه هواه ؛ أعاذنا الله من الآراء المحدثة ، والأهواء المضلة .

وأما الأئمة رضي الله عنهم ، فهم أئمة الهدى ، إجماعهم حجة ، واختلافهم رحمة ، والدين وسط .

واختلف العلماء في تقليدهم ، فطائفة نفوا التقليد وأنكروه ، وقالوا : الناس أحد رجلين : إما عامي فيجب عليه أن يتعلم مايقوم به دينه، ولا فائدة له في لزوم مذهب معين ، فإنه كالأمي الذي يدعي أنه يقرأ وليس بقارىء ، أو يدعي أنه يكتب وليس بكاتب ، فيدعي أنه على مذهب وهو لا يعرفه ، ولا يعرف الصحيح منه والضعيف .

والرجل الثاني : فقيه ؛ فلا يصح له أن يقدم على شيء بغير حجة ولا دليل. والتقليد أمر ضروري يباح عند الضرورة ، وطائفة ـ وهم أكثر

(١) سورة الجاثية ، الآية : ٢٣ (٢) سورة القصص ، الآية : ٥٠

(٣) في الاصل : وإلا .

الفقهاء - توسطوا في ذلك لم يخرجوا عما قاله[١] الأئمة رضي الله عنهم، وهم عندهم أكفاء في موارد النزاع، وهم عندهم معذورون فيما لم يبلغ أحدهم من السنة؛ كما بيّن ذلك شيخ الاسلام[٢] في كتابه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام». وداروا مع أولئك النصوص حيث دارت، وتمسكوا بالسنة حيث بانت لهم واستنارت، وهم أتباع الأئمة، وهم أهل النجاة من هذه الأمة، فإنّ الأئمة رضي الله عنهم نهوا عن تقليدهم - وهو الواجب عليهم - إلا فيما وافق السنة، وهذا التقليد والاتباع هو النوع الثالث الممدوح، لا كما تقدم. ولنذكر طرفاً من مقالة الأئمة.

قال ابن القاسم: عن مالك قال: ليس كل ما قال رجل قولاً[٣] - وإن كان له فضل - يتبع عليه، لقول الله عزّ وجل: (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)[٤]. وقال بشر بن الوليد: قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا. وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: هذا رأي، فمن جاءنا برأي خير منه قبلناه. وقال: أوَلأحد قول مع قول النبي ﷺ؟ وقال مالك

(١) في الاصل: عن ما قالوه. (٢) أي ابن تيمية.
(٣) يعني: ليس كل الذي قاله رجل قولاً يتبع عليه
(٤) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ و١٨

رضي الله عنه : كلٌ يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم .

وقد صرح مالك رضي الله عنه بأنَّ : من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي أنه يُستتاب ؛ فكيف من ترك قول رسول الله ﷺ لمن هو دون إبراهيم[1] ومثله. وذكر البيهقي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه : مثل الذي يطلب العلم بلا حجَّة ، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري ،وقال رضي الله عنه : إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي ، إلى غير ذلك عنه . وقال أبو داود : قلت لأحمد الأوزاعي: هو أهل أن يقلَّد أم مالك؟ قال: لا تقلد دينَك أحداً من هؤلاء ،إلا ماجاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذه .وفي لفظٍ : وخذ من حيث أخذوا . وقال رضي الله عنه :من قلةِ فقه الرجل أن يقلد في دينه الرجال .وتتبع ذلك يطول .

النوع الرابع من التقليد مذموم ،وهو الغلوّ فيه، وتعلق به طائفة، إذ التزموا مذهباً من المذاهب الأربعة، قالوا : لا يجوز مخالفته ، ولا بد من اتِباعه على كل حاله، وجعلوا كل إمام في اتِباعه بمنزلة النبي في أمته، وهذا تبديل للدين .

---

(١) أي ابراهيم النخعي .

قال أحمد رضي الله عنه : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله يقول: ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم )(١) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ؛ أقول : قال رسول الله، وتقولون : قال أبو بكر وعمر .

وقال سفيان بن عيينة: اضطجع ربيعة مقنّعاً رأسه وبكى، فقال: مايبكيك ؟ قال : رياءٌ ظاهر ، وشهوة خفية ، والناس عند علمائهم كالصبيان عندأمهاتهم(٢)، مانهوهم عنه انتهوا، وما أمروهم به ائتمروا

قال عبد الله بن المعتمر : لا فرق بين بهيمة تنقاد، وإنسان يقلد .

وقال ابن مسعود : لا يقلدنّ أحدكم رجلاً ، إن آمن آمن ، وإن كفر كفر ، فانه لا أسوة في الشرّ .

وقال أيضاً رضي الله عنه: أغدُ عالماً، أومتعلماً، ولا تغد إمّعة فيما بين ذلك .

وروي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك . والكلام على هاتين المسألتين يطول، وإنما ذكرنا عليهما ماتيسّر مع التقصير، لأنهما يسأل

(١) سورة النور الآية : ٦٣ (٢) في الاصل: في امائهم،ولعل الصواب ماأثبتناه.

عنها الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟

فالمسألة الأولى فيها تحقيق العبادة .

والمسألة الثانية فيها تحقيق المتابعة. آخره . والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

هذه رسالة

# في مقادير فيء الزوال

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كان قبل النوروز[(١)] بيومين، فظل[(٢)] الزوال ثلاثة أقدام وثلث، وفي اثني عشر ظل الزوال أربعة أقدام وفي أربعة وعشرين ظل الزوال أربعة أقدام وربع . وفي ست وثلاثين ظل الزوال أربعة أقدام ونصف . وفي ثمانية وأربعين ظل الزوال خمسة أقدام . وفي الستين ظل الزوال ستة أقدام ونصف . وفي ثلاث وسبعين ظل الزوال سبعة أقدام. وفي ست وثمانين ظل الزوال سبعة أقدام ونصف . وفي اثنين وتسعين ظل الزوال ثمانية أقدام إلا ربع . وفي مائة وأحد[(٣)] عشر ظل الزوال سبعة أقدام ونصف . وفي مائة وواحد وعشرين ظل الزوال سبعة أقدام وثلث . وفي مائة وسبعة وعشرين ظل الزوال سبعة أقدام وربع . وفي

(١) النوروز : أول يوم من السنة ويقال له : نيروز .

(٢) في الاصل : ظل ، وما أثبتناه أصوب .

(٣) في الاصل : وإحدى ، ولعله يريد الليلة بدل اليوم ، لانه يذكر العدد أحياناً ويؤنثه حيناً .

مائة وثمانية وثلاثين ظل الزوال سبعة أقدام . وفي مائة وثمانية وأربعين ظل الزوال ستة أقدام ونصف . وفي مائة وثمانية وخمسين ظل الزوال ستة أقدام . وفي مائة وسبعة وستين ظل الزوال خمسة أقدام ونصف . وفي مائة وست وسبعين ظل الزوال خمسة أقدام . وفي مائة وأحد[1] وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام . وفي مائة وستة وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام وفي مائتين وأحد[1] عشر ظل الزوال ثلاثة أقدام . وفي مائتين وستة عشر ظل الزوال قدمان ونصف . وفي مائتين وسبعة وعشرين ظل الزوال قدمان . وفي مائتين واثنين وأربعين ظل الزوال قدم وثلث . وفي مائتين وست وأربعين ظل الزوال قدم . وفي مائتين وسبعة وخمسين ظل الزوال نصف قدم . وفي مائتين وسبع وستين ظل الزوال ثلث قدم وفي مائتين وسبع وسبعين يحتاط للزوال بثلث قدم. وفي مائتين وواحد وثمانين يعدم ظهور ظل الزوال . وفي ثلاثمائة وواحد يحتاط للزوال بثلث قدم . وفي ثلاثمائة وثمانية عشر ظل الزوال ثلث قدم . وفي ثلاثمائة وأربعة وعشرين ظل الزوال قدم . وفي ثلاثمائة وتسعة وأربعين ظل الزوال قدمان . وفي ثلاثمائة وأربعة وستين ظل الزوال ثلاثة أقدام وثلث .

(١) في الأصل : واحدي .

اللهم إنا نستعينك ونستهديك ، ونؤمن بك ، ونتوكل عليك ، ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك .

اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجُدُ ، وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق.

بسم الله الرحمن الرحيم

# كتاب التوحيد

## الذي هو حق الله على العبيد

تأليف

الشيخ الإمام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

وقول الله تعالى: (وما خلقتُ الجن والانس إلا ليعبدون)[١] وقوله: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[٢] الآية. وقوله: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً)[٣] الآية. وقوله: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً)[٤] الآية. وقوله: (قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً)[٥] الآيات.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ قوله تعالى: (قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم) - إلى قوله - (وأن هذا صراطي مستقيماً ..)[٦] الآية.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦ (٢) سورة النحل، الآية: ٣٦
(٣) سورة الاسراء، الآية: ٢٣ (٤) سورة النساء، الآية: ٣٥
(٥) سورة الانعام الآية: ١٥١-١٥٤ (٦) سورة الانعام، الآية: ١٥٤

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي : « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟ » فقلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » ، فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال : « لا تبشرهم فيتكلوا » أخرجاه في « الصحيحين » .

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق الجن والانس

الثانية : أن العبادة هي التوحيد ، لأن الخصومة فيه .

الثالثة : أن من لم يأت به لم يعبد الله ، ففيه معنى قوله : ( ولا أنتم عابدون ما أعبد )[1] .

الرابعة : الحكمة في إرسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ؛ ففيه معنى قوله : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله . )[2] الآية .

(١) سورة الكافرون ، الآيتان : ٣ ، ٥ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله .

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف ، وفيها عشر مسائل ، أولها النهي عن الشرك .

العاشرة : الآيات المحكمات في سورة الاسراء ، وفيها ثماني عشرة مسألة ، بدأها الله بقوله : ( لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً )[١] ؛ وختمها بقوله : ( ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً )[٢] ، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : ( ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة )[٢] .

الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة ، بدأها الله تعالى بقوله : ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً )[٣] .

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته .

الثالثة عشرة : معرفة حق الله تعالى علينا .

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة .

---

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٢٢ (٢) سورة الاسراء ، الآية : ٣٩

(٣) سورة النساء ، الآية : ٣٥

السابعة عشرة : استحباب بشارة المسلم بما يسره .

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم .

العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

الحادية والعشرون : تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الارداف عليه .

الثانية والعشرون : جواز الارداف على الدابة .

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل .

الرابعة والعشرون : عظم شأن هذه المسألة .

# باب

## فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم . . )[1] الآية.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى

(١) سورة الانعام ، الآية : ٨٢

عبد الله ورسوله و كلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، والجنـة حق ، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » . أخرجاه . ولهما في حديث عتبان : « فان الله حرّم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » .

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : « قال موسى: يا رب ، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به . قال : قل يا موسى :لا إله إلا الله . قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى ، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري ، والأرضين السبع في كفة ،ولا إله إلا الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله »رواه ابن حبان، والحاكم وصححه .

وللترمذي وحسنه عن أنس :سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :« قال الله تعالى : يا ابن آدمَ ؛ لو أتيتَني بِقُراب الارضِ خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بِقُرابها مغفرة » .

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية « ٨٢ » التي في سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده ، تبين لك معنى قول : « لا إله إلا الله » وتبين لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله.

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات ، مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه .

العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسموات .

الحادية عشرة : أن لهن عماراً .

الثانية عشرة : إثبات الصفات ، خلافاً للأشعرية.

الثالثة عشرة : أنك إذا عرفت حديث أنس ، عرفت ان قوله في حدث عتبان : « فان الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله » أنه ترك الشرك ، ليس قولها باللسان .

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

السادسة عشرة: معرفة كونه روحاً منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الايمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله: «على ما كان من العمل».

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه.

# باب

## من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين)(١) وقال: (والذين هم بربهم لا يشركون)(٢)

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٠ (٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠

حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكّاشة بن محصن. فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: « سبقك بها عكاشة».

فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه.

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد .

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكّل .

السابعة : عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل .

الثامنة : حرصهم على الخير .

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .

الحادية عشرة : عرض الأمم عليه عليه الصلاة والسلام .

الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .

الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده.

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم ، وهو عدم الاغترار بالكثرة ، وعدم الزهد في القلة .

السادسة عشرة : الرخصة في الرقية من العين والحمّة .

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن كذا وكذا فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني .

الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الانسان بما ليس فيه .

التاسعة عشرة : قوله : « أنت منهم » علم من أعلام النبوة .

العشرون : فضيلة عكّاشة .

الحادية والعشرون : استعمال المعاريض .

الثانية والعشرون : حسن خلقه ﷺ .

# باب

## الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )[1] وقال الخليل عليه السلام : ( واجنبني وبني أن نعبد الأصنام )[2] وفي الحديث : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » فسئل عنه ؟ فقال : « الرياء » وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار » رواه البخاري. ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » .

فيه مسائل :

الأولى : الخوف من الشرك .

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٧ (٢) سورة ابراهيم ، الآية: ٣٥

الثانية : أن الرياء من الشرك .

الثالثة : أنه من الشرك الأصغر .

الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الخامسة : قرب الجنة والنار .

السادسة : الجمع بين قربهما في حديث واحد .

السابعة : أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة . ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس .

الثامنة : المسألة العظيمة : سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام .

التاسعة : اعتباره بحال الأكثر ،لقوله : ( رب إنهن أضللن كثيراً من الناس )(١) .

العاشرة : فيه تفسير « لا إله إلا الله » ، كما ذكره البخاري .

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

---

(١) سورة ابراهيم ، الآية : ٣٦

# باب

## الدعاء الى شهادة أن لا اله الا الله

وقول الله تعالى : ( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني )[١] . الآية .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ ، لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب . فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله — وفي رواية : إلى أن يوحدوا الله — فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينها وبين الله حجاب » أخرجاه .

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه . فبات الناس يدوكون[٢] ليلتهم أيهم يعطاها . فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٨ وتمامها :(وسبحان الله وما أنا من المشركين ).
(٢) أي يخوضون .

يعطاها . فقال : «أين علي بن أبي طالب ؟ »فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه ، فأتي به فبصق في عينيه ، ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من حمر النعم » .
يدوكون : أي يخوضون .

فيه مسائل :

الأولى : أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه ﷺ

الثانية : التنبيه على الإخلاص . لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه .

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض .

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد : كونه تنزيهاً لله تعالى عن المسبة .

الخامسة : أن من قبح الشرك كونه مسبة لله .

السادسة :ـ وهي من أهمها ـ إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك .

السابعة : كون التوحيد أول واجب .

الثامنة : أن يبدأ به قبل كل شيء ، حتى الصلاة .

التاسعة : أن معنى : « أن يوحدوا الله » معنى شهادة : أن لا إله إلا الله .

العاشرة : أن الانسان قد يكون من أهل الكتاب ، وهو لا يعرفها ، أو يعرفها ولا يعمل بها .

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم .

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة .

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم .

الخامسة عشرة : النهي عن كرائم الأموال .

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم .

السابعة عشرة : الاخبار بأنها لا تحجب .

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء .

التاسعة عشرة قوله :«لأعطين الراية»الخ .علم من أعلام النبوة.

العشرون : تفله في عينيه علم من أعلامها أيضاً .

الحادية والعشرون : فضيلة علي رضي الله عنه .

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دوكهم[1] تلك الليلة عن بشارة الفتح .

الثالثة والعشرون: الايمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى .

الرابعة والعشرون : الأدب في قوله : « على رسلك » .

الخامسة والعشرون : الدعوة إلى الاسلام قبل القتال .

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا .

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة ، لقوله : « أخبرهم بما يجب عليهم » .

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله تعالى في الاسلام .

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .

الثلاثون : الحلف على الفتيا .

# باب

## تفسير التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله

وقوله الله تعالى : ( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيله أيهم أقرب )[2] الآية . وقوله : ( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني

(١) أي خوضهم.

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٥٧

براء مما تعبدون إلا الذي فطرني )[١] الآية وقوله : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله )[٢] الآية . وقوله : ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله )[٣] الآية.

وفي « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عز وجل» وشرح هذه الترجمة ، ما بعدها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها : وهي تفسير التوحيد ، وتفسير الشهادة ، وبيّنها بأمور واضحة .

منها آية الإسراء بيّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر .

ومنها آية براءة ، بيّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وبيّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً ، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه : طاعة العلماء والعباد في المعصية ، لا دعاؤهم إياهم .

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار : ( إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني )[٤] فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن

---

(١) سورة الزخرف ، الآيات : ٢٦-٢٧ (٢) سورة التوبة ، الآية : ٣٢
(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥ (٤) سورة الزخرف، الآية : ٢٦

هذه البراءة وهذه الموالاة : هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ، فقال : ( وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ) [١] .

ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم : ( وماهم بخارجين من النار ) [٢] ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ، ولم يدخلهم في الاسلام ، فكيف بمن أحب الند حباً أكبر من حب الله ؟! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ، ولم يحب الله ؟!

ومنها قوله ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله » وهذا من أعظم ما يبين معنى « لا إله إلا الله » فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك ، الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه . فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٢٧ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٦٧

# باب

## من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرٍ هل هن كاشفات ضره؟)[1] الآية.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه، أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: «ما هذا؟» قال: من الواهنة. فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فانك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبداً» رواه أحمد بسند لا بأس به. وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» وفي رواية: «من تعلّق تميمة فقد أشرك». ولابن أبي حاتم عن حذيفة، أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)[2].

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة: إن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر[3].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٨ (٢) سورة يوسف، الاية: ١٠٦.
(٣) وفي بعض النسخ: أكبر الكبائر.

الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة .

الرابعة : أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر ، لقوله : « لا تزيدك إلا وهناً »

الخامسة : الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .

السادسة : التصريح بأن من تعلّق شيئاً وُكل إليه .

السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك .

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك .

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة .

العاشرة : أن تعليق الودع عن العين من ذلك .

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة ، أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعةً ، فلا ودع الله له ، أي لا ترك الله له

# باب

## ما جاء في الرقى والتمائم

في « الصحيح » عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه ، أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً أن لا

يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » رواه أحمد وأبو داود . وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً : « من تعلق شيئاً وُكل إليه » . رواه أحمد والترمذي .

التمائم : شيء يعلق على الأولاد من العين ، لكن إذا كان المعلق من القرآن ، فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه .

الرقى : هي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمى .

والتولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته .

وروى أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا رويفع ! لعل الحياة تطول بك ، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً ، أو استنجى برجيع دابة أو عظم ، فان محمداً بريء منه »

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ، قال : « من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة » رواه وكيع وله عن إبراهيم[1] قال : كانوا يكرهون التمائم كلها ، من القرآن وغير القرآن

(١) هو ابراهيم بن يزيد النخعي ، أبو عمران .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الرقى والتمائم .

الثانية : تفسير التولة .

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمى ، ليس من ذلك .

الخامسة : أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء : هل هي من ذلك أم لا ؟ .

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين ، من ذلك .

السابعة : الوعيد الشديد على من تعلق وتراً .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمةً من إنسان .

التاسعة : أن كلام إبراهيم[1] لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود .

# باب

## من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى : ( أفرأيتم اللات والعزى ) [2] الآيات .

عن أبي واقد الليثي ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أي النخعي .

(٢) سورة النجم ،الآية : ١٩ ـ ٢٢ ،وتمامها : ( ومناة الثالثة الاخرى . ألكم الذكر وله الانثى . تلك اذاً قسمة ضيزى ) .

وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون)[1] لتركبن سنن من كان قبلكم» رواه الترمذي وصححه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله: «الله أكبر إنها السنن، لتتبعن سنن من كان قبلكم»، فغلّظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبهم

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧

كطَلِبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى : ( اجعل لنا إلٰهاً )(١)

التاسعة : أن نفْيَ هذا ، من معنى « لا إله إلا الله » مع دِقته وخفائه على أولئك .

العاشرة : أنه حلف على الفُتيا ، وهو لا يحلف إلا لمصلحة .

الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر ؛ لأنهم لم يرتدّوا بهذا .

الثانية عشرة : قولهم : ونحن حُدَثاء عهد بكفر فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .

الثالثة عشرة : ذكر التكبير عند التعجب ، خلافاً لمن كرهه .

الرابعة عشرة : سد الذرائع .

الخامسة عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .

السادسة عشرة : الغضب عند التعليم

السابعة عشرة : القاعدة الكلية ، لقوله : « إنها السنن » .

الثامنة عشرة : أن هذا عَلم من أعلام النبوّة ، لكونه وقع كما أخبر .

التاسعة عشرة : أن كل ما ذمّ الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا .

---

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٣٧

العشرون: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر. أمَّا «مَن ربك؟» فواضح، وأمَّا «مَن نبيك؟» فمن إخباره بأنباء الغيب، وأمَّا «ما دينك؟» فمن قولهم: (اجعل لنا إلهاً) الخ.

الحادية والعشرون: أن سُنَّة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم: ونحن حدثاء عهد بكفر.

# باب

## ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: (قل إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له)[1] الآية، وقوله: (فصلِّ لربك وانحر)[2].

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله مَن ذبح لغير الله. لعن الله من لعن والديه. لعن

(١) سورة الانعام، الآيتان: ١٦٣ و ١٦٤ (٢) سورة الكوثر، الآية: ٢

الله من آوى مُحْدِثاً . لعن الله مَن غيّر منار الأرض » رواه مسلم .

وعن طارق بن شهاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دخل الجنة رجل في ذُباب ، ودخل النار رجل في ذباب » . قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ ! قال : « مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يَجوزُه أحد حتى يقرّب له شيئاً ، فقالوا لأحدهما : قرّب . قال : ليس عندي شيء أقرّب قالوا له : قرّب ولو ذباباً ، فقرّب ذباباً، فخلّوا سبيله ، فدخل النار وقالوا للآخر : قرّب . فقال : ما كنت لأقرّب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة » رواه أحمد .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير ( إن صلاتي ونسكي ) .

الثانية : تفسير ( فصلّ لربك وانحر ) .

الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله .

الرابعة : لعن من لعن والديه ، ومنه أن تلعن والدَي الرجل فيلعن والديك .

الخامسة : لعن من آوى مُحدثاً وهو الرجل يُحدث شيئاً يجب فيه حق لله فيلتجىء إلى من يجيره من ذلك .

السادسة : لعن من غيّر منار الأرض ، وهي المراسيم التي

تفرق بين حقك من الأرض وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعيَّن، ولعن أهل المعصية على سبيل العموم.

الثامنة. هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصاً من شرهم.

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل، ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافراً لم يقل: « دخل النار في ذباب ».

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك ».

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان.

# باب

## لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى : ( لا تقم فيه أبداً )(١) الآية .

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه ، قال : نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة ، فسأل النبي ﷺ فقال : « هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ » قالوا : لا . قال : « فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ » قالوا : لا . فقال رسول الله ﷺ : « أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه أبو داود ، وإسناده على شرطهما .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : ( لا تقم فيه أبداً )(١) .

الثانية : أن المعصية قد تؤثر في الأرض ، وكذلك الطاعة .

الثالثة : رد المسألة المشكلة إلي المسألة البينة ليزول الاشكال .

الرابعة : استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك .

الخامسة : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع .

---

(١) سورة التوبة ، الاية : ١٠٧

السادسة : المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله .

السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .

الثامنة : أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأنه نذر معصية.

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده.

العاشرة : لا نذر في معصية .

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

# باب

## من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى : ( يوفون بالنذر ) (١) وقوله : ( وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه ) (٢) .

وفي « الصحيح » عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » .

فيه مسائل :

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر .

(١) سورة الدهر ، الآية : ٧ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٠

الثانية : إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفُه إلى غيره شرك .

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

# باب

## من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى : ( وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ) (١) .

وعن خَولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك » . رواه مسلم .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الجن .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ؛ لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

---

(١) سورة الجن ، الآية : ٦

الخامسة : أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية من كف شر ، أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك .

## باب

### من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى : ( ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فإنْ فعلتَ فانك إذاً من الظالمين . وإن يمسسْك الله بضرٍّ فلا كاشف له إلا هو ) (١) الآية . وقوله : ( فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ) (٢) الآية . وقوله : ( ومن أضلُّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ) (٣) الآيتان . وقوله : ( أمْ من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ) (٤) .

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق . فقال النبي ﷺ : « إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله عز وجل » .

(١) سورة يونس ، الآيتان : ١٠٦ و ١٠٧ (٢) سورة الأحقاف، الآية : ٥
(٣) سورة العنكبوت ، الاية : ١٨ (٤) سورة النمل ، الآية : ٦٢

فيه مسائل :

الأولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص .

الثانية : تفسير قوله : ( ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك )[1]

الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر .

الرابعة : أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين .

الخامسة : تفسير الآية التي بعدها .

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً .

السابعة : تفسير الآية الثالثة .

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله ، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه .

التاسعة : تفسير الآية الرابعة .

العاشرة : أنه لا أضل ممن دعا غير الله .

الحادية عشرة : أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه .

الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له .

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٠٦

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو .

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة .

الخامسة عشرة : أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس .

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة .

السابعة عشرة : الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لايجيب المضطر إلا الله ، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين .

الثامنة عشرة : حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله عز وجل .

## باب

قول الله تعالى : ( أيشركون ما لايخلق شيئاً وهم يخلقون ؟ ولا يستطيعون لهم نصراً )[1] الآية . وقوله : ( والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير )[2] الآية .

وفي « الصحيح » عن أنس قال : شُجَّ النبي ﷺ يوم أُحد وكسرت رباعيته ، فقال : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ » فنزلت : ( ليس لك من الأمر )[3] . وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع

(١) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٩٠ و ١٩١

(٢) سورة فاطر ، الآية : ١٣ (٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: « اللهم العن فلاناً وفلاناً » بعدما يقول: « سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد » فأنزل الله: (ليس لك من الأمر شيء)[1] وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت (ليس لك من الأمر شيء)[1]. وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: (وأنذر عشيرتك الأقربين)[2] قال: « يامعشر قريش — أو كلمة نحوها — اشتروا أنفسكم، لاأغني عنكم من الله شيئاً، ياعباس ابن عبد المطلب لاأغني عنك من الله شيئاً، ياصفية عمة رسول الله ﷺ لاأغني عنك من الله شيئاً، ويافاطمة بنت محمد، سليني من مالي ماشئت لاأغني عنك من الله شيئاً ».

فيه مسائل:

الأولى تفسير الآيتين. الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار. الخامسة: أنهم فعلوا أشياءمافعلها

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٢٨ (٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤

غالب الكفار . منها : شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها : التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم .

السادسة : أنزل الله عليه في ذلك ( ليس لك من الأمر شيء )(١)

السابعة : قوله : ( أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون )(١) فتاب عليهم فآمنوا .

الثامنة : القنوت في النوازل .

التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم

العاشرة : لعنة المعيَّن في القنوت .

الحادية عشرة : قصته ﷺ لما أنزل عليه : ( وأنذر عشيرتك الأقربين )(٢) .

الثانية عشرة : جدّه ﷺ في هذا الأمر، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن

الثالثة عشرة : قوله للأبعد والأقرب : «لا أغني عنك من الله شيئاً» حتى قال : « يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً » فإذا صرح ﷺ وهو سيد المرسلين أنه لا يغني عن سيدة نساء العالمين ، وآمن الانسان أنه لا يقول إلا الحق ، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن ، تبين له التوحيد وغربة الدين .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨ (٢) سورة الشعراء ، الآية : ٢١٤

# باب

قول الله تعالى : ( حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم؟ قالوا : الحق وهو العلي الكبير )(١) .

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إذا قضي الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ( حتى إذا فزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير )(١) . فيسمعها مسترق السمع – ومسترق السمع ، هكذا بعضه فوق بعض ، وصفه سفيان بكفه فحرَّفها وبدد أصابعه – فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة . فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا : كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » .

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة – أو قال رعدة – شديدة ، خوفاً من الله عز وجل . فإذا سمع

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ٢٣

ذلك أهل السماوات صعقوا وخرّوا لله سجداً. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثمّ يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا ياجبريل؟ فيقول جبريل: (قال الحق وهو العلي الكبير)[1] فيقولون كلهم مثل ماقال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: مافيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله: (قالوا الحق وهو العلي الكبير)[1]

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل هو الذي يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال كذا وكذا».

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أنه يقوله لأهل السماوات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السماوات لكلام الله.

العاشرة: أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٣

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضاً .

الثالثة عشرة : إرسال الشهب .

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وتارة يلقيها في أذن وليه من الانس قبل أن يدركه .

الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق في بعض الأحيان .

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة .

السابعةعشرة : أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .

الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل ، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة ؟!

التاسعةعشرة : كونهم يلقي بعضهم إلى بعض تلك الكلمةويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون : إثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة .

الحادية والعشرون : التصريح بأن تلك الرجفةوالغشي [ كانا]خوفاً من الله عز وجل .

الثانية والعشرون : أنهم يخرّون لله سجداً .

## باب الشفاعة

وقول الله تعالى : ( وأنذر به الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه وليٌّ ولاشفيع )(١) وقوله : (قل لله الشفاعة جميعاً)(٢) وقوله ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه )(٣) وقوله : ( وكم من مَلك في السماوات لاتغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى )(٤) وقوله : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض )(٥) الآيتين .

قال أبو العباس : نفى الله عما سواه كل مايتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ، ولم يبق إلا الشفاعه ، فبين أنها لاتنفع إلا لمن أذن له الرب ، كما قال تعالى : ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى )(٦) . فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون ، هي منتفية يوم القيامه كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ، لا يبدأ بالشفاعه أولاً ، ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسَل تُعط ، واشفع تُشفَّع .

(١) سورة الانعام ، الآية : ٥١ (٢) سورة الزمر ، الآية : ٤٤
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٤) سورة النجم ، الآية : ٢٦
(٥) سورة سبأ ، الآية : ٢٢ (٦) سورة الانبياء ، الآية : ٢٨

وقال له أبو هريرة : مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ، ليكرمه وينال المقام المحمود فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والاخلاص . انتهى كلامه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات .

الثانية : صفة الشفاعة المنفيَّة .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود .

الخامسة : صفة ما يفعله ﷺ ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، بل يسجد ، فاذا أذن الله له شفع .

السادسة : مَن أسعد الناس بها ؟

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .

الثامنة : بيان حقيقتها .

# باب

قول الله تعالى: ( إنك لا تهدي من أحببت )[١] الآية.

وفي « الصحيح » عن ابن المسيب عن أبيه قال: « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرنَّ لك ما لمْ أنه عنك» فأنزل الله عز وجل: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين)[٢] الآية وأنزل الله في أبي طالب: ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء )[١].

الثانية: تفسير قوله: ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين )[٢] الآية.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٦ (٢) سورة التوبة، الآية: ١١٤

الثالثة : ـ وهي المسألة الكبرى ـ تفسير قوله ﷺ « قل : لا إله إلا الله » بخلاف ما عليه من يدعي العلم .

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل : « قل لا إله إلا الله » فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الاسلام

الخامسة : جدّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمه .

السادسة : الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه .

السابعة : كونه ﷺ استغفر له فلم يُغفر له ، بل نهي عن ذلك.

الثامنة : مضرّة أصحاب السوء على الانسان .

التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

العاشرة : الشبهة للمبطلين في ذلك، لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشرة : الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها لنفعته .

الثانية عشرة : التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين ، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها ، مع مبالغته ﷺ وتكريره ، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم ، اقتصروا عليها .

# باب

## ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: ( يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم )[١]

وفي « الصحيح » عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ( وقالوا لا تذرُنّ آلهتكم ولا تذرن ودّاً ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً )[٢] قال: « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ[٣] العلم، عبدت ».

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم؛ ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله » أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ». ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٠ (٢) سورة نوح، الآية: ٢٣

(٣) في الأصل: نسي، والتصحيح من « صحيح البخاري ».

ﷺ قال : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثاً.

فيه مسائل :

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده، تبين له غربة الاسلام ، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية : معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين .

الثالثة : أول شيء غُيِّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم .

الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها .

الخامسة : أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل : فالأول محبة الصالحين ، والثاني فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً ، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره .

السادسة : تفسير الآية التي في سورة نوح .

السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد .

الثامنة: أن فيه شاهداً لما نُقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر .

التاسعة : معرفة الشيطان بما تؤول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل .

العاشرة : معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ، ومعرفة

ما يؤول اليه .

الحادية عشرة: مضرّة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة : معرفة النهي عن التّماثيل ، والحكمة في إزالتها .

الثالثة عشرة : معرفة عظم شأن هذه القصة ، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها .

الرابعة عشرة ، وهي أعجب وأعجب : قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ، ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات ، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه، فهو الكفر المبيح للدم والمال .

الخامسة عشرة : التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة .

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله ﷺ : «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم » فصلوات الله وسلامه على من بلّغ البلاغ المبين .

الثامنة عشرة : نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين .

التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تُعبد حتى نُسخ[1] العلم ، ففيها معرفة قدر وجوده ومضرّة فقده .

العشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء

(١) في الأصل : نسي .

# باب

## ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!

في « الصحيح » عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض بالحبشة وما فيها من الصور. فقال: « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين ،فتنة القبور، وفتنة التماثيل .

ولهما عنها قالت : « لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتمّ بها كشفها ، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يُحذّر ما صنعوا ، ولو لا ذلك أبرز قبره، غير أنه خُشي أن يُتخذ مسجداً ، أخرجاه .

ولمسلم عن جُندب بن عبد الله قال : سمعت النبي ﷺ قبل موته بخمس وهو يقول : « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فان الله قد اتخذني خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً ، لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا

يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك » .

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن ـ وهو في السياق[1] ـ من فعله ، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد ، وهو معنى قولها : خشي أن يتخذ مسجداً ، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً . وكل موضع قصد الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً ، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً ، كما قال ﷺ : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » ورواه أبو حاتم في «صحيحه» .

فيه مسائل :

الأولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح . ولو صحت نية الفاعل .

الثانية : النهي عن التماثيل ، وغلظ الأمر في ذلك

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك كيف بيّن لهم هذا أولاً ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق[1] لم يكتف بما تقدم

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .

---

(١) أي في سياق الموت .

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم .

السادسة : لعنه إياهم على ذلك .

السابعة : أن مراده تحذيره إيانا عن قبره(١) .

الثامنة : العلة في عدم إبراز قبره .

التاسعة : في معنى اتخاذها مسجداً .

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

الحادية عشرة : ذكره في خطبته قبل موته بخمس : الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع ، بل أخرجهم بعض السلف(٢) من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة، والجهمية وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور . وهم أول من بنى عليها المساجد .

الثانية عشرة : ما بلي به ﷺ من شدة النزع .

الثالثة عشرة : ما أكرم به من الخلة .

الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة .

الخامسة عشرة : التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة .

السادسة عشرة : الاشارة إلى خلافته .

---

(١) وفي نسخة : تحذيرنا عن قبره . (٢) وفي نسخة : بعض أهل العلم .

# باب

## ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

روى مالك في « الموطأ » : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله تعالى : (أفرأيتم اللات والعزّى)(١) قال : كان يلت لهم السويق(٢) فمات فعكفوا على قبره . وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلت السويق للحاج .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد، والسرج. رواه أهل السنن(٣).

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الأوثان .

الثانية : تفسير العبادة .

الثالثة : أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه .

الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد .

الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله .

(١) سورة النجم ، الآية : ١٩ (٢) أي كان اللات يلت لهم السويق .

(٣) قال ناصر الدين : واسناده ضعيف ، لكن للجملة الأولى والثانية شواهد كثيرة ذكرتها في «تحذير الساجد» .

السادسة، وهي من أهمها: معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنه زوّارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها[1].

# باب

## ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسدّه كل طريق يوصل الى الشرك

وقول الله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم)[2] الآية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

(١) لكن الحديث في ذلك ضعيف كما سبق آنفاً، وليس له شاهد يقويه كما بينته في «إرواء الغليل» فيكفي في النهي عن ذلك أنه إضاعة المال وتشبه بالكفار.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٩ وتمامها: (بالمؤمنين رؤوف رحيم).

وعن علي بن الحسين : أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه ، وقال : ألا أُحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا عليَّ ، فان تسليمكم يبلغني أين كنتم » . رواه في «المختارة».

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية براءة .

الثانية : إبعاده أمته عن هذا الحِمَى غاية البعد .

الثالثة : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة : نهيه عن الإكثار من الزيارة

السادسة : حثه على النافلة في البيت .

السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة .

الثامنة : تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعُد ، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب .

التاسعة : كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه .

# باب

## ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)(١) وقوله تعالى: (قل هل أنبئكم بشرٍ من ذلك مثوبة عند الله؟ من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت)(٢) وقوله تعالى: (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً)(٣).

عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قالوا: يارسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» أخرجاه ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يامحمد، إذا قضيت قضاء

(١) سورة النساء، الآية: ٥٠ (٢) سورة المائدة، الآية: ٦١
(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٢

فإنه لايرد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لاأهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً» ورواه البرقاني في «صحيحه» وزاد: « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة،ولاتقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين،وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين ، لانبي بعدي . ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى »[1]

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : — وهي أهمها — : معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟ : هل هو اعتقاد قلب ، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟

الخامسة : قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين .

(١) ورواه بهذه الزيادة أبو داود أيضاً بسند صحيح .

السادسة : ـ وهي المقصود بالترجمة ـ أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة ، كما تقرر في حديث أبي سعيد .

السابعة : التصريح بوقوعها ، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة .

الثامنة ، العجب العجاب خروج من يدعي النبوة، مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة ، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق وفيه أن محمداً خاتم النبيين ، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح. وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة .

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى ، بل لا تزال عليه طائفة .

العاشرة : الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة .

الثانية عشرة : ما فيه من الآيات العظيمة . منها : إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر ، بخلاف الجنوب والشمال . وإخباره بأنه أعطي الكنزين ، وإخباره

بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين ، وإخباره بأنه منع الثالثة ، وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إذا وقع ، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضاً وسبي بعضهم بعضاً ، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة. وكل هذا وقع كما أخبر ، مع أن كل واحد منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة . التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

# باب

## ما جاء في السحر

وقول الله تعالى : ( ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ) (١) وقوله : ( يؤمنون بالجبت والطاغوت ) (٢) .

قال عمر: ( الجبت ) : السحر ، ( والطاغوت ) : الشيطان. وقال جابر : الطواغيت : كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يارسول الله وماهن ؟ قال : « الشرك

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢ (٢) سورة النساء ، الآية : ٥٠

بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[1]. وعن جندب مرفوعاً: «حدُّ الساحر ضربه بالسيف». رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف. وفي «صحيح البخاري» عن بجالة بن عبَدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر. وصح عن حفصة رضي الله عنها: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت. وكذلك صحّ عن جندب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟!

(١) رواه الشيخان وغيرهما.

# باب

## بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال : « إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت » .

قال عوف : العيافة : زجر الطير . والطرق : الخط يخط بالأرض . والجبت ، قال الحسن : رنة الشيطان . إسناده جيد . ولأبي داود والنسائي وابن حبان في « صحيحه » المسند منه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتبس شعبة من النجوم ، فقد اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد » رواه أبو داود ، وإسناده صحيح .

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر . ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئاً وكل إليه » .

وعن ابن مسعود ، أن رسول الله ﷺ قال : « ألا هل أنبئكم ما العضه ؟ هي النميمة ، القالة بين الناس » رواه مسلم .

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لسحراً».

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: أن العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.

# باب
## ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبيّ ﷺ قال: «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء فصدّقه بما يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدّقه بمايقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم» رواه أبو داود. وللأربعة، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن

[أبي هريرة رضي الله عنه][١] : من أتى عرافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ». ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفاً .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً : « ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » رواه البزار باسناد جيد ، ورواه الطبراني في الأوسط باسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : « ومن أتى ... » إلى آخره .

قال البغوي: العرّاف : الذي يدّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل : هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل . وقيل: الذي يخبر عما في الضمير .

وقال أبو العباس ابن تيمية : العرّاف : اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس ـ في قوم يكتبون (أباجاد)[٢] وينظرون في النجوم ـ: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق

---

(١) بياض في الأصل ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، فان الحديث مصدره واحد، وهو أبو هريرة ، وانما الاختلاف في اللفظ، يأتي من بعض الرواة، وسنده صحيح.

(٢) كتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب : هو الذي يسمى علم الحروف.

فيه مسائل :

الأولى : لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر .

الثالثة : ذكر من تكهن له .

الرابعة : ذكر من تطير له .

الخامسة : ذكر من سحر له .

السادسة : ذكر من تعلم أبا جاد .

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

# باب

## ما جاء في النشرة

عن جابر ، أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال : « هي من عمل الشيطان» رواه أحمد بسند جيد . وأبو داود ، وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله

وفي « البخاري » عن قتادة : قلت لابن المسيب :رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ماينفع فلم ينه عنه . اهـ . وروي عن الحسن أنه قال : لا يحل السحر إلا ساحر .

قال ابن القيم : النشرة: حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان :

أحدهما : حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور .

والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الاشكال .

# باب

## ما جاء في التطير

وقول الله تعالى : ( ألا إنما طائرهم عند الله ولكنّ أكثرهم لا يعلمون ) [١] . وقوله : ( قالوا طائركم معكم ) [٢] الآية .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر » أخرجاه . زاد مسلم : « ولا نوء ، ولا غول » .

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٣٠ (٢) سورة يس ، الآية: ١٩٠

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا عدوى ولا طيرة؛ ويعجبني الفأل » قالوا: يارسول الله وما الفأل؟ قال: « الكلمة الطيبة ».

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: « أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فاذا رأى أحدكم مايكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك ».

وعن ابن مسعود مرفوعاً: « الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا [1]، ولكن الله يذهبه بالتوكل » رواه أبو داود، والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمر: « ومن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: « أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك ». وله من حديث الفضل بن العباس رضي الله عنهما: إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك.

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ [2]،

---

(١) في هذا الحديث حذف يعرف بالقرينة، أي إلا ويقع في نفسه شيء.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٠

مع قوله : ( طائركم معكم )[١] .

الثانية : نفي العدوى .

الثالثة : نفي الطيرة .

الرابعة : نفي الهامة .

الخامسة : نفي الصفر .

السادسة : أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب

السابعة : تفسير الفأل .

الثامنة : أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر . بل يذهبه الله بالتوكل .

التاسعة : ذكر ما يقوله من وجده .

العاشرة : التصريح بأن الطيرة شرك .

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة .

## باب

### ما جاء في التنجيم

قال البخاري في « صحيحه » : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها . فمن

(١) سورة يس ، الآية : ١٩

تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. اهـ.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه».

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.

# باب

## ماجاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)[1].

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(١) سورة الواقعة، الآية: ٨٢

« أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » . وقال : « النائحة إن لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سِربْال من قطران ودرع من جرب » . رواه مسلم .

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل؛ فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي،مؤمن بالكواكب».

ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه، قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا . فأنزل الله هذه الآية : ( فلا أقسم بمواقع النجوم )[1] إلى قوله : ( وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون )[2] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الواقعة .

الثانية : ذكر الأربع من أمر الجاهلية .

الثالثة : ذكر الكفر في بعضها .

(١) سورة الواقعة ، الآية : ٧٥ (٢) سورة الواقعة ،الآية : ٨٢

الرابعة : أن من الكفر ما لا يخرج عن الملّة .

الخامسة : قوله : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر » بسبب نزول النعمة.

السادسة : التفطن للإيمان في هذا الموضع .

السابعة : التفطن للكفر في هذا الموضع .

الثامنة : التفطن لقوله : « لقد صدق نوء كذا وكذا » .

التاسعة : إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها ، لقوله : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » .

العاشرة : وعيد النائحة.

# باب

قول الله تعالى : ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله )[1] الآية . وقوله : ( قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم) ... إلى قوله : ( أحب اليكم من الله ورسوله ) [2] الآية .

عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » أخرجاه .

(١) سورة البقرة الآية : ١٦٥ (٢) سورة التوبة ، الآية : ٢٥

ولهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاة الايمان :أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » . وفي رواية : « لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى ... » إلى آخره .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من أحب في الله ،وأبغض في الله، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الايمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك . وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً رواه ابن جرير . وقال ابن عباس في قوله تعالى: ( وتقطعت بهم الأسباب )(١) قال : المودة

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة: وجوب محبته ﷺ [وتقديمها] على النفس والأهل والمال

الرابعة : أن نفي الايمان لا يدل على الخروج من الاسلام .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٦

الخامسة : أن للايمان حلاوة قد يجدها الانسان وقد لا يجدها.

السادسة : أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ، ولا يجد أحد طعم الايمان إلا بها .

السابعة : فهم الصحابي للواقع : أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة : تفسير : ( وتقطعت بهم الأسباب )[١].

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً .

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية[٢] أحب إليه من دينه .

الحادية عشرة : أن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله، فهو الشرك الأكبر .

## باب

قول الله تعالى : ( إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين )[٣] . وقوله : ( إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ إلا الله )[٤] الآية . وقوله : ( ومن الناس من يقول آمنّا بالله ، فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله )[٥] الآية .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٦

(٢) وهي المذكورة في قوله تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم . ) سورة التوبة ، الآية : ٢٥

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٥

(٤) سورة التوبة ، الآية : ١٩

(٥) سورة العنكبوت ، الآية : ١٠

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : « إن من ضعف اليقين : أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يردّه كراهية كاره » .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : « من التمس رضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله،سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » رواه ابن حبان في « صحيحه » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : تفسير آية العنكبوت .

الرابعة : أن اليقين يضعف ويقوى .

الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث[1] .

السادسة : أن إخلاص الخوف لله من الفرائض .

السابعة : ذكر ثواب من فعله .

الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

(١) وهي المذكورة في حديث أبي سعيد المتقدم في أعلى الصفحة .

# باب

قول الله تعالى : ( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين )[١]
وقوله : ( إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم )[٢] الآية
وقوله : ( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين )[٣]
وقوله : ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه )[٤] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ( حسبنا الله ونعم الوكيل)[٥] قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له : ( إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل )[٥] رواه البخاري والنسائي .

فيه مسائل :

الأولى : أن التوكل من الفرائض .

الثانية : أنه[٦] من شروط الايمان .

الثالثة : تفسير آية الأنفال .

الرابعة : تفسير الآية في آخرها .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٢٦ (٢) سورة الانفال ، الآية : ٢
(٣) سورة الانفال ، الآية : ٦٤ (٤) سورة الطلاق ، الآية : ٣
(٥) سورة آل عمران، الآية : ١٧٣ (٦) أي التوكل .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة[١] ، وأنها قول إبراهيم ومحمد ﷺ في الشدائد .

## باب

قول الله تعالى : ( أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون )[٢] وقوله : ( ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ؟ )[٣] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر ، فقال : « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « أكبر الكبائر : الاشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله » رواه عبد الرزاق .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الأعراف .

الثانية : تفسير آية الحجر .

---

(١) وهي : ( حسبنا الله ونعم الوكيل ) .

(٢) سورة الاعراف ، الآية : ٩٨ (٣) سورة الحجر ، الآية : ٥٦

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله .

الرابعة : شدة الوعيد في القنوط .

# باب

## من الايمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى : ( ومن يؤمن بالله يهد قلبه )[١] .

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت » . ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط » حسّنه الترمذي .

---

(١) سورة التغابن ، الآية : ١١

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية التغابن .

الثانية : أن هذا من الإيمان بالله .

الثالثة : الطعن في النسب .

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية .

الخامسة : علامة إرادة الله بعبده الخير .

السادسة : إرادة الله به الشر .

السابعة : علامة حب الله للعبد .

الثامنة : تحريم السخط .

التاسعة : ثواب الرضى بالبلاء .

# باب

## ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى : ( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إلهٌ واحد )(١) الآية .

وعن أبي هريرة مرفوعاً : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١١ وتمامها ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ) .

عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » .

رواه مسلم .

وعن أبي سعيد مرفوعاً : « ألا أُخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : « الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيصلي ، فيزيّن صلاته ، لما يرى من نظر رجل » .

رواه أحمد .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الكهف .

الثانية : الأمر العظيم في ردّ العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك ، وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب ، أنه تعالى خير الشركاء .

الخامسة : خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله ، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه .

# باب

## من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها) (١) الآيتين.

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة (٢)، تعس عبد الخميلة (٣)، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش (٤). طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه. إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة (٥) كان في الساقة. إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع».

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦ (٢) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

(٣) الخميلة: القطيفة، والثوب المخمل، كالكساء.

(٤) أي إذا أصابته شوكة فلا يقدر على إخراجها بالمناقيش، وهي جملة دعائية.

(٥) الساقة: مؤخر الجيش يحفظ المجاهدين من عدوهم.

الثالثة : تسمية الإنسان المسلم : عبد الدينار والدرهم والخميصة .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط .

الخامسة : قوله : « تعس وانتكس » .

السادسة : قوله : « وإذا شيك فلا انتقش » .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

## باب

### من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

وقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ؛ أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر ؟! .

وقال الامام أحمد : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول : ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ) [1] . أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك .

عن عدي بن حاتم : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ) [2] الآية . فقلت له : إنا لسنا نعبدهم. قال: « أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه

(١) سورة النور ، الآية : ٦٣ (٢) سورة التوبة ، الاية : ٣٢ .

ويحلّون ما حرّم الله، فتحلّونه؟» فقلت: بلى قال فتلك: «عبادتهم» رواه أحمد، والترمذي وحسّنه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغيّر الأحوال إلى هذه الغاية، حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار، هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

## باب

قول الله تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) (١) الآيات. وقوله: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) (٢) وقوله: (ولا تفسدوا في الأرض بعد

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩ (٢) سورة البقرة، الآية: ١١

إصلاحها )[١] الآية . وقوله : ( أفحكم الجاهلية يبغون )[٢] الآية .

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » . قال النووي : حديث صحيح ، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح .

وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ؛ فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد ـ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ـ وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود ؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه ، فنزلت : ( ألم تر إلى الذين يزعمون ... ) الآية[٣] .

وقيل : نزلت في رجلين اختصما ، فقال أحدهما : نترافع إلى النبي ﷺ ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف ، ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة . فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ أكذلك ؟ قال: نعم ، فضربه بالسيف فقتله .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية : تفسير آية البقرة : ( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في

(١) سورة الاعراف ، الآية : ٥٥ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٣

(٣) سورة النساء ، الآية : ٥٩

الأرض )[١] .

الثالثة : تفسير آية الأعراف ( ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها )[٢] .

الرابعة : تفسير : ( أفحكم الجاهلية يبغون ؟ )[٣] .

الخامسة : ما قاله الشعبي في نزول الآية الأولى .

السادسة : تفسير الايمان الصادق والكاذب .

السابعة : قصة عمر مع المنافق .

الثامنة : كون الايمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ .

## باب

### من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى : ( وهم يكفرون بالرحمن )[٤] الآية .

وفي « صحيح البخاري » قال علي : « حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ » .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١ (٢) سورة الاعراف ، الآية : ٥٥
(٣) سورة المائدة ، الاية : ٥٠ (٤) سورة الرعد، الآية : ٣٢

عباس : أنه رأى رجلاً انتفض ـ لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات ، استنكاراً لذلك ـ فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقّة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه » انتهى .

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر : ( الرحمن ) أنكروا ذلك . فأنزل الله فيهم : ( وهم يكفرون بالرحمن )(١) .

فيه مسائل :

الأولى : عدم الايمان بجحد شيء من الأسماء والصفات .

الثانية : تفسير آية الرعد .

الثالثة : ترك التحديث بما لا يفهم السامع .

الرابعة : ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ، ولو لم يتعمّد المنكر .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك ، وأنه هلكة .

## باب

قول الله تعالى : ( يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون )(٢) .

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٢٢ (٢) سورة النحل ، الآية : ٨٣

قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هـذا مالي ، ورثته عن آبائي .

وقال عون بن عبد الله : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا .

وقال ابن قتيبة : يقولون :هذا بشفاعة آلهتنا .

وقال أبو العباس ـ بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : « إن الله تعالى قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . . . » الحديث ، وقد تقدم ـ وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ، ويشرك به .

قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة ، والملاّح حاذقا ، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثيرٍ .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير معرفة النعمة وإنكارها .

الثانية : معرفة أن هذا جارٍ على ألسنة كثيرٍ .

الثالثة : تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة .

الرابعة : اجتماع الضدين في القلب .

# باب

قول الله تعالى : ( فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون )[١] .

قال ابن عباس في الآية : الأنداد : هو الشرك أخفي من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ؛ وهو أن تقول : والله ، وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول : لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً[٢]. هذا كله به شرك » رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف بغير الله فقد ـ كفر أو ـ أشرك » رواه الترمذي وحسنه ، وصححه الحاكم. وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً .

وعن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه أبو داود بسند صحيح .

وجاء عن إبراهيم النخعي ، أنه يكره أن يقول : أعوذ بالله

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٢ (٢) أي لا تجعل كلمة فلان مع اسم الله تعالى .

وبك ، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك . قال :ويقول : لولا الله ثم فلان. ولا تقولوا : لولا الله وفلان .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة في الأنداد .

الثانية : أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر .

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك .

الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقا ،فهو أكبر من اليمين الغموس .

الخامسة : الفرق بين الواو وثم في اللفظ .

## باب

### ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فليصدق ، ومن حُلف له بالله فليرض . ومن لم يرض فليس من الله » رواه ابن ماجه بسند حسن .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن الحلف بالآباء .

الثانية : الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى .

الثالثة : وعيد من لم يرض .

## باب
### قول ما شاء الله وشئت

عن قتيلة ، أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : « ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت . رواه النسائي وصححه .

وله أيضاً عن ابن عباس : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده » .

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال : رأيت كأني أتيتُ على نفر من اليهود ، قلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : عزيرٌ ابن الله . قالوا : وأنتم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . ثم مررتُ بنفر من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القوم ،لولا أنكم تقولون :المسيح ابن الله . قالوا : وأنتم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته . قال : « هل أخبرتَ بها

أحداً ؟ » قالت : نعم . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد ؛ فان طفيلاً رأى رؤيا ، أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها . فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده »

فيه مسائل :

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية : فهم الانسان إذا كان له هوى

الثالثة : قوله ﷺ : « أجعلتني لله نداً ؟ » فكيف بمن قال :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك ... والبيتين بعده ؟

الرابعة : أن هذا ليس من الشرك الأكبر، لقوله : « يمنعني كذا وكذا » .

الخامسة : أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي .

السادسة : أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام .

## باب

### من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى : ( وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا

وما يهلكنا إلا الدهر ) (١) الآية .

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار » وفي رواية : « لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر » .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سب الدهر .

الثانية : تسميته أذى لله .

الثالثة : التأمل في قوله : « فإن الله هو الدهر » .

الرابعة : أنه قد يكون سابا ولو لم يقصده بقلبه .

# باب

## التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إن أخنع اسم عند الله : رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله » .

قال سفيان : مثل « شاهان شاه » .

وفي رواية : « أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه » .

قوله « أخنع » يعني أوضع .

(١) سورة الجاثية ، الآية : ٢٤

(٢) الدهر زمان لا عمل له ، وانما كل ما ينسبونه الى الدهر من التصرف ، فالله الفاعل له .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن التسمي بملك الأملاك .

الثانية : أن ما في معناه مثله ، كما قال سفيان .

الثالثة : التفطن للتغليظ في هذا ونحوه ، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه .

الرابعة : التفطن أن هذا الإجلال لله سبحانه .

# باب

## احترام أسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح : أنه كان يكنى أبا الحكم ؛ فقال له النبي ﷺ : « إن الله هو الحكم ، وإليه الحكم » فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني ، فحكمت بينهم ، فرضي كلا الفريقين فقال : « ما أحسن هذا ! فما لك من الولد ؟ » قلت : شريح ، ومسلم ، وعبد الله . قال : « فمن أكبرهم ؟ » قلت : شريح . قال : « فأنت أبو شريح » . رواه أبو داود وغيره .

فيه مسائل :

الأولى : احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه .

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك .

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية

# باب

## من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: (ولئن سألتهم ليقولنّ إنما كنا نخوض ونلعب)[١] الآية.

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ : أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء، أرغب بطونا، ولا أكذب ألسُناً، ولا أجبن عند اللقاء ـ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القرّاء ـ فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنّ رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يارسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق. فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة[٢] ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحجارة تنكب رجليه ـ وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب ـ فيقول له رسول الله ﷺ: (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟)[١] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٦ وتمامها (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون)؟!

(٢) النسع: سير ينسج عريضاً على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال، والقطعة منه نسعة.

فيه مسائل :

الأولى ، وهي العظيمة : أن من هزل بهذا فهو كافر .

الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان.

الثالثة . الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله .

الرابعة : الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله .

الخامسة : أن من الاعذار ما لا ينبغي أن يقبل .

## باب

ماجاء في قول الله تعالى : ( ولئن أذقناه رحمةً منّا من بعد ضرّاء مسّته ليقولنّ هذا لي ) [1] الآية .

قال مجاهد . هذا بعملي وأنا محقوق به . وقال ابن عباس : يريد من عندي .

وقوله : ( قال إنّما أوتيته على علم عندي ) [2] . قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل . وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٠ (٢) سورة القصص، الآية : ٧٨

وسلم يقول : « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى . فأراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس [به][1] قال : فمسحه ، فذهب عنه قذره ، وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً . قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو البقر ـ شك إسحاق ـ فأعطي ناقة عُشَراء ، وقال : بارك الله لك فيها . قال : فأتى الأقرع ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ، ويذهب عني الذي قذرني الناس [به][1] فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطي شعراً حسناً . فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : البقر ، أو الإبل . فأعطي بقرة حاملاً قال : بارك الله لك فيها فأتى الأعمى ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله إليّ بصري ؛ فأبصر به الناس ، فمسحه ، فردّ الله إليه بصره ، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم . فأعطي شاة والداً ؛ فأنتج هذان وولّد هذا ، فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم . قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ، بعيراً أتبلغ به

(١) كلمة (به) ليست في «الصحيحين» هنا ولا فيما بعدها ، ولعلها تفسير .

في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة. فقال له : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً ، فأعطاك الله عز وجل المال ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت . قال: وأتى الأقرع في صورته ، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت . وأتى الأعمى في صورته . فقال : رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك . أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: كنت أعمى فرد الله إلي بصري ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله . فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبيك » أخرجاه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما معنى : ( ليقولن هذا لي )(١) .

الثالثة : ما معنى قوله : ( أوتيته على علم عندي )(٢)

الرابعة : ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٠ (٢) سورة القصص ، الآية : ٧٨

# باب

قول الله تعالى . ( فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما ) [١] الآية .

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله ، كعبد عمر ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب [٢] .

وعن ابن عباس في الآية قال : لما تغشَّاها آدم حملت ، فأتاهما إبليس فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة ، لتطيعاني أو لأجعلنَّ له قرني أيّل ، فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن - يخوفهما - سمياه عبد الحارث ، فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتاً . ثم حملت ، فأتاهما ، فقال مثل قوله ، وأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتاً . ثم حملت ، فأتاهما ، فذكر لهما ، فأدركهما حب الولد ، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى : ( جعلا له شركاء فيما آتاهما ) [١] رواه ابن أبي حاتم .

وله بسند صحيح عن قتادة قال : شركاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته . وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله : ( لئن آتيتنا صالحاً ) [١] قال : أشفقا أن لا يكون إنساناً وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٩

(٢) يعني أنهم لم يتفقوا على تحريم هذا الاسم، بل اختلفوا ، فلا يفهم من كلام ابن حزم جواز التسمي به .

فيه مسائل :

الأولى : تحريم كل اسم معبّد لغير الله .

الثانية : تفسير الآية .

الثالثة : أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها .

الرابعة : أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم .

الخامسة : ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة ، والشرك في العبادة .

# باب

قول الله تعالى : ( ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه )[1] الآية .

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس : ( يلحدون في أسمائه )[1] : يشركون . وعنه : سموا اللات من الإله ، والعزّى من العزيز ، وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها .

فيه مسائل :

الأولى : إثبات الأسماء .

الثانية : كونها حسنى

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٩

الثالثة : الأمر بدعائه :

الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

الخامسة : تفسير الإلحاد فيها .

السادسة : وعيد من ألحد.

## باب

### لا يقال : السلام على الله

في «الصحيح» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده ،السلام على فلان، فقال النبي ﷺ : «لا تقولوا السلام على الله ، فإن الله هو السلام» .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير السلام .

الثانية : أنه تحية .

الثالثة : أنها لا تصلح لله .

الرابعة : العلة في ذلك .

الخامسة : تعليمهم التحية التي تصلح لله .

ويذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن ».

وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته ».

قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.

السادسة: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة، أو الأربعة، وذكر ما يحدث بعدهم.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون على الشهادة والعهد.

# باب

## ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى: ( وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن قول : عبدي وأمتي .

الثانية : لا يقول العبد : ربي ، ولا يقال له : أطعم ربك .

الثالثة : تعليم الأول قول : فتاي وفتاتي وغلامي .

الرابعة : تعليم الثاني قول : سيدي ومولاي .

الخامسة : التنبيه للمراد ، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ .

## باب

### لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه ، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » . رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح .

فيه مسائل :

الأولى : إعاذة من استعاذ بالله .

الثانية : إعطاء من سأل بالله .

الثالثة : إجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصنيعة .

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه .

السادسة : قوله : « حتى تروا أنكم قد كافأتموه » .

## باب

### لا يسأل بوجه الله الا الجنة

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » . رواه أبو داود .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب .

الثانية : إثبات صفة الوجه

## باب

### ما جاء في اللو

وقول الله تعالى : ( يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا )[1] . وقوله : ( الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قُتلوا )[2] الآية .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٨

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجزنّ وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ؛ ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين في آل عمران .

الثانية : النهي الصريح عن قول : لو ، إذا أصابك شيء .

الثالثة : تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان .

الرابعة : الإرشاد إلى الكلام الحسن .

الخامسة : الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله .

السادسة : النهي عن ضد ذلك وهو العجز .

# باب

## النهي عن سب الريح

عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح ، وشر ما فيها ، وشر ما أمرت به » صححه الترمذي .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سب الريح .

الثانية : الارشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الانسان مايكره .

الثالثة : الارشاد إلى أنها مأمورة .

الرابعة : أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر

## باب

قول الله تعالى : ( يظنون بالله غير الحق ظنّ الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل إن الأمر كله لله )(١) الآية . وقوله : ( الظانّين بالله ظنّ السَّوء عليهم دائرة السَّوء )(٢) الآية .

قال ابن القيم في الآية الأولى : فسّر هـذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله ، وأن أمره سيضمحل ، وفسر أن ما أصابهم لم يكن بقدَر الله وحكمته ، ففسر بانكار الحكمة ، وإنكار القدَر ، وإنكار أن يتم أمر رسوله ، وأن يظهره على الدين كله . وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة (الفتح) ، وإنما كان هذا ظن السوء ، لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه ، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق ، فمن ظن أنه يُديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ (٢) سورة الفتح ، الآية ٦

أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة ، فذلك ظن الذين كفروا ( فويل الذين كفروا من النار )[1] وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته ، وموجب حكمته وحمده .

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ؛ فمُستقل ومُستكثر ، وفتش نفسك : هل أنت سالم ؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران . الثانية : تفسير آية الفتح .

الثالثة : الاخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر . الرابعة : أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه .

## باب
### ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر : والذي نفس ابن عمر بيده ، لو كان لأحدهم مثل

(١) سورة ص ، الآية : ٢٧

أحُدٍ ذهباً ، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر .

ثم استدل بقول النبي ﷺ : « الايمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه مسلم .

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم، فقال له : اكتب ، فقال : رب ،وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » يا بني ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات على غير هذا فليس مني» .

وفي رواية لأحمد : « إن أول ما خلق الله تعالى القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » .

وفي رواية لابن وهب قال : قال رسول الله ﷺ : « فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار » .

وفي « المسند » و « السنن » عن ابن الديلمي[١] قال: أتيت أبيّ ابن كعب ،فقلت: في نفسي شيء من القدر ، فحدثني بشيء لعل الله يُذهبه من قلبي ، فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ،وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ،وما أخطأك لم يكن

(١) هو عبد الله بن فيروز الديلمي المقدسي .

ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار قال : فأتيت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث صحيح رواه الحاكم في « صحيحه » (١) .

فيه مسائل :

الأولى : بيان فرض الإيمان بالقدر . الثانية : بيان كيفية الإيمان به .

الثالثة : إحباط عمل من لم يؤمن به .

الرابعة : الإخبار بأن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به .

الخامسة : ذكر أول ما خلق الله .

السادسة : أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة .

السابعة : براءته ﷺ ممن لم يؤمن به .

الثامنة : عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء .

التاسعة : أن العلماء أجابوه بما يزيل عنه الشبهة ، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط .

# باب

## ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال

(١) أي في « مستدركه » .

الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة » . أخرجاه .

ولهما عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهؤون بخلق الله » .

ولهما عن ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم » .

ولهما عنه مرفوعاً: « من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ » .

ولمسلم عن أبي الهياج قال : قال لي علي : ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

فيه مسائل :

الأولى : التغليظ الشديد في المصورين .

الثانية . التنبيه على العلة ، وهو ترك الأدب مع الله لقوله : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي » .

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم ، لقوله : « فليخلقوا ذرة أو شعيرة » .

الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً .

الخامسة : أن الله يخلق بعدد كل صورة صورها نفساً يعذب بها في جهنم » . السادسة : أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح .

السابعة : الأمر بطمسها إذا وجدت .

## باب
## ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى : ( واحفظوا أيمانكم )(١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للكسب » أخرجاه .

وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته ، لا يشتري إلا بيمينه ، ولا يبيع إلا بيمينه » رواه الطبراني بسند صحيح .

وفي « الصحيح » عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ـ قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ؟ — ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ،

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٢

وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » .

وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته » .

قال إبراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار .

فيه مسائل :

الأولى : الوصية بحفظ الأيمان .

الثانية : الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة .

الثالثة : الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه .

الرابعة : التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي .

الخامسة : ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون .

السادسة : ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة ، أو الأربعة، وذكر ما يحدث بعدهم .

السابعة : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون .

الثامنة : كون السلف يضربون على الشهادة والعهد .

# باب

## ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا

الأيمان بعد توكيدها )[١] الآية .

عن بريدة : أن رسول ﷺ كان إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، فقال : « اغزوا بسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال — أو خلال — فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الاسلام ، فان أجابوك فاقبل منهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فاسألهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك . فانك لا تدري ، أتصيب حكم الله فيهم أم لا ؟ » رواه مسلم .

(١) سورة النحل الآية : ٩١

فيه مسائل :

الأولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين

الثانية : الارشاد إلى أقل الأمرين خطراً .

الثالثة : قوله : « اغزوا بسم الله في سبيل الله »

الرابعة : قوله : « قاتلوا من كفر بالله » .

الخامسة : قوله : « استعن بالله وقاتلهم » .

السادسة : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .

السابعة : كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا ؟ .

# باب

## ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان ؟ إني قد غفرتُ له وأحبطتُ عملك » رواه مسلم .

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد ، قال أبو هريرة : تكلم بكلمة أوْبقَتْ دنياه وآخرته .

فيه مسائل :

الأولى : التحذير من التألي على الله .

الثانية : كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله

الثالثة : أن الجنة مثل ذلك .

الرابعة : فيه شاهد لقوله «إن الرجل ليتكلم بالكلمة » .. الخ.

الخامسة : أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه

# باب

## لا يستشفع بالله على خلقه

عن جُبير بن مُطعِم قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! نُهكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال ، فاستسق لنا ربك ، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله . فقال النبي ﷺ : « سبحان الله ! سبحان الله ! » فما زال يُسبِّح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه ؛ ثم قال النبي ﷺ : « ويحك ، أتدري ما الله؟ إن شأنَ الله أعظم من ذلك ، إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه » وذكر الحديث . رواه أبو داود .

فيه مسائل :

الأولى : إنكاره على من قال : نستشفع بالله عليك .

الثانية : تغيره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة .

الثالثة : أنه لم ينكر عليه قوله : « نستشفع بك على الله » .

الرابعة : التنبيه على تفسير « سبحان الله » .

الخامسة : أن المسلمين يسألونه الاستسقاء .

# باب

## ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشِّخِّير ، قال : انطلقت في وَفْد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : « السيد الله تبارك وتعالى » . قلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طَولاً ؛ فقال : « قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرِينكم الشيطان » . رواه أبو داود بسند جيد .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن ناساً قالوا : يارسول الله ! يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال : « يا أيها الناس ! قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد ، عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » رواه النسائي بسند جيد .

فيه مسائل :

الأولى : تحذير الناس من الغلوّ .

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له : أنت سيدنا .

الثالثة: قوله: « ولا يستجرينكم الشيطان » مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: « ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي ».

# باب

## ما جاء في قول الله تعالى

( وما قدروا الله حقَّ قدْره والأرض جميعاً قبضتُه يوم القيامة ) (١) الآية.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ( وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة )(١) الآية.

وفي رواية لمسلم: والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أنا الله. وفي رواية للبخاري: يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع؛ وسائر الخلق على إصبع، أخرجاه.

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٧

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً : « يطوي الله السماوات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » .

وروي عن ابن عباس ، قال : ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد : حدثني أبي، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في تُرس » . قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فَلاة من الأرض » .

وعن ابن مسعود قال : بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم . أخرجه ابن مهدي عن حماد ابن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبدالله . ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ؛ قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق . وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول

الله ﷺ: « هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ » قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: « بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم ». أخرجه أبو داود وغيره[1].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ( والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة )[2]

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحبر لما ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم، صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ عند ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

---

(١) ولكن ذكر أن المسافة بين كل سماء ٧١ أو ٧٢ أو ٧٣ سنة لا خمسمائة. ورواه أحمد بلفظ (خمسمائة) كما في الكتاب. وفي سند الحديث مجهول، وهو علته، وليست العلة ابن أبي ثور كما ظن السيد رشيد رضا فانه قد توبع، كما بينه الشيخ أحمد شاكر في التعليق على المسند (١٧٧٠ و١٧٧١) ولكنه خفيت عليه علة الحديث الحقيقية فصححه!

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٧

الخامسة : التصريح بذكر اليدين ، وأن السماوات في اليد اليمنى ، والأرضين في اليد الأخرى

السادسة : التصريح بتسميتها الشمال .

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .

الثامنة : قوله : « كخردلة في كف أحدكم » .

التاسعة : عظم الكرسي بالنسبة إلى السماوات .

العاشرة : عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي .

الحادية عشرة : أن العرش غير الكرسي والماء .

الثانية عشرة : كم بين كل سماء إلى سماء .

الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والكرسي .

الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء .

الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء .

السادسة عشرة : أن الله فوق العرش .

السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض .

الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .

التاسعة عشرة : أن البحر الذي فوق السماوات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة . والله سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

# حكم موالاة أهل الاشراك

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن الانسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم، خوفاً منهم، ومداراة لهم، ومداهنة لدفع شرهم، فإنه كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويبغضهم، ويحب الاسلام والمسلمين. هـذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة، واستدعي بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال، ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار من جنود القباب والشرك وأهلها بعد ما كان من جنود الاخلاص والتوحيد وأهله؟! فان هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يستثنى من ذلك إلا المكره، وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له: اكفر، أو افعل كذا، وإلا فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالايمان. وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر

هازلاً، أنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا؟! وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأييده.

الدليل الأول: قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)(١) فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى، وكذلك المشركون، لا يرضون عن النبي ﷺ حتى يتبع ملتهم، ويشهد أنهم على حق. ثم قال تعالى: (قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من وليّ ولا نصير)(١) وفي الآية الأخرى: (إنك إذاً لمن الظالمين)(٢) فاذا كان النبي ﷺ، لو يوافقهم على دينهم ظاهراً من غير عقيدة القلب، لكن خوفاً من شرهم ومداهنة، كان من الظالمين، فكيف بمن أظهر لعبّاد القبور والقباب أنهم على حقّ وهدى مستقيم؟! فانهم لا يرضون إلا بذلك.

الدليل الثاني: قوله تبارك وتعالى: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)(٣) فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٠ (٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٥

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٧

المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ولم يرخص في موافقتهم خوفاً على النفس والمال والحرمة، بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتد، فان مات على ردته بعد أن قاتله المشركون فانه من أهل النار الخالدين فيها، فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟! فاذا كان مَنْ وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له، عرفت أن الذين يأتون إليهم يسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال، أنهم أولى بعدم العذر، وأنهم كفار مرتدون.

الدليل الثالث: قوله تبارك وتعالى: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة)[1] فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين وإن كانوا خائفين منهم؛ وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء، أي لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة في الآخرة، إلا أن تتقوا منهم تقاة، وهو أن يكون الانسان مقهوراً معهم لا يقدر عَلَى عداوتهم، فيظهر لهم المعاشرة والقلبُ مطمئنٌ بالبغضاء والعداوة، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر، استحبابَ الحياة الدنيا على

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨

الآخرة، والخوف من المشركين، وعدم الخوف من الله، فما جعل الله الخوف منهم عذراً، بل قال تعالى: ( إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين )[1].

الدليل الرابع: قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين )[2] فأخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الاسلام، فانهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم؛ وهذا هو الواقع، فانهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين، وقطع اليد منهم. ثم قال: ( بل الله مولاكم وهو خير الناصرين )[3]، فأخبر تعالى أن الله مولى المؤمنين وناصرهم، وهو خير الناصرين ففي ولايته وطاعته غُنية وكفاية عن طاعة الكفار، فيا حسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد، ونشأوا فيه، ودانوا به زماناً، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين، وخير الناصرين، إلى ولاية القباب وأهلها، ورضوا بها بدلاً عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء؟ بئس للظالمين بدلاً.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥ (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٠

الدليل الخامس : قوله تعالى : ( أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير )[١] ، فأخبر تعالى أنه لا يستوي من اتبع رضوان الله ، ومن اتبع ما يسخطه ، ومأواه جهنم يوم القيامة . ولا ريب أن عبادة الرحمن وحدها ونصرها ، وكون الانسان من أهلها ، من رضوان الله ، وأن عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط الله ؛ فلا يستوي عند الله من نصر توحيده ودعوته بالاخلاص وكان مع المؤمنين ؛ ومن نصر الشرك ودعوة الأموات وكان مع المشركين . فان قالوا : خفنا . قيل لهم : كذبتم . وأيضاً فما جعل الله الخوف عذراً في اتباع ما يسخطه ، واجتناب ما يرضيه . وكثير من أهل الباطل إنما يتركون الحق خوفاً من زوال دنياهم . وإلا فيعرفون الحق ويعتقدونه ، ولم يكونوا بذلك مسلمين .

الدليل السادس : قوله تعالى : ( إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض. قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً )[٢] اي في أي فريق كنتم ؟ أفي فريق المسلمين ، أم في فريق المشركين ؟

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٦٠ (٢) سورة النساء ، الآية : ٩٧

فاعتذروا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف ، فلم تعذرهم الملائكة، وقالوا لهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً)(١).

ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين صاروا مع المشركين ، وفي فريقهم وجماعتهم هذا مع أن الآية نزلت في أناس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة ، فلما خرج المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج معهم ، فخرجوا خائفين ، فقتلهم المسلمون يوم بدر، فلما علموا بقتلهم تأسفوا وقالوا : قتلنا إخواننا، فأنزل الله فيهم هذه الآية . فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسلام فخلعوا ربقته من أعناقهم ، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم ، ودخلوا في طاعتهم ، وآووهم ونصروهم ، وخذلوا أهل التوحيد ، واتبعوا غير سبيلهم ، وخطؤوهم ، وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبهم ، والاستهزاء بهم ، وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد ، والصبر عليه ، وعلى الجهاد فيه ، وعاونوهم على أهل التوحيد طوعاً لا كرهاً ، واختياراً لا اضطراراً؟ فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحاً بالوطن ، وخوفاً من الكفار ، وخرجوا في جيشهم

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٧

مكرهين خائفين . فان قال قائل : هلاّ كان الإكراه على الخروج عذراً للذين قتلوا يوم بدر ؟ قيل : لا يكون عذراً ، لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين إذا قاموا مع الكفار ، فلا يعذرون بعد ذلك بالإكراه ، لأنهم السبب في ذلك حيث قاموا معهم وتركوا الهجرة .

الدليل السابع : قوله تعالى : ( وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم )[1] فذكر الله تعالى أنه نزّل على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره . وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله ، المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم ، فهو مثلهم . ولم يفرق بين الخائف وغيره ، إلاّ المكره ، هذا وهم في بلد واحد في أول الاسلام ، فكيف بمن كان في سعة الاسلام وعزه وبلاده ، فدعا الكافرين بآيات الله ، المستهزئين بها إلى بلاده ، واتخذهم أولياء وأصحاباً وجلساء ، وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرّهم ، وطرد أهل التوحيد وأبعدهم؟ .

الدليل الثامن : قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٤٠

منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين )[١] . فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم . وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعبادالأوثان فهو منهم ، فان جادل مجادل في أن عبادة القباب ودعاء الأموات مع الله ليس بشرك ، وأن أهلها ليسوا بمشركين ، بان أمره واتضح عناده وكفره . ولم يفرق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره ، بل أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفاً من الدوائر . وهكذا حال هؤلاء المرتدين، خافوا من الدوائر ، لما في قلوبهم من عدم الايمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد ، فبادروا وسارعوا إلى أهل الشرك ، خوفاً أن تصيبهم دائرة . قال الله تعالى : ( فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم نادمين )[٢] .

الدليل التاسع : قوله تعالى : ( ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون)[٣] ، فذكر الله تعالى أن موالاة الكفار موجبة لسخط الله ، والخلود في العذاب بمجردها ، وإن كان الانسان خائفاً، إلا من أكره

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ (٢) سور المائدة ، الآية : ٥٢
(٣) سور المائدة ، الآية : ٨٠

بشرطه، فكيف إذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح، وهو معاداة التوحيد وأهله، والمعاونة على زوال دعوة الله بالاخلاص، وعلى تثبيت دعوة غيره؟!

الدليل العاشر: قوله تعالى: (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه مااتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون)(١). فذكر تعالى أن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي ﷺ وما أنزل إليه. ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين، ولم يفرّق بين من خاف الدائرة وبين من لم يخف؛ وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون، فجرّهم ذلك إلى موالاة الكفار، والردّة عن الاسلام، نعوذ بالله من ذلك.

الدليل الحادي عشر: قوله تعالى: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)(٢) وهذه الآية نزلت لما قال المشركون: تأكلون ماقتلتم ولا تأكلون ماقتل الله، فأنزل الله هذه الآية. فاذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركاً من غير فرق بين الخائف وغيره إلا المكره، فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم، والكون معهم ونصرهم، والشهادة أنهم على

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٤ (٢) سورة الأنعام، الاية: ١٢١

حق ، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال .

الدليل الثاني عشر : قوله تعالى : ( واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين )[1] وهذه الآية نزلت في عالم عابد في زمان بني إسرائيل ؛ يقال له بلعام ، وكان يعلم الاسم الأعظم .

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : لما نزل بهم موسى عليه السلام ـ يعني بالجبارين ـ أتاه بنو عمه وقومه فقالوا : إن موسى رجلٌ حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يردّ عنا موسى ومن معه . قال : إني إن دعوت ذهبت دنياي وآخرتي ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ؛ فسلخه الله مما كان عليه . فذلك قوله تعالى : ( فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين )[1] .

وقال ابن زيد : كان هواه مع القوم ، يعني الذين حاربوا موسى وقومه ، فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله ، بعد أن أعطاه الله إياها ، وعرفها وصار من أهلها ثم انسلخ منها ، أي ترك العمل بها،

(١) سور الأعراف ، الآية : ١٧٥

وذكر في انسلاخه منها ما معناه أنه مظاهرةُ المشركين ومعاونتهم برأيه، والدعاء على موسى عليه السلام ومن معه، أن يردهم الله عن قومه، خوفاً على قومه وشفقة عليهم، مع كونه يعرف الحقّ، ويشهد به، ويتعبّد، ولكن صدّه عن العمل به، متابعة قومه وعشيرته وهواه وإخلاده إلى الأرض، فكان هذا انسلاخاً من آيات الله تعالى، وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين وأعظم، فإن الله أعطاهم آياته التي فيها الأمر بالتوحيد، ودعوته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك به ودعوة غيره، والأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم، والاعتصام بحبل الله جميعاً، والكون مع المؤمنين، والأمر بمعاداة المشركين، وبغضهم وجهادهم وفراقهم، والأمر بهدم الأوثان، وإزالة القحاب(١) واللواط والمنكرات، وعرفوها وأقرّوا بها، ثم انسلخوا من ذلك كله، فهم أولى بالانسلاخ من آيات الله والكفر والردّة من بلعام أو هم مثله.

الدليل الثالث عشر: قوله تعالى: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون)(٢) فذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة من الكفار والظالمين موجب

(١) القحاب: جمع قحبة، وهي البغي، والفاسدة، والفاجرة.
(٢) سورة هود، الآية: ١١٣

لمسيس النار، ولم يفرّق بين من خاف منهم وغيره إلا المكره، فكيف عن اتخذ الركون اليهم ديناً ورأياً حسناً، وأعانهم بما قدر عليه من مال ورأي، وأحبّ زوال التوحيد وأهله، واستيلاء أهل الشرك عليهم؟! فان هذا أعظم الكفر والركون.

الدليل الرابع عشر: قوله تعالى: (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذابٌ عظيم. ذلك بأنهم آستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين)[١] فحكم تعالى حكماً لا يبدّل أن من رجع عن دينه إلى الكفر، فهو كافر، سواء كان له عذر خوفاً على نفس أو مال أو أهل، أم لا، وسواء كفر بباطنه أم بظاهره دون باطنه، وسواء كفر بفعاله ومقاله، أو بأحدهما دون الآخر، وسواء كان طامعاً في دنيا ينالها من المشركين أم لا، فهو كافر على كل حال، إلا المكره، وهو في لغتنا: المغصوب، فاذا أكره الانسان على الكفر وقيل له: اكفر وإلا قتلناك أو ضربناك، أو أخذه المشركون فضربوه، ولم يمكنه التخلص إلا بموافقتهم، جاز له موافقتهم في الظاهر، بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالايمان، أي ثابتاً

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ١٠٦و١٠٧

عليه، معتقداً له. فأمّا إن وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرهاً.

وظاهر كلام أحمد رحمه الله أنه في الصورة الأولى لا يكون مكرهاً حتى يعذّبه المشركون، فانه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، فما زال يعتذر ويقول حديث عمّار وقال الله تعالى: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)(١) فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر؛ فقال يحيى: لا يقبل عذراً.

فلما خرج يحيى قال أحمد يحتج بحديث عمار، وحديث عمار: مررت بهم وهم يسبّونك فنهيتهم فضربوني وأنتم قيل لكم: نريد أن نضربكم؛ فقال يحيى: والله ما رأيتُ تحت أديم السماء أفقه في دين الله تعالى منك

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين الشارحين صدورهم بالكفر، وإن كانوا يقطعون على الحق ويقولون: ما فعلنا هذا إلا خوفاً؛ فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذابٌ عظيم

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك، أو الجهل بالتوحيد، أو البغض للدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا، فآثره على الدين

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦

وعلى رضى رب العالمين . فقال : ( ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين )[١] فكفَّرهم تعالى ،وأخبر أنه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بمحبَّة الدنيا ، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة ،هم الذين طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، وأنهم هم الغافلون .

ثم أخبر خبراً مؤكداً محققاً أنهم في الآخرة هم الخاسرون .

الدليل الخامس عشر : قوله تعالى عن أهل الكهف : ( إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً )[٢] فذكر تعالى عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم إن قهروكم وغلبوكم فهم بين أمرين : إما أن يرجموكم ، أي يقتلوكم شرَّ قتلة بالرجم ؛ وإما أن يعيدوكم في ملتهم ودينهم ، ولن تفلحوا إذاً أبداً ، أي وإن وافقتموهم على دينهم بعد أن غلبوكم وقهروكم ، فلن تفلحوا إذاً أبداً ، فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه ، فكيف بمن وافقهم وراسلهم من بعيد ، وأجابهم إلى ما طلبوا من غير غلبة ولا إكراه ، ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون ؟!

الدليل السادس عشر : قوله تعالى : ( ومن الناس من يعبد الله

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٧ (٢) سورة الكهف، الآية : ٢٠

على حرف فان أصابه خيرٌ اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين )[١] فأخبر تعالى أن من الناس من يعبد الله على حرف ، أي على طرف ـ ( فان أصابه خير) ـ أي نصر وعز وصحة وسعة وأمن وعافية ، ونحو ذلك ـ (اطمأن به) ـ أي ثبت وقال : هذا دين حسن ما رأينا فيه إلا خيراً ـ (وإن أصابته فتنة) ـ أي خوف ومرض وفقر ونحو ذلك ـ (انقلب على وجهه) أي ارتدَّ عن دينه ورجع إلى أهلِ الشرك .

فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة ، يعبدون الله على حرف ، أي على طرف ، ليسوا ممن يعبد الله على يقين وثبات ، فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم ، وأظهروا موافقة المشركين ، وأعطوهم الطاعة ، وخرجوا عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين ، فهم معهم في الآخرة ، كما هم معهم في الدنيا ، فخسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . هذا مع أن كثيراً منهم في عافية، ما آتاهم من عدو ، وإنما ساء ظنهم بالله ، فظنوا أنه يديل الباطل وأهله على الحق وأهله ، فأرداهم سوء ظنهم بالله ، كما قال تعالى فيمن ظن به ظن السوء : ( وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين )[٢] وأنت يامن منَّ الله عليه بالثبات على الاسلام ،

(١) سورة الحج ، الآية: ١١ (٢) سورة فصلت ، الآية : ٢٣

احذر أن يدخل في قلبك شيء من الريب، أو تحسين أمر هؤلاء المرتدين، أو أن موافقتهم للمشركين وإظهار طاعتهم رأي حسن، حذراً على الأنفس والأموال والمحارم، فإن هذه الشبهة هي التي أوقعت كثيراً من الأولين والآخرين في الشرك بالله، ولم يعذرهم الله بذلك، وإلا فكثير منهم يعرفون الحق، ويعتقدونه بقلوبهم، وإنما يدينون بالشرك للأعذار الثمانية التي ذكرها الله في كتابه، فلم يعذر بها أحداً ولا ببعضها، فقال: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)(١).

الدليل السابع عشر: قوله تعالى: (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم. ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم. فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم. ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)(٢) فذكر تعالى عن المرتدين على أدبارهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدوا على علم، ولم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة، وغرهم الشيطان

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤ (٢) سورة محمد، الآيات: ٢٥-٢٨

بتسويله، وتزيين ما ارتكبوه من الردّة؛ وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة، غرّهم الشيطان، وأوهمهم أنّ الخوف عذر لهم في الردّة، وأنهم بمعرفة الحق ومحبّته والشهادة به لا يضرّهم ما فعلوه، ونسوا أنّ كثيراً من المشركين يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به؛ ولكن يتركون متابعته والعمل به محبة الدنيا، وخوفاً على الأنفس والأموال، والمآكل والرئاسات.

ثم قال تعالى: (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر)[1] فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردّة، وتسويل الشيطان، وإملائه لهم، هو قولهم الذين كرهوا ما نزّل الله: سنطيعكم في بعض الأمر؛ فإذا كان من وعد المشركين الكارهين لما أنزل الله بطاعتهم في بعض الأمر كافراً، وإن لم يفعل ما وعدهم به؛ فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات، وأظهر أنهم على هدى، وأن أهل التوحيد مخطئون في قتالهم، وأن الصواب في مسالمتهم، والدخول في دينهم الباطل؟! فهؤلاء أولى بالردّة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم

(١) سورة محمد، الآية: ٢٦

في بعض الأمر، ثم أخبر عن حالهم الفظيع عند الموت، ثم قال: (ذلك) الأمر الفظيع عند الوفاة (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله، وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)[1]. ولا يستريب مسلم أن اتّباع المشركين، والدخول في جملتهم، والشهادة أنهم على حق، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله، ونصرة القباب والقحاب[2] واللواط، من اتّباع ما يسخطه الله، وكراهة رضوانه، وإن ادعوا أن ذلك لأجل الخوف، فإن الله ما عذر أهل الردة بالخوف من المشركين، بل نهى عن خوفهم فأين هذا ممن يقول: ما جرى منّا شيء ونحن على ديننا.

الدليل الثامن عشر: قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً، وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون)[3] فعقد تعالى الأخوّة بين المنافقين والكفار، وأخبر أنهم يقولون لهم في السر: (لئن أخرجتم لنخرجن معكم)[3]، أي لئن غلبكم محمد ﷺ وأخرجكم من بلادكم (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً)[3]؛ أي لا نسمع من أحد فيكم قولاً، ولا نطعي فيكم طاعة (وإن قوتلتم لننصرنكم)[3]؛ أي إن قاتلكم محمد ﷺ لننصرنكم ونكون معكم، ثم

(١) سورة محمد، الآية: ٢٨ (٢) جمع قحبة وهي المرأة البغي.
(٣) سورة الحشر، الآية: ١١

شهد تعالى أنهم كاذبون في هذا القول ، فإذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرهم، والخروج معهم إن أجلوا، نفاقاً وكفراً وإن كان كذباً ؛ فكيف بمن أظهر ذلك صادقاً ، وقدم عليهم ، ودخل في طاعتهم ، ودعا إليها ، ونصرهم وانقاد لهم ، وصار من جملتهم ، وأعانهم بالمال والرأي ؛ هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفاً من الدوائر ، كما قال تعالى : ( فترى الذين في قلوبهم مرضٌ يُسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة)[١].

فكذا حال كثير من المرتدين في هذه الفتنة ، فإنَّ عذر كثير منهم هو هـذا العذر الذي ذكره الله عن الذين في قلوبهم مرض ولم يعذرهم به . قال الله تعالى : ( فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين )[٢] ثم قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين )[٣] .

فأخبر تعالى أنه لا بد عند وجود المرتدين من وجود المحبين

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٢ (٢) سورة المائدة ، الآيتان : ٥٢ ، ٥٣
(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥٤

المحبوبين المجاهدين ، ووصفهم بالذلّة والتواضع للمؤمنين ، والعزّة والغلظة والشدة على الكافرين ، بضد من كان تواضعه وذلّه ولينه لعبّاد القباب ، وأهل القحاب واللواط ، وعزّته وغلظته على أهل التوحيد والاخلاص ؛ فكفى بهذا دليلاً على كفر من وافقهم وإن ادعى أنه خائف ، فقد قال تعالى : ( ولا يخافون لومة لائم )[1]. وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفاً من المشركين ، ثم قال تعالى : ( يجاهدون في سبيل الله )[1] أي في توحيده ، صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم لتكون كلمة الله هي العليا ، ولا يخافون لومة لائم ؛ أي لا يبالون عن لامهم وآذاهم في دينهم ، بل يعضون على دينهم ، يجاهدون فيه غير ملتفتين للوم أحد من الخلق ولا لسخطه ولا لرضاه ؛ إنما همهم[2] وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم ، والهرب من سخطه .

وهذا بخلاف من كانت همه[3] وغاية مطلوبه رضى عبّاد القباب ، وأهل القحاب واللواط ورجائهم ، والهرب مما يسخطهم ، فان هذا غاية الضلال والخذلان .

ثم قال تعالى : ( ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم )[1] ، فأخبر تعالى أن هذا الخير العظيم ، والصفات الحميدة لأهل

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٤ (٢) في الأصل : همتهم (٣) في الأصل : همته

الايمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن، ليس بحولهم ولا بقوتهم، وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ثم قال: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)[1]، فأخبر تعالى خبراً بمعنى الأمر بولاية الله ورسوله والمؤمنين ـ وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين. ولا يخفى أي الحزبين أقرب إلى الله ورسوله ـ وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. فالمتولي اضدهم، واضع للولاية في غير محلها، مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب. ثم أخبر تعالى أن الغلبة لحزبه ولمن تولاهم فقال: (ومن يتولّ الله ورسوله فإن حزب الله هم الغالبون)[2].

الدليل التاسع عشر: قوله تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)[3] الآية. فأخبر تعالى أنك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر يوادّ من حادّ الله ورسوله ولو كان أقرب

(١) سورة المائدة، الآية ٥٥ (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢

قريب ، وأن هذا مناف للإيمان ، مضادٌّ له ، لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار .

وقد قال تعالى في موضع آخر : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ) [١] . ففي هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر لأحد في الموافقة على الكفر خوفاً على الأموال والآباء والأبناء والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس، إذا كان لم يرخص لأحد في موادَّتهم ، واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفاً منهم ، وإيثاراً لمرضاتهم ، فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياء وأصحاباً ، وأظهر لهم الموافقة على دينهم خوفاً على بعض هذه الأمور ومحبة لها!! ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له ؛ فجمعوا مع الردَّة استحلال الحرام .

الدليل العشرون : قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوَّكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) إلى قوله : (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ) [٢] ، فأخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء، فقد ضل سواء السبيل ؛ أي أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عنه إلى الضلالة .

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٣ (٢) سورة الممتحنة ، الآية : ١

فأين هذا ممن يدّعي أنه على الصراط المستقيم، لم يخرج عنه ؟ فإن هذا تكذيب لله ، ومن كذَّب الله فهو كافر ، واستحلال لما حرَّم الله من ولاية الكفار، ومن استحلّ محرَّماً فهو كافر.

ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد فقال : ( لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير )[1] فلم يعذر تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد والخوف عليها ومشقة مفارقتها ، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة ، ولا تغني من عذاب الله شيئاً ، كما قال في الآية الأخرى : ( فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون )[2] .

الدليل الحادي والعشرون : من السنة ما رواه أبو داود وغيره ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي ﷺ أنه قال : « من جامع المشرك وسكن معه، فإنه مثله » . فجعل ﷺ في هذا الحديث من جامع المشرك ، أي اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم مثلهم ، فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم؟! فان قالوا : خفنا ؛ قيل لهم : كذبتم .

وأيضاً فليس الخوف بعذر ، كما قال تعالى :( ومن الناس من

(١) سورة الممتحنة ، الاية : ٣ (٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١٠١

يقول آمنّا بالله فاذا أُوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله )[١] فلم يعذر تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف ، فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف؟! وإنما جاؤوا إلى الباطل محبة له وخوفاً من الدوائر .

والأدلة على هذا كثيرة وفي هذا كفاية لمن أراد الله هدايته.

وأما من أراد الله فتنته وضلالته ، فكما قال تعالى : ( إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم)[٢].

ونسأل الله الكريم المنّان أن يحيينا مسلمين ، وأن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، برحمته وهو أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم آمين .

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ١٠ (٢) سورة يونس ، الآيتان : ٩٦ و ٩٧

# هذا كتاب

# بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك

جمع شيخنا الشيخ حمد بن علي بن عتيق النجدي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيّماً بلا اعوجاج ،وجعله عصمة لمن تمسك به واعتمد عليه في الاحتجاج ، وأوجب فيه مقاطعة أهل الشرك بإيضاح الشرعة والمنهاج، والصلاة والسلام على محمد الذي مزّق الله ظلام الشرك بما معه من السراج ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا أهل الكفر وباينوهم من غير امتزاج .

أما بعد ؛ فإني قد كنت تكلمت وشددت في النهي عن موالاة المشركين ، ودعوت من حولي من المسلمين إلى عداوة الكافرين . ثم كتبت في ذلك بعض الآيات الدالة عليه ،مع كلمات قليلة من كلام بعض المحققين من أهل العلم والدين ،وكنت أظن أن من قرأ القرآن ،

وآمن أنه كلام الله، وأن الله تعبَّدنا بالعمل به، والقيام، إذا سمع ذلك أذعن له وانقاد، وبادر إلى السمع والطاعة لحكمه، لقول الله تعالى: ( اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون )[1] وقال تعالى: ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً )[2]. وقال تعالى: ( فإما يأتينكم مني هدى فمن اتَّبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى )[3]. فحصل من بعض الجاهلين والمعاندين إنكار لذلك، وجحدوا لما أوجب الله الإقرار به والقيام، فصار المنتسبون إلى العلم المدَّعون أنهم من طلبته في ذلك على أقسام:

طائفة منهم استحسنت المعارضة الجاهلة الضالَّة ورضيتها، وإن لم تصرح بذلك، فإنه ظاهر على وجوهها.

وطائفة كرهت المعارضة، واستجهلت صاحبها، لكنها لم تفعل ما أوجب الله عليها من ردَ ذلك، والإنكار على سالكه، ولولا ما وقع لهؤلاء، لما كان المعارض مساوياً لمن يجاوبه.

---

(١) سورة الاعراف، الآية: ٣ (٢) سور النساء، الآية: ٦٥

(٣) سور طه، الآيات: ١٢٣-١٢٦

فلأجل ذلك كتب شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن رسالة مفيدة في الرد على هذا المعارض، نقض فيها أقواله نقضاً بديعاً، وهي كافية في الرد عليه، فصار شيخنا هو إمام الطائفة، الرادُّ لأقوال أهل الباطل المنكرة لها، والله ناصر دينه، ومظهره على الدين كله ولو كره الكافرون. ثم إني كتبت -إن شاء الله- كلمات فيها بيان لأشياء وقع الغلط فيها ممن ينتسب إلى العلم، لقول الله تعالى: ( إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون )[1]. وقوله تعالى: ( وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننَّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا بـه ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون )[2] منها وجوب معاداة الكفار والمشركين ومقاطعتهم ومنها مما يصير به الرجل مرتداً.

ومنها ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين، ويظهر الطاعة لهم ومنها مسألة إظهار الدين. ومنها مسألة الاستضعاف. ومنها وجوب الهجرة، وأنها باقية، وسميت هذا الكتاب « سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك » وأسأل الله تعالى أن يجعله مبنياً على الاخلاص، وأن ينفع به من قرأه طلباً للنجاة والخلاص.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٩  (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

# فصل

اعلم أن الله سبحانه وتعالى، بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، فبين للناس ما نزّل إليهم، فما من خير إلا دلهم عليه؛ وعرّفهم الطرق الموصلة إليه، وما من شر إلا حذرهم منه، وسدّ عليهم أبوابه المفضية إليه ومن أعظم ذلك أنه أخبرهم أن الاسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ.

وأخبرهم بظهور الفتن التي كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي كافراً ويصبح مؤمناً، يبيع دينه بعرض من الدنيا، فكان وقوع هذا لما وقع، هو وأمثاله من الأدلة على أنه رسول الله.

ومما أخبر به أن أمته تقاتل الترك، [و]وصفهم بأنهم صغار العيون، ذلف الأنوف، فكأن وجوههم المجان المطرقة. ومعنى ذلف الأنوف؛ أنها قصار مبطحة.

والمجان: جمع مجن، وهو الترس. أراد وجوههم مستديرة نائئة وجنتها. هذا معنى كلام البغوي في «شرح السنة» فكان من حكمة الله وعدله أن سلطهم...(١) لما ظهرت فيهم الملة الحنيفية، ودعوا إلى الطريقة المحمدية، ولكن حصل من بعضهم ذنوب بها تسلطت هذه

(١) هنا بياض في الأصل

الدولة الكفرية. فجرى ماهو ثابت في الأقدار الأزلية ، وإن كانت لا تجيزه الأحكام الشرعية . والله تعالى : ( لا يسئل عمّا يفعل وهم يسألون )(١) .

وامتحن أهل الاسلام بأمور تشبه ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في حادثة ظهور التتار في زمنه، وهم بادية الترك، فناسب أن نذكر بعض كلامه .

قال رحمه الله تعالى : فإن هذه الفتنة التي ابتلي بها المسلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الاسلام ، قد جرى فيها شبه عما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه ، وابتلى بها نبيه والمؤمنين ، مما هو أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً إلى يوم القيامة . فإن نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة محمد ﷺ ، تتناول عموم الخلق بالعموم اللفظي ، وبالعموم المعنوي وعهود الله في كتابه وسنته ، تتناول آخر هذه الأمة كما نالت أولها .

وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم ، لتكون عبرة لنا ، فنشبه حالنا بحالهم ، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها فيكون للمؤمن من المستأخرين شبه بما كان للمؤمن من المستقدمين ، ويكون

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٣

للكافر والمنافق من المستأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المستقدمين.

كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصَّلة، وأجمل ذكر قصص الأنبياء: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)[1] وقال لما ذكر قصة فرعون: (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى)[2] وقال في محاصرة بني النضير: (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) إلى قوله: (فاعتبروا يا أُولي الأبصار)[3].

فأمر أن نعتبر بأحوال المستقدمين علينا من هذه الأمة وممن قبلنا، وذكر في غير موضع؛ أن سنته في ذلك مطردة وعادة مستمرة، فقال تعالى: (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينَّك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً. ملعونين أينما ثقفوا أُخذوا وقتِّلوا تقتيلاً. سنَّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)[4] وقال تعالى: (ولو قاتلكم الذين كفروا لولَّوا الأدبار ثم لا يجدون وليًّا ولا نصيراً. سنَّة الله التي قد

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١ (٢) سورة النازعات، الآيتان: ٢٥و٢٦
(٣) سورة الحشر، الآية: ٢ (٤) سورة الاحزاب، الآيات. ٦٠-٦٢

خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً )[١] وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين ، كدأب الكافرين من المستقدمين .

فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده ودأب الأمم وعاداتهم، لاسيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرها، واستطار في جميع الديار شررها ، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه، وكشّر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه ، وكاد فيها عمود الكتاب أن يجتث ويخترم ، وحبل الإيمان أن ينقطع ويصطلم ، وعقير دار المؤمنين أن يحل بها البوار ، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار ، وظن : ( المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً)[٢] وأن لن ينقلب حزب الله ورسوله إلى أهليهم أبداً ، وزين ذلك في قلوبهم ، وظنوا ظن السَّوْء وكانوا قوماً بوراً .

ونزلت فتنة تركت الحليم حيراناً ، وأنزلت الرجل الصّادق منزلة السكران .

وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوساوس ليس بالنائم ولا اليقظان ، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان ، حتى إن الرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللهفان ، وميّز الله فيها أهل البصائر والإيقان من الذين في قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف إيمان . ورفع بها أقواماً

(١) سورة الفتح ، الآيتان : ٢٢و٢٣ (٢) سورة الاحزاب ، الآية : ١٢

إلى الدرجات العالية ، كما خفض بها أقواماً إلى المنزلة الهاوية ، وكفّ بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة ، وحدث من أنواع البلوى وما جعلها مختصرة من القيامة الكبرى .

فإن الناس تفرقوا فيها ما بين شقي وسعيد ، كما يتفرقوا كذلك في اليوم الموعود ، ولم ينفع المنفعة الخالصة من البلوى إلا الايمان والعمل الصالح ، والبر والتقوى ، وبليت فيها السرائر ؛ وظهرت الخبايا التي تكنها الضمائر ، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المآل ، وذم سادته وكبراءه من أطاعهم فأضلّوه السبيلا . كما حمد ربه من صدق في إيمانه واتخذ مع الرسول سبيلا . وبان صدق ما جاءت به الأخبار النبوية من الأخبار عما يكون ، وواطأتها قلوب الذين هم في هذه الأمة محدَّثون ، أي ملهمون كما تواطأت عليها المبشّرات التي أريها المؤمنون ، وتبين فيها الطائفة المنصورة الظاهرة ، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة ، حيث تحزب الناس ثلاثة أحزاب : حزب مجتهد في نصرة الدين ، وآخر خاذل له ، وآخر خارج عن شريعة الاسلام وانقسم الناس بين مأجور ومغرور ، وآخر قد غرّه بالله الغرور وكان هذا الامتحان تميزاً من الله وتقسيماً ( ليجزي الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو

يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيما )[١] .

قلت : وما ذكره من الافتتان قد رأينا ما هو نظيره ، أو أعظم منه في هذه الأزمان ، وكذلك انقسم الناس أقساماً .

أحدها : ناصر لدين الاسلام، وساعٍ في ذلك بكل جهده، وهم القليلون عدداً، الأعظمون عند الله أجراً .

القسم الثاني : خاذل لأهل الاسلام ، تارك لمواتهم .

القسم الثالث : خارج عن شريعة الاسلام بمظاهرة حزب المشركين ومناصحتهم . وقد روى الطبراني عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « من أعان صاحب باطل ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة نبيه »[٢] .

## فصل

وهذا أوان الشروع في المقصود، فأما معاداة الكفار والمشركين، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك ، وأكد إيجابه ، وحرم موالاتهم وشدد فيها ، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٢٤

(٢) رواه الطبراني في المعاجم الثلاثة ، وفي اسناد الكبير ، حنش ، وهو متروك . وفي اسناد الصغير والاوسط : سعيد بن رحمة وهو ضعيف .

ضده قال الله تعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون)(١).

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم ربهم، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضه، وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد التصديق إلا به والايقان بحقيقته، وتكذيبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والتكذيب، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله، إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

قال ابن كثير: وهذا الذي قاله حسن، فإن من الفساد في الأرض، اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء. كما قال تعالى: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)(٢). فقطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين، كما قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين)(٣) الآية وقوله: (إنما نحن مصلحون)(١) أي نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين، ونصالح مع هؤلاء وهؤلاء. يقول الله: (ألا إنهم هم المفسدون)(٤). يقول: ألا إن هذا الذي يعتمدون ويزعمون

(١) سورة البقرة، الآية: ١١ (٢) سورة الانفال، الآية: ٧٣
(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٤ (٤) سورة البقرة، الآية: ١٢

أنه إصلاح، هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون أنه فساد اهـ. وهذا الذي ذكره، قد والله سمعناه ورأينا أهله إذا قيل لهم: ما الحامل لكم على مجالسة أهل الشر والفساد؟ قالوا: نريد أن نصلح أحوالنا ونستخرج دنيانا منهم، ويكون [لنا] يد عندهم. وبعضهم إذا ظن بالله ظن السوء من [إيذاء] أهل الباطل، ورأى من له اتصال بهم، وتوصل إليهم، اتخذه صديقاً، ورضي به، قائلاً بلسان حاله: (نخشى أن تصيبنا دائرة)[1]. (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)[2] وقال تعالى: (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً)[3]. إلى قوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً)[4].

قال ابن كثير: ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين. يعني معهم في الحقيقة، يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة، ويقولون لهم إذا خلوا بهم: (إنا معكم إنما نحن مستهزؤون)[5]. أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة. قال الله تعالى منكراً عليهم فيما

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٢ (٢) سورة البقرة، الآية: ١٢

(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٣٨ و١٣٩ (٤) سورة النساء، الآية: ١٤٤

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤

سلكوه من موالاة الكافرين : ( أيبتغون عندهم العزة ) [١] .

ثم أخبر أن العزة كلها له وحده لا شريك له، ولمن جعلها له . كما قال تعالى في الآية الأخرى : ( من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً ) [٢]. وقال تعالى : ( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ) [٣] الآية .

والمقصود من هذا: التهييج على طلب العزة من جناب الله تعالى، والالتجاء إلى عبوديته ، والانتظام في جملة عبادة المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

قلت : فإذا كانت موالاة الكافرين من أفعال المنافقين . فهذا كاف في تحريمها والنهي عنها ، وقال تعالى ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ) [٤] . فنهى سبحانه المؤمنين عن موالاة الكافرين ، ثم قال : ( ومن يفعل ذلك ) [٤] أي ومن يوال الكافرين، فليس من الله في شيء ، أي فقد بريء من الله ، وبريء الله منه . وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، حفظاً للاسلام والتوحيد وقال تعالى : ( ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب

(١) سورة النساء ، الآية : ١٣٩
(٢) سورة فاطر ، الآية : ١٠
(٣) سورة المنافقون ، الآية : ٨
(٤) سورة آل عمران، الآية : ٢٨

هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون )(١) .

قال شيخ الاسلام: فبيَّن سبحانه [أن] الإيمان بالله والنبيّ وما أُنزل إليه، ملتزم بعدم ولايتهم . فثبوت ولايتهم يوجب عدم الايمان ، لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم .

قلت : رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه ، والخلود في العذاب ، وأخبر أن ولايتهم لا تحصل إلا ممن ليس بمؤمن ، وأما أهل الايمان بالله وكتابه ورسوله، فإنهم لا يوالونهم، بل يعادونهم ، كما أخبر الله عن إبراهيم والذين معه من المرسلين، كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى . وقال تعالى: ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين )(٢) . فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى .

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان : ٨٠ ، ٨١

(٢) سورة المائدة ، الآيتان : ٥١ ، ٥٢

وذكر أن من تولاهم فهو منهم. أي من تولى اليهود فهو يهودي، ومن تولى النصارى فهو نصراني.

وقد روى ابن أبي حاتم، عن محمد بن سيرين. قال: قال عبد الله بن عتبة، ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر. قال: فظنناه يريد هذه الآية: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) [١] إلى قوله: (فإنه منهم) [١] الآية.

وكذلك المشرك، فهو مشرك ومن تولى الأعاجم فهو أعجمي، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابين وغيرهم من الكفار.

ثم أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض، أي شك في الدين وشبهة، يسارعون في الكفر قائلين: (نخشى أن تصيبنا دائرة) [١]، أي إذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين. قالوا: نخشى أن تكون الدولة لهم في المستقبل، فيتسلطون علينا، فيأخذون أموالنا، ويشردوننا من بلداننا.

وهذا هو ظن السوء بالله الذي قال فيه: (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) [٢] ولهذا قال تعالى في هذه الآية: (فعسى الله أن يأتي بالفتح

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١ (٢) سورة الفتح، الآية: ٦

أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين )[١] .
وعسى من الله واجب الحمد لله الذي أتى بالفتح ، فأصبح أهل الظنون الفاسدة على ما أسروا في أنفسهم نادمين وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين )[٢] .
فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالاة أهل الكتابين وغيرهم من الكفار وبيّن أن موالاتهم تنافي الايمان . وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون . قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ اليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربّصوا حتى يأتيَ الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين )[٣] .
فنهى سبحانه وتعالى المؤمن عن موالاة أبيه وأخيه ـ اللذين هما أقرب الناس إليه ـ إذا كان دينهما غير الايمان ، وبيّن أن الذي يتولى أباه وأخاه إذا كانا كافرين فهو ظالم فكيف بمن تولى الكافرين الذين هم

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٢ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٧
(٣) سورة التوبة ، الآيتان : ٢٣و ٢٤

أعداءٌ له ولآبائه ولدينه؟! أفلا يكون هذا ظالم؟ بلى والله إنه لمن أظلم الظالمين.

ثم بيَّن تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذراً في موالاة الكافرين، فليس لأحد أن يواليهم خوفاً على أبيه، أو أخيه، أو بلاده، أو ماله، أو مشحته بعشيرته، أو مخافته على زوجاته، فان الله قد سدَّ على الخلق باب الأعذار بأن هذا ليس بمذر. فان قيل: قد قال كثير من المفسرين: إن هذه الآية نزلت في شأن الجهاد فالجواب من وجهين:

أحدهما أن نقول: إذا كانت هذه الثمانية، ليس بيانها عذراً في ترك الجهاد الذي هو فرض على الكفاية، فكونها لا تكون عذراً في ترك عداوة المشركين ومقاطعتهم بطريق الأولى.

الوجه الثاني: أنَّ الآية بنفسها دالة على ما ذكرنا. كما دلت على الجهاد، فانه قال: (أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله)(١). فمحبة الله ورسوله توجب إيثار عداوة المشركين ومقاطعتهم على هذه الثمانية، وتقديمها عليها. كما أن محبة الجهاد توجب إيثاره عليها، وبالله التوفيق.

وهذا إذا سمعه المنصف يكون [عنده] ظاهراً. وأما من أعمى الله بصيرته بسبب تعصبه، كما قال تعالى: (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون. ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم)(٢). وقال

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤ (٢) سورة يونس، الآيتان: ٩٦، ٩٧

تعالى: ( والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من وَلايتهم من شيء حتى يهاجروا )⁽¹⁾ . ثم قال : ( والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير )⁽²⁾ . فأخبر أن الكافرين إذا لم يوال بعضهم بعضاً بأن ينحازوا عن المسلمين ، ويقطعوا للمسلمين أيديهم منهم ، وإلا وقعت الفتنة والفساد الكبير ، فتبين أن موالاة المسلم للكافر سبب الافتتان في الدين ، بترك واجباته ، وارتكاب محرّماته، والخروج عن شرائعه ، وسبب الافتتان في الأديان والأبدان والأموال . فأين هذا من أقوال المفسدين⁽³⁾ : إن موالاة المشركين صلاح وعافية وسلامة . وقال تعالى : ( ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً )⁽⁴⁾ . فأخبر تعالى عن الكفار ، أنهم يودّون كفر المسلمين كما كفروا ، ثم نهى أهل الايمان عن موالاتهم حتى تحصل منهم الهجرة بعد الاسلام . وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم ،أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً

(١) سورة الانفال ، الآية : ٧٢ (٢) سورة الانفال ، الآية : ٧٢

(٣) في الأصل: من أقوال الفساد والمجبون (٤) سورة النساء ، الآية : ٨٩

في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل  إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون . لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قولَ إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير )[١] إلى قوله : ( إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون )[٢] . إلى قوله : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور )[٣].

وقد ثبت في « الصحاح » أن هذه السورة نزلت في رجل من الصحابة لما كتب إلى أهل مكة يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهم عام الفتح، فأنزل الله هذه الآيات يخبر [عن] هذا الكتاب .

(١) سورة الممتحنة ، الآيات : ١ـ٤ (٢) سورة الممتحنة ، الآية : ٩
(٣) سورة الممتحنة ، الآية : ١٣

وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في إثر المرأة التي ذهبت بالكتاب، فوجده في عقيصة رأسها، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ يعتذر ويحلف أنه ما شك، ولكنه ليس له من يحمي [من وراءه] من أهله بمكة، وأنه أراد بهذا يداً عند قريش، واستأذن بعض الصحابة في قتله. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ». فلولا أن ذلك الرجل كان من أهل بدر لقتل لهذا الكتاب.

في هذه السورة مع سبب نزولها، من الأدلة على وجوب عداوة الكفار ومقاطعتهم أدلة كثيرة، فنهى تعالى أهل الايمان عن اتخاذ عدوه وعدوهم. وهذا تهييج على عداوتهم، فإن عداوة المعادي لربك باعثة وداعية إلى عداوتك، ولنضرب لذلك مثلاً، ولله المثل الأعلى، فقدر نفسك مملوكاً لإنسان هو سيدك، والسبب في حصول مصالحك ومنع مضارك، وسيدك له عدو من الناس، فهل يصح عندك ويجوز في عقلك أن تتخذ عدو سيدك ولياً، ولو لم ينهك عن ذلك؟! فكيف إذا نهاك عن ذلك أشد النهي، ورتب على موالاتك له أن يعذبك، وأن يسخط عليك، وأن يوصل إليك ما تكره، ويمنع عنك ما تحب؟! فكيف إذا كان هذا العدو، لسيدك، وعدو لك؟! فاذا واليته مع ذلك كله، إنك إذاً لمن الظالمين الجاهلين.

ثم قال : ( تلقون إليهم بالمودة )[١] وهذا كاف في إبطال شبهة المشبهين . فانه إذا أنكر عليهم موالاة المشركين وموادتهم . قالوا : لم يصدر منا ذلك ، وهم مع ذلك يعينون أهل الباطل بأموالهم ، ويذبون عنهم بألسنتهم ، ويكاتبونهم بعورات المسلمين .

فأين هذا من الكتاب الذي نزلت فيه هذه السورة ؟ وقد سماه الله إلقاء بالمودة ، وهذا ظاهر جداً .

ثم قال : ( وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم ، أن تؤمنوا بالله ربكم )[١] فذكر ما يدعو إلى عداوتهم وهو كفرهم بالحق الذي جاء من عند الله ، وإخراجهم النبي ﷺ وأهل الاسلام لأجل الايمان بالله .

ثم حذر تعالى من موالاتهم بأنه يعلم السر والعلانية ، وهذا تهديد شديد .

ثم قال : ( ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل )[١] أي من يتولى أعداء الله ويلقي إليهم بالمودة ، ويسر إليهم ، فقد أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عن طريق الصواب

ثم قال : ( إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء )[٢] الآية . فبين

(١) سورة المتحنة ، الآية : ١ (٢) سورة المتحنة ، الآية : ٢

أنهم إن قدروا على المسلم واستولوا عليه، ساموه سوء العذاب، (ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم)[١] بالضرب والقتل، وبالكلام الغليظ. ولو كان يواليهم ويكاتبهم في حال بعده عنهم؛ فإنهم لا يرضون عنه و[لا] يسلمونه من شرهم، حتى يكون دينه دينهم ولهذا قال: (ووَدُّوا لو تكفرون)[١] كما قال: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتَّبع ملَّتهم)[٢].

ثم قال: (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة)[٣] الآية. فبيَّن أن كون الرجل له أرحام وأولاد عند المشركين، لا يبيح له موالاتهم، كما اعتذر هذا الرجل بأن له في مكة أرحاماً وأولاداً، فلم يعذره الله تعالى. فانه يجب على الانسان أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، ولا يحصل الايمان حتى يكون الرسول أحب إلى الانسان من ولده ووالده والناس أجمعين. فقوله: (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة)[٣] أي: لن ينجُّوكم من عذاب الله، فكيف تقدِّمونهم على مراد الله؛ ولأجلهم تولون أعداء الله! والله تعالى مطلع عليكم بصير بأقوالكم وأعمالكم ونياتكم.

ثم بيَّن أن هذا الذي دلهم عليه من موالاة المؤمنين، ونهاهم عنه

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٢ (٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠
(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٣

من موالاة الكافرين، ليس هو أمراً لهم وحدهم، بل هو الصراط المستقيم الذي عليه جميع المرسلين. فقال (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه)[1] من المرسلين (إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)[1] فقوله: (قد كانت لكم أسوة حسنة)[1] كقوله تعالى: (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً)[2].

فأمرنا سبحانه أن نتأسّى بإبراهيم الخليل ومن معه من المرسلين في قولهم لقومهم: (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله)[1] إلى آخره. وإذا كان هذا واجباً على المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم، فكونه واجباً مع الكفار الأبعدين عند المخالفين له في جميع الأمور أبين وأبين.

وهاهنا نكتة بديعة في قوله: (إنا برآء منكم ومما تعبدون من الله)[1] وهي أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله، على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله، لأن الأول أهم من الثاني، فانه قد يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها، فلا يكون آتياً بالواجب عليه. وأما إذا تبرأ من المشركين، فان هذا يستلزم البراءة

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤ (٢) سورة النحل، الآية: ١٢٣

من معبوداتهم . وهذا كقوله تعالى : ( وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألاّ أكون بدعاء ربي شقياً ) (١) . فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم ، وكذا قوله : ( فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ) (٢) وقوله : ( وإذِ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله ) (٣) . فعليك بهذه النكت ، فإنها تفتح باباً إلى عداوة أعداء الله . فكم من إنسان لا يقع منه الشرك ، ولكنه لا يعادي أهله ، فلايكون مسلماً بذلك إذا ترك دين جميع المرسلين (٤) .

ثم قال : ( كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) (٥) . فقوله: وبدل أي ظهر وبان، وتأمل تقديم العداوة على البغضاء ، لأن الأولى أهم من الثانية ، فان الانسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم ، فلا يكون آتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ولا بد أيضاً من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بينتين .

واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب ، فانها لا تنفع حتى تظهر آثارها ، وتتبين علامتها ، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة

(١) سورة مريم ، الآية : ٤٨ (٢) سورة مريم ، الآية : ٤٩
(٣) سورة الكهف ، الآية : ١٦
(٤) لأن دين جميع المرسلين، ترك الشرك، ومعاداة أهله .
(٥) سورة الممتحنة ، الآية : ٤

والمقاطعة ، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين . وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة ، فإن ذلك يدل على عدم البغضاء فعليك بتأمل هذا الموضع فإنه يجلو عنك شبهات كثيرة .

ثم قال : ( إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون )(١) . فذكر سبحانه وتعالى أفعالاً تدعو إلى مقاطعتهم، وترك موالاتهم وهي أنهم يقاتلون في الدين، أي من أجله ،يعني أن الدين حملهم على قتالكم ما أنتم عليه من الدين لعداوتهم ، وأيضاً يخرجون المؤمنين من ديارهم ، ويعاونون على إخراجهم ، فمن تولاهم مع ذلك فهو من أظلم الظالمين .

وفي هذه الآية أعظم الدليل وأوضح البرهان على أن موالاتهم محرّمة منافية للإيمان. وذلك انه قال : ( إنما ينهاكم الله )(١) فجمع بين لفظة إنما المفيدة للحصر ، وبين النهي الصريح ، وذكر الخصال الثلاث وضمير الحصر وهو لفظة هم .

ثم قال : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور )(٢) . فهي

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية : ٩ (٢) سورة الممتحنة ، الآية : ١٣

سبحانه أهل الايمان عن موالاة الذين غضب الله عليهم ، فلا يحسن من المؤمن ولا يجوز منه أن يوالي من فعل ما يغضب الله تعالى من الكفر ، فان موالاته له تنافي الايمان بالله تعالى .

## فصل

وههنا أمور يجب التنبيه عليها ، وتعيين الاعتناء بها ليتم لفاعلها مجانبة دين المشركين .

*الأمر الأول* : ترك اتباع أهوائهم ، وقد نهى الله تعالى عن اتباعها . قال تعالى : ( ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من وليٍّ ولا نصير )[1] .

قال شيخ الاسلام : فانظر كيف قال في الخبر ملتهم ، وقال في النهي : أهواءهم . لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً ، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير وقال تعالى لموسى وهارون : ( فاستقيما ولا تتبعانّ سبيل الذين لا يعلمون )[2] (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين )[3] وقال

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٠ (٢) سورة يونس ، الآية : ٨٩
(٣) سورة الاعراف ، الآية : ١٤٢

تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)[1] وقال تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)[2] إلى قوله: (ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك)[3] وقال تعالى: (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين. وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين)[4].

وقال شيخ الاسلام: فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً من بعضهم لبعض. ثم جعل محمداً ﷺ على شريعة شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون. وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته، وأهوائهم ما يهوونه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥ (٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٩ (٤) سورة الجاثية، الآيات: ١٦-١٩

قلت : فاذا كان اتباع أهوء جميع الكفار وسلوك ما يحبونه منهياً عنه وممنوعاً منه ، فهذا هو المطلوب . وماذاك إلا خوفاً من اتباعهم في أصل دينهم الباطل.

وقال تعالى: (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق )[1]

فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنزل كتابه حكماً عربياً، ثم [ذكر] توعده على اتباع أهواء الكفار بهذا الوعيد الشديد.

وقال تعالى:(ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون )[2] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب ترك أهواء الكافرين، وتحريم اتباعهم وأنه من أعظم الفوادح في الدين.

الأمر الثاني : معصيتهم فيما أمروا به ، فان الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين ، وأخبر أن المسلمين إن أطاعوهم ردوهم عن الايمان إلى الكفر والخسارة ، فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين )[3] وقال تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣٧ (٢) سورة الانعام ، الآية : ١٥٠

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٠٠

فرطاً )[١] وقال تعالى: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون )[٢] وقال تعالى : ( وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون )[٣] وقال تعالى : ( ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً )[٤] وقال تعالى : ( يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم )[٥] وقال تعالى : ( يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً )[٦] وقال تعالى إخباراً عمن أطاع رؤساء الكفر : ( وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا )[٧] وقال تعالى : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون )[٨] .

وفسر النبي ﷺ اتخاذهم أرباباً أنها طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام ، فاذا كان من أطاع الأحبار وهم العلماء والرهبان ، وهم العباد في ذلك ، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ، فمن أطاع الجهال

(١) سورة الكهف ، الآية : ٢٨
(٢) سورة الانعام ، الآية : ١٢١
(٣) سورة الانعام ، الآية : ١١٦
(٤) سورة الفرقان، الآيتان : ٥١، ٥٢
(٥) سورة التوبة ، الآية : ٧٣
(٦) سورة الاحزاب ، الآية : ١
(٧) سورة الاحزاب ، الآية : ٦٧
(٨) سورة التوبة ، الآية : ٣١

والفسّاق في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرّم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ؛ بل ذلك أولى وأحرى

الأمر الثالث : ترك الركون إلى الكفرة والظالمين

وقد نهى الله عن ذلك . فقال : ( ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون )[١] فنهى سبحانه وتعالى عن الركون إلى الظلمة ، وتوعّد على ذلك بمسيس النار ، وعدم النّصر ، والشرك وهو أعظم أنواع الظلم كما قال تعالى: ( إن الشرك لظلم عظيم )[٢] فمن ركن إلى أهل الشرك ، أي مال إليهم ورضي بشيء من أعمالهم ، فانه مستحق لأن يعذبه الله بالنار ، وأن يخذله في الدنيا والآخرة

وقال تعالى : ( ولولا أن ثبّتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً . إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً )[٣] فأخبر سبحانه وتعالى أنه لولا تثبيته لرسوله ﷺ ، لركن إلى المشركين شيئاً قليلاً ، وأنه لو ركن إليهم لأذاقه عذاب الدنيا والآخرة مضاعفاً، ولكن الله ثبّته فلم يركن إليهم، بل عاداهم وقطع

---

(١) سورة هود ، الآية : ١١٣ (٢) سورة لقمان ، الآية : ١٣

(٣) سورة الاسراء ، الآيتان : ٧٤،٧٥

اليد منهم ، ولكن إذا كان الخطاب للنبي ﷺ مع عصمته ، فغيره أولى بلحوق هذا الوعيد به .

*الأمر الرابع* : ترك موادّة أعداء الله . قال الله تعالى ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم )[١] .

قال شيخ الاسلام : فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن يوادّ من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، ولا يوجد مؤمن يوادّ كافراً ، فمن وادّ كافراً فليس بمؤمن .

قلت : فاذا كان الله قد نفى الايمان عمن وادّ أباه وأخاه وعشيرته إذا كانوا محادّين الله ورسوله ، فمن وادّ الكفار الأبعدين عنه ، فهو أولى بأن لا يكون مؤمناً .

*الأمر الخامس* : ترك التشبه بالكفار في الأفعال الظاهرة، لأنها تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن ، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر ، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة ، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة ، كان بينهما من المودّة والائتلاف أمر عظيم . وإن كانا في مصرهما ، لم يكونا

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢

متعارفين، أو كانا متهاجرين، وذلك لأن الاشتراك نوع وصف، به اختصاص عن بلد الغربة. بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد غريب، فكانت بينهما مشابهة في العمامة، أو الثياب، أو الشعر، أو المركب، ونحو ذلك، لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما، وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضاً ما لا يألفون غيرهم، حتى إن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة، أمّا على الدين، تجد الملوك من الرؤساء وإن تباعدت ديارهم وممالكهم، بينهم مناسبة تورث مشابهة وحماية من بعضهم لبعض، وهذا كله موجب الطباع ومقتضاها، إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض حاضر، فاذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة لهم، فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟! فان إفضاءها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد. هذا كلام شيخ الاسلام ابن تيمية.

قلت: فاذا كانت مشابهة الكفار في الأفعال الظاهرة إنما نهي عنها لأنها وسيلة وسبب يفضي إلى موالاتهم ومحبتهم بالنهي عن هذه الغاية، والمحذور أشد، والمنع منه وتحريمه أوكد، وهذا هو المطلوب، ذكر بعض الدليل على النهي عن مشابهة الكفار والمشركين. روى أبو داود في «سننه» عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من

تشبه بقوم فهو منهم » . قال شيخ الاسلام وإسناده جيد . وأقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم ، كما في قوله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)[1] . وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال : من بنى بأرض المشركين ، وصنع نيروزهم، ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت، حشر معهم يوم القيامة .

وقد ثبت عن عائشة أنها كرهت الاختصار في الصلاة ، وقالت : لا تشبهوا باليهود .

وروى البيهقي باسناد صحيح عن عمرو بن دينار ، قال : قال عمر ابن الخطاب : لا تعلّموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم ، فان السخط ينزل عليهم .

وورد[2] باسناد صحيح عن أبي أسامة ، قال : حدثنا عوف عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : من بنى ببلاد الأعاجم فصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك ، حشر معهم يوم القيامة

فهذا عمر نهى عن تعلّم لسانهم،وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم ؛ فكيف [عن] يفعل بعض أفعالهم، أو فعل ما هو من مقتضيات

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ (٢) في الأصل: وروي

دينهم؟! أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة؟ أوليس عمل بعض أعمالهم، أي أعمال عيدهم أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم؟! وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم، فمن يشركهم في العمل أو بعضه، أليس قد تعرض إلى العقوبة؟

وأما عبد الله بن عمرو، فصرح: أنه من بنى ببلادهم، وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت، حشر معهم وهذا يقتضي أنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار، وإن كان الأول ظاهر لفظه، فتكون المشاركة في بعض ذلك معصية، لأنه لو لم يكن مؤثراً في استحقاق العقوبة لم يجز جعله جزءاً من المقتضى، إذ المباح لا يعاقب عليه، وليس الذم على بعض ذلك مشروطاً ببعض، إلا أن أبعاض ما ذكره يقتضي الذم منفرداً.

وعن عمرو بن ميمون الأودي[1]، قال: قال عمر رضي الله عنه: كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشرق ثبير كيما نغير فخالفهم النبي ﷺ، وأفاض قبل طلوع الشمس. وقد روي في هذا الحديث فيما أظنه أنه قال: «خالف هدينا هدي المشركين» وكذلك كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب الشمس، فخالفهم النبي ﷺ، فالإفاضة بعد الغروب.

وعن عبد الله بن عمرو، قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين

(١) في الأصل: الأرزي، وقال فيه: لعله الأزدي، وما أثبتناه هو الثابت في كتب الرجال.

معصفرين ، قال : « إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها » رواه مسلم ، نهى عن لبسها بأنها من ثياب الكفار

وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عتبة بن فرقد : وإياك وزيّ أهل الشرك ، وهو في « الصحيحين » .

وروى الخلال عن محمد بن سيرين : أن حذيفة أتى بيتاً ، فرأى فيه شيئاً من زيّ العجم ، فخرج وقال : من تشبّه بقوم فهو منهم .

وقال علي بن أبي صالح السواق : كنا في وليمة ، فجاء أحمد بن حنبل ، فلما دخل نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة ، فخرج ، فلحقه صاحب الدار ، فنفض يده في وجهه وقال: زيُّ المجوس، زي المجوس؟!

وعن قيس بن أبي حازم ، قال: دخل أبو بكر رضي الله عنه على امرأة من أحمس يقال لها : زينب ، فرآها لا تتكلم فقال : ما لها لا تتكلم ؟ فقالوا حجة مصمتة فقال لها : تكلمي فان هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت : من أنت ؟ قال : امرؤٌ من المهاجرين . قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قريش قالت: من أي قريش ؟ قال : إنك لسؤول ، أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت لكم أئمتكم . قالت وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومكم رؤساء وأشراف[1] يأمرونهم

(١) في الأصل : أشرافاً .

فيطيعونهم ؟ قالت : بلى . قال : فهم أولئك على الناس . رواه البخاري في « صحيحه » .

فأخبر أبو بكر رضي الله عنه : أن الصمت المطلق لا يحل ، وعقب ذلك بقوله : هذا من عمل الجاهلية ، قاصداً بذلك عيب هذا العمل وذمَّه وتعقيب الحكم بالوصف دليل على أن الوصف علة ، فدل على أن كونه من عمل الجاهلية ، وصف يوجب النهي عنه ، والمنع منه .

وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى المسلمين المقيمين ببلاد فارس : إياكم وزيّ أهل الشرك .

وهذا النهي منه للمسلمين من كل ما كان من زيّ المشركين ، وفي كتابه إلى عتبة بن فرقد : إياكم والتنعم ، وزيّ أهل الشرك ، ولبوس الحرير .

وروى أحمد في « المسند » أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال حماد بن سلمة : فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال : سمعت عمر رضي الله عنه يقول لكعب : أين ترى أن أصلي ؟ قال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر رضي الله عنه : ضاهيت اليهودية ، لا ، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم

جاء فبسط رداءه ، فكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناسُ .
فعاب رضي الله عنه على كعب مضاهاة اليهود ، أي مشابهتها في مجرد استقبال الصخرة ، لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة باقية ، وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلي إليها .

وقد كان لعمر رضي الله عنه في هذا الباب من السياسات المحكمة ، ما هي مناسبة لسائر سيرته المرضية ، فإنه رضي الله عنه هو الذي استحالت ذنوب الاسلام في يده غرباً ، فلم يفر عبقري فريه حتى صدر الناس بعطن ، فأعزّ الاسلام ، وأذل الكفر وأهله ، وأقام شعار الدين الحنيفي ، ومنع من كل أمر فيه تذرع إلى نقض عرى الاسلام ، مطيعاً في ذلك لله ولرسوله ، وقّافاً عند كتاب الله ، ممتثلاً لسنة رسول الله ﷺ ، محتذياً حذو صاحبه ، مشاوراً في أموره السابقين الأولين ، حتى إن العمدة في الشروط على أهل الكتاب على شروطه ، وحتى منع من استعمال كافر ، وائتمانه على الأمة ، وإعزازه بعد إذلاله ، أي [بعد أن] أذله الله .

وحتى روي أنه حرق الكتب العجمية ، وهو الذي أمر بأهل البدع أن ينفوا ، وألزمهم ثوب الصغار .

وروى الخلال عن عكرمة عن ابن عباس أنه سأل رجل : أأحتقن . قال : لا تبد العورة ولا تستنّ بسنة المشركين .

فقوله: لا تستنّ بسنة المشركين عام.

وروى أبو داود عن أنس، أنه دخل عليه غلام وله قرنان، أو قصتان فقال: احلقوا هذين أو قصوهما، فان هذا زيّ اليهود. علل النهي عنهما بأن ذلك زيّ اليهود، وتعليل النهي بعلة يوجب أن تكون العلة مكروهة، مطلوباً عدمها. نقل ذلك شيخ الاسلام، وقال أيضاً عند قوله ﷺ: «هل بها عيد من أعياد الجاهلية؟».

وهذا نهي شديد عن أن يُفعل شيء من أعياد الجاهلية على أي وجه كان. وأعياد الكفار من الكتابيين والأميين في دين الاسلام من جنس واحد، كما أن كفر الطائفتين سواء في التحريم، وإن كان بعضه أشد تحريماً؛ وإذا كان الشارع قد حسم مادة أعياد أهل الأوثان خشية تدنس المسلم بشيء من أمر الكفار الذين يئس الشيطان أن يقيم أمرهم في جزيرة العرب، فالخشية من تدنسه بأوضاع الكتابيين الباقين أشد، والنهي عنه أوكد، إلى أن قال: وقد بالغ ﷺ في أمر أمته بمخالفتهم في كثير من المباحات وصفات الطاعات، لئلا يكون ذريعة إلى موافقتهم في غير ذلك من أمورهم، ولتكون المخالفة في ذلك حاجزاً ومانعاً عن سائر أمورهم، كلما كثرت المخالفة بينك وبين أهل الجحيم، كان أبعد عن أعمال أهل الجحيم.

فليس بعد حرصه ﷺ على أمته، ونصحه لهم غاية، وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

قلت: فاذا كانت مبالغته ﷺ في أمر أمته بمخالفة الكفار، إنما هي خوفاً من أن تكون مشابهتهم في الهدي الظاهر مؤدّية وجارّة إلى الموافقة والموالاة، فما بال كثير ممن يدعي الاسلام قد وقع في المحذور بعينه، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعاً؟!

وروى أبو داود في « سننه » وغيره من حديث هشيم، أخبرنا أبو بشر، عن أبي عمير بن أنس، عن عمومة له من الأنصار، قال: اهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم [للصلاة] كيف يجمع الناس لها؟ فذكروا له شبّور اليهود، فلم يعجبه ذلك وقال: « هو من أمر اليهود » قال: فذكروا له الناقوس، فقال: « هو من أمر النصارى ». الحديث.

قال في « القاموس »: شبّور كتنور: البوق الذي ينفخ فيه ويزمر انتهى.

والغرض أنه صلى الله عليه وآله وسلم، لما ذكر بوق اليهود المنفوخ بالفم، وناقوس النصارى المضروب باليد، علل هـذا بأنه من أمر اليهود، وعلل هذا بأنه من أمر النصارى، لأن ذكر الوصف عقب الحكم يدل على أنه علة له.

وهذا يقتضي نهيه عما هو من أمر اليهود والنصارى ويقتضي

كراهة هذا النوع من الأصوات مطلقاً في غير الصلاة أيضاً ، لأنه من أمر اليهود والنصارى . فالنصارى يضربون بالنواقيس في أوقات متعددة ، غير أوقات عباداتهم ، وإنما شعار الدين الحنيف الأذان المتضمن للإعلان بذكر الله سبحانه وتعالى ، الذي به تفتح أبواب السماء ، وتهرب الشياطين ، وبه تنزل الرحمة . وقد ابتلي كثير من هذه الأمة من الملوك وغيرهم بهذا الشعار اليهودي والنصراني ، وهذه المشابهة لليهود والنصارى والأعاجم من أهل الشرك والفرس ، لما غلب على ملوك المشرق، هي وأمثالها مما خالفوا به هدي المسلمين ،ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله ، سلط عليهم أهل الشرك الموعود بقتالهم ، حتى فعلوا في العباد والبلاد ما لم يجر في دولة الإسلام مثله . وذلك تصديق قوله ﷺ : « لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم » . انتهى من «الاقتضاء» وكما وقع من العقوبة على مخالفة هدي المسلمين بتسليط أهل الشرك على ما ذكره شيخ الاسلام، وقع نظيره في هذه الأزمان فإن المنتسبين إلى الإسلام لما سلكوا كثيراً من هدي اليهود والنصارى ، وأهل الجاهلية المشركين والأعاجم ، أعداء الله ، وتشبّهوا بهم في كثير من الأمور ، سلّط عليهم أهل الشرك ، الخارجون عن شرائع الاسلام ، فجرى على الاسلام محن عظيمة وأمور كبيرة ، حتى إنهم

يذلون الرئيس ، ويمتهنون الشيخ الكبير ، ولا يرحمون العاجز ، ولا الضعيف ، فأفسدوا الأديان ، وخربوا البلدان ، وأهانوا الأبدان ، وذلك بحكمة الديان ، عقوبة على الظلم والعصيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان ولكن من رحمة الله تعالى أن الحق لا يزول ، ويأبى الله إلا إظهار دين الرسول : ( يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون )[1] .

فإذا محّص الله أهل الايمان ، وانتهى ما عاقبهم به على العصيان ، وشمخت أنوف أهل الفساد والكفران ، وظنوا أن الدولة لهم في غابر الأزمان ؛ أظهر الله عليهم شمس الايمان والاسلام ، فمزّقهم بها في أقرب أوان ، وشرّدهم إلى أقصى البلدان.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

والله ناصر دينه وكتابه ورسوله في سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حزبه ذا حكمه مذ كانت الفئتان

وقال أيضاً :

والحق منصور وممتحن فلا تعجب فهذي سنة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حزبه ولأجل ذاك الناس طائفتان

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٣٢و٣٣

وقال شيخ الاسلام في الكلام على شروط أهل الذمة : وذلك يقتضي إجماع المسلمين عن التميز عن الكفار ظاهراً ، وترك التشبه بهم ولقد كان أمراء الهدي مثل العمرين وغيرهما يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود .

وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني أن عمر رضي الله عنه كتب أن : لا تكاتبوا أهل الذمة فتجري بينكم وبينهم المودة ، ولا تكنوهم ، وأذلوهم ، ولا تظلموهم . ثم قال : ومن جملة الشروط ما يعود باخفاء منكرات دينهم ، وترك إظهارها ، ومنها ما يعود باخفاء شعار دينهم . فاتفق عمر رضي الله عنه ، والمسلمون معه ، وسائر العلماء ، وبعدهم من وفقه الله عز وجل من ولاة الأمر ، على منعهم من أن يظهروا في الاسلام شيئاً مما يختصمون به مبالغة في أن لا يظهر في دار الاسلام خصائص المشركين ؟ فكيف إذا عملها المسلمون وأظهروها ؟!

ومنها ما يعود بترك إكرامهم وإلزامهم الصغار الذي شرعه الله تعالى . ومن المعلوم أن تعظيم أعيادهم ونحوها بالموافقة ، فيها نوع من نوع إكرامهم ، فانهم يفرحون بذلك ويسرون به ، كما يغتمون باهمال أمر دينهم الباطل .

قال الشيخ أيضاً وقال تعالى : ( إن الذين فرقوا دينهم وكانوا

شيعاً لست منهم في شيء)(١) وذلك يقتضي تبرّيه منهم في جميع الأشياء، ومن تابع غيره في بعض أموره فهو منه في ذلك الأمر لأن قول القائل: أنا من هذا وهذا مني. أي أنا من نوعه وهو من نوعي. لأن الشخصين لا يتحدان إلا بالنوع، كما في قوله: (بعضهم من بعض)(٢)، وقوله عليه السلام لعلي: «أنت مني وأنا منك». وقول القائل: لست من هذا في شيء، أنا متبرّئ من جميع أموره، وإذا كان الله ورسوله قد برئ من جميع أمورهم، فمن كان متابعاً لرسوله ﷺ حقيقة كان متبرئاً لتبريه ومن كان موافقهم كان مخالفاً للرسول ﷺ بقدر موافقته فإن الشخصين المختلفين من كل وجه، كلما شابه أحدهما خالفه الآخر.

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)(٣) الآية.

وقال تعالى: (ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم)(٤). يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود، إلى قوله: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر)(٥) إلى آخر السورة.

وقال تعالى: (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩٥

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٧، وأولها: (المنافقون والمنافقات.. )

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥١ (٤) سورة المجادلة، الآية: ١٤

(٥) سورة المجادلة، الآية: ٢٢

وأنفسهم في سبيل الله والذين آوَوا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض )[١] إلى آخر السورة ، فعقد سبحانه وتعالى الموالاة بين المهاجرين والأنصار ، وبين من آمن منهم وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والجهاد باق إلى يوم القيامة . وقال تعالى : ( إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا )[٢] الآيتين. ونظائر هذا في غير موضع من القرآن . يأمركم سبحانه بموالاة المؤمنين حقاً ، الذين هم حزبه وجنده ، ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكفار ولا يوادونهم . والموالاة والمودة وإن كانت متعلقة بالقلب ، لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين . ومباينتهم ومشاركتهم في الظاهر ، إن لم تكن ذريعة أو سبباً قريباً أو بعيداً إلى نوعٍ ما من الموالاة والمودة، فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة، مع أنها تدعو إلى نوعٍ ما من المواصلة كما تحب الطبيعة ، وتدل عليه العادة . ولهذا كان السلف رضي الله عنهم ، يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات .

فروى الإمام أحمد باسناد صحيح ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قلت لعمر رضي الله عنه : إن لي كاتباً نصرانياً . قال لي : مالك؟! قاتلك الله، أما سمعت الله يقول : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود

(١) سورة الانفال ، الآية : ٧٢ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٥

والنصارى أولياء )[١] ألا اتخذت حنيفاً؟ ! قال: قلت يا أمير المؤمنين لي كتابته، وله دينه. قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله. وكما دلّ عليه معنى الكتاب، جاءت سنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين التي أجمع الفقهاء عليها بمخالفتهم، وترك التشبه بهم، ففي « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم ». أمر بمخالفتهم، وذلك يقتضي أن يكون جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً للشارع، لأنه إن كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود، وإن كان الأمر بالمخالفة في الشعر فقط، فهو لأجل ما فيه من المخالفة. فالمخالفة إما علة مفردة، أو علة أخرى، أو بعض علة، وعلى التقديرات تكون مأموراً بها، مطلوبة من الشارع. فقال تعالى: ( والذين لا يشهدون الزور )[٢]. قال الضحاك: الزور: عيد المشركين. رواه أبو الشيخ باسناده. وباسناده عنه، الزور: كلام الشرك وباسناده عن مرّة، لا يمالؤون أهل الشرك على شركهم، ولا يخالطونهم، وباسناده عن عطاء بن يسار، قال: قال عمر: إياكم ورطانة الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم. وقول هؤلاء

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١ (٢) سورة الفرقان، الآية. ٧٢

التابعين: إنه أعياد الكفار، ليس مخالفاً لقول بعضهم: إنه شرك أو صنم كان في الجاهلية، ولقول بعضهم: إنه مجالس الخنا، وقول بعضهم: إنه الغناء، لأن عادة السلف في تفسيرهم، هكذا يذكر الرجل نوعاً من أنواع المسمى للحاجة المستمع [إليها]، أو للتنبيه على الجنس. ووجه تفسير التابعين تارة بما يظهر حسنه لشبهة، أو لشهوة، فالشرك ونحوه يظهر حسنه لشبهة، والغنى ونحوه يظهر حسنه لشهوة وأما أعياد المشركين فجمعت الشبهة والشهوة، وهي باطلة، إذ لا منفعة فيها في الدين، وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها إلى ألم، فصارت زوراً، وشهودها حضوراً. وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذي هو مجرد الحضور برؤية أو سماع، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور لا مجرد شهوده؟!

واعلم أنا لو لم نعلم أن موافقتهم قد أفضت إلى هذه القبائح، [لما وافقت] الطباع عليه، وأوفق استدلال [على ذلك] بأن أصول الشريعة توجب النهي عن هذه الذريعة[1]. فكيف وقد رأيناه من المنكرات التي أفضت إليها المشابهة ما قد يوجب الخروج عن الاسلام بالكلية؟! وسرُّ هذا أن المشابهة تفضي إلى كفر أو معصية غالباً، أو تفضي إليهما في الجملة، وما أفضى إلى ذلك كان محرَّماً.

(١) لم يكن الأصل واضحاً، وكان فيه بياض، فتصرفنا فيه بما يناسب المعنى.

فهذا بعض ما جاء من الأدلة في النهي عن مشابهة المشركين والكفار ، ولكن رحم الله من تنبه لسرّ الذي سبق الكلام لأجله ، وهو أن المشابهة في الظاهر إنما نهي عنها لأنها لا تورث نوع مودة وموالاة في الباطن ، وتفضي أيضاً إلى كفر أو معصية ، وهذا هو السبب في تحريمها والنهي عنها . فاذا علمت ذلك ، وتبين لك ما وقع فيه كثير من الناس أو أكثرهم من موالاة الكفار والمشركين ، التي إنما نهي عن هذه الأمور خوفاً من الوقوع فيها ، تبين لك أنهم وقعوا في نفس المحذور ، وتوسطوا مفازة المهلكة ، والله الهادي إلى سواء الصراط . .

# فصل

في ذكر جوابات عن إيرادات أوردها بعض المسلمين على أولاد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، فأجابوا عنها رحمهم الله وعفا عنهم فمن ذلك : ما قولكم في رجل دخل هذا الدين وأحبه ، لكن لا يعادي المشركين ، أو عاداهم ولم يكفرهم ، أو قال : أنا مسلم ولكن [لا أستطيع أن] أكفر أهل لا إله إلا الله ولو لم يعرفوا معناها ؟ ورجل دخل هذا الدين وأحبه ، ولكن يقول : لا أتعرض القباب ، وأعلم أنها لا تنفع ولا تضر ولكن لا أتعرضها ؟

فالجواب: إن الرجل لايكون مسلماً إلا إذا عرف التوحيد، ودان به، وعمل بموجبه، وصدّق الرسول ﷺ فيما أخبر به، وأطاعه فيما نهى عنه وأمر به، وآمن به وبما جاء به. فمن قال: لاأعادي المشركين، أو عاداهم ولم يكفرهم. أو قال: لاأتعرض أهل لاإله إلا الله ولو فعلوا الكفر والشرك، وعادوا دين الله. أو قال: لاأتعرض القباب، فهذا لايكون مسلماً، بل هو ممن قال الله: (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً)[1]. والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين، ومنابذتهم وتكفيرهم. فقال: (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)[2]. وقال تعالى: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدي القوم الظالمين)[3]. وقال تعالى: (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول)[4] الآيات. والله أعلم.

نقل من جواب الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ و١٥١
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥١
(٤) سورة الممتحنة، الآية: ١

وأخيه عبد الله ، وفي أجوبة أخرى، ما قولكم في الموالاة والمعاداة هل هي من معنى لا إله إلا الله ، أو من لوازمها؟

الجواب أن يقال والله أعلم: حسب المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم وواجب عليهم محبة المؤمنين وموالاتهم .

وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الإيمان عمن يوادّ من حادّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم .

وأما كون ذلك من معنى لا إله إلا الله ، أو من لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وإنما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك وأوجبه ، وأوجب العمل به ، فهذا الفرض والحتم الذي لا شك فيه ، ومن عرف أن ذلك من معناها أو من لوازمها، فهو حسن وزيادة خير ، ومن لم يعرف فلم يكلف بمعرفته ؛ لا سيما إذا كان الجدال في ذلك والمنازعة فيه مما يفضي إلى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين، الذين قاموا بواجبات الايمان ، وجاهدوا في الله ، وعادوا المشركين ، ووالوا المسلمين ، والسكوت عن ذلك متعين . وهذا ما ظهر لي على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى ، والله أعلم

فهذه بعض الأدلة الدالة على وجوب مقاطعة الكفار والمشركين، وهي المسألة الأولى.

وأما المسألة الثانية وهي: الأشياء التي يصير بها المسلم مرتداً: فأحدها: الشرك بالله تعالى، وهو أن يجعل لله نداً من مخلوقاته، يُدعى كما يدعى الله، ويُخاف كما يخاف الله؛ أو يتوكل عليه كما يتوكل على الله، أو يصرف له شيئاً من عبادات. فاذا فعل ذلك كفر وخرج من الاسلام، وإن صام النهار وقام الليل. والدليل على ذلك قول الله تعالى: (وإذا مس الانسان ضرٌّ دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوّله نعمةً منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار) (١).

وقوله تعالى: (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) (٢).

وغير ذلك من الآيات الدالة على أن من أشرك مع الله تعالى في عبادته مخلوقاً من المخلوقين، فقد كفر وخرج من الاسلام، وحبطت أعماله. كما قال الله تعالى: (ولو أشركوا لحبط ما كانوا يعملون) (٣).

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٨ (٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٨

الثاني : إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم والدليل قوله تعالى : ( إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم . فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم . ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم )[١] .

وذكر الفقيه سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه المسألة عشرين آية من كتاب الله ، وحديثاً عن رسول الله ﷺ ، استدل بها أن المسلم إذا أظهر الطاعة والموافقة للمشركين من غير إكراه ، أنه يكون بذلك مرتداً خارجاً من الاسلام . وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله، ويفعل الأركان الخمسة أن ذلك لا ينفعه[٢] .

وقال شيخ الاسلام المذكور إمام هذه الدعوة الحنيفية في كلامه على آخر سورة (الزمر) . الثانية : أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر كفر ولو كان باطنه يعتقد الايمان ، فانهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته . ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الاسلام

---

(١) سورة محمد ، الآيات : ٢٥-٢٨

(٢) انظر رسالة «أوثق عرى الايمان» صفحة ١٥٨ .

في إظهار الموافقة للمشركين خوفاً منهم، ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارهاً له... إلى أن قال: الثالثة: أن الذي يكفر به المسلم، ليس هو عقيدة القلب خاصة، فان هؤلاء الذين ذكرهم الله، لم يريدوا منه ﷺ تغيير العقيدة كما تقدم، بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله، مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم، فهذا كافر، لا من أكره... إلى أن قال: ولكن رحم الله من تنبـّه لسر الكلام وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات، من كون المسلم يوافقهم في شيء من دينهم الظاهر، مع كون القلب بخلاف ذلك، فان هذا هو الذي أرادوه من النبي ﷺ، فافهمه فهماً حسناً، لعلك تعرف شيئاً من دين إبراهيم عليه السلام، باداً أباه وقومه بالعداوة عنده، وقال في سورة (الكهف).

التاسعة: المسألة المشكلة على أكثر الناس، أنه إذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمناً حقاً كارهاً لموافقتهم، فقد كذب في قول: لا إله إلا الله، واتخذ إلهين اثنين، وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها!.

العاشرة: أنه لو يصدر منهم، أعني موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم مع كراهتهم لذلك، فهو قوله شطط، والشطط: الكفر.

واعلم أن إظهار الموافقة والطاعة للمشركين له أحوال ستأتي في المسألة الثالثة إن شاء الله تعالى.

**الأمر الثالث** مما يصير به المسلم مرتداً ، موالاة المشركين والدليل قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين )(١) وقوله تعالى : ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء )(٢) فذكر في الآية الأولى : أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم ، وظاهره أن من تولاهم فهو كافر مثلهم . ذكر معناه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وقد تقدم قول عبد الله بن عتبة عند قوله : ( ومن يتولهم منكم فإنه منهم )(١) : ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر . وقال ابن جرير في قوله : ( فليس من الله في شيء )(٢) يعني فقد برئ من الله وبرئ الله منه لارتداده عن دينه . وأما قوله : ( إلا أن تتقوا منهم تقاة )(٢) . فهي كقوله : ( إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان )(٣) . وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى .

**الأمر الرابع** : الجلوس عند المشركين في مجالس شركهم من غير إنكار . والدليل قوله تعالى : ( وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٠٦

سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً )(١).

وفي أجوبة آل الشيخ رحمهم الله تعالى ، لما سئلوا عن هذه الآية ، وعن قوله صلى الله عليه وسلم : « من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله » قالوا : الجواب أن الآية على ظاهرها ، إن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين بآيات الله من غير إكراه ولا إنكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، فهو كافر مثلهم ، وإن لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر ، والرضى بالكفر كفر .

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الرضى بالذنب كفاعله ، فان ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه ، لأن الحكم بالظاهر ، وهو قد أظهر الكفر ، فيكون كافراً .

ولهذا لما وقعت الردة وادعى أناس منهم [أنهم] كرهوا ذلك ، لم يقبل منهم الصحابة ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، إلا من أنكر بلسانه . وكذلك قوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه ، فهو

(١) سورة النساء ، الآية : ١٤٠

مثله » على ظاهره ؛ وهو أن الذي يدّعي الاسلام، ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل ، بحيث يعده المشركون منهم؛ فهو كافر مثلهم وإن ادّعى الاسلام،إلا أن يكون يظهر دينه، ولا يتولى المشركين . انتهى .

قلت : ويأتي مخاطبة خالد لمجاعة، وفيه : يا مجاعة ! تركت اليوم ما كنت عليه أمس، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب، وسكوتك عنه إقراراً له إلى آخره .

وتقدم قول عبد الله بن عمرو : من بنى ببلاد المشركين ، فصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم يوم القيامة . وقال تعالى : ( ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين )(١) .

الأمر الخامس : الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسوله . والدليل على ذلك قوله تعالى : ( قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين )(٢) .

---

(١) سورة النحل ، الآيتان : ١٠٦-١٠٧

(٢) سورة التوبة ، الآيتان : ٦٥و٦٦

واعلم أن الاستهزاء على نوعين :

أحدهما : الاستهزاء الصريح كالذي نزلت الآية فيه ، وهو قولهم : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ؛ ولا أجبن عند اللقاء ، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين ، كقول بعضهم : دينكم هذا دين خامس ، وقول الآخر : دينكم أخرق . وقول الآخر ، إذا رأى الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر : جاءكم أهل الديك بالكاف بدل النون ، وقول الآخر إذا رأى طلبة العلم : هؤلاءِ الطلْبة بسكون اللام ، وما أشبه ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة، مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية .

النوع الثاني غير الصريح : وهو البحر الذي لا ساحل له ، مثل الرمز بالعين ، وإخراج اللسان ، ومدّ الشفة ، والغمزة باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الأمر السادس: ظهور الكراهة والغضب عند الدعوة إلى الله ، وتلاوة كتابه ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . والدليل على ذلك قول الله تعالى : ( وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل

أفأنبئكم بشرّ من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير)[١].
فذكر الله ذكر هذا الصنف في أول هذه الآية وآخرها.

الأمر السابع: كراهة ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة، والدليل قول الله تعالى: (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)[٢].

الأمر الثامن: عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن والأحاديث، والمجادلة في ذلك. والدليل على ذلك قول الله تعالى: (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد)[٣].

الأمر التاسع: جحد الناس شيئاً من كتاب الله ولو آية أو بعضها أو شيئاً مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والدليل على ذلك قول الله تعالى: (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعضٍ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً)[٤]. وهذا أخص من الذي قبله.

الأمر العاشر: الإعراض عن تعلم دين الله والغفلة عن ذلك،

(١) سورة الحج، الآية: ٧٢ (٢) سورة محمد، الآية: ٩
(٣) سورة غافر، الآية: ٤ (٤) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠و١٥١

والدليل قوله تعالى : ( والذين كفروا عما أنذروا معرضون ) [١] .

الأمر الحادي عشر : كراهة إقامة الدين والاجتماع عليه ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ( شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ) [٢] فذكر أنه لا يكره إقامة الدين إلا مشرك ، وقد تبين أن من أشرك بالله فهو كافر .

الأمر الثاني عشر : السحر تعلّمه وتعليمه والعمل بموجبه ، والدليل قول الله تعالى : ( وما يعلّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ) [٣] .

الأمر الثالث عشر : إنكار البعث ، والدليل قول الله تعالى : ( وإن تعجب فعجب قولهم أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لفي خلق

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ٣ (٢) سورة الشوري ، الآية : ١٣
(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢

جديد أولئك الذين كفروا بربهم)[1] إلى قوله: (خالدون)[1].

الأمر الرابع عشر: التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير: كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام اقتبسها من شرائع شتى، فصار في بنيه يقدّمونه على الحكم بالكتاب والسنة ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكّم سواه في قليل ولا كثير.

قال تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)[2].

قلت: ومثل هؤلاء ما وقع فيه عامة البوادي ومن شابههم، من تحكيم عادات آبائهم [وما] وضعه أوائلهم من الموضوعات الملعونة التي يسمّونها شرع الرفاقة، يقدّمونها على كتاب الله وسنة رسوله. ومن فعل ذلك فإنه كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٥ (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر . فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتّباع لما أنزل الله فهو كافر، فإنه ما من أمّة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم ، بل كثير من المنتسبين إلى الاسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله، كسواليف[٢] البادية وكانوا [الأمراء] المطاعين، ويرون أنّ هذا هو الذي ينبغي الحكم به ، دون الكتاب والسنة ، وهـذا هو الكفر ، فإن كثيراً من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون .

فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار . انتهى من «منهاج السنة النبوية» ذكره عند قوله سبحانه وتعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون )[١] فرحمه الله وعفا عنه ، فهذه بعض المواضع التي دل القرآن عليها ، وإن كان قد يقال : إن بعضها يغني عن بعض ، أو يندرج فيه ، فذكرها على هذا الوجه أوضح .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٤ (٢) أي حكايات من سلفهم

وأمّا كلام العلماء رحمهم الله تعالى ، فكثير جداً وقد ذكر صاحب «الاقناع» أشياء كثيرة في باب حكم المرتد ، وهو الذي يكفر بعد إسلامه ، وقد لخصت منه مواضع يسيرة . فمن ذلك قوله : قال الشيخ : أو كان مبغضاً لرسوله أو لما جاء به ، كفر اتفاقاً .

ومنها قوله : أو جعل له بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويسألهم، كفر إجماعاً . ومنه قوله : أو وجد منه امتهان للقرآن ، أي فيكفر بذلك .

ومنها قوله : أو سخر بوعد الله أو وعيده ، أي فيكفر بذلك .

ومنها قوله: أو لم يكفر من دان بغير الاسلام، أو شك في كفرهم، أي فيكفر بذلك .

ومنها قوله : قال الشيخ : ومن استحل الحشيشة كفر بلانزاع .

قلت : ومن استحل موالاة المشركين ومظاهرتهم وإعانتهم على المسلمين ، فكفره أعظم من كفر هذا ، لأن تحريم ذلك آكد وأشد من تحريم الحشيشة .

ومنها قوله : ومن سبَّ الصحابة أو أحداً منهم ، واقترن سبّه بدعوى أن عليّاً إله أو نبي ، أو أن جبريل غلط، فلاشك في كفر هذا،

ولا شك في كفر من توقف في تكفيره .

ومنها قوله : أو زعم أن للقرآن تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك ، فلا خوف في كفر هؤلاء

ومنها قوله : أو زعم أن الصحابه ارتدّوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر ، أو أنهم فسقوا ، فلا ريب أيضاً في كفر قائل ذلك ، بل من شك في كفره فهو كافر انتهى ملخصاً وعزاه ا «الصارم المسلول» .

ومنها قوله : ومن أنكر أن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ، فقد كفر ، لقوله تعالى : ( إذ يقول لصاحبه )(١) .

قلت : فاذا كان من جحدمدلول آية كفر ، ولم تنفعه الشهادتان ولا الانتساب إلي الاسلام ، فما الظن بمن جحد مدلول ثلاثين آية أو أربعين؟! أفلا يكون كافراً لا تنفعه الشهادتان ولا ادّعاء الاسلام؟ بلى والله ، بلى والله ، ولكن نعوذ بالله من رين القلوب وهوى النفوس اللّذين يصدان عن معرفة الحق واتباعه .

ومنها قوله :أوجحد حل الخبز أو اللحم والماء ،أي فيكفر بذلك.

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٠

ومنها قوله : أو أحل الزنا ونحوه ، أي فيكفر بذلك ، ومن أحل الركون إلى الكافرين وموادة المشركين ، فهو أعظم كفراً ممن أحل الزنا بأضعاف مضاعفة .

وكلام العلماء رحمهم الله تعالى في هذا الباب لا يمكن حصره ، حتى إن بعضهم ذكر أشياء أسهل من هذه الأمور ، وحكموا على مرتكبها بالارتداد عن الاسلام ، وأنهُ يستتاب منها .فان تاب وإلا قتل مرتداً ، ولم يغسل ولم يصلّ عليه ، ولم يدفن مع المسلمين . وهو مع ذلك يقول : لا إله إلا الله ، ويفعل الأركان الخمسة . ومن له أدنى نظر واطلاع على كلام أهل العلم ، فلا بدأن يكون قد بلغه بعض ذلك .

وأما هذه الأمور التي تقع في هذه الأزمان من المنتسبين إلى الاسلام، بل من كثير ممن ينتسب إلى العلم ،فهي من قواصم الظهور، وأكثرها أعظم وأفحش مما ذكره العلماء من المكفرات ولولا ظهور الجهل وخفاء العلم وغلبة الأهواء ، لما كان أكثرها محتاجاً لمن ينبه عليه .

# فصل

وأما المسألة الثالثة وهي مايعذر الرجل به على موافقة المشركين، وإظهار الطاعة لهم، فاعلم أن إظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات:

الحال الأول: أن يوافقهم في الظاهر والباطن فينقاد لهم بظاهره، ويميل إليهم ويوادّهم بباطنه، فهذا كافر خارج من الاسلام، سواء كان مكرهاً على ذلك أو لم يكن. وهو ممن قال الله فيه: ( ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم )[1].

الحال الثاني: أن يوافقهم ويميل إليهم في الباطن مع مخالفته لهم في الظاهر، فهذا كافر أيضاً، ولكن إذا عمل بالاسلام ظاهراً عصم ماله ودمه، وهو المنافق.

الحال الثالث: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو على وجهين: أحدهما: أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم مع ضربهم وتقييدهم له، ويهددونه بالقتل، فيقولون له: إما أن توافقنا وتظهر الانقياد لنا، وإلا قتلناك. فانه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦

مع كون قلبه مطمئناً بالايمان ، كما جرى لعمار حين أنزل الله تعالى : ( من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان )(١) وكما قال تعالى ( إلا أن تتقوا منهم تقاة ) (٢) فالآيتان تبينان[أن من خاف شرهم فله أن يتقيهم بظاهره ، لا بباطنه ونيته ] كما نبه عن ذلك ابن كثير في تفسير آية آل عمران .

الوجه الثاني : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن ، وهو ليس في سلطانهم ، وإنما حمله على ذلك إما طمع في رياسة أو مال أو مشحة بوطن أوعيال ، أو خوف مما يحدث في المآل ، فانه في هذه الحال يكون مرتداً ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن ، وهو ممن قال الله فيهم : ( ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ) (٣) فأخبر أنه لم يحملهم على الكفر الجهل أو بغضه ، ولا محبة الباطل ، وإنما هو أن لهم حظاً من حظوظ الدنيا فآثروه على الدين .

هذا معنى كلام شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى وعفا عنه .

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٦ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٠٧

وأما ما يعتقده كثير من الناس عذراً ، فانه من تزيين الشيطان، وتسويله ، وذلك أن بعضهم إذا خوفه أولياء الشيطان خوفاً لا حقيقة له ، ظن أنه يجوز له بذلك إظهار الموافقة للمشركين ، والانقياد لهم ، وآخر منهم إذا زين له الشيطان طمعاً دنيوياً، تخيل أنه يجوز له موافقته للمشركين لأجل ذلك ، وشبه على الجهال بأنه مكره ، وقد ذكر العلماء صفة الاكراه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : تأملت المذاهب فوجدت الاكراه يختلف باختلاف المكره ، فليس المعتبر في كلمات الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها ، فان أحمد قد نص في غير موضع على أن الاكراه على الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب أو قيد ، ولا يكون الكلام إكراهاً . وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها بمسكنه ، فلها أن ترجع على أنها لا تهب له إلا إذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها ، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراهاً ولفظه في موضع آخر: لأنه أكرهها ، ومثل هذا لا يكون إكراهاً على الكفر ، فان الأسير إن خشي الكفار، وأن يحولوا بينه وبين امرأته ، لم يبح له التكلم بكلمة الكفر اهـ .

والمقصود منه أن الاكراه على كلمة الكفر لا يكون الا

. بالتعذيب من ضرب أو قتل، وأن الكلام لا يكون إكراهاً ، وكذلك الخوف من أن يحول الكفار بينه وبين زوجته لا يكون إكراهاً . فاذا علمت ذلك ، وعرفت ما وقع من كثير من الناس ، تبين لك قول النبي ﷺ : « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » ، وقد عاد غريباً ، وأغرب منه من يعرفه على الحقيقة ، وبالله التوفيق .

## فصل

وأما المسألة الرابعة : وهي مسألة إظهار الدين ، فان كثيراً من الناس قد ظن أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين، وأن يصلي الصلوات الخمس ، ولا يرد عن المسجد ، فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشركين ، أو في أماكن المرتدين ، وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط .

فاعلم أن الكفر له أنواع وأقسام تتعدد بتعدد المكفرات، وقد تقدم بعض ذلك ، وكل طائفة من طوائف الكفران، اشتهر عندها نوع منه ، ولا يكون المسلم مظهراً لدينه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها ، ويصرح لها بعداوته والبراءة منه ، فمن كان كفره بالشرك ، فإظهار الدين عنده التصريح بالتوحيد ، والنهي عن الشرك والتحذير منه . ومن كان كفره بجحد الرسالة ، فإظهار الدين عنده

التصريح بأن محمداً رسول الله ﷺ والدعوة إلى اتّباعه ومن كان كفره بترك الصلاة، فإظهار الدين عنده فعل الصلاة والأمر بها ومن كان كفره بموالاة المشركين والدخول في طاعتهم، فاظهار الدين عنده التصريح بعداوته والبراءة منه ومن المشركين.

وبالجملة فلا يكون مظهراً لدينه إلا من صرح لمن ساكنه من كل كافر ببراءته منه، وأظهر له عداوته لهذا الشيء الذي صار به كافراً، وبراءته منه. ولهذا قال المشركون للنبي ﷺ: عاب ديننا وسفّه أحلامنا، وشتم آلهتنا

وقال الله تعالى: (قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين. وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكوننّ من المشركين. ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فانك إذاً من الظالمين)[1]. فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لهم: «يا أيها الناس...» إلى آخره، أي إذا شككتم في الدين الذي أنا عليه، فدينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه، وقد أمرني ربي

(١) سورة يونس، الآيات: ١٠٤-١٠٦

أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم ، ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم .

وقال تعالى : ( قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد )(١) إلى آخر السورة ، فأمر الله رسوله ﷺ أن يقول للكفار : دينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه ، وديني الذي أنا عليه أنتم براء منه . والمراد التصريح لهم بأنهم على الكفر ، وأنه بريء منهم ومن دينهم .

فمن كان متبعاً للنبي ﷺ [فعليه] أن يقول ذلك ، ولا يكون مظهراً لدينه إلا بذلك . ولهذا لما عمل الصحابة بذلك ، وآذاهم المشركون ، أمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة . ولو وجد لهم رخصة في السكوت عن المشركين لما أمرهم [بالهجرة] إلى بلد الغربة .

وفي السيرة أن خالد بن الوليد لما وصل إلى العرض في مسيره إلى أهل اليمامة لما ارتدّوا ، قدّم مائتي فارس وقال : من أصبتم من الناس فخذوه . فأخذوا مجاعة في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه ، فلما وصل إلى خالد قال له : يا خالد ! لقد علمت أني قدمت على رسول الله

(١) سورة الكافرون ، الآيات : ١ - ٣ .

ﷺ في حياته فبايعته على الاسلام ، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس ، فان يك كذّاباً قد خرج فينا ، فان الله يقول : ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) [1] فقال : يامجاعة ! تركت اليوم ما كنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذّاب وسكوتك عنه وأنت أعز أهل اليمامة ـ وقد بلغك مسيري ـ ؛ إقراراً له ورضاء بما جاء به ، فهلاّ [أبديت] عذراً وتكلمت فيمن تكلم؟! فقد تكلم ثمامة فرد وأنكر ، وتكلم اليشكري .

فإن قلت : أخاف قومي ، فهلاّ عمدت إليّ أو بعثت إليّ رسولاً ؟ ! فقال : إن رأيت يا بن المغيرة أن تعفو عن هذا كله ؟ فقال: قد عفوت عن دمك ، ولكن في نفسي حرج من تركك . انتهى .

وسيأتي في ذكر الهجرة قول أولاد الشيخ : إنّ الرّجل إذا كان في بلد كفر ، وكان يقدر على إظهار دينه حتى يتبرأ من أهل الكفر الذي هو بين أظهرهم ، ويصرح لهم بأنهم كفار ، وأنه عدوّ لهم ، فإن لم يحصل ذلك؛ لم يكن إظهار الدين حاصلا .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٤

## فصل

وأما المسألة الخامسة: وهي مسألة الاستضعاف، فإن كثيراً من الناس، بل أكثر ممن ينتسب إلى العلم في هذه الأزمان غلطوا في معنى الاستضعاف، وما هو المراد به.

وقد بيّن الله ذلك في كتابه بياناً شافياً، فقال تعالى: (ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليّاً واجعل لنا من لدنك نصيراً)[1].

فبيّن تعالى مقالتهم الدالة على أنهم لم يقيموا مختارين المقام، وذلك أنهم يدعون الله أن يخرجهم، فدل على حرصهم على الخروج، وأنه متعذّر عليهم.

ويدل على ذلك وصفهم أهل القرية بالظلم، وسؤالهم ربهم أن يجعل لهم وليّاً يتولاهم ويتولونه، وأن يجعل لهم ناصراً ينصرهم على أعدائهم الذين هم بين أظهرهم. وقال تعالى: (إلا المستضعفين من الرجال

(١) سورة النساء، الآية: ٧٥

والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ) (١) فذكر في هذه الآية حالتهم التي هم عليها ، وهي أنهم لا يستطيعون حيلة .

قال ابن كثير : لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ولهذا قال: (لا يستطيعون حيلة)(١) قال عكرمة : يعني نهوضاً إلى المدينة : ( ولا يهتدون سبيلا ) (١) قال مجاهد وعكرمة : يعني طريقاً . انتهى .

والحاصل أن المستضعفين هم العاجزون عن الخروج من بين أظهر المشركين ، وهم مع ذلك : ( يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً )(٢) وهم مع ذلك لا [يعرفون] الطريق، فمن كانت هذا حاله ومقاله : ( فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً )(٣) .

وأما إذا كان يقدر على الخروج من بلاد المشركين، ولم يمنعه من ذلك إلا المشحة بوطنه أو عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فإن الله تعالى لم يعذر من اعتذر بذلك ، وسماه ظالماً لنفسه . فقال تعالى : ( إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في

(١) سورة النساء ، الآية ٩٨ (٢) سورة النساء ، الآية : ٧٥

(٣) سورة النساء ، الآية : ٩٩

الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك أو هم جهنم وساءت مصيراً )[١].

وفي تفسير الجلالين قوله : ( ظالمي أنفسهم )[١] بالمقام بين المشركين .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : فهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين ، وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكناً من إقامة الدين ، فهو مرتكب حراماً بالاجماع وبنص الآية حيث يقول: ( إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم)[١] أي بترك الهجرة ،(قالوا: فيم كنتم )[١] أي لم مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة ؟ ( قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً )[١]

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب مرفوعاً : « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله » .

وقال السدي : لما أسر العباس وعقيل ونوفل ، قال رسول الله ﷺ للعباس : «افد نفسك وبرَّ أخويك .قال : يارسول الله ألم نصلي [إلى] قبلتك ونشهد شهادتك ؟ قال : يا عبّاس إنكم خاصمتم فخصمتم » . ثم

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٧

تلا هذه الآية (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)[1] الآية رواه ابن أبي حاتم. انتهى.

والمقصود منه: بيان مسألة الاستضعاف، وأن المستضعف هو الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً، وهو مع ذلك يقول: (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً)[2] وبيان أن الذي يعتذر بوطنه أو عشيرته أو ماله، ويدعي أنه يكون بذلك مستضعفاً كاذب في دعواه، وعذره غير مقبول عند الله تعالى، ولا عند رسوله، ولا عند أهل العلم بشريعة الله.

## فصل

وأما المسألة السادسة: وهي وجوب الهجرة وأنها باقية، فالدليل عليه قول النبي ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها». رواه أحمد وأبو داود.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧ (٢) سورة النساء، الآية: ٧٥

وروى أبو يعلى عن أزهر بن راشد قال: حدّث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « لا تستضيئوا بنار المشركين ».

قال ابن كثير: معناه لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونوا معهم في بلادهم، بل تباعدوا منهم، وهاجروا من بلادهم.

ولهذا روى أبو داود: «لا تتراءى نارهما» وفي الحديث الآخر: «من جامع المشرك، وسكن معه فهو مثله». فقال تعالى: (إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)(١).

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالاسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر [معهم] فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم)(١) الآية.

---

سورة النساء، الآية: ٩٧

وقال الضحاك: نزلت في أناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله ﷺ، وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا. ذكره ابن كثير ثم قال: فهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو مرتكب حراماً بالاجماع؛ وبنص الآية حيث يقول: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ...)

وفي أجوبة آل الشيخ لما سئلوا هل يجوز للانسان أن يسافر إلى بلد الكفار لأجل التجارة أم لا؟

الجواب: إن كان يقدر على إظهار دينه [و]لا يوالي المشركين، جاز له ذلك، فقد سافر بعض الصحابة كأبي بكر رضي الله عنه وغيره، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ، كما رواه أحمد في «مسنده» وغيره، وإن كان لا يقدر على إظهار دينه ولا على عدم موالاتهم، لم يجز له السفر إلى ديارهم، كما نص على ذلك العلماء، وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك، ولأن الله تعالى أوجب على الانسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة المشركين، فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك، لم يجز، وأيضاً فقد يجره ذلك إلى موافقتهم ورضاهم كما هو الواقع لكثير

ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فساق المسلمين .

المسألة الثانية : هل يجوز للانسان أن يجلس في بلد الكفار وشعائر المشركين ظاهرة لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب عن هذه المسألة ، والجواب عن التي قبلها سواء ، ولا فرق في ذلك بين دار الحرب ودار الصلح ، فكل بلدة لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها لا يجوز السفر إليها .

المسألة الثالثة : هل يفرّق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين ، وبين المدة البعيدة؟ فكل بلد لا يقدر على إظهار دينه فيها ، ولا على عدم موالاة المشركين ، لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً ، إذا كان يقدر على الخروج منها . انتهى .

وفي أجوبة أخرى : ما قولكم في رجل دخل هذا الدين ، وأحبه ويحب من دخل فيه ، ويبغض الشرك وأهله ، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة الاسلام ويقاتلون أهله ، ويعتذر بأن ترك الوطن يشق عليه ، ولم يهاجر عنهم بهذه الأعذار ، فهل يكون مسلماً هذا أم كافراً ؟

الجواب : أما الرجل الذي عرف التوحيد وآمن به ، وأحبّه

وأحبَّ أهله ، وعرف الشرك وأبغضه وأبغض أهله ، ولكن أهل بلده على الكفر والشرك ولم يهاجر، فهذا فيه تفصيل، فان كان يقدر على إظهار دينه عندهم ويتبرأ منهم ومما هم عليه من الدين ، ويظهر لهم كفرهم وعداوته لهم ، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فهذا لا يحكم بكفره ، ولكنه إذا قدر على الهجرة ولم يهاجر ، ومات بين أظهر المشركين ، فنخاف أن يكون قد دخل في أهل هذه الآية: ( إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم )(١) الآيتان، فلم يعذر الله إلا من لم يستطع حيلة ولم يهتد سبيلاً ، ولكن قلَّ أن يوجد اليوم من هو كذلك ، بل الغالب أن المشركين لا يدعونه بين أظهرهم ، بل إما قتلوه وإما أخرجوه وأما من ليس له عذر في ترك الهجرة ، وجلس بين أظهرهم ، وأظهر لهم أنه منهم ، وأن دينهم حق ، ودين الاسلام حق ، فهذا كافر مرتد ولو عرف الدين بقلبه ، لأنه منعه عن الهجرة محبة الدنيا على الآخرة، وتكلم بكلام الكفر من غير إكراه ، فدخل في قوله : ( ولكن من شرح بالكفر صدراً )(٢) الآيات .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٧ (٢) سورة النحل ، الآية : ١٠٦

هذا من جواب الشيخ حسين ، والشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى وعفا عنهم . وكما سئلوا عن أهل بلد بلغتهم هذه الدعوة .

وبعضهم يقول : هـذا الأمر حق ، ولا أغير منكراً ولا آمر بمعروف ، وينكر على الموحدين إذا قالوا : تبرأنا من دين الآباء والأجداد .

والذي يقول هذا الأمر زين ، لا يمكنه [أن] يقوله جهاراً ، أجابوا بأن أهل هذه القرية المذكورة . إذا كانوا قد قامت عليهم الحجة التي يكفر من خالفها ، حكمها حكم الكفار . والمسلم الذي بين أظهرهم ، ولا يمكنه إظهار دينه ، تجب عليه الهجرة إذا لم يكن ممن عذره الله ، فان لم يهاجر ، فحكمه حكمهم في القتل وأخذ المال . انتهى .

وفي هذه الأجوبة مسائل: منها بيان المستضعف ، وأنه الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً وقد تقدم ذلك . ومنها أن المسلم الذي لم يقدر على إظهار دينه واجبـة عليه الهجرة . وقد تقدم أيضاً ومنها صفة إظهار الدين ، وهو أن يصرح للكفار بكفرهم وعداوته

لهم، ولماهم عليه من الدين، وقد تقدم أيضاً. ومنها بيان أنه إذا فعل ذلك أعني مصرح بكفرهم، وعداوته لهم، فانهم لايتركونه بين أظهرهم، بل إما قتلوه أو أخرجوه

قلت: وقد أخبر الله بذلك جميع الكفار. فقال تعالى: (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنافأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين. ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد)[1]

وقال تعالى إخباراً عن قوم شعيب: (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين)[2].

وقال تعالى إخباراً عن أصحاب الكهف: (إنهم إن يظهروا عليكم)[3] الآية، وقوله: (يرجموكم)[3] أي يقتلوكم بالرجم.

وهذا الذي أخبر الله به، وأشار إليه أئمة الاسلام، وهو الواقع في هذه الأزمان.

(١) سورة ابراهيم، الآيتان: ١٣ و١٤
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٨
(٣) سورة الكهف، الآية:

فان المرتدين بسبب موالاة المشركين والدخول في طاعتهم ، لا يرضون إلا بمن وافقهم على ذلك ، وإذا أنكره عليهم منكر آذوه أشد الأذى ، وأخرجوه من بين أظهرهم ؛ بل سعوا في قتله إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

والله المستعان

. . .

# هذا بيان المحجة في الرد على اللجة (١)

تأليف

شيخنا وإمامنا ناصر السنة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام

ومفتي الأنام الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أسكنهم الله الجنة بغير حساب آمين والمسلمين أجمعين يارب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ الامام محمد ابن عبد الوهاب أجزل الله لهم الثواب، وأدخلهم الجنة بغير حساب:

---

(١) اسم الرسالة في الأصل: «هذا بيان الحجة في الرد على صاحب اللجة» وقد علق على ذلك أستاذنا الجليل العلامة الشيخ محمد بن مانع بما يلي:

قوله صاحب اللجة: اعلم أن كلمة (صاحب) هنا زائدة، وذلك لأن المردود عليه يلقب باللجة، لا صاحب اللجة، وهو محمد بن عبد الله بن حميد مؤلف «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة»، وهذا الرجل من أهالي عنيزة، ولكنه أقام بمكة، وتولى بها إفتاء الحنابلة، وإمامة المقام الحنبلي، وكان يتردد على وطنه الأول. وكان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين في عنيزة، فسئل عن أبيات البردة الشركية، فأجاب بما هو الحق، ثم إن ابن حميد أخذ جواب الشيخ عبدالله، ورد عليه على طريقة أهل البدع المدافعين عن تلك الأبيات، فوصل الرد=

اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده

=إلى الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فرد عليه في هذا الكتاب الجليل الذي هو «بيان المحجة» موضحاً الحق، ومؤيـــداً لجواب الشيخ عبد الله أبي بُطين، وابن حميد لم يظهر رده إلا بعد ماسافر إلى مكة خوفاً من علماء المسلمين. وقد ذكر في كتاب «السحب الوابلة» التي جعلها ذيلاً على «طبقات ابن رجب»، «الذيل على طبقات أبي الحسين ابن أبي يعلى» عدداً من علماء نجد، ولم يذكر فيها من العلماء السلفيين إلا النادر القليل، ولكنه ذكر جماعة ممن عادى أهل التوحيد، وشنع في تراجمهم على أهل الحق بالباطل. وقد استدرك الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى على صاحب هذه «الطبقات» نحواً من خمسين ترجمة لعلماء نجد، وقد ابتلى الله كثيراً من الناس في تأليف الكتب الباطلة، والدس فيها بما تهواه نفوسهم التي استولى عليها الشيطان، كصاحب «السحب» ومثله كتاب سماه صاحبه: «لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» فحرصنا على معرفة هذا الكتاب، فعلمنا أنه في المكتبة الملكية بلندن، فسعينا للحصول عليه، فلما رأيناه، إذا هو كتاب باطل لفق فيه صاحبه الأباطيل، وزور على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة الاسلام الكذب، وكان يمدح الشيخ محمد مدحاً تجاوز فيه وغلا، ثم يقول: وهذا قبل بدعته، وذكر أن الشيخ طلب العلم في بريدة، والبصرة، وبغداد، والأزهر، وبلاد العجم. وذكر أنه استقى ماذكره في كتابه من أناس من أهل الزبير، والكويت. وذكر نسباً للشيخ محرفاً مزوراً مكذوباً ليس فيه رجل واحد من الذين ذكروا في نسب الشيخ في كتاب «توضيح توحيد الخلاق». أردت التنبيه على ذلك ليعلم أن هذا الكتاب من مؤلفات أهل البدع والضلال. مات صاحب «السحب الوابلة» قبل الثلاثمائة والألف في الطائف.

لا شريك له الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً )[1] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي قال الله خطاباً له : ( يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً )[2] اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وأصحابه ، ومن أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً .

أما بعد : فإني وقفت على جواب للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ، وقد سئل عن أبيات من «البردة» ، وما فيها من الغلوّ والشرك العظيم المضاهي لشرك النصارى ونحوهم ممن صرف خصائص الربوبية والإلهية لغير الله ، كما هو صريح الأبيات المذكورة في «البردة» :

ولا يخفى على من عرف دين الاسلام أنه الشرك الأكبر الذي لا يغفره لمن لم يتب عنه ، وأن الجنة عليه حرام ، وذكر الشيخ في جوابه أن الأبيات المذكورة تضمنت الشرك ، وصرف خصائص الربوبية والإلهية لغير الله .

---

(١) سورة الفرقان ، الآيتان : ٢، ٣ (٢) سورة الاحزاب، الآيتان : ٤٥، ٤٦

فاعترض عليه جاهل ضالّ فقال مبرئاً لصاحب الأبيات من ذلك الشرك بقوله : حماه الله من ذلك ، ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم . . .

البيت المطابق لقول النبي ﷺ : «لا تطروني كما أطرت النصارى [عيسى] ابن مريم» .

الجواب : أن هذه التبرئة إنما نشأت عن الجهل وفساد التصرف ، فلو عرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلهما حق الله على عباده، وما اختص به من ربوبيته وألوهيته . وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسوله، لما قالوا ما قالوا هم وأمثالهم ممن جهل التوحيد ، كما قال تعالى في حق من هذا وصفه : ( وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين )(١) .

فالجهل بما بعث الله به رسله قد عم كثيراً من هذه الأمة ، فظهر فيها ما أخبر به النبي ﷺ بقوله : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ... قال : «فمن» ونحو هذا من الأحاديث .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١١٩

وقوله : ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... البيت .

الجواب : أن هذا يزيده شناعة ومقتاً ، لأن هذا تناقض بيّن ، وبرهان على أنه لا يعلم ما يقول . فلقد وقع فيما وقعت فيه النصارى ، من الغلوّ العظيم الذي نهى الله عنه ورسوله ؛ ولعن النبي ﷺ من فعله أو فعل ما يوصل إليه بقوله : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا . وقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى [عيسى] ابن مريم إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله » وقوله لما قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، قال : « أجعلتني لله نداً ، بل ما شاء الله وحده » وقال : « إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله عز وجل» . فلقد حذر أمته وأنذرهم عن الشرك ووسائله ومادقّ منه وجل ، ودعا الناس إلى التوحيد ، ونهاهم عن الشرك ، وجاهدهم على ذلك حتى أزال الله به الشرك والأوثان من جميع الجزيرة وما حولها من نواحي الشام واليمن وغير ذلك . وقد بعث السرايا في هدم الأوثان وإزالتها كما هو مذكور في كتب الحديث والتفسير والسير، كما في حديث أبي الهياج الأسدي الذي في « الصحيح » قال : قال علي

ابن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سوَّيته ، ولا تمثالاً إلا طمسته .

وقد بعثه النبي ﷺ يوم الفتح لهدم مناة ، وبعث خالد بن الوليد يومئذ لهدم العزى ، وقطع السمرات[1] التي كانت تعبدها قريش وهذيل ، وبعث المغيرة بن شعبة لهدم اللات فهدمها ، وأزال من جزيرة العرب وما حولها جميع الأصنام والأوثان التي كانت تعبد من دون الله . والصحابة رضي الله عنهم تعاهدوا هذا الأمر ، واعتنوا بإزالته أعظم الاعتناء بعد وفاة رسول الله ﷺ .

وقد أخبر النبي ﷺ بما يقع في أمته من الاختلاف ، كما في حديث العرباض بن سارية قال : « فانه من يعش منكم فسيرى إختلافاً كثيراً ... » الحديث ، فوقع ما أخبر به ﷺ ، وعظم الاختلاف في أصل الدين بعد القرون المفضلة ، كما هو معلوم عند العلماء . ولو أخذنا نذكر ذلك أو بعضه لخرجنا عن المقصود من الاختصار .

فانظر إلى ما وقع اليوم من البناء على القبور والمشاهد وعبادتها ، فلقد عمَّت هذه البلية في كثير من البلاد ، ووقع ما وقع من الشرك وسوء الاعتقاد في أناس ينسبون إلى العلم .

---

(١) أي الشجرات ، واحدتها سمرة .

قال سليمان التميمي : لو أخذت بزلة كل عالم لاجتمع فيك الشر كله ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقوله المطابق لقول النبي ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى [عيسى] بن مريم » .

أقول : لا ريب أن المطابقة وقعت منه ولا بد ، لكنها في المنهي عنه لا في النهي ، فالذي نهى عنه النبي ﷺ من الإطراء طابقته الأبيات من قوله :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك . . إلى آخرها

فقد تضمنت غاية الاطراء والغلوّ الذي وقعت فيه النصارى وأمثالهم ، فانه قصر خصائص الإلهية والربوبية التي قصرها الله على نفسه ، وقصرها عليه رسول الله ﷺ ،فصرفها لغير الله، فان الدعاء مخ العبادة ؛ واللياذ من أنواع العبادة . وقد جمع في أبياته الاستعانة والاستغاثة بغير الله ، والالتجاء والرغبة إلى غير الله ، فان غاية ما يقع من المستغيث والمستعين والراغب إنما هو الدعاء واللياذ بالقلب واللسان ، وهذه هي أنواع العبادة [التي] ذكرها الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه، وشكرها لمن قصرها على الله، ووعده على ذلك الاجابة والاثابة ، كقوله تعالى : ( هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ) (١) ، وقوله : ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ) (٢) وقوله :

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٥ (٢) سورة غافر ، الآية : ٦٠

( وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً . قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً . قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً . قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً ) [١] الآية .

فهذا هو الدين الذي بعث الله [به] نبيه محمداً ﷺ ، وأمره أن يقول لهم : ( إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً ) [٢] فقصر الدعاء على ربه الذي هو توحيد الإلهية . وقال : ( قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ) [٢] إلى آخر الآيات .

وهذا هو توحيد الربوبية، فوحّد الله في إلهيته وربوبيته ، وبين للأمة ذلك، كما أمره الله تعالى . وقال تعالى : ( فإذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب )[٣] أمره بقصر الرغبة على ربه تعالى . وقال : ( إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين)[٤] ونهى عن الاستعاذة بغيره بقوله تعالى عن مؤمني الجن : ( وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ) [٥] .

واحتج الامام أحمد رحمه الله وغيره على القائلين بخلق القرآن بحديث خولة بنت حكيم مرفوعاً : « من نزل منزلاً فقال: أعوذ

(١) سورة الجن ، الآيات : ١٩-٢٢ (٢) سورة الجن ، الآيات : ١٩-٢٢
(٣) سورة الانشراح ، الآيتان : ٧و٨ (٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٠
(٥) سورة الجن ، الآية : ٦

بكلمات الله التامات من شر ما خلق ... » الحديث. على أن القرآن غير مخلوق، إذ لو كان مخلوقاً لما جاز أن يستعاذ بمخلوق، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك، وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثير، يظهر بالتدبر.

وأما قول المعترض: إن النصارى يقولون: إن المسيح ابن الله. نعم قاله طائفة، وطائفة قالوا: هو الله، والطائفة الثالثة قالوا: هو ثالث ثلاثة، وبهذه الطرق الثلاث عبدوا المسيح عليه السلام، فأنكر الله عليهم تلك الأقوال في المسيح، وأنكر عليهم ما فعلوه من الشرك، كما قال تعالى: ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون )[1] فأنكر عليهم عبادتهم للمسيح والأحبار والرهبان. أما المسيح فعبادتهم له بالتأله، وصرف خصائص الإلهية له من دون الله، كما قال تعالى: ( وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق )[2] فأخبر أن الإلهية وهي العبادة حق الله لا يشركه فيها أولوا العزم ولا غيرهم، يبيّن ذلك قوله: ( ما قلت لهم

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١ (٢) سورة المائدة، الآية: ١١٦

إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم )[١] وأما عبادتهم للأحبار والرهبان فإنهم أطاعوهم فيما حللوه لهم من الحرام ، وتحريم ماحرموه عليهم من الحلال .

وأما قدوم عدي بن حاتم رضي الله عنه عندالنبي ﷺ بعد فراره إلى الشام ، وكان قبل مقدمه على النبي ﷺ نصرانياً ، فلما قدم على النبي ﷺ مسلماً ، تلا هذه الآية : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله )[١] قال : يا رسول الله ! لسنا نعبدهم فقال النبي ﷺ : « أليسوا يحلّون لكم ماحرّم الله فتحلونه ، ويحرّمون عليكم ما أحل الله فتحرّمونه ؟ » قال : بلى . قال : « فتلك عبادتهم » . ففيه بيان أن من أشرك مع الله غيره في عبادته ، وأطاع غير الله في معصيته فقد اتخذه رباً ومعبوداً ، وهذا بيّن والحمد لله . فلو تأمل هـذا الجاهل المعترض قول الله تعالى : ( ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله )[٢] لعلم أن الله تعالى قد أنكر على النصارى قولهم وفعلهم ، وعلى كل من عبد مع غيره بأي نوع كان من أنواع العبادة ؛ لكن هذا وأمثاله كرهوا التوحيد ، وألفوا الشرك ، وأحبوه ، وأحبوا أهله ، فترى مآب هذا الداء المضال إلى ما ترى من التخليط والضلال ، والاستغناء بالجهل ،

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣١ (٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٩١

ووساوس الشيطان. فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه، ولا شفاء لهذا الداء العظيم إلا بالتجرد عن الهوى والعصبية، والاقبال على تدبر الآيات المحكمات في بيان التوحيد الذي بعث الله به المرسلين، كما قال تعالى: (يا أيها الناس قد جاءكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين)[١].

ومثل قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله)[٢] أمره تعالى أن يدعو أهل الكتاب إلى أن يخلصوا العبادة لله وحده، ولا يشركوا فيها أحداً من خلقه، فانهم كانوا يعبدون أنبياءهم كالمسيح بن مريم، ويعبدون أحبارهم ورهبانهم.

وتأمل قوله: (كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم) وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ إلى جميع من أرسل إليه، كما قال تعالى: (قل إنما أُمرتُ أن أعبدَ الله ولا أشركَ به، إليه أدعو وإليه مآب)[٣] وقوله: (ولا نشرك به شيئاً) يعم كل شرك دقّ أو جلّ، كثر أو قلّ.

(١) سورة يونس، الآية: ٥٧ (٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤
(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٦

قال العماد بن كثير في « تفسيره » هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ،ومن جرى مجراهم. وقوله : ( سواء بيننا وبينكم ألاَّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً )(١) لا وثناً ولا صنماً ولا صليباً ولاطاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له .

قلت: وهذا هو معنى : لا إله إلا الله ، ثم قال : وهذه دعوة جميع الرسل .

قال الله تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون )(٢) وقال : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )(٣) انتهى المقصود .

وقال رحمه الله في تفسير قوله : ( ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوَّة ثم يقولَ للناس كونوا عباداً لي من دون الله )(٤) الآية .

قال محمد بن إسحاق ، حدَّثنا محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عبَّاس رضي الله عنه قال : قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الاسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت

(١) سورة آل عمران، الآية : ٦٤ (٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥
(٣) سورة النحل ، الآية : ٣٦ (٤) سورة آل عمران، الآية : ٧٩

النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس: أو [تريد] ذاك منا يا محمد ؟ وإليه تدعونا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله ﷺ « معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غير الله ، وما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني » أو كما قال ﷺ فأنزل الله عز وجل في ذلك : ( ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله )[1] إلى قوله : ( بعد إذ أنتم مسلمون)[2] قوله : ( ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله )[1] أي ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس : اعبدوني من دون الله ؛ أي مع الله . وإذا كان هذا لا يصح لنبي ولا لمرسل ،فالآن لا يصلح لأحد من الناس بطريق الأولى والأخرى .

ولهذا قال الحسن البصري : لا ينبغي هذا للمؤمن أن يأمر الناس بعبادته ، وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضاً ، يعني أهل الكتاب .

وقوله : ( ولا يأمركم )[2] [ أي ] بعبادة أحد غير الله ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل : ( أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)[2] أي لا يفعل ذلك، لأن من دعا إلى عبادة غير الله

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ٨٠

فقد دعا إلى الكفر ، والأنبياء إنما يأمرونكم بالإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون )(١) وقال :( واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون )(٢) وقال في حق الملائكة : ( ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين )(٣) انتهى وهو في غاية الوضوح .

وبيان التوحيد ، وخصائص الربوبية والإلهية ، ونظائر هذه الآيات كثيرة في القرآن،وفي السنة من الأحاديث كذلك .

فإذا كان من المستحيل عقلاً وشرعاً على رسول الله ﷺ هو وجميع الأنبياء والمرسلين أن يأمروا أحداً بعبادتهم ، فكيف جاز في عقول هؤلاء الجهلة أن يقبلوا قول صاحب« البردة » :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم؟!

وقد أخلص الدعاء الذي هو مخ العبادة ، واللياذ الذي هو من أنواع العبادة وتضمن إخلاص الرغبة والاستكانة والاستغاثة والالتجاء إلى غير الله ، وهذه هي معظم العبادة كما أشير إلى ذلك ، كما قال تعالى : ( له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥ (٢) سورة الزخرف ، الآية : ٤٥
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٩

بشيء )[١] الآية . وقوله : ( قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا )[٢] إلى قوله :( قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير )[٣] .

وعن أنس مرفوعاً: « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي[٤]. وقوله:

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

المنافي لقوله تعالى : ( وما أدراك ما يوم الدين . ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله )[٥] . وقوله : ( قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً )[٦] وقوله : ( قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً )[٧] الآية .

وفي الحديث الصحيح قال لابنته ـ فاطمة ـ وأحب الناس إليه : « يافاطمة بنت محمد ! سليني من مالي ماشئت، لا أغني عنك من الله شيئاً » فتأمل ما بين هذا ، وبين قول الناظم من التضاد والتباين ، ثم المصادمة منه لما ذكره الله تعالى ، وذكره رسوله ﷺ كقوله : ( ليس لك من

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٤ (٢) سورة الأنعام ، الآية : ٧١

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٧٣ (٤) وسنده ضعيف، وإنما صح عنه ﷺ بلفظ : « الدعاء هو العبادة » رواه احمد وغيره بسند صحيح .

(٥) سورة الانفطار ، الآيات : ١٧ ـ ١٩ (٦) سورة الجن ، الآية : ٢١

(٧) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٨

الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون )[١] .

وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزول هذه الآية . وأمثال هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغيّر، ومن ادَّعى ذلك فقد افترى على الله كذبا وأضل الناس بغير علم، كقوله تعالى : ( ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون )[٢] وبهذا يعلم أن الناظم قد زلَّت قدمه ، اللهم إلا أن يكون قد تاب وأناب قبل الوفاة، والله أعلم .

وأما قوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتها . . البيت

فمن المعلوم أن الجواد لا يجود إلا بما علكه فمقتضى ذلك أن الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره ، وان أهل الجنة من الأولين والآخرين لم يدخلهم الجنة الرب الذي خلقهم وخلقها لهم ، بل ادخلهموها غيره ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون .

وفي الحديث الصحيح : « لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني برحمته » وقد قال تعالى : ( من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة )[٣] وقوله : ( تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨ (٢) سورة هود ، الآية : ١٢٣

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٣٤

قدير )(١) وقوله : ( قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة )(٢) وقوله : ( وإن لنا للآخرة والأولى ) فلا شريك لله في ملكه، كما لا شريك له في إلهيته وربوبيته والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً. وقوله :

ومن علومك علم اللوح والقلم

وهذا أيضاً كالذي قبله ، لا يجوز أن يقال إلا في حق الله تعالى الذي أحاط علمه بكل شيء، كما قال تعالى: (عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير)(٣) وقال: (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين)(٤). وقوله : ( قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب )(٥). وقال تعالى : ( وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين )(٦) وقال تعالى : ( قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله )(٧). والآيات في هذا المعنى كثيرة تفوت الحصر.

(١) سورة الملك ، الآية : ١
(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٢
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٧٣
(٤) سورة يونس، الآية : ٦١
(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٥٠
(٦) سورة الأنعام ، الآية : ٥٩
(٧) سورة النمل ، الآية : ٦٥

وكل هذه الأمور من خصائص الربوبية والإلهية التي بعث الله رسله، وأنزل كتبه لبيانها واختصاصها لله سبحانه دون كل من سواه وقال تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول)[1]. كقوله في آية الكرسي: (ولا يحيطون بشيء من علمه)[2] فقد أطلع من شاء من أنبيائه ورسله على ماشاء من الغيب بوحيه إليهم، فمن ذلك ما جرى من الأمم السالفة وما جرى عليهم. كما قال تعالى: (تلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا)[3].

وكذلك ما تضمنه الكتاب والسنة من أخبار المعاد والجنة والنار ونحو ذلك، أطلع الله عليه رسوله، والمؤمنون عرفوه من كتاب الله وسنة رسوله، وآمنوا به.

× وأما إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها، وما كان منها وما لم يكن، فذاك إلى الله وحده، لا يضاف إلى غيره من خلقه. فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله ﷺ. فما أجرأ هذا القائل على الله في سلب حقه، وما أعداه لرسول الله ﷺ ولمن تولاه من المؤمنين والموحدين؟!

(١) سورة الجن، الآيتان: ٢٦و٢٧ (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥
(٣) سورة هود، الآية: ٤٩

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما تنقض عرى الاسلام عروة [عروة] إذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك، وماعابه القرآن وذمه، ووقع فيه وأقرّه ودعا إليه وصوّبه وحسّنه وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره، أو شرّ منه أو دونه، فتنتقض بذلك عرى الاسلام، ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفّر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد، ويبدّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ، ومفارقة الأهواء والبدع. ومن له بصيرة وقلب حي يري ذلك عياناً، والله المستعان اهـ.

قلت: وقد رأينا ذلك والله عياناً من هؤلاء الجهلة الذين ابتلينا بهم في هذه الأزمنة، أشربت قلوبهم الشرك والبدع، واستحسنوا ذلك، وأنكروا التوحيد والسنة، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، فضلّوا وأضلّوا.

وأما قول الناظم:

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً.. البيت

فهذا من جهله؛ إذ من المعلوم عند من له أدنى مسكة من عقل، أن الاتفاق في الاسم لا ينفع إلا بالموافقة في الدين واتباع السنة، [فولاية]

الرسول ﷺ اتّباعه على دينه، والعمل بسنته، كما دل عليه الكتاب والسنة. كما قال تعالى: ( ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتّبعون الرسول النبي الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ) إلى قوله: ( فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أنزل معهم أولئك هم المفلحون )[1]

وتأمّل قصة أبي طالب عم النبي ﷺ وقد كان يحوطه ويحميه وينصره، ويجمع القبائل على نصرته ﷺ، وحمايته من أعدائه، وقد قال في حق النبي ﷺ:

لقد علموا أن ابننا لامكذّب لدينا ولا يعني بقول الأباطل

حدبت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

ولم يتبرأ من دين أبيه عبد المطلب، ومات على ذلك، وقال النبي ﷺ: « لأستغفرنّ لك ما لم أنهَ عنك » فأنزل الله سبحانه: ( ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم )[2]. فلا وسيلة للعبد إلى نيل شفاعة النبي ﷺ إلا بالإيمان به، وبما جاء به من توحيد الله وإخلاص

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٦، ١٥٧

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٣

العبادة له وحده لا شريك له ، ومحبته واتباعه ، وتعظيم أمره ونهيه ، والدعوة إلى ما بعث به من دين الله ، والنهي عما نهى عنه من الشرك بالله والبدع ، وما لا فلا فعكس الملحدون الأمر ، فطلبوا الشفاعة التي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنها وإنكارها وقتال أهلها[1]، وإحلال دمائهم وأموالهم ، وأضافوا إلى ذلك إنكار التوحيد ، وعداوة من قام به واقتفى أثر النبي ﷺ ، كما تقدم في كلام شيخ الاسلام رحمه الله من قوله : ويكفّر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد... إلى آخر كلامه .

وأما قول الناظم :

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... البيت

فهذا هو الذي ذكر الله عن المشركين من اتخاذ الشفعاء ليشفعوا لهم ويقرّبوهم إلى الله زلفى .

قال الله تعالى : ( إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين. ألا لله الدين الخالص )[2] فهذا هو دين الله الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه ، ثم ذكر بعد ذلك دين المشركين فقال : ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى إن الله

(١) في الاصل : فطلبوا الشفاعة الذي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنه وإنكاره وقتال أهله.

(٢) سورة الزمر ، الآيتان : ٢، ٣

يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفّار )[١] فتأمل كون الله تعالى كفَّرهم بقولهم : ( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )[١] . وقال في آخر هذه السورة : ( أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً )[٢].

قلت : وقد وقع من هؤلاء من اتخاذهم شفعاء بدعائهم وطلبهم ورغبتهم والالتجاء إليهم وهم أموات غافلون عنهم ، لا يقدرون ولا يسمعون لما طلبوا منهم وأرادوه .

وقد أخبر تعالى أن الشفاعة ملكه لا ينالها من أشرك به غيره ، وهو الذي له ملك السماوات والأرض ، كما قال تعالى : ( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)[٣] فعاملهم الله بنقيض قصدهم من جميع الوجوه ، وسجل عليهم الضلال.

ولهذه الآية أيضاً نظائر كثيرة ، كقوله : ( ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣ (٢) سورة الزمر ، الآيتان : ٤٣، ٤٤

(٣) سورة الأحقاف ، الآيتان : ٥، ٦

بشرككم ولا ينبئك مثل خبير )[١] .

فبيّن أن دعوتهم غير الله شرك بالله ، وأن المدعو غيره لا يملك شيئاً ، وأنه لا يسمع دعاء الداعي ولا يستجيب ، وأن المدعو ينكر ذلك الشرك ، ويتبرأ منه ومن صاحبه يوم القيامة . فمن تأمل هذه الآيات انزاحت عنه بتوفيق الله وفتحه جميع الشبهات .

ومما يشبه هذه الآية في حرمان من أنزل حوائجه بغير الله ، واتخذه شفيعاً من دون الله بتوجيه قلبه وقالبه إليه ، واعتماده في حصول الشفاعة عليه ـ كما قد تضمنه بيت الناظم ـ قول الله تعالى : ( ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون )[٢] .

فانظر كيف حرمهم الشفاعة لما طلبوها من غير الله ، وأخبر أن حصولها مستحيل في حقهم بطلبها في دار العمل من غيره ، وهذه هي الشفاعة التي نفاها القرآن ، كما قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة )[٣] . وقال : ( وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من

(١) سورة فاطر ، الآيتان : ١٣، ١٤ (٢) سورة يونس ، الآية : ١٨
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٤

دونه وليٌّ ولا شفيع ) [١] . فهذه الشفاعة المنفية هي التي فيها شرك ، وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن، فاءنما ثبتت بقيدين عظيمين: إذن الرب تعالى للشفيع، ورضاه عن المشفوع له ، وهو لا يرضى من الأديان الستة المذكورة في قوله : ( إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ) [٢] الآية ، إلا الايمان الذي أصله وأساسه التوحيد والاخلاص ، كما قال تعالى : ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ) [٣] . وقال : ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ) [٤]. وقال : ( وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ) [٥] . وقال تعالى : ( إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض ) إلى قوله : ( مامن شفيع إلا من بعد إذنه ) [٦] .

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ لما ذكر شفاعته قال : « وهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً ». وقال أبو هريرة رضي الله عنه : من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٥١ (٢) سورة الحج ، الآية : ١٧
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٨
(٥) سورة النجم ، الآية : ٢٦ (٦) سورة يونس ، الآية : ٣

قال شيخ الاسلام في هـذا الحديث : فتلك الشفاعـة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله وقد كشفنا بحمد الله بهذه الآيات المحكمات تلبيس هذا المعترض الملبس ولجاجه وافتراءه على الله ورسوله ؛ فإن دعوة غير الله ضلال وشرك ينافي التوحيد. وإن اتخاذ الشفعاء إنما هو بدعائهم ، والالتجاء إليهم ، وسؤالهم أن يشفعوا للداعي ، وقد نهى الله عن ذلك ، وبيّن أن الشفاعة له ، فإذا كانت له وحده، فلا تطلب إلا ممن هي ملكه فيقول : اللهم شفّع نبيك فيّ ، لأنه تعالى هو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضى دينه ، فهو الإخلاص كما تقدم بيانه .

وأما قول المعترض : إن المعتزلة احتجوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة على أنها لا تقع لأهل الكبائر من الموحدين ، فأقول: لا ريب أن قولهم هذا بدعة وضلالة .

وأنت أيها المجادل في آيات سلطان مع المعتزلة في طرفي نقيض ، تقول : إن الشفاعة تثبت لمن طلبها وسألها من الشفيع ، فجعلت طلبها موجباً لحصولها .

والقرآن قد نفى ذلك وأبطله في مواضع كثيرة بحمد الله ، والحق أنها لا تقع إلا لمن طلبها من الله وحده ، ورغب إليه فيها ،

وأخلص له العبادة بجميع أنواعها، فهذا هو الذي تقع له الشفاعة قبل دخول النار أو بعده إن دخلها بذنوبه؛ فهذا هو الذي يأذن الله للشفعاء أن يشفعوا له بمامعه من الاخلاص، كما صرحت بذلك الأحاديث، والله أعلم.

وقد قدمنا ما دل عليه الكتاب والسنة أن ما في القرآن من ذكر الشفاعة نفياً وإثباتاً؛ فحق لا اختلاف فيه بين أهل الحق؛ فالشفاعة المنفية إنما هي في حق المشرك الذي اتخذ له شفيعاً يطلب الشفاعة منه، فيرغب إليه في حصولها، كما في البيت المتقدم، وهو كفر كما صرح به القرآن.

وأما الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنة؛ فقد ثبتت للمذنبين الموحدين المخلصين؛ وهذا هو الذي تظاهرت عليه النصوص، واعتقده أهل السنة والجماعة ودانوا به.

والحديث الذي أشار إليه المعترض من قوله: «أنا لها أنا لها» لا ينافي ما تقرر، وذلك أن الناس في موقف القيامة إذا فزعوا إلى الرسل ليشفعوا لهم إلى الله في إراحتهم من كرب ذلك المقام بالحساب، وكل نبي ذكر عذره. قال النبي ﷺ في الحديث: «فيأتوني، فأخرّ بين يدي الله ساجداً» أو كما قال: «فأحمده بمحامد يفتحها عليّ، ثم يقال: ارفع رأسك، وقل تسمع، وأسأل تعطه، واشفع تشفّع»، قال: «فيحدّ لي حداً فأدخلهم الجنة».

فتأمل كون هذه الشفاعة لم تقع إلا بعد السجود لله، ودعائه وحمده، والثناء عليه بما هو أهله. وقوله: «فيحدّ لي حداً» فيه بيان أن الله هو الذي يحدّ له. وهذا الذي يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل، هو من باب سؤال الحي الحاضر، والتوسل إلى الله بدعائه، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ في حياته أن يدعو لهم إذا نابهم شيء، كما في حديث الاستسقاء وغيره

ولما توفي رسول الله ﷺ لم يكونوا يفعلون عند قبره شيئاً من ذلك البتة؛ ففرّق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم أعلم الأمة وأفضلها بين حالتي الحياة والممات، وكانوا يصلّون على النبي ﷺ عند دخول المسجد والخروج منه، وفي الصلاة والخطب، وعند ذكره امتثالاً لقوله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني أينما كنتم» ولما أراد عمر رضي الله عنه أن يستسقي بالناس أخرج معه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال: اللهم إنا كنا إذا اجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيدعو.

فلو جاز أن يتوسل عمر والصحابة بذات النبي ﷺ بعد وفاته لما صلح منهم أن يعدلوا عن النبي ﷺ إلى العباس، فلما عدلوا عنه إلى العباس، علم أن التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته لا يجوز في دينهم، وصار

هذا إجماعاً منهم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك.

فقال أبو الحسن القدوري في شرح «كتاب الكرخي»: قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام.

قال أبو الحسن: أما المسألة بغير الله فتكره في قولهم، لأنه لا حق لغير الله عليه، وإنما الحق لله على خلقه.

وقال في «شرح المختار» ويكره أن يدعو الله إلا به، فلا يقول: أسألك بفلان أو بملائكتك وأنبيائك ونحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق.

وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه: أكره كذا، هو عند محمد[1] حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو إلى الحرام أقرب، وجانب التحريم عليه أغلب، فإذا قرر الشيطان عنده أن الاقسام على الله به، والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه، وأنجع بقضاء حاجته، نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله، ثم ينقله بعد درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثناً يعكف عليه، ويوقد عليه القنديل، ويعلق عليه الستور،

(١) هو محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة، رحمهما الله تعالى.

ويبني عليه المسجد، ويعبده بالسجود له، والطواف وتقبيله، واستلامه، والحج إليه، والذبح عنده، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس لعبادته، واتخاذه عيداً ومنسكا، وأن ذلك نفع لهم في دنياهم وآخرتهم.

قال شيخنا قدس الله روحه: وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب: أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته، ويستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس. قال: وهؤلاء من جنس عبّاد الأصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظمه، ويتمثل لهم الشيطان أحياناً، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة.

ثم ذكر المرتبة الثانية وهي: أن يسأل الله به؛ وقال: وهو بدعة باتفاق المسلمين.

والثالثة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب؛ أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين، وإن كان كثيراً من الناس يفعل ذلك. انتهى.

ففرض على كل أحد أن يعلم ما أمر الله به ورسوله من إخلاص العبادة لله وحده، فانه الدين الذي بعثه به، وأن يترك ما نهى الله عنه[1]

---

(١) في الأصل: عنده، وهو خطأ.

ورسوله ﷺ من الشرك فما دونه، كما قال تعالى: (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك، فان فعلت فانك إذاً من الظالمين)[1] الآية وأن لايدين الله تعالى إلا بما دلّه الدليل على أنه من دين الله، ولايكون إمّعة يطير مع كل ريح، فإن الناس من أمة محمد ﷺ والأمم قبلها قد تنازعوا في ربهم وأسمائه وصفاته، وما يجب له على عباده. وقد قال تعالى: (فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسنُ تأويلاً)[2]. فيا سعادة من تجرد عن العصبية والهوى، والتجأ إلى حصن الكتاب والسنة، فان العلم معرفة الهدى بدليله، وما ليس كذلك فجهل وضلال.

وأماقول المعترض: فانظرإلى «الشفا»[3] تجده حكى كفرمن قال مثل هذه الكلمة، أي الكلمة التي ذكرها المجيب في معنى قوله: (قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً)[4] الآيات. ذكر عبارات النسفي في معناها، وهي قوله: هو إظهار للعبودية، وبراءة مما يختص بالربوبية من علم الغيب. أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع، ولا دفع ضر... إلى آخر كلامه. إذ من عادة هذا المعترض الجاهل رد الحق، والمكابرة في دفعه، والغلوّ المتناهي، وإلا فمن المعلوم عند من له

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٦ (٢) سورة النساء، الآية: ٥٩

(٣) لعله يقصد به: كتاب «الشفا في حقوق المصطفى» للقاضي عياض.

(٤) سورة الجن، الآية: ٢١

معرفة بدين الاسلام أن المجيب إنما أتى في جوابه بتحقيق التوحيد، ونفي الشرك بالله، وذلك تعظيم لجانب الرسالة. وكان النبي ﷺ ينهى أمته عن كل ما يؤول بهم إلى الغلوّ. ولما قيل له ﷺ: أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، قال: «يا أيها الناس! قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينّكم الشيطان، أنا عبدُ الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله تعالى».

والنبي ﷺ هو أحق الخلق بالتواضع لله وحده سبحانه. وفي الحديث: «فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق إلا برحمتك ...» الحديث.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، يخبر بذلك عن نفسه، ويعترف بذلك لربه، وهو الصادق المصدوق، فاذا قال المسلم مثل هذا في حقه ﷺ وأخبر بما أخبر به عن نفسه لم يكن منتقصاً له، بل هذا من تصديقه والايمان به.

قال شيخ الاسلام رحمه الله: إذا كان الكلام في سياق توحيد الرب ونفي خصائصه عما سواه، لم يجز أن يقال: هذا سوء عبادة في حق من دون الله من الأنبياء والملائكة، فإن المقام أجلّ من ذلك، وكل ماسوى الله يتلاشى عن تجريد توحيده، والنبي ﷺ كان أعظم

الناس تقريراً لما يقال على هذا الوجه . وإن كان نفسه المسلوب، كما في « الصحيحين » في حديث الإفك لما نزلت براءة عائشة من السماء ، وأخبرها النبي ﷺ بذلك ، قالت لها أمها : قومي إلى رسول الله ﷺ ، قالت: والله لاأقوم إليه ولاأحمده ، ولا إياكما، ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي . فأقرّها النبي ﷺ وأبوها على هـذا الكلام الذي نفت فيه أن تحمد رسول الله ﷺ ، وفي رواية : بحمد الله لا بحمدك ، ولم يقل أحد : هذا سوء أدب عليه ﷺ .

وأخرج البيهقي بسنده إلى محمد بن مسلم ، سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول : قلت لعبد الله بن المبارك قول عائشة للنبي ﷺ : بحمدالله لا بحمدك، إني لأستعظم هذا، فقال عبد الله : ولَّت الحمد أهله .

وكذلك الحديث الذي رواه الامام أحمد بسنده عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ أتي بأسير فقال : اللهم أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد . فقال النبي ﷺ : « عرف الحق لأهله » .

وهذا المعترض وأمثاله ادّعوا تعظيم أمر رسول الله ﷺ بما قد نهى عنه من الغلوّ والإطراء ،وهضموا ربوبية الله ، وتنقصوا إلٰهيته، وأتوا بزخارف شيطانية ، وحاولوا أن يكون حق الله من العبادة التي خلق لها عباده نهبى بين الأحياء والأموات ؛ هـذا يصرفه لنبي ،

وهذا الملك ، وهذا لصالح ، أو غير هؤلاء ممن اتخذوهم أنداداً لله ، وعبدوا الشياطين بما أمروهم به من ذلك الشرك بالله ، فإن عبادتهم للملائكة والأنبياء والصالحين إنما تقع في الحقيقة على من زيَّنها لهم من الشياطين وأمرهم بها ؛ كما قال تعالى : ( ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون )[1] ونحو هذه الآية كثير في القرآن .

ولما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله ما وقع في زمانه من الشرك بالله قال : وهذا هضم للربوبية ، وتنقص للإلهية ، وسوء ظن برب العالمين ، وذكر أنهم ساووهم بالله في العبادة ، كما قال تعالى عنهم وهم في النار : ( تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين )[2] .

وأما ما ذكره عن خالد الأزهري، فخالد وما خالد؟! أغرك منه كونه شرح «التوضيح» و « الأجرومية » في النحو؟! وهذا لا يمنع كونه جاهلاً بالتوحيد الذي بعث الله رسوله ﷺ ، كما جهله من هو أعلم وأقدم منه ممن لهم تصانيف في المعقول ، كالفخر الرازي ، وأبي معشر البلخي ونحوهما ممن غلط في التوحيد، وقد كان خالد هذا يشاهد أهل

---

(١) سورة سبأ ، الآيتان : ٤٠ و ٤١ (٢) سورة الشعراء، الآيتان : ٩٧ و ٩٨

مصر يعبدون البدوي وغيره ، فما أنكر ذلك في شيء من كتبه ، ولا نقل عنه أحد إنكاره .

فلو صح ما ذكره خالد من حال الناظم لم يكن جسراً تذاد عنه النصوص من الآيات المحكمات القواطع ، والأحاديث الواضحات البيّنات، كقوله تعالى : ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً )[1] وقوله : ( ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون )[2] وقول النبي ﷺ : « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار » .

وقد استدرج الله أهل الشرك بأمور تقع لهم يظنونها كرامات عقوبة لهم ،وكثير منها أحوال شيطانية أعانوا بها أولياءهم من الإنس، كما قد يقع كثيراً لعبّاد الأصنام ، وما أحسن ما قال بعضهم شعراً :

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا  وكلهم يدّعون الفوز بالظفر
فخذ بقول يكون النص ينصره  إمّا عن الله أو عن سيد البشر

وقد حاول هذا الجاهل المعترض صرف أبيات «البردة» عما هو صريح فيها النص فيما دلت عليه من الشرك في الربوبية والإلهية، ومشاركة الله في عمله وملكه، وهي لا تحتمل أن تصرف عما هي فيه من

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٣٦  (٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٧

ذلك الشرك والغلو، فما ظفر هذا المعترض من ذلك بطائل، غير أنه وسم نفسه بالجهل والضلال، والزور والمحال، ولو سكت لسلم من الانتصار لهذا الشرك العظيم الذي وقع فيه.

وأما قول المعترض: ورد في الحديث «لولا حبيبي محمد ما خلقت سمائي ولا أرضي ولا جنتي ولا ناري».

فهذا من الموضوعات، لا أصل له، ومن ادَّعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة في الحديث، وأنى له ذلك؟! بل هو من أكاذيب الغلاة الوضاعين.

وقد بيَّن الله تعالى حكمته في خلق السماوات والأرض في كثير من سور القرآن، كما في الآية التي تأتي بعد، وهي قول الله تعالى: (اللهُ الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً)(١)

ولها نظائر تبين حكمة الرب في خلق السماوات والأرض.

وقوله: وكيف ينكر تصرفه في إعطاء أحد بإذن الله من الدنيا في حياته أو في الآخرة بعد وفاته.

أقول: هـذا كلام من اجترأ وافترى وأساء الأدب مع الله،

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢

وكذب على رسوله ، ولم يعرف حقيقة الشفاعة ؛ ولا عرف تفرُّد الله بالملك يوم القيامة . وهل قال رسول الله ﷺ أو أحد من أصحابه أو من بعدهم من أئمة الإسلام أن أحداً يتصرف يوم القيامة في ملكه ؟! ولو أطلقت هذه العبارة في حق رسول الله ﷺ لا ادّعاها كلٌ لمعبوده من نبي أو ملك أو صالح أنه يشفع له إذا دعاه : ( سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء )(١) وقال تعالى : ( يوم يأت لا تكلّم نفس إلا بإذنه )(٢) وقال: ( لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً )(٣) .

وهذا القول الذي قاله الجاهل قد شافهنا به جاهل مثله بمصر يقول : الذي يتصرف في الكون سبعة : البدوي ، والامام الشافعي ، والشيخ الدسوقي ... حتى أكمل السبعة من الأموات . هذا يقول : هذا وليٌّ له شفاعة ، وهذا صالح كذلك ، وقد قال تعالى : ( لينذر يوم التلاق . يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار )(٤) . إلى قوله : ( ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع )(٥) . وأي ظلم أعظم من الشرك بالله ، ودعوى الشريك له في

(١) سورة الفرقان ، الآية : ١٨
(٢) سورة هود ، الآية : ١٠٥
(٣) سورة النبأ ، الآية : ٣٨
(٤) سورة غافر ، الآيتان : ١٥و١٦
(٥) سورة غافر ، الآية : ١٨

الملك والتصرف ؛ وهذا غاية الظلم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله في معنى قوله تعالى : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)[1] نفى الله عما سواه [كل ما] يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة التي يظنها المشركون منتفية كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ، لا يبدأ بالشفاعة أولاً ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، واسأل تعطه ، واشفع تشفع . وقال له أبو هريره رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك ؛ قال : « من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص ، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه ، وينال المقام المحمود ، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة باذنه في مواضع ، وقد بيّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والاخلاص . انتهى كلامه .

---

(١) سورة سبأ ، الآيتان : ٢٢و٢٣

وقال العلامة ابن القيم في « مدارج السالكين » : وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعاً ، فقال تعالى : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ) (١) .

فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع ؛ والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع : إما مالك لما يريده عابده منه [ فإن لم يكن مالكاً له كان شريكاً ] ، فان لم يكن شريكا له كان معيناً له وظهيراً ، فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً، كان شفيعاً عنده ؛ فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة باذنه

فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك [و]مراده لمن عقلها ،والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنه في نوع ؛ وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً ،فهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن .

(١) سورة سبأ ، الآيتان : ٢٢و٢٣

ولَعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك إلى أن قال : ومن أنواعه ـ أي الشرك ـ طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته ، أو سأله أن يشفع له إلى الله ، وهذا جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا باذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه [في] كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها .

وهذه حالة كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود ، وتغيير دينه ، ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى تنقص بالأموات ؛ وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك ، وأولياء التوحيد له بذمهم وعيبهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص ، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم . قال : وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرّب بمقتهم إلى الله ، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده ، فجرد حبه لله ،

وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، وأخلص قصده لله، متبعاً لأمره، متطلباً لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله وبالله ومع الله. انتهى.

فرحم الله هذا الامام وشيخه[1]، فلقد بيَّنا للناس حقيقة الشرك وطرقه وما يبطله.

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» ولم يقل: فاسألني واستعن بي، فقصر السؤال والاستعانة على الله الذي لا يستحقه سواه، كما في قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين)[2]. فمن صرف ذلك لغير الله، فقد عصى الله ورسوله، وأشرك بالله.

وللمعترض كلام ركيك لا حاجة لنا إلى ذكر ما فيه، وإنما نتبع من كلامه ما يحتاج إلى رده وإبطاله كجنس ما تقدم.

واعلم أنه قال لما ذكر قول المجيب: إنه لا يجتمع الايمان بالآيات المحكمات وتلك الابيات، لما بينهما من التنافي والتضاد.

وقال المعترض: أقول: يجتمعان بأن يفرد الله بالعبادة، ولا يقدح

(١) أي العلامة ابن القيم، وشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية، رحمهما الله تعالى.
(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥

فيه تشفعة بأحباب حبه إليه ، وكيف يحكم بالضلال بمجرد طلبه الشفاعة ممن هو أهل لها، كما في الحديث : «أنا لها ، أنا لها» ومعلوم أن الضلال ضد الحق .

فالجواب: لا يخفى ما في كلامه من التخليط والتلبيس ،والعصبية المشوبة بالجهل المركب لا يدري ولا يدري أنه لا يدري ، وقد بينّا فيما تقدم أن دعوة غير الله ضلال ، وأن اتخاذ الشفعاء الذين أنكر الله تعالى إنما هو بدعائهم والالتجاء إليهم ، والرغبة إليهم فيما أراده الراغب منهم من الشفاعة التي لا يقدر عليها إلا الله ، وذلك ينافي الاسلام والايمان بلا ريب ، فإن طلبها من الأموات والغائبين طلب لما لا يقدر عليه إلا الله ، وهو خلاف لما أمر الله تعالى به ، وارتكاب لما نهى عنه، كما تقدم بيانه في معنى قوله تعالى : ( ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفاؤنا عند الله )[1] الآية . وقوله : ( قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا )[2] الآية . وقوله : ( ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى )[3] فطلب الشفاعة من النبي ﷺ أو غيره بعد وفاته ، وبعده

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨ (٢) سورة الاسراء ، الآية : ٥٦

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٣

عن الداعي، لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه، ولا رسوله ﷺ؛ وهو التوسل الذي ذكره العلامة ابن القيم وشيخه، وصرحا بأنه شرك، وللعلامة ابن القيم أبيات في [هذا] المعنى، وهي قوله:

والشرك فهو توسل مقصوده الزلفى من الرب العظيم الشان
بعبادة المخلوق من حجر ومن بشر ومن قبر ومن أوثان
والناس في هذا ثلاث طوائف ما رابع أبداً بذي إمكان
أحد الطوائف مشرك بإلهه فإذا دعاه دعا إلهاً ثان
هذا وثاني هذه الأقسام ذلك جاحد يدعو سوى الرحمان
هو جاحد للرب يدعو غيره شركاً وتعطيلا له قدمان
هذا وثالث هذه الأقسام خير الخلق ذاك خلاصة الإنسان
يدعو إله الحق لا يدعو [إلى] [أحد] سواه قط في الأكوان
يدعوه في الرغبات والرهبات والحالات من سر ومن إعلان

وقد أنكر الله ذلك الدعاء على من زعم في الرسل والملائكة، وذلك كما قال تعالى: ( قل ادعو الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا )(١).

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وأمه وعزيرا

(١) سورة الاسراء، الآية: ٥٦

والملائكة، فأنكر الله ذلك وقال: هؤلاء عبيدي يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي، وهؤلاء الذين نزلت هذه الآية في إنكار دعوتهم من أوليائه وأحبابه. وقد تقدم أن الدعاء وجميع أنواع العبادة حق الله المحض كما تقدم في الآيات.

والحاصل أن الله تعالى لم يأذن لأحد أن يتخذ شفيعاً من دونه يسأله، ويرغب إليه، ويلتجأ إليه، وهذا هو العبادة. ومن صرف من ذلك شيئاً لغير الله فقد أشرك مع الله غيره، كما دلت عليه الآيات المحكمات؛ وهذا ضد إفراد الله بالعبادة. وكيف يتصور إفراد الله بالعبادة وقد جعل العبدُ ملاذاً ومفزعاً سواه؟ فان هذا ينافي الافراد، فأين ذهب عقل هذا وفهمه؟!

قال شيخ الاسلام رحمه الله: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. انتهى.

وقد تبيَّن أن الدعاء مخ العبادة، وهو مما يحبه ويأمر به عباده، وأن يخلصوه له. وقد تقدم من الآيات ما يدل على ضلال من فعل [ذلك] وبهذا يحصل الجواب عن قول المعترض: إن الشفاعة المنفية إنما هي في حق الكفار؛ فنقول: فمن اتخذ معبوداً سوى الله يرجوه أو يخافه فقد كفر.

وتأمَّل قول الله تعالى : ( والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون. أموات غير أحياء وما يشعرون أيَّان يبعثون . إلٰهكم إلٰه واحد )(١) فبيَّن تعالى أن المخلوق لا يصلح أن يدعى من دون الله، وأن من دعاه فقد أشرك مع الله غيره في الإلٰهية، والقرآن من أوله إلى آخره يدل على ذلك . وكذلك سنة رسول الله ﷺ ، ولكن الملحدين محجوبون عن فهم القرآن ، كما حجبوا عن الايمان بجهلهم وضلالهم وإعراضهم ، كما أنزل في كتابه من بيان دينه الذي رضيه لنفسه ورضيه لعباده .

قال شيخ الاسلام [أحمد](٢) بن تيمية رحمه الله تعالى: وحقيقة التوحيد أن يعبد الله وحده ، لا يدعو إلا [ه] ، ولا يخشى ولا يتقي إلا [ه] ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يكون الدين إلا له ، وأن لا يُتخذ الملائكة والنبيون أرباباً ، فكيف بالأئمة والشيوخ .فاذا جعل الامام والشيخ كأنه إلٰه يدعى مع غيبته وموته ، ويستغاث به ، ويطلب منه الحوائج كأنه مشبَّه بالله ، فيخرجون عن حقيقة التوحيد الذي أصله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . اهـ .

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال لابن عباس : « إذا سألت فاسأل

(١) سورة النحل ، الآيات: ٢٠-٢٢ (٢) في الأصل: محمد ، ولعله تحريف .

الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » . فلو جاز أن يسأل رسول الله ﷺ لما قصر سؤاله واستعانته على الله وحده .

وابن عباس أحق الناس بأن يعلمه رسول الله ﷺ ما فيه له منفعة، فلو جاز صرف ذلك لغير الله لقال : واسألني ، واستعن بي ، بل أتى ﷺ بمقام الارشاد والابلاغ والنصح لابن عمه بتجريد إخلاص السؤال والاستعانة على الله تعالى . فأين ذهبت عقول هؤلاء الضُّلَّال عن هذه النصوص ؟! والله المستعان .

وقال الشيخ رحمه الله : واعلم أن لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين : دعاء العبادة ، ودعاء المسألة وكل عابد سائل ، وكل سائل عابد ، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ، وإذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب لجلب المنفعة ، ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب . ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر ، وإن لم يكن هناك صيغة سؤال . ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو مسألة من الرغب والرهبة والخوف والطمع اهـ .

فتبين أن أبيات « البردة » التي قدمنا الكلام عليها تنافي الحق وتناقضه ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

وقول المعترض : لا سيما والناظم [على] جاني عظيم من الزهد

والورع والصلاح ، بل وله يد في العلوم كما حكى ذلك مترجموه ، وهذا كله صار هباءً منثوراً حيث لم يرضوا عنه .

أقول : هذه دعوى تحتمل الصدق والكذب ، والظاهر أنه لا حقيقة لذلك ، فانه لا يعرف إلا بهذه «المنظومة» ، فلو قدِّر أن لذلك أصلاً ، فلا ينفعه ذلك مع تلك الأبيات ، لأن الشرك يحبط الأعمال ، كما قال تعالى : ( ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون )[1] . وقد صار العمل مع الشرك هباءً منثوراً .

قال سفيان بن عيينة : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فان فتنتهما فتنة لكل مفتون ، فان كان للرجل عبادة ، فقد فتن بأبياته كثير من الجهال ؛ وعبادته إن كانت ، فلا تمنع كونه ضالاً كما يرشد إلى ذلك آخر الفاتحة .

قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبّادنا ففيه شبه من النصارى . فالواجب علينا أن نبيّن ما في كلامه مما يسخط الله ورسوله من الشرك والغلوّ .

وأما الشخص وأمثاله ممن قد مات ، فيسعنا السكوت عنه ، لأنا لا ندري ما آل أمره إليه ، وما مات عليه . وقد عرف أن كلام خالد الأزهري لا حجة فيه ، وأهل الغلو والشرك ليس عندهم إلا المنامات

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٨٨

والأحوال الشيطانية التي يحكيها بعضهم عن بعض ، كما قال لي بعض علماء مصر : إن شيخنا مشى بأصحابه على البحر . فقال : لا تذكروا غيري، وفيهم رجل ذكر الله فسقط في البحر ، فأخذ بيده الشيخ فقال: ألم أقل لكم: لا تذكروا غيري؟ فقلت: هذه الحكاية تحتمل أحد أمرين لا ثالث لهما: أحدهما: أن تكون مكذوبة مثل أكاذيب سدنة الأوثان، أو أنها حال شيطانية ، وأسألك أيها الحاكي لذلك: أيكون فيها حجة على جواز دعوة غير الله؟ فأقرّ وقال : لا حجة فيها على ذلك .

والمقصود بيان أنه ليس عند الغلاة من الحجة ما زخرفوه أو حرّفوه أو كذّبوه وماقال الله وقال رسوله ، فهذا بحمد الله كله عليهم لا لهم ، وما حرّفوه من ذلك ردّ إلى صحيح معناه الذي دل عليه لفظه مطابقة وتضمناً والتزاماً . قال تعالى : ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون )(١) .

وذكر المعترض حكاية، يقول عن غير واحد من العلماء العظام : أنه رأى النبي ﷺ و«المنظومة» تنشد بين يديه ، إلى قوله :

لكن الخصم مانع ذلك كله بقوله : إنهم كفار .

فالجواب أن يقال : ليس هذا وجه المنع وإنما وجهه أنها حكاية

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١١٢

مجهولة عن مجهول. وهذا [من] جنس إسناد الكذابين(١). فلو قيل: من هؤلاء العظام؟ وما أسماؤهم؟ وما زمنهم؟ وما طبقتهم؟ لم يدر عنهم. وأخبار المجهولين لا تقبل شهادة ولا رواية يقظة؛ فكيف إذا كانت أحلاماً؟! والمعترض كثيراً ما يحكي عن هيا[ن] بن بيّان.

ثم قال المعترض على قول المجيب: وطلب الشفاعة من النبي ﷺ ممتنع شرعاً وعقلاً. قال المعترض: من أين هذا الامتناع؟ وما دليله من العقل والسمع؟

فالجواب أن يقال: معلوم أن دليله من الجهتين لا تعرفه أنت ومن مثلك، وإنما معرفتك في اللجاج الذي هو كالعجاج الذي يحوم في الفجاج. أما دليله من السمع فقد تقدم في آيات الزمر ويونس وغيرها، وقد بسطنا القول في ذلك بما يغني عن إعادته، فليرجع إليه.

وأما دليله من العقل، فالعقل الصحيح يقضي ويحكم بما يوافق النقل، بأن النجاة والسعادة والفلاح وأسباب ذلك كله لا تحصل إلا بالتوجه إلى الله تعالى وحده، وإخلاص الدعاء والالتجاء له وإليه، لأن الخير كله بيده، وهو القادر عليه. وأما المخلوق فليس في يده من هذا شيء، كما قال تعالى: (ما يملكون من قطمير)(٢). فتسوية المخلوق بالخالق خلاف العقل، كما قال تعالى: (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا

(١) في الأصل: الأكاذيب.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٣

تذكّرون )[1] ، فالذي له الخلق والأمر والنعم كلها منه ، وكل مخلوق فقير إليه، لا يستغنى عنه طرفة عين، هو الذي يستحق أن يدعى ويرجى ويرغب إليه ، ويرهب منه ، ويتخذ معاذاً وملاذاً، ويتوكل عليه. وقد قال تعالى : ( يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد )[2] وقال المفسرون المحققون السلفيون المتبعون في قوله تعالى ( وعلى ربهم يتوكلون )[3]: أي لا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ، ولا يلوذون إلا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له، لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل جماع الايمان . ذكره العلماء في تفسيره ، وليتأمل ماذكره الله عن صاحب ياسين من قوله : ( أأتخذ من دونه آلهة إن يُرِدْنِ الرحمن بضرّ لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون . إني إذاً لفي ضلال مبين )[4] . فهذا دليل فطري عقلي سمعي .

وأما قول المعترض : إن قول الناظم :

ومن علومك علم اللوح والقلم

(١) سورة النحل ، الآية : ١٧ (٢) سورة فاطر ، الآية : ١٥

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٢٠ (٤) سورة يس ، الآيتان : ٢٣، ٢٤

إنَّ (من) بيانية . فالجواب أنه ليس كما قال، بل هي تبعيضية، ثم لو كانت بيانية، فما ينفعه والمحذور بحاله ، وهو أنه يعلم ما في اللوح المحفوظ .

وقد صرح المعترض بذلك فقال : ولا شك أنه أوتي علم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان وما يكون .

فالجواب : هذه مصادمة لما هو صريح في كتاب الله ، وسنَّة رسوله، بأن الإحاطة بما في اللوح المحفوظ علماً ليس إلا لله وحده ، وكذلك علم الأولين والآخرين ليس إلا لله وحده، إلا ما أطلع الله عليه نبيه في كتابه ، كما قال الله تعالى : ( ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض )[1]. فالرجل في عمىً عن قول الله تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه) وقال تعالى (الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً )[2] . وقد تقدم لهذه الآيات نظائر . فاحاطة العلم بالموجودات والمعدومات التي وجدت واستوجدت لله وحده ، لم يجعل ذلك لأحد سواه .

وقال تعالى : ( يسألونك عن الساعة أيَّان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجلِّيها لوقتها إلا هو )[3] فأسند علم وقت الساعة إلى ربه

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٢) سورة الطلاق ، الآية : ١٢

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٧

بأمره، كقوله تعالى: ( يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها )[١] . وأمثال هذه الآيات، مما يدل على أن الله تعالى اختص بعلم الغيب كله، إلا ما استثناه بقوله: ( ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء )[٢] . و(من) تبعيضية هاهنا بلا نزاع

وقد قال الخضر لموسى عليهما السلام: ما نقص علمي وعلمك في علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر ، فتأمل هذا وتدبّر .

وأما قول المعترض وتأويله لقوله تعالى: ( قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله )[٣] فتأويل فاسد، ماقاله غيره ولا يقوله مسلم، من أنه يعلم الغيب بتعليم الله له، والمنفي في الآية أن يعلمه بنفسه بدون أن يعلمه الله ذلك . فما أجرأ هذا الجاهل على هذا التأويل، وما أجهله بالله وبكتابه؟! فيقال في الجواب: لا ينفعك هذا التأويل الفاسد، إذ لو كان أحد يعلم جميع الغيب بتعليم الله، لصدق عليه أن يقال: هذا يعلم الغيب كله الذي يعلمه الله، فما بقي على هذا القصر [لعلم] الغيب على الله في هذه الآية معنى، وحصل الاشتراك، نعوذ بالله من الافتراء على الله وعلى كتابه وصرف ما لم ينزل به سلطاناً .

(١) سورة النازعات، الآيات: ٤٢-٤٤ (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٥

وأما قوله في قول الناظم :

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي

إن الأخذ باليد بالشفاعة . فالجواب أن حقيقة هذا القول وصريحه طلب ذلك من غير الله ، فلو صح هذا الحمل فالمحذور بحاله لما قد عرفت من الاستغاثة بالأموات والغائبين والاستشفاع بهم في أمر هو في الله ممتنع حصوله، لكونه تألهاً وعبادة ، وقد أبطله القرآن .

فهذا المعترض الجاهل يدور على منازعة الله في حقه وملكه وشمول علمه ، والله يجزيه بعلمه .

وأما قوله : ( وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو )(١) فقيل: المراد بها الخمس المذكورة في سورة لقمان . فهذا قبل أن يطلع نبيه عليها، وإلا فقد ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله تعالى حتى علّمه كل شيء حتى الخمس .

فالجواب: انظر إلى هذا المفتري الجاهل البليد ، كيف اقتفى أثر صاحب الأبيات بجميع ما اختلقه وافتراه ،وأكثر من الأكاذيب على أهل العلم، فإن قوله: ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله حتى علمه كل شيء حتى الخمس ؛ فحاشا أهل العلم الذين يعرفون بأنهم من أهل

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٥٩

العلم من هذه المقالة ، وعامة أهل العلم بل كلهم على خلاف ما ادّعاه سلفاً وخلفاً .

قال أبو جعفر محمد بن جرير رحمه الله في « تفسيره الكبير » الذي فاق على التفاسير ، ابتدأ تعالى ذكر الخبر عن علمه بمجيء الساعة . فقال تعالى : ( إن الله عنده علم الساعة )[1] التي تقوم فيها القيامة لا يعلم ذلك أحد غيره ( وينزّل الغيث )[1] من السماء ، لا يقدر على ذلك أحد غيره ( ويعلم ما في الأرحام )[1] أرحام الإناث ( وما تدري نفس ماذا تكسب غداً )[1] يقول : وما تعلم نفس حيّ ماذا تعمل في غد ( وما تدري نفس بأي أرض تموت )[1] يقول : وما تعلم نفس حي بأي أرض تكون موتها ( إن الله عليم خبير )[1] يقول : إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه .

وذكر سنده عن مجاهد (إن الله عنده علم الساعة)[1] قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : امرأتي حبلى ، فأخبرني ماذا تلد ، وبلادنا جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث ، وقد علمت متى ولدت فمتى أموت ، فأنزل الله : ( إن الله عنده علم الساعة )[1] إلى آخر السورة .

قال: فكان مجاهد يقول: هنّ مفاتح الغيب التي قال الله :(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو )[2] .

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ (٢) سورة الأنعام ، الآية : ٥٩

وأخرج بسنده عن قتادة: (إن الله عنده علم الساعة)[١] الآية خمس من الغيب استأثر الله بهن، فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً.

وبسنده عن عائشة من قال: إن أحداً يعلم الغيب إلا الله فقد كذب وأعظم الفرية على الله.

قال تعالى: (قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله)[٢].

وبالسند عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام)[١] الآية. ثم قال: «لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث إلا الله، ولا يعلم أحد متى قيام الساعة إلا الله، ولا يعلم أحد ما في الأرحام إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت».

وبسنده عن مسروق، عن عائشة قالت: من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت)[١].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤ (٢) سورة النمل، الآية: ٦٥

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خمس لا يعلمهن إلا الله: (إن الله عنده علم الساعة، وينزّل الغيث).. الآية[1] انتهى ما ذكره ابن جرير.

وذكر البغوي في تفسير حديث ابن عمر وعائشة المتقدم، ثم قال: وقال الضحّاك ومقاتل: مفاتح الغيب: خزائن الأرض. وقال عطاء: ما غاب عنكم من الثواب. وقيل: انقضاء الأجل. وقيل: أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم. وقيل: ما لم يكن بعدُ أنه يكون أم لا يكون، وما لا يكون كيف يكون؟ انتهى.

قلت: ولا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات، ونعوذ بالله من مخالفة ما أنزل الله في كتابه، وأخبر به عن نفسه، أو أخبر به رسوله ﷺ، وأجمع عليه العلماء، فإن الله استأثر بعلمه عن خلقه، ووصف نفسه بأنه علاّم الغيوب، ونعوذ بالله من حال أهل الافتراء والتكذيب.

وأما قوله: ولو أن عبارات أهل العلم مثل البيضاوي، وأبي السعود، والقسطلاني وأمثالهم تجدي إليكم شيئاً لذكرناها، لكنها تجيء بلفظة واحدة، وهي أنهم كلهم كفار فلا نقبل منهم أحداً؛ ومن

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

هذه حاله فلا حيلة به، فالجواب: أنه ليس للبيضاوي ومن ذكر عبارات تخالف ما قاله السلف والعلماء في معنى الآيات، ومعاذ الله أن يقول المجيب: إن هؤلاء كفار، ولا يوجد عن أحد من علماء المسلمين أنه كفَّر أحداً قد مات من هذه الأمة، فمن ظاهره الإسلام، فلو وجد في كلامه زلة من شرك أو بدعة، فالواجب التنبيه عن ذلك، والسكوت عن الشخص، لما تقدم من أنا لا ندري ما خاتمته.

وأما هؤلاء الذين ذكرهم من المفسرين، فإنهم من المتأخرين الذين نشؤوا في اغتراب من الدين، والمتأخرون يغلب عليهم الاعتماد على عبارات أهل الكلام مخالفة لما عليه السلف، وأئمة الاسلام من الارجاء، ونفي حكمة الله، وتأويل صفات الله، وسلب معانيها ما يقارب ما في «كشاف الزمخشري»، والارجاء والجبر يقابل ما فيه من نفي القدر، وكلاهما في طرفي نقيض.

وكل واحد خالف ما عليه أهل السنة والجماعة في ذلك، ومعلوم أن صاحب «الكشاف» أقدم من هؤلاء الثلاثة وأرسخ قدماً منهم في فنون العلم؛ ومع هذا فقال شيخ الاسلام البلقيني: استخرجت ما في «الكشاف» من دسائس الاعتزال بالمناقيش.

وقال أبو حيان وقد مدح «الكشاف» وما فيه من لطيف المعنى، ثم قال:

ولكنه فيه مجال لناقد وزلات سوء قد أخذن المخانقا
فيثبت موضوع الأحاديث جاهلاً ويعزو إلى المعصوم ما ليس لائقا
وينسب إبداء المعاني لنفسه ليوهم أغماراً[1] وإن كان سارقا
ويسهب في المعنى الوجيز دلالةً بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
يقوِّل فيها الله ما ليس قائلاً وكان محباً في الخطابة وامقا[2]
ويشتم أعلام الأئمة ضلّةً ولا سيما إن ولَّجوه المضائقا

إلى أن قال:

لئن لم تداركه من الله رحمة لسوف يُرى للكافرين مرافقا

فإذا كان هذا في تفسير مشهور، وصاحبه معروف بالذكاء والفهم، فما دونه من المتأخرين أولى بأن لا يتلقى من كلامهم بالقبول إلا ما وافق تفسير السلف[3]، وقام عليه الدليل.

وهذا المعترض من جهله يحسب كل بيضاء شحمة، يعظم المفضول من الأشخاص والتصانيف، ولا يعرف ما هو الأفضل.

---

(١) جمع غمر: من لم يجرب الأمور. (٢) أي محباً وعاشقاً للخطابة.

(٣) قوله: إلا ما وافق تفسير السلف. لشيخ الاسلام ابن تيمية رسالة في أصول التفسير، نبه فيها على أن كل تفسير يخالف تفاسير السلف مردود على قائله، إذ يلزم منه تخطئة المفسرين من المتقدمين. وفي هذا العصر نشأ أناس يفسرون القرآن بأهوائهم وأغراضهم وهم بذلك آثمون.

ولو كان له أدنى مسكة من فهم ، ومعرفة للعلماء ومصنفاتهم ؛ لعلم أن أفضل ما في أيدي الناس من التفاسير ، هذه الثلاثة التي نقلنا منها: تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، وتفسير الحسين بن مسعود البغوي ، وتفسير العماد إسماعيل بن كثير ، فهذه أجل التفاسير ، ومصنفوها أئمة مشهورون ، أهل سنة ، ليسوا بجهمية ، ولا معتزلة ، ولا قدرية ، ولا جبرية ، ولا مرجئة بحمد الله . وأكثر ما في هذه التفاسير الأحاديث الصحيحة ، وآثار الصحابة ، وأقوال التابعين وأتباعهم ؛ فلا يرغب عنها إلا الجاهلون الناقصون المنقوصون ، والله المستعان .

والمصنفون في التفسير وغيره غير ما ذكر : البيضاوي وأبو السعود،[و] البحر لأبي حيان، لأن ما ينقله في تفسيره عن السلف والأئمة ، وكذلك تفسير الخازن .

وبالجملة فمن كان من المصنفين أبعد عن تقليد المتكلفين ، وذكر عباراتهم ، ويعتمد أقوال السلف ، فهو الذي ينبغي النظر إليه ، والرغبة فيه . وعلى كل حال، فليس في تفسير البيضاوي وأبي السعود وشرح القسطلاني ومواهبه ما ينفع هذا الجاهل المفتري ؛ وكل يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ .

وقول المعترض على قول المجيب : علماؤهم شر من تحت أديم السماء . فيقال: هل ورد هذا الحديث في أهل العراق ، فهم على عهد

النبي ﷺ كفّار مجوس، أو فيما يأتي؛ فهذه شناعة على غالب علماء الأمة، ومنهم الامام أبو حنيفة، والامام أحمد، وأمثالهم.

فالجواب: أن هذا كلام من لا يعقل ولا يفهم شيئاً، ولا يفرق بين أهل السنة والجماعة، وأهل البدعة والضلالة. في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمتي الأوثان، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». رواه البرقاني في «صحيحه».

وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق كما افترقت اليهود والنصارى، فاليهود افترقت على إحدى وسبعين، والنصارى على ثنتين وسبعين، وهذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة. وأول من فارق الجماعة في عهد الصحابة رضي الله عنهم الخوارج، قاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان، والقدرية في أيام ابن عمر وابن عباس وأكثر الصحابة موجودون. ومن دعاتهم معبد الجهني، وغيلان القدَري الذي قتله هشام بن عبد الملك. وكذلك الغُلاة في عليّ الذين خدّ لهم عليّ الأخاديد، وحرقهم بالنار ومنهم المختار ابن أبي عبيد الذي قتله مصعب بن الزبير؛ ادّعى النبوة وتبعه خلق

كثير ثم ظهرت فتنة الجهمية . وأول من ظهر الجعد بن درهم ، قتله خالد بن عبد الله القسري ، والصحابة رضي الله عنهم والتابعون ، والأئمة متوافرون وقت ظهور مبادئ هذه البدع ، لم يلحقهم من ضلال هذه الفرق شناعة ولا غضاضة ، لأنهم متمسكون بالكتاب والسنة ، منكرون لما خالف الحق .

وصح من حديث أنس قال : « لا يأتي على الناس زمان [ إلا ] والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم ﷺ[1].

وظهرت بدعة [ جهم بن ] صفوان في زمن أبي حنيفة وأنكرها وناظرهم، وانتشرت في زمن الإمام أحمد رحمه الله والفقهاء وأهل الحديث ، وامتحن الإمام أحمد فتمسك بالحق وصبر وصنف العلماء رحمهم الله المصنفات الكبار في الرد على الجهمية ـ القائلين بخلق القرآن ، المعطلين لصفات الملك الديان ـ كالامام أحمد في رده المعروف ، وابنه عبد الله ، وعبد العزيز الكناني في كتاب «الحيدة» وأبي بكر الأثرم ،والخلال، وعثمان بن سعيد الدارمي[2]،وإمام الأئمة محمد بن خزيمة، واللالكائي، وأبي عثمان الصابوني ، وقبلهم وبعدهم ممن لا يحصى .

(١) رواه البخاري في «صحيحه» .

(٢) وقد قام المكتب الاسلامي بطبعه بعنوان: «الرد على الجهمية» تأليف الامام عثمان بن سعيد الدارمي وخرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني .

وهذا كله إنما هو في القرون الثلاثة المفضلة ، ثم بعدها ظهرت كل بدعة : بدعة الفلاسفة ، وبدعة الرافضة ، وبدعة المعتزلة ، وبدعة المجبرة ، وبدعة أهل الحلول ، وبدعة أهل الاتحاد ، وبدعة الباطنية الاسماعيليّة ، وبدعة النصيرية والقرامطة ونحوهم .

وأما أهل السنة والجماعة فيردون بدعة كل طائفة من هؤلاء الطوائف بحمد الله ؛ فالأئمة متمسكون بالحق في كل زمان ومكان .

والبلد الواحد من هؤلاء الأمصار يجتمع فيها أهل السنة وأهل البدعة ، وهؤلاء يناظرون هؤلاء ؛ ويناضلونهم بالحجج والبراهين .

وظهر معنى قول النبي ﷺ : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وقال : « بدأ الاسلام غريباً وسيكون غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس ».

وفي رواية : « يصلحون ما أفسد الناس » وقد صنف العلماء رحمهم الله مصنفات ، وبينوا ما تنتحله كل فرقة من بدعتها المخالفة لما عليه أهل الفرقة الناجية ، وليس على الفرقة الناجية شناعة ولا نقص في مخالفة هذه الفرق كلها ، وإنما ظهر فضل هذه الفرقة بتمسكها

بالحق، وصبرها على مخالفة هذه الفرق الكثيرة ، والاحتجاج بالحق ونصرته، وما ظهر فضل الامام أبي حنيفه والامام أحمد ومن قبلهما من الأئمة ومن بعدهما إلا بتمسكهم بالحق ونصرته، وردهم الباطل. وما ضر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وأصحابه حين أجلب عليهم أهل البدع وآذوهم ، بل أظهر الله بهم السنة ، وجعل لهم لسان صدق في الأئمة ، وكذلك من قبلهم ومن بعدهم، كشيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما دعا إلى التوحيد ، وبين أدلته ، وبين الشرك وما يبطله .

وفيه قال الامام العلامة الاديب أبو بكر ابن غنام رحمه الله تعالى :

وعاد به نهج الغواية طامساً ... وقد كان مسلوكاً به الناس تربع
وجرّت به نجد ذيول افتخارها ... وحقّ لها ما لألمعي ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر ... وأنواره فيها تضيء وتسطع

فهذا المعترض لو تصور وعقل ، لتبين له أن ما احتج به ينقلب حجة عليه .

وقول المعترض: وإن كان قد ورد في حق أهل الحرمين ، فهذا ظاهر البطلان، إذ هي مهبط الوحي ، ومنبع الايمان .

ولو قيل: إن هذا الحديث وأمثاله ورد في ذم نجد وأهلها ، فقد

ورد في ذمهم أحاديث كثيرة شهيرة ، منها قوله ﷺ : «لا يزالون في شر من كذابهم إلى يوم القيامة » .

فالجواب أن نقول : الأحاديث التي وردت في غربة الدين ، وحدوث البدع وظهورها، لا تختص بمكة والمدينة ولا غيرهما من البلاد ،والغالب أن كل بلد لا يخلو من بقايا متمسكين بالسنة ، فلا معنى لقوله: وإن كان قد ورد في حق أهل الحرمين في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم بل في وقت الخلفاء الراشدين ما هو معروف عند أهل العلم، مشهور في السير والتاريخ، وأول ذلك مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم وقعت الحرة المشهورة ، ومقتل ابن الزبير في مكة، وما جرى في خلال ذلك من الفتن،وصارت الغلبة في الحرمين وغيرهما لأهل الأهواء . فاذا كان هذا وقع في خير القرون، فما ظنك فيما بعد، حين اشتدت غربة الاسلام ، وعاد المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، فنشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ؟!

وأما قوله : إذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان .

فالجواب أن نقول: مهبط الوحي في الحقيقة قلب رسول الله ﷺ كما قال تعالى: (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين)[1]

---

(١) سورة الشعراء ، الآيتان : ١٩٣و١٩٤

وقال تعالى: ( بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أُوتوا العلم )(١) فهذا محل الوحي ومستقره. وقوله: منبع الايمان، الإيمان ينزل به الوحي من السماء لا ينبع من الأرض، ومحله قلوب المؤمنين. وهذه السُّوَر المكية ـ في القرآن معلومة ـ التي نزلت على النبي ﷺ وأكثر من في مكة المشركون، وفيها ذمهم والرد عليهم، كقوله: ( وكذّب به قومك وهو الحق )(٢)، وقال: ( وهم ينهون عنه وينأوْن عنه )(٣)، وقوله: ( فانهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون )(٤) ونحو هذه الآيات كما في « فصلت » و « المدثر » وغيرهما؛ ثم هاجر النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة وأهل الشرك لم يزالوا بها، ومنعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من دخولها بالوحي، وقاتلوهم ببدر، وأُحد والخندق، وهم كانوا من آخر العرب دخولاً في الإسلام، حاشا من هاجر، وكل هذا بعد نزول الوحي.

ونحن بحمد الله لا ننكر فضل الحرمين، بل ننكر على من أنكره، ولكن نقول: الأرض لا تقدس أحداً؛ وإنما يقدس المرء عمله، فالمحل الفاضل لكثرة ثوابه، وأهل الباطل لا يزيدهم إلا شراً، تعظم فيه سيئاتهم، كما قال تعالى في حرم مكة: ( ومن يُرِدْ فيه

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩ (٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٦
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٢٦ (٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٣

بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم )[1] ، فاذا كان هذا الوعيد في الارادة ، فعمل السوء أعظم ، فالمعول على الايمان والعمل الصالح ، ومحله قلب المؤمن ، والناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

وقوله : ولو قيل إن هذا الحديث ورد في ذمّ نجد وأهلها .. إلى آخره ، فأقول : الذم إنما يقع في الحقيقة على الحال لا على المحل ، والأحاديث التي وردت في ذم نجد، كقوله ﷺ : « اللهم بارك لنا في يمننا ، اللهم بارك لنا في شامنا » قالوا : وفي نجدنا ؟ قال : « هناك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان » . قيل : إنه أراد نجد العراق ،لأن في بعض ألفاظه ذكر المشرق[2]، والعراق شرقي المدينة، والواقع يشهد له،لا نجد الحجاز ، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث ؛ فقد جرى في العراق من الملاحم والفتن مالم يجر في نجد الحجاز، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ ، كخروج الخوارج بها الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وكمقتل الحسين وفتنة ابن الأشعث ، وفتنة المختار وقد ادّعى النبوة ، وقتال بني أمية لمصعب بن الزبير وقتله ، وما جرى

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٥

(٢) بل ثبت في «المسند» من ابن عمر في حديث المشرق ، قال ابن عمر: يشير بيده يؤم العراق ، كما صح في حديث نجد بلفظ : قالوا : وفي عراقنا ، بدل: نجدنا. فنجد هنا هي العراق قطعاً ، ومن شاء الزيادة فليراجع هذا الحديث في تخريج «فضائل الشام» للألباني رقم (٨).

في ولاية الحجاج بن يوسف من القتال والسفك، وغير ذلك مما يطول عدُّه.

وعلى كل حال، فالذم يكون في حال دون حال، ووقت دون وقت، بحسب حال الساكن، لأن الذم إنما يكون للحال دون المحل، وإن كانت الأماكن تتفاضل، وقد تقع المداولة فيها، فان الله يداول بين خلقه حتى في البقاع، فمحل معصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر.

وأما قول المعترض: منها قوله ﷺ: «لا يزالون في شر من كذابهم». فالجواب: إن هذا من جملة كذبه على رسول الله ﷺ، وجهله بالعلم، لا يميز بين الحديث وغيره. وهذا الكلام ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في نفر من بني حنيفة، سكنوا الكوفة في ولاية ابن مسعود عليها، وكانوا في مسجد من مساجدها، فسمع منهم كلمة تشعر بتصديق مسيلمة، فأخذهم عبد الله بن مسعود، وقتل كبيرهم ابن النواح، وقال في الباقين: لا يزالون في بلية من كذابهم. يعني ذلك النفر، يذم نجداً بنفر أحدثوا حدثاً في العراق، وقد أفنى كل من حضر مسيلمة في القرن الأول، ولم يبق بنجد من يصدق الكذّاب؛ بل من كان في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم بنجد يكفّرون مسيلمة ويكذبونه، فلم يبق بنجد من فتنة مسيلمة

لا عين ولا أثر ، فلو ذم نجداً بمسيلمة بعد زواله وزوال من يصدقه ، لذم اليمن بخروج الأسود العنسي دعواه النبوة .

وما ضر المدينة سكن اليهود فيها وقد صارت مهاجر رسول الله ﷺ وأصحابه ، ومعقل الاسلام ؛ وما ذمت مكة بتكذيب أهلها الرسول ﷺ ، وشدة عداوتهم له ، بل هي أحب أرض الله إليه ؛ فاذا كان الأمر كذلك، فأرض اليمامة لم تعص الله، وإنما ضرت المعصية ساكنيها بتصديقهم كذابهم ، وما طالت مدتهم على ذلك الكفر بحمد الله ، فطهر الله تلك البلاد منهم ، ومن سلم منهم من القتل دخل في الاسلام ، فصارت بلادهم بلاد إسلام ، بنيت فيها المساجد ، وأقيمت الشرائع ، وعبد الله فيها في عهد الصحابة رضي الله عنهم وبعدهم ، ونفر كثير منهم مع خالد بن الوليد لقتال العجم فقاتلوا مع المسلمين ، فنال تلك البلاد من الفضل ما نال غيرها من بلاد أهل الاسلام . على أنها تفضل على كثير من البلاد بالحديث الذي رواه البخاري في « صحيحه » أن النبي ﷺ قال وهو بمكة لأصحابه : « أريت دار هجرتكم » ، فوصفها ثم قال : « فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو يثرب » .

ورؤيا النبي ﷺ هي حق ، وكفى بهذا فضلاً لليمامة وشرفاً لها على غيرها ، فإن ذهاب وهله ﷺ في رؤياه إليها ، لابد أن يكون

له أثر في الخير يظهر، فظهر ذلك الفضل بمحمد الله في القرن الثاني عشر، فقام الداعي يدعو الناس إلى ما دعت إليه الرسل من إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، وإقامة الفرائض والعمل بالواجبات، والنهي عن مواقعة المحرمات، وظهر فيها الاسلام أعظم من ظهوره في غيرها في هذه الأزمان، ولولا ذلك ما سبّ هؤلاء نجداً أو اليمامة بمسيلمة. إذا عرف ذلك، فليعلم أن مسيلمة وبني حنيفة إنما كفروا بجحودهم بعض آية من كتاب الله جهلاً وعناداً.

وهذا المعترض وأمثاله جحدوا حقيقة ما بعث الله به رسله من التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات التي تفوت الحصر، وعصوا رسول الله ﷺ بارتكاب ما نهى عنه من الغلوّ والشرك، فجوّزوا أن يدعى مع الله غيره وقد نهى الله ورسوله عن ذلك في أكثر سور القرآن، وجوّزوا أن يستعان بغير الله، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك، وجوّزوا الالتجاء إلى الغائبين والأموات والرغبة إليهم، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك أشد النهي. وجعلوا لله شريكاً في ملكه وربوبيته كما جعلوا له شريكاً في الإلهية، وجعلوا له شريكاً في إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها.

وقد قال تعالى مبيناً لما اختص به من شمول علمه: (الله يعلم

ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ) إلى قوله : ( له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء )[1] الآية .

وهذه الأصول كلها في الفاتحة ، يبيّن تعالى أنه هو المختص بذلك دون كل من سواه .

ففي قوله : ( الحمد لله رب العالمين )[2] اختصاص الله بالحمد لكماله في ربوبيته وإلهيته وملكه وشموله علمه وقدرته وكماله في ذاته وصفاته، رب العالمين هو ربهم وخالقهم ورازقهم ومليكهم . والمتصرف فيهم بحكمته ومشيئته ليس ذلك إلا له ( مالك يوم الدين ) فيه تفرده بالملك كقوله : ( يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله )[3] وقوله : ( إياك نعبد وإياك نستعين )[4] فيه قصر العبادة عليه تعالى بجميع أفرادها ، وكذلك الاستعانة . وفي ( إياك نستعين )[4] أيضاً توحيد الربوبية ؛ وهذه الأصول أيضاً في : ( قل أعوذ برب الناس )[5] فهو ربهم ورازقهم والمتصرف فيهم ، والمدبر لهم ( ملك الناس )[6] هو

(١) سورة الرعد ، الآيات : ٨-١٤
(٢) سورة الفاتحة ، الآية : ١
(٣) سورة الانفطار ، الآية : ١٩
(٤) سورة الفاتحة ، الآية : ٤
(٥) سورة الناس ، الآية : ١
(٦) سورة الناس ، الآية : ٢

الذي له الملك، كما في الحديث الوارد في الأذكار؛ «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». وقوله: (إلهِ الناس)[١] هو مألوههم ومعبودهم لا معبود لهم سواه، فأهل الإيمان خصّوه بالإلهية، وأهل الشرك جعلوا له شريكاً يؤلّهونه بالعبادة، كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والالتجاء والرغبة والتعلق عليه ونحو ذلك.

وفي: (قل يا أيها الكافرون)[٢] براءة النبي ﷺ من الشرك والمشركين (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون .... إلى قوله: لكم دينكم ولي دين)[٢] فهذا هو التوحيد العملي، وأساسه البراءة من الشرك والمشركين باطناً وظاهراً.

وفي: (قل هو الله أحد)[٣] توحيد العلم والعمل (قل هو الله أحد)[٣] يعني هو الله الواحد الأحد، الذي لا نظير له، ولا وزير ولا ند ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ في الإثبات إلا على الله عز وجل، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

وقوله: (الله الصمد)[٣].

قال عكرمة عن ابن عبّاس رضي الله عنه: يعني الذي يصمد

(١) سورة الناس، الآية: ٣ (٢) سورة الكافرون، الآية: ١
(٣) سورة الاخلاص، الآية: ١

الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم؛ قلت: وفيه توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية.

وقال الأعمش، عن شقيق، عن أبي وائل: الصمد: السيد الذي قد انتهى سؤدده.

وقال الحسن أيضاً: الصمد: الحي القيوم الذي لا زوال له.

وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد؛ كأنه جعل ما بعده تفسيراً له.

وقال سفيان بن منصور، عن مجاهد: الصمد: المصمت الذي لا جوف له.

قال أبو القاسم الطبراني في كتاب «السنة»: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل.

وقال مجاهد: (ولم يكن له كفواً أحد)[1]: يعني لا صاحبة له؛ وهذا كما قال تعالى (بديع السماوات والأرض أنىّ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم)[2] أي هو مالك كل شيء وخالقه؛ فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟! تعالى وتقدس وتنزه.

(١) سورة الصمد، الآية: ٤ (٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠١

قلت: فتدبر هذه السورة وما فيها من توحيد الإلهية والربوبية؛ وتنزيه الله عن الشريك والشبيه والنظير، وما فيها من مجامع صفات كماله، ونعوت جلاله، ومن له بعض تصور فبتوفيق الله[١] (ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور)[٢].

وأما قول المعترض على قول المجيب: ونوع الشرك جرى في زمن شيخ الاسلام ابن تيمية. أقول هذه «البردة» متقدمة على زمن شيخ الاسلام، ومع هذا [لم] ينقل عنه فيها كلمة واحدة.

فالجواب تقدم «البردة» على زمن شيخ الاسلام، إن كان كذلك، فماذا يجدي عليه؟ وما الحجة منه على جواز الشرك؟.

وأيضاً فشهادته هذه على شيخ الاسلام غير محصورة فلا تقبل؛ ولم يطلع إلا على النزر اليسير من كلام شيخ الاسلام، ولم يفهم معنى ما اطلع عليه، وهو في شق وشيخ الاسلام في شق، وليس في كلام شيخ الاسلام إلا ما هو حجة على هذا المعترض، لكنه يتعلق في باطله بمثل خيط العنكبوت، فإن كان يقنعه كلام شيخ الاسلام رحمه الله المؤيد بالبرهان؛ فقد تقدم [في] كلامه ما يكفي ويشفي في تمييز الحق من الباطل.

وكلامه رحمه الله في أكثر كتبه يبين هذا الشرك وينكره،

(١) في الأصل بتوفيق الله. (٢) سورة النور، الآية: ٤٠

ويرده كما ردّ على ابن البلدي حين جوّز الاستغاثة بغير الله ولا يشك من له أدنى مسكة من عقل وفهم أن كلام صاحب «البردة» داخل تحت كلام شيخ الاسلام في رد عليه والانكار : وأنا أورد هنا جواباً لشيخ الاسلام عن سؤال من سأله عن نوع هذا الشرك وبعض أفراده ، فأتى بجواب عام شامل كافٍ وافٍ .

قال السائل : ما قول علماء المسلمين فيمن يستنجد بأهل القبور ، ويطلب منهم إزالة الألم ، يقول : يا سيدي ! أنا في حسبك ؟ وفيمن يستلم القبر ، ويمرّغ وجهه عليه ويقول : قُضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ . ونحو ذلك ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين . الدين الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، هو عبادة الله وحده لا شريك له ، واستعانته ، والتوكل عليه ، ودعاؤه بجلب المنافع، ودفع المضار، كما قال تعالى : ( إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبُد الله مخلصاً له الدين . ألا لله الدين الخالص )⁽¹⁾ الآيات ، وقال : ( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً )⁽²⁾ ، وقال : ( وادعوه مخلصين له الدين )⁽³⁾ ، وقوله : ( قل

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٢و٣ (٢) سورة الجن ، الآية : ١٨
(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٢٩

ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً )(١) الآيات .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة قال الله تعالى: «هؤلاء الذين تدعون عبادي ، يرجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي » ، فاذا كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة ، فكيف بمن دونهم ؟! قال تعالى : ( أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء )(٢) الآية . وقال : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له )(٣) . فبين سبحانه أنه من دعا من دون الله من جميع المخلوقات الملائكة والبشر وغيرهم أنهم لا يملكون مثقال ذرة في ملكه ، وأنه ليس له شريك في ملكه : ( له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير )(٤) . وأنه ليس له عون كما يكون للملك أعوان وظهراء ، وأن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا لمن ارتضى ، فنفى بذلك وجوه الشرك ، وذلك أن من دعا من دونه إما أن يكون مالكاً ، وإما أن لا يكون مالكاً ؛ وإذا لم يكن مالكاً ، فإما أن يكون شريكاً وإما

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٥٦ (٢) سورة الكهف ، الآية : ١٠٢

(٣) سورة سبأ ، الآيتان : ٢٢و٢٣ (٤) سورة التغابن ، الآية : ١

أن لا يكون شريكاً ؛ وإذا لم يكن شريكاً فإما أن يكون معاوناً، وإما أن يكون سائلاً طالباً.

فأما الرابع: فلا يكون إلا من بعد إذنه، كما قال تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) [1] كما قال تعالى: (وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) [2]، وقال: (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون؟ قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون) [3]، وقال: (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) [4]، وقال: (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقولَ للناس كونوا عباداً لي من دون الله) إلى قوله (ولا يأمرَكم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) [5] فبيَّن سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً كان كافراً، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشايخ وغيرهم أرباباً؟! فلا يجوز أن يقول للملك ولا للنبي ولا للشيخ، سواء كان حياً أو ميتاً: اغفر ذنبي، وانصرني على عدوي، أو اشف مريضي أو ما أشبه ذلك.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ (٢) سورة النجم، الآية ٢٦
(٣) سورة الزمر، الآيتان: ٤٣و٤٤ (٤) سورة الأنعام، الآية: ٥١
(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٩، ٨٠

ومن سأل ذلك مخلوقاً كائناً من كان، فهو مشرك بربه، من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورونها على صدورهم ، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه . قال الله تعالى : ( وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك )[1] الآية ، وقال : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله هو سبحانه عما يشركون )[2] .

فإن قال : أنا أسأله لأنه أقرب مني إلى الله ليشفع لي لأني أتوسل إلى الله كما أتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه ؛ فهذا من أفعال المشركين والنصارى ، فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يتشفعون بهم في مطالبهم ، ولذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا : ( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )[3] وقد قال سبحانه : ( أم اتخذوا من دون الله شفعاء ) إلى قوله : ( ترجعون )[4] وقال : ( ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون )[5] وقال : ( من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه )[6] .

(١) سورة المائدة ، الآية : ١١ٶ
(٢) سورة التوبة ، الآية : ٣١
(٣) سورة الزمر ، الآية : ٣
(٤) سورة الزمر ، الآيتان : ٤٣و٤٤
(٥) سورة السجدة ، الآية : ٤
(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥

فبيَّن الفرق بينه وبين خلقه، فان من عادة الناس من يستشفع إلى الكبير من يكرم عليه، فيسأله ذلك الشافع فيقضي حاجته إما رغبة وإما رهبة، وإما حياء، وإما غير ذلك؛ فالله لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع، فلا يفعل إلا ما يشاء، وشفاعة الشافع عن إذنه، والأمر كله لله.

فالرغبة يجب أن تكون إليه كما قال تعالى: (فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب)[1] والرهبة تكون منه؛ قال تعالى: (وإياي فارهبون)[2] وقال: (فلا تخشوا الناس واخشون)[3] وقد أمرنا أن نصلي على النبي ﷺ في الدعاء، وجعل ذلك من أسباب إجابة دعائنا.

وقول كثير من الضُلاَّل: هذا أقرب إلى الله مني وأنا بعيد منه، لا يمكن أن ندعوه إلا بهذه الواسطة ونحو ذلك، هو من قول المشركين، والله تعالى يقول: (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)[4].

وقد روي أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: يا رسول الله! ربنا قريب فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فنزلت الآية وقد أمر الله العباد

---

(١) سورة الانشراح، الآيتان: ٧و٨ (٢) سورة البقرة، الآية: ٤٠
(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٤ (٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦

كلهم بالصلاة له، ومناجاته ، وأمر كلاً منهم أن يقول : ( إياك نعبد وإياك نستعين )(١) .

ثم يقال لهذا المشرك : أنت إذا دعوت هذا ، فان كنت تظن أنه أعلم بحالك ، أو يقدر على سؤالك ، أو أرحم بك من ربك ، فهذا جهل وضلال وكفر . وإن كنت تعلم أن الله تعالى أعلم وأقدر وأرحم، فلماذا عدلت عن سؤاله إلى سؤال غيره ؟! وإن كنت تعلم أنه أقرب إلى الله منك ، وأعلى منزلة عند الله منك ، فهذا حق أريد به باطل ؛ فانه إذا كان أقرب منك وأعلى درجة ؛ فان معناه أن يثيبه ويعطيه ، ليس معناه أنك إذا دعوته أنت، فانك إن كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء ؛ فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله ، ولا يسعى فيما يبغضك إليه ، وإن لم يكن كذلك ، فالله أولى بالرحمة والقبول منه .

فان قلت : هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيب إذا دعوته أنا ، فهذا هو القسم الثاني وهو أن يطلب منه الفعل ولا يدعوه ، ولكن يطلب أن يدعو له، كما يقال للحي : ادع لي ، وكما كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ الدعاء ، فهذا مشروع في الحي ، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم ، فلم يشرع لنا أن نقول : ادع لنا واسأل

---

(١) سورة الفاتحة ، الآية : ٣

لنا ربك ونحو ذلك ؛ ولم يفعل هذا أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أمر به أحد من الأئمة ، ولا ورد في ذلك حديث ، بل الذي ثبت في « الصحيح » : أنهم لما أجدبوا زمن عمر استسقى بالعباس ، رضي الله عنهما ، فقال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون ، فلم يجيؤوا إلى قبر النبي ﷺ قائلين : يا رسول الله! ادع الله ، أو استسق لنا ونحن نشكو إليك ما أصابنا ونحو هذا ، ولم يقله أحد من الصحابة قط ، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، بل كانوا إذا جاؤوا عند قبر النبي ﷺ يسلّمون عليه ، ثم إذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر ، بل ينحرفون فيستقبلون القبلة ، ويدعون الله وحده لاشريك له ، كما كانوا يدعونه في سائر البقاع .

وفي « الموطأ » وغيره : أن النبي ﷺ قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وفي « السنن » ايضاً أنه قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، وصلوا عليّ حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » .

وفي « الصحيح » : أنه قال في مرضه الذي لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا .

قالت عائشة: ولولا ذلك أبرز قبره، لكن خشي أن يتخذ مسجداً.

وفي «سنن أبي داود» عنه أنه قال: «لعن الله زوّارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرج»[1].

ولهذا قال العلماء: لا يجوز بناء المساجد على القبور. وقالوا: إنه لا يجوز أن ينذر لقبر، ولا للمجاور عند القبر، لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك، كله نذر معصية؛ ولم يقل أحد من أئمة المسلمين: إن الصلاة عند القبور في المشاهد مستحبة، ولا إن الدعاء هناك أفضل، بل اتفقوا كلهم على أن الصلاة في المساجد وفي البيوت أفضل من الصلاة عند قبر؛ لا قبر نبي ولا صالح، سواء سمّيت مشاهد أم لا.

وقد شرع الله ذلك في المساجد دون المشاهد. وقال: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها)[2] ولم يقل في المشاهد وقال تعالى: (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد)[3] وقال تعالى: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)[4] الآية.

---

(١) إسناده ضعيف، لكن للجملة الأولى والثانية شواهد كثيرة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٤ (٣) سورة الاعراف، الآية: ٢٩

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٨

وذكر البخاري في « صحيحه » والطبري وغيره في تفاسيرهم قوله تعالى : ( وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً )[١] الآية . قال : هذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم طال عليهم الأمد ، فاتخذوا تماثيلهم أصناماً.

فالعكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء ؛ هو أصل الشرك وعبادة الأوثان.

ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين ؛ فانه لا يتمسح به ولا يقبّل ، وليس في الدين ما شرع تقبيله إلا الحجر الأسود.

وقد ثبت في « الصحيحين » أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك

ولهذا لا يسن أن يقبل الرجل ويستلم ركني البيت اللذين يليان الحجر ، ولا جدران البيت ، ولا مقام إبراهيم ، ولا صخرة بيت المقدس ، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين انتهى .

وقال رحمه الله[٢] في الرد على ابن البكري بعد كلام له سبق: لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سبباً في الأمور التي

(١) سورة نوح ، الآية : ٢٣ (٢) يريد بذلك شيخ الاسلام ابن تيمية.

لا يقدر عليها إلا الله ؟ ومن الذي قال : إنك إذا استغثت بميت أو غائب من البشر ؛ نبياً كان أو غير نبي ، كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى ، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ؟ ومن الذي شرع ذلك وأمر به ؟ ومن الذي فعل ذلك من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان ؟ فان هذا المقام يحتاج إلى مقدمتين :

إحداهما : أن هذه أسباب لحصول المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله.

والثانية : أن هذه الأسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سبباً كونيا يجوز تعاطيه . . . إلى أن قال: وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمراً ، فانهم مطالبون بالأدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه أن يسألوا ميتاً أو غائباً ، وأن يستغيثوا به سواء كان ذلك عند قبره ، أو لم يكن عند قبره . بل نقول: سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غير نبي من المحرّمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بأحسان ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين ؛ فان أحداً منهم ما كان يقول ـ إذا نزلت به شدة ، أو عرضت له حاجة ـ لميت: يا سيدي فلان! أنا في حسبك

أو اقض حاجتي كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين .

ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الأنبياء ، لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ، بل ولا أقسم بمخلوق عَلَى الله أصلاً ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ، ولا قبور غير الأنبياء ، ولا الصلاة عندها .

وقد ذكره العلماء كمالك وغيره : أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه ؛ وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف .

وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال : قبر معروف الترياق المجرب ، وقول بعضهم : فلان يدعى عند قبره ، وقول بعض الشيوخ : إذا [ كانت ] حاجة فاستغث بي ، أو قال : استغث عند قبري ونحو ذلك ، فان هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم ، ولكن هذه الأمور كلها بدع محدثة في الاسلام بعد القرون المفضلة ، وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد محدثة في الاسلام ، والسفر اليها محدث في الاسلام ، لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا . قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجداً

وثبت في « الصحيح » عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس: « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فاني أنهاكم عن ذلك ».

وقد تقدم أن عمر لما أجدبوا استسقى بالعباس فقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون. فلم يذهبوا إلى القبر، ولا توسلوا بميت ولا غائب، بل توسلوا بالعباس، وكان توسلهم به توسلاً بدعائه، كالامام مع المأموم، وهذا تعذر بموته.

فأما قول القائل عن ميت من الأنبياء والصالحين: اللهم إني أسألك بفلان، أو بجاه فلان، أو بحرمة فلان، فهذا لم ينقل لا عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا التابعين.

وقد نص غير واحد من العلماء أنه لايجوز؛ فكيف يقول القائل للميت: أنا أستغيث بك وأستجير [بك]، وأنا في حسبك، أرسل الله لي، ونحو ذلك. فتبين أن هذا ليس من الأسباب المشروعة لو قدّر أن له تأثيراً، فكيف إذا لم يكن له تأثير صالح. وذلك أن من الناس الذين يستغيثون بغائب أو ميت من تتمثل له الشياطين، وربما كانت على صورة ذلك الغائب، وربما كلمته، وربما قضت له أحياناً بعض حوائجه، كما تفعل شياطين الأصنام، فان أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته، إذ هو

ينهى عن ذلك. وأما بعد الموت فهو لا ينهى فيفضي ذلك إلى اتخاذ قبره وثناً، ولهذا قال النبي ﷺ «لا تتخذوا قبري عيداً» وقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد».

وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى: (وقالوا لا تذرنّ آلهتكم)[1] الآية. إن هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم؛ ولهذا المعنى لعن النبي ﷺ الذين اتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد انتهى ملخصاً.

وأخرج ابن أبي شيبة، عن الزبير أنه رأى قوماً يمسحون المقام فقال لم تؤمروا بهذا، إنما أُمرتم بالصلاة عنده.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة في قول الله تعالى: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى)[2]. قال: إنما أُمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه

ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها. فإن كان المعترض يستدل بكلام شيخ الاسلام، فهذا صريح كلامه المؤيد بالأدلة والبراهين، وكلام العلماء كمثل كلام الشيخ في هذا كثير جداً، لو ذكرناه اطال الجواب.

(١) سورة نوح، الآية: ٢٣ (٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٥

وأما قول المعترض: بل مدح الصرصري ـ وأثني عليه بقوله :

قال الفقيـه الصالح يحيى بن يوسف الصرصري في نظمه المشهور ؛

فالجواب: إن هذا من جملة أكاذيب المعترض على شيخ الاسلام وغيره . وقد كذب على «الاقناع» و«الشفا» ليس في الكتابين إلا مايبطل قوله . وفي الحديث : « إن مما أدرك النـاس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحي فاصنع ماشئت » وإلا فكلام الشيخ في رد مايقوله الصرصري وإنكاره موجود بحمد الله .

قال رحمه الله(١) في رده على ابن البكري بعد وجهين ذكرهما ، الثالث : أنه أدرج سؤاله أيضاً في الاستغاثة به ، وهذا جائز في حياته ، لكنه أخطأ في التسوية بين المحيا والممات ، وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء ، ولكنه موجود في كلام بعض النـاس ، مثل الشيخ يحيى الصرصري ، ففي شعره قطعة، وكمحمد النعمان ، وهؤلاء لهم دين وصلاح ، لكنهم ليسوا من أهل العلم العـالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام ، وليس معهم دليل شرعي ، ولا نقل عن عالم مرضي ، بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد فيدعوه ، أكثر منه من يأتي إلى قبر الشيخ يدعوه ويدعو به ويدعو عنـده ، وهؤلاء ليس لهم

(١) أي شيخ الاسلام ابن تيمية .

مستند شرعي من كتاب [الله] أو سنة رسوله ، أو قول عن الصحابة والأئمة ، وليس عندهم إلا قول طائفة أخرى : قبر معروف ترياق مجرب ، والدعاء عند قبر الشيخ مجاب ، ونحو ذلك ومنهم أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت، فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بعض الحوائج ، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ، أو الكواكب والأوثان ، فان الشياطين كثيراً ما تتمثل لهم فيه ، وإنها قد تخاطب أحدهم ولا يراها .

ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا لطال المقال ، وكلما كان القوم أعظم جهلاً وضلالاً ، كانت هذه الأحوال الشيطانية عندهم أكثر . وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو غير ذلك وهو لا يرى أحداً أتاه به، فتحسب ذلك كرامة ، وإنما هو من الشيطان ، وسببه شركه بالله ، وخروجه عن طاعة الله ورسوله إلى طاعة الشيطان، فأضلتهم الشياطين بذلك كما كانت تضل عبّاد الأصنام. انتهى ما ذكره شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ من إنكاره ما في شعر الصرصري وغيره من هذه الأمور الشركية ، وبين أسبابها .

وأما قول المعترض : وفيه توسل عظيم إن لم يزد على قول صاحب «البردة» لم ينقص عنه . فالجواب : إن هذا من عدم بصيرته ، وكبير جهله ، فان من له أدنى معرفة وفهم يعلم أن بين قول صاحب

« البردة » وقول الصرصري في أبياته تفاوتاً بعيداً، فقد نبهنا على ما يقتضيه كلام صاحب «البردة» من قصر الإلهية والربوبية والملك، وشمول العلم على عبد شرفه الله بعبوديته ورسالته، ودعوة الخلق إلى عبادته وحده، وجهاد الناس على ذلك، وبلّغ الأمة ما أنزل الله تعالى عليه في الآيات المحكمات في تجريد التوحيد، والنهي عن الشرك ووسائله كما قدمنا الإشارة إليه.

وأما الصرصري ففي كلامه توسل بالنبي ﷺ، والاستغاثة به بلا قصر ولا حصر للاستغاثة، والاستغاثة في جانب المخلوق، وقد أنكره شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ وذكر أنه لا دليل من كتاب ولا سنة، ولا قال به أحد من الصحابة والتابعين والأئمة. وقد بيّن رحمه الله أن استغاثة الحي بالحي إنما هو بدعائه وشفاعته؛ وأما الميت الغائب فلا يجوز أن يستغاث به، وكذلك الحي فيما لا يقدر عليه إلا الله، وأن أهل الاشراك ليس معهم إلا الجهل والهوى وعوائد نشأووا عليها بلا برهان وقد عرفت أن هذا المعترض لم يأت إلا بشبهات واهية، وحكايات سوفسطائية أو منامات تضليلية، كما قال كعب بن زهير:

فلا يغرّنك ما منّت وما وعدت إن الأمانيّ والأحلام تضليل

وليس مع هؤلاء المشركين إلا دعوى مجردة محشوة بالأكاذيب

وليس معهم ـ بحمد الله ـ دليل من كتاب أو سنة أو قول واحد من سلف الأمة وأئمتها ؛ وقد جئناهم بأدلة الكتاب والسنة وما عليه الصحابة والأئمة .

ولو استقصينا ذكر الأدلة ، وبسط القول، لاحتمل مجلداً ضخماً ، وسبب الفتنة بقصائد هؤلاء المتأخرين كقصائد البوصيري والبرعي، واختيارها على قصائد شعراء الصحابة، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وكعب بن زهير وغيرهم من شعراء الصحابة رضي الله عنهم ، وفيها من شواهد اللغة والبلاغة مالم يدرك هؤلاء المتأخرون منه عُشْر المعشار ، وما ذاك إلا لأن قصائد هؤلاء المتأخرين تجاوزوا فيها الحد إلى ما يكرهه الله ورسوله ؛ فزينها الشيطان في نفوس الجهال والضُلاَّل ، فمالت إليها نفوسهم عن قصائد الصحابة التي ليس فيها إلا الحق والصدق، وما قصروا فيها جهدهم عما يصلح أن يُمدح به رسوله ﷺ ، وتحرَّوا فيها مايرضيه، وتجتنبوا ما يسخطه ﷺ وما نهى عنه من الغلوّ

فما أشبه هؤلاء بقول أبي الوفاء ابن عقيل، وهو في القرن الخامس لما صعبت التكاليف على الجهال والطَّغام[1]، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم ، إذ لم يدخلوا بها تحت

(١) الطغام : أوغاد الناس ، جمع وغد ، وهو الرجل الدنيء الذي يخدم بطعام بطنه .

غيرهم. قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع. إلى آخره.

ومما يتعين أن نختم به هذا الجواب فصل ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله ونفعنا بعلومه قال: بعد أن ذكر زيارة الموحدين للقبور، وأن مقصودها ثلاثة أشياء:

أحدها: تذكير الآخرة والاعتبار والاتعاظ.

الثاني: الإحسان إلى الميت، وأن لا يطول عهده به فيتناساه، فإذا زاره أو أهدى إليه هدية من دعاء أو صدقة، ازداد بذلك سروره وفرحه؛ ولهذا شرع النبي ﷺ للزائر أن يدعو لأهل القبور بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية فقط، ولم يشرع أن يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلِّي عندهم.

الثالث: إحسان الزائر إلى نفسه باتِّباع السنة، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ. وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ من عبَّاد الأصنام؛ قالوا: الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله لا يزال تأتيه الألطاف من الله، وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به وأدناها، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية، والماء على الجسم المقابل، قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى

الميت، ويعكف بهمَّته عليه، ويوجه قصده كله وإقباله عليه، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره، وكلما كان جمع القلب والهمة عليه أعظم، كان أقرب إلى الانتفاع به.

وقد ذكر هذه الزيارة ابن سينا والفارابي وغيرهما؛ وصرح بها عبَّاد الكواكب في عبادتها، وهذا بعينه هو الذي لعباد القبور: [من] اتخاذها أعياداً، وتعليق الستور عليها، وإيقاد السرج، وبناء المساجد عليها، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومحوه بالكلية، وسد الذرائع المفضية اليه. فوقف المشركون في طريقه، وناقضوه في قصده؛ وكان رسول الله ﷺ في شق، وهؤلاء في شق. وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها، وتشفع لهم عند الله، قالوا: فإن العبد إذا تعلق روحه بروح الوجيه المقرَّب عند الله، وتوجه بهمَّته اليه، وعكف بقلبه عليه؛ صار بينه وبينه اتصال، يفيض عليه نصيب مما يحصل له من الله. وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة، وقرب من السلطان، وهو شديد التعلق به، فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال، ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به. فهذا سر عبادة الأصنام. وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله، وتكفير أصحابه ولعنهم، وأباح دماءهم وأموالهم،

وسبى ذراريهم ، وأوجب لهم النار والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله ، وإبطال مذهبهم .

قال الله تعالى : ( أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون ) [١] فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض وهو الله وحده ، وهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده ، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه ، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له . والذي يشفع عنده إنما يشفع باذنه وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه . وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده .

وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهي التي أبطلها الله سبحانه بقوله : ( واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ) [٢] ، وقوله : ( من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خُلَّة ولا شفاعة ) [٣] ، وقال : ( وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ) [٤] .

---

(١) سورة الزمر ، الآيتان : ٤٣و٤٤ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٤٨
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٤ (٤) سورة الأنعام ، الآية : ٥١

وأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل إذا أراد سبحانه رحمته بعبده أذن هو لمن يشفع فيه . كما قال تعالى ( ما من شفيع إلا من بعد إذنه )[١] . وقال : ( من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه )[٢] فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه، ولا الشافع شفيع من دونه ؛ بل يشفع باذنه . والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك ، فانه لا شريك له ؛ والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي يشفع ، ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له ويقول : اشفع في فلان . ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامه أهل التوحيد الذين جرّدوا التوحيد وخلّصوه من تعلقات الشرك وشوائبه . وهم الذين ارتضى الله سبحانه . قال تعالى : ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى )[٣] ، وقال تعالى : ( يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا )[٤] فأخبر أنه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضى قول المشفوع له وإذنه للشافع ، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة .

وسر ذلك أن الأمر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٣ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٨ (٤) سورة طه ، الآية : ١٠٩

الأمر شيء. وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه، لا يفعلون شيئاً إلا من بعد إذنه لهم، ولاسيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً، فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيدة بأمره وإذنه، فاذا أشركهم به المشرك واتخذهم شفعاء من دونه، ظناً منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه، وما يجب له ويمتنع عليه، فان هذا محال ممتنع يشبه قياس الرب سبحانه على الملوك والكبراء، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج.

وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي، والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق، والرب والمربوب، والسيد والعبد، والمالك والمملوك، والغني والفقير، والذي لا حاجة به إلى أحد قط والمحتاج من كل وجه إلى غيره، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم، فان قيام مصالحهم بهم، وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم؛ ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس، فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم وإن لم يأذنوا فيها، ولم يرضوا عن الشافع، لأنهم يخافون أن يردوا

شفاعتهم، فينتقص طاعتهم لهم، ويذهبون إلى غيرهم فلا يجدون بداً من قبول شفاعتهم على الكره والرضى. فأما الذي غناه من لوازم ذاته، وكل ما سواه فقير إليه لذاته، وكل من في السماوات والأرض عبيد له، مقهورون لقهره، مصرفون بمشيئته، لو أهلكهم جميعاً لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة.

قال تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السماوات والأرض)[1]. قال في سيدة آي القرآن آية الكرسي: (له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)[2]. وقال: (قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض)[3] فأخبر أن ملكه السماوات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده، وأن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه، فإنه ليس بشريك، بل مملوك محض، بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض.

فتبين أن الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يفعلها بعضهم مع بعض، ولهذا يطلق نفيها تارة

(١) سورة المائدة، الآية: ١٧ (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥
(٣) سورة الزمر، الآية: ٤٤

بناء على أنها هي المعروفة عند الناس، ويقيدها تارة [بأنها] لا تنفع إلا باذنه ، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه ، فانه هو الذي أذن له، والذي قبل ، والذي رضي عن المشفوع ، والذي وفقه افعل ما يستحق به الشفاعة .

وقوله : فمتخذ الشفيع لا تنفعه شفاعته ، ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده إلهه ومعبوده ، ومحبوبه ومرجوه ، ومخوفه الذي يتقرب إليه وحده ، ويطلب رضاه ، ويتباعد من سخطه ، فهو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع له .

قال تعالى : ( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ) (١) . فبين أن متخذي الشفعاء مشركون ، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم .

وسر الفرق بين الشفاعتين : أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده ، لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده لا خلقاً ولا أمراً ولا إذناً ؛ بل هو سبب محرك له من خارج، كسائر الأسباب .

وهذا السبب المحرك قد يكون عند المحرك لأجل ما يوافقه كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه ؛ وقد يكون عنده ما يخالفه

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨

كمن يشفع اليه في أمر يكرهه ، ثم قد يكون سؤاله وشفاعته أقوى من المعارض ، فيقبل شفاعة الشافع، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعة الشافع فيردها ، وقد يتعارض عنده الأمران ، فيبقى متردداً بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد، وبين الشفاعة التي تقتضي القبول، فيتوقف إلى أن يترجح عنده أحد الأمرين بمرجح ، وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه، فانه مالم يخلق شفاعة الشافع ، ويأذن له فيها ، ويحبها منه ، ويرضى عن الشافع ، لم يكن أن توجد . والشافع لايشفع عنده بمجرد امتثال أمره وطاعته له ، فهو مأمور بالشفاعة، مطيع بامتثال الأمر، فان أحداً من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لايتحرك بشفاعة ولاغيرها إلا بمشيئة الله وخلقه ، فالرب تعالى هو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع، والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع إليه [حتى] يقبل، والشافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره ، وهو في الحقيقة شريكه ولو كان مملوكه وعبده . فالمشفوع عنده محتاج إليه فيما يناله من النفع والنصر والمعاونة وغير ذلك ، كما أن الشافع محتاج إليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره ، فكل منهما محتاج إلى الآخر . ومن وفقه الله لفهم هذا الموضوع تبين له حقيقة التوحيد والشرك، والفرق بين ما أثبت الله من الشفاعة ومانفاه وأبطله،

ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم، علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف أبعد مما بين المشرق والمغرب، وأنهم على شيء والسلف على شيء كما قيل :

سارت مشرّقة وسرت مغرّباً شتّان بين مشرّق ومغرّب

والأمر والله أعظم مما ذكرنا . انتهى .

وبه كمل الجواب . والحمد لله الذي هدانا لدينه الذي رضيه لعباده، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً جزيلاً وافياً وافراً .

قاعدة جليلة في العبادة

تفسيراً لقوله عز وجل : ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم ) تسمى




تأليف الشيخ الإمام العالم الرباني ، أوحد العلماء الزهاد

تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام رحمه الله

أملاها بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أما بعد: فقد سئل شيخ الاسلام وعلم الأعلام ، ناصر السنة ، وقامع البدعة : أحمد بن عبدالحليم بن تيمية رحمه الله عن قوله عز وجل: ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم )(١) ، فما العبادة ؟ وما فروعها ؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟ وما حقيقة العبودية ؟ وهل هي أعلى المقامات [ في الدنيا والآخرة ] ، أم فوقها شيء من المقامات ؟

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١

والمسؤول أن تبسطوا لنا القول في ذلك مأجورين برحمة الله وفضله فأجاب رحمه الله ورضي عنه :

الحمد لله رب العالمين .

العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .

فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والاحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك ، من العبادة .

وكذلك حبُّ الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه . وأمثال ذلك : هي من العبادة لله .

وذلك : أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له ، والمرضية له ، التي خلق الخلق لها قال الله تعالى : ( وما خلقت الجن والإنس إلا

ليعبدون )[١]، وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه : ( اعبدوا الله ما لكم من إله غيره )[٢].

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى: ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضلالة )[٣]. وقال تعالى: ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون )[٤]. وقال تعالى: ( إن هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون )[٥] كما قال في الآية الأخرى: ( يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم. وإن هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاتقون )[٦]. وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال: ( واعبد ربك حتى يأتيك اليقين )[٧]. وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى: ( وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون. يسبحون الليل والنهار لا يفترون )[٨]. وقال تعالى: ( إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٨
(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦
(٤) سورة الانبياء، الآية: ٢٥
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢
(٦) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥١و٥٢
(٧) سورة الحجر، الآية: ٩٩
(٨) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٩، ٢٠

عبادته ويسبحونه وله يسجدون )[١] . وذمّ المستكبرين عنها بقوله : ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين )[٢] . ونعت صفوة خلقه بالعبودية له ، فقال تعالى : ( عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً )[٣] . وقال : ( وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً )[٤] الآيات . ولما قال الشيطان : ( ربّ بما أغويتني لأزيّننّ لهم في الأرض ولأغوينّهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين )[٥] قال الله تعالى : ( هذا صراط عليّ مستقيم . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتّبعك من الغاوين )[٦] .

وقال في وصف الملائكة بذلك : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون )[٧] وقال تعالى : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئاً

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٥ (٢) سورة المؤمن ، الآية : ٦٠
(٣) سورة الدهر ، الآية : ٦ (٤) سورة الفرقان ، الآيات : ٦٣-٧٧
(٥) سورة الحجر ، الآيتان : ٣٩و٤٠ (٦) سورة الحجر ، الآيتان : ٤١و٤٢
(٧) سورة الأنبياء ، الآيات : ٢٦-٢٨

إدّاً . تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً . أن دعوا للرحمن ولداً . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً . إنْ كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدَّهم عداً . وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً )[١] .

وقال تعالى عن المسيح الذي ادعيت فيه الإلهية والبنوة : ( إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل )[٢] ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « لا تطروني[٣] كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله[٤] » .

وقد نعته الله بالعبودية في أكمل أحواله . فقال في الاسراء : ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً )[٥] وقال في الايحاء : ( فأوحى إلى عبده ما أوحى )[٦] وقال في الدعوة ( وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً )[٧] وقال في التحدي : ( وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله )[٨] .

فالدين كله داخل في العبادة . وقد ثبت في « الصحيح » أن

(١) سورة مريم ، الآيات : ٨٩-٩٦ (٢) سورة الزخرف ، الآية : ٥٩
(٣) الاطراء : الزيادة في المدح والتغالي فيه
(٤) رواه البخاري في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
(٥) سورة الاسراء ، الآية : ١ (٦) سورة النجم ، الآية : ١٠
(٧) سورة الجن ، الآية : ١٩ (٨) سورة البقرة ، الآية : ٢٣

جبريل لما جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان . فقال : « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلاً » قال : فما الايمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره » . قال : فما الاحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فإنه يراك » . ثم قال في آخر الحديث : « هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم » . فجعل هذا كله من الدين .

والدين يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دنته ، فدان . أي أذللته فذل . ويقال : ندين الله وندين لله . أي نعبد الله ونطيعه ، ونخضع له .

فدين الله : عبادته وطاعته والخضوع له .

والعبادة أصل معناها : الذل أيضاً . يقال : طريق معبد ، إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام .

لكن العبادة المؤمور بها ؛ تتضمن معنى الذل ومعنى الحب : فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى ، بغاية المحبة له .

فإن آخر مراتب الحب : هو التتيم ، وأوله : العلاقة ، لتعلق القلب

بالمحبوب ، ثم الصبابة ، لانصباب القلب اليه ، ثم الغرام ، وهو الحب الملازم للقلب ، ثم العشق . وآخرها . التتيم ، يقال : تيم الله ، أي عبد الله فالمتيم : المعبد لمحبوبه .

ومن خضع لانسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه. ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ؛ وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله . وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة ، وما عظم بغير أمر الله فتعظيمه باطل . قال الله تعالى : ( قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتيَ الله بأمره ) [1] فجنس المحبة ، تكون لله ولرسوله [ كالطاعة ، فان الطاعة لله ولرسوله ] والارضاء لله ولرسوله : ( والله ورسوله أحق أن يرضوه ) [2] والإيتاء لله ولرسوله : ( ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ) [3] .

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٥ (٢) سورة التوبة ، الآية : ٦٣

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٦٠

وأما العبادة وما يناسبها : من التوكل والخوف ، ونحو ذلك ، فلا تكون إلا لله وحده كما قال تعالى : ( قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون )(١) وقال تعالى : ( ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون )(٢) فالإيتاء لله وللرسول ، كقوله : ( وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا )(٣) وأما الحسب — وهو الكافي — فهو لله وحده ، كما قال تعالى : ( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل )(٤) وقال تعالى ( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين )(٥) أي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين : الله . ومن ظن أن المعنى : حسبك الله والمؤمنون معه ، فقد غلط غلطاً فاحشاً ، كما قد بسطناه في غير هذا الموضع(٦) .

وقال تعالى : ( أليس الله بكاف عبده ؟ )(٧)

(١) سورة آل عمران ، الآية ٦٤

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٥٩

(٣) سورة الحشر ، الآية ٧

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣

(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٦٤

(٦) انظر «منهاج السنة» عند قوله تعالى : ( حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين )

(٧) سورة الزمر ، الآية : ٣٦

وتحرير ذلك : أن العبد يراد به المعبد الذي عبَّده الله ، فذلله ودبره وصرفه ، وبهذا الاعتبار : فالمخلوقون كلهم عباد الله : الأبرار منهم والفجار ، والمؤمنون والكفار ، وأهل الجنة وأهل النار ، إذ هو ربهم كلهم ومليكهم ، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته ، وكلماته التامات التي لا يجاوزها برٌّ ولا فاجر ، فما شاء كان وإن لم يشاؤوا . وما شاؤوا إن لم يشأه لم يكن ، كما قال تعالى : ( أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون )(١) فهو سبحانه رب العالمين ، وخالقهم ورازقهم ، ومحييهم ومميتهم ، ومقلب قلوبهم ، ومصرف أمورهم ، لا رب لهم غيره ، ولا مالك لهم سواه ، ولا خالق [ لكل شيء ومدبره ومسخره ] إلا هو ، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه ، وسواء علموا ذلك أو جهلوه ، لكن أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك [ وآمنوا به ، وشكروه بعبودية الإلهية : رغباً ورهباً ] بخلاف من كان جاهلاً بذلك أو جاحداً له ، مستكبراً على ربه ، لا يقر ولا يخضع له مع علمه بأن الله ربه وخالقه فالمعرفة بالحق إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجحد له ، كان عذاباً على صاحبه ، كما قال تعالى : ( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين )(٢) وقال تعالى : ( الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٨٣ (٢) سورة النمل ، الآية : ١٤

كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون )(١) وقال تعالى : ( فإنهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون )(٢) .

فإذا عرف العبد أن الله ربه وخالقه ، وأنه مفتقرٌ اليه محتاج اليه ، عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله وهذا العبد يسأل ربه ، ويتضرع اليه ويتوكل عليه . لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه ، وقد يعبده مع ذلك . وقد يعبد الشيطان والأصنام ، ومثل هذه العبودية لا تفرّق بين أهل الجنة وأهل النار ، ولا يصير بها الرجل مؤمناً ، كما قال تعالى : ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون )(٣) فإن المشركين كانوا يقرّون أن الله خالقهم [ ورازقهم ] وهم يعبدون غيره قال تعالى : ( ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ الله )(٤) وقال تعالى : ( قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل : أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيءٍ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل : فأنى تسحرون ؟ )(٥) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٦ (٢) سورة الانعام ، الآية : ٣٣
(٣) سورة يوسف ، الآية : ١٠٦ (٤) سورة الزمر ، الآية : ٣٨
(٥) سورة المؤمنون ، الآيات: ٨٥-٩٠

وكثير ممن يتكلم في الحقيقة، فيشهدها، لا يشهد إلا هذه الحقيقة وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها وفي معرفتها المؤمن والكافر، والبر والفاجر. بل وإبليس معترف بهذه الحقيقة، وأهل النار قال إبليس: ( رب فأنظرني إلى يوم يبعثون )[١] وقال: ( رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين )[٢] وقال: ( فبعزتك لأغوينهم أجمعين )[٣] وقال: ( أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن )[٤].

وأمثال هذا من الخطاب الذي يقر فيه بأن الله ربه وخالقه وخالق غيره، وكذلك أهل النار قالوا ( ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين )[٥] وقال تعالى عنهم: ( ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق؟ قالوا بلى وربنا )[٦].

فمن وقف عند هذه الحقيقة [ وعند شهودها، ولم يقم بما أمر الله به من الحقيقة الدينية ] التي هي عبادته المتعلقة بألوهيته وطاعة أمره وأمر رسوله، كان من جنس إبليس ومن أهل النار، فإن ظن مع

---

(١) سورة ص، الآية: ٧٩ (٢) سورة الحجر، الآية: ٣٩

(٣) سورة ص، الآية: ٨٢ (٤) سورة الإسراء، الآية: ٦٢

وتمامها ( إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ).

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٧ (٦) سورة الأنعام، الآية: ٣٠

ذلك أنه من خواص أولياء الله وأهل المعرفة والتحقيق الذين سقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان، كان من شر أهل الكفر والإلحاد.

ومن ظن أن الخضر وغيره سقط عنهم الأمر لمشاهدة الإرادة ونحو ذلك، كان قوله هذا من شر أقوال الكافرين بالله ورسوله حتى يدخل في النوع الثاني من معنى العبد، وهو العبد بمعنى العابد، فيكون عابداً لله، لا يعبد إلا إياه، فيطيع أمره وأمر رسله، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين، ويعادي أعداءه [ الكافرين والفاسقين ].

وهذه العبادة متعلقة بالإلٰهية لله تعالى، ولهذا كان عنوان التوحيد: « لا إله إلا الله » بخلاف من يقرّ بربوبيته ولا يعبده، أو يعبد معه إلٰهاً آخر.

فالإلٰه: هو الذي يألهه القلب بكمال الحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، والخوف والرجاء، ونحو ذلك.

وهذه العبادة: هي التي يحبها الله ويرضاها، وبها وصف المصطفين من عباده، وبها بعث رسله. وأما العبد: بمعنى المعبَّد، سواء أقر بذلك أو أنكره، فذلك المعنى يشترك فيه المؤمن الكافر.

وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة في عبادة الله ودينه وأمره الشرعي التي يحبها ويرضاها

ويوالي أهلها ويكرمهم بجنته ، وبين الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية ، كان من أتباع إبليس اللعين ، والكافرين برب العالمين ، ومن اكتفى فيها ببعض الأمور دون بعض ، أو في مقام [دون مقام] أو حال [ دون حال ] نقص من إيمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية ، وهذا مقام عظيم غلط فيه الغالطون ، وكثر فيه الاشتباه على السالكين ، حتى زلق فيه من أكابر الشيوخ المدَّعين للتحقيق والتوحيد والعرفان ، ما لا يحصيه إلا الله الذي يعلم السر والاعلان .

وإلى هذا أشار الشيخ عبد القادر(١) رحمه الله فيما ذكر عنه . فبين أن كثيراً من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا ، إلا أنا فانفتحت لي فيه روزنة(٢) ، فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ، والرجل من يكون منازعا للقدر ، لا من يكون موافقاً للقدر

والذي ذكره الشيخ رحمه الله هو الذي أمر الله به ورسوله . ولكن كثير من الرجال غلطوا فيه ، فانهم قد يشهدون ما يقدَّر على أحدهم من المعاصي والذنوب ، أو ما يقدَّر على الناس من ذلك ، بل من الكفر ، ويشهدون أن هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدره ، داخل في حكم ربوبيته

(١) أي الجيلاني . (٢) الروزنة : الكوة ، وهي خرق في الحائط ، كالنافذة .

ومقتضى مشيئته ، فيظنون أن الاستسلام لذلك وموافقته والرضى به ونحو ذلك ، ديناً وطريقاً وعبادة ، فيضاهؤون المشركين الذين قالوا : (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء) (١) وقالوا : (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ؟) (٢) . وقالوا : (لو شاء الرحمن ماعبدناهم) (٣) . ولو هُدوا لعلموا أن القدر أُمرنا أن نرضى به ، ونصبر على موجبه في المصائب التي تصيبنا ، كالفقر والمرض والخوف . قال الله تعالى : (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يَهدِ قلبَه) (٤) .

قال بعض السلف : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلّم .

وقال تعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكي لا تأسَوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) (٥) .

وفي « الصحيحين » : عن النبي ﷺ أنه قال : « احتج آدم وموسى فقال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٨ (٢) سورة يس ، الآية : ٤٧
(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٢٠ (٤) سورة التغابن ، الآية : ١١
(٥) سورة الحديد ، الآيتان : ٢٢و٢٣

من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ؟ فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، فهل وجدت ذلك مكتوباً عليّ قبل أن أُخلق ؟ قال : نعم . قال : فحج آدم موسى » .

وآدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر ظناً أن المذنب يحتج بالقدر ، فان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ؛ ولو كان هذا عذراً لكان عذراً لإبليس ، وقوم نوح ، وقوم هود ، وكل كافر . ولا موسى لام آدم أيضاً لأجل الذنب ، فان آدم قد تاب إلى ربه فاجتباه وهدى ، ولكن لأجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة . ولهذا قال : « فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ » فأجابه آدم أن هذا كان مكتوباً عليّ قبل أن أخلق .

فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدَّراً ، وما قُدّر من المصائب يجب الاستسلام له ، فانه من تمام الرضى بالله رباً .

وأما الذنوب ، فليس للعبد أن يذنب ، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب ، فيتوب من صنوف المعايب ويصبر على المصائب . قال تعالى : ( فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك )[1] وقال تعالى : ( وإن

(١) سورة المؤمن ، الآية : ٥٥

تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً )[١] وقال : ( وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور )[٢] . وقال يوسف عليه السلام : ( إنه من يتّق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين )[٣] .

وكذلك ذنوب العباد ، يجب على العبد فيها أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ، ويجاهد في سبيل الله الكفار والمنافقين ، ويوالي أولياء الله ، ويعادي أعداء الله ، ويحب في الله ويبغض في الله ، كما قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم ، أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل . إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٠ (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦
(٣) سورة يوسف ، الآية : ٩٠

أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده )[١] وقال تعالى : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه )[٢] وقال : ( أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ )[٣] وقال : ( أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجّار ؟ )[٤] وقال تعالى :( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون )[٥] وقال تعالى :( وما يستوي الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات )[٦] وقال تعالى ( ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً ؟ )[٧] وقال تعالى: ( ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو

---

(١) سورة الممتحنة ، الآيات : ١ـ٤ (٢) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢
(٣) سورة القلم ، الآية : ٣٥ (٤) سورة ص ، الآية : ٢٨
(٥) سورة الجاثية ، الآية : ٢٠ (٦) سورة فاطر ،الآيات ١٩ـ٢٢
(٧) سورة الزمر ، الآية : ٢٩

كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم )[١] وقال تعالى : ( لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون )[٢].

ونظائر ذلك مما يفرّق الله فيه بين أهل الحق والباطل ، وأهل الطاعة والمعصية ، وأهل البر والفجور ، وأهل الهدى والضلال ، وأهل الغي والرشاد ، وأهل الصدق والكذب .

فمن شهد الحقيقة الكونية دون [ الحقيقة ] الدينية ، سوّى بين هذه الأصناف المختلفة التي فرّق الله بينهما غاية التفريق حتى تؤول به هذه التسوية إلى أن يسوّي بين الله وبين الأصنام ، كما قال تعالى عنهم: ( تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسوّيكم برب العالمين )[٣] بل قد آل الأمر بهؤلاء إلى أن سوّوا الله بكل موجود ، وجعلوا ما يستحقه من العبادة والطاعة حقاً لكل موجود ، إذ جعلوه هو وجود المخلوقات ، وهذا من أعظم الكفر والالحاد برب العباد ، وهؤلاء يصل بهم الكفر إلى أنهم لا يشهدون أنهم عباد الله ، لا بمعنى أنهم معبودون ، ولا بمعنى أنهم عابدون ، إذ يشهدون أنفسهم هي الحق ، كما صرح بذلك طواغيتهم،

(١) سورة النحل ، الآيتان: ٧٥و٧٦ (٢) سورة الحشر ، الآية : ٢٠
(٣) سورة الشعراء ، الآيتان : ٩٧و٩٨

كابن عربي صاحب « الفصوص » وأمثاله الملحدين المفترين ، كابن سبعين وأمثاله ، ويشهدون أنهم هم العابدون والمعبودون .

وهذا ليس بشهود للحقيقية ، لا الكونية ولا الدينية ، بل هو ضلال وعمى عن شهود الحقيقة الكونيـة ، حيث جعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق ، وجعلوا كل وصف مذموم وممدوح نعتاً للخالق والمخلوق ، إذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم .

وأما المؤمنون بالله ورسوله ، عوامهم وخواصهم ، الذين هم أهل القرآن ، كما قال النبي ﷺ : « إن لله أهلين من الناس » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « أهل القرآن ، هم أهل الله وخاصته »(١) .

فهؤلاء يعلمون أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأن الخالق سبحانه مباين للمخلوق ليس هو حالٌّ فيه ، ولا متحد به ، ولا وجوده وجوده . والنصارى إنما كفَّرهم الله إذ قالوا بالحلول واتحاد الرب بالمسيح خاصة . فكيف من جعل ذلك عاماً في كل مخلوق ؟ ويعلمون مع ذلك أن الله أمر بطاعته وطاعة رسوله ، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله ، وأنه لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وأن على الخلق أن يعبدوه فيطيعوا أمره ، ويستعينوا به على كل ذلك ، كما قال في فاتحة الكتاب : ( إياك نعبد وإياك نستعين )(٢) .

(١) رواه أحمد في « المسند » ، وسنده حسن . (٢) سورة الفاتحة ، الآية : ٤

ومن عبادته وطاعته : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الامكان ، والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق ، فيجتهدون في إقامة دينه ، مستعينين به ، رافعين مزيلين بذلك ماقدر من السيئات ، دافعين بذلك ما قد يخاف من آثار ذلك ، كما يزيل الانسان الجوع الحاضر بالأكل ، ويدفع به الجوع المستقبل وكذلك إذا آن أوان البرد ، دفعه باللباس ، وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه ، كما قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله ! أرأيت أدوية نتداوى بها ، ورقى نسترقي بها ، وتقى[1] نتقي بها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال : « هي من قدر الله » . وفي الحديث : « إن الدعاء والبلاء ليلتقيان ، فيعتلجان بين السماء والأرض » .

فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله ، العابدين لله ، وكل ذلك من العبادة .

وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية — وهي ربوبيته تعالى لكل شيء ، ويجعلون ذلك مانعاً من اتباع أمره الديني الشرعي على مراتب في الضلال .

فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقاً عاماً ، فيحتجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشريعة .

(١) جمع تقية : مايدفع به الانسان مايخاف ويكره .

وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى ، وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا : ( لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء )(١) . وقالوا : ( لو شاء الرحمن ما عبدناهم )(٢)

وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضاً ، بل كل من احتج بالقدر فانه متناقض . فانه لا يمكن أن يُقرّ كل آدمي على ما يفعل ، فلا بد إذا ظلمه ظالم ، أو ظلم الناس ظالم ، وسعى في الأرض بالفساد ، وأخذ يسفك دماء الناس ، ويستحل الفروج ، ويهلك الحرث والنسل ونحو ذلك من أنواع الضرر التي لا قوام للناس بها ، أن يدفع هذا القدَر ، وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوانه وعدوان أمثاله . فيقال له : إن كان القدر حجةً ، فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك ؛ وإن لم يكن حجة بطل أصل قولك : [ إن القدر حجة ] .

وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية ، لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونه ، وإنما هم يتبعون آراءهم وأهواءهم ، كما قال فيهم بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدَري ، وعند المعصية جبري ، أيّ مذهب وافق هواك تمذهبت به .

ومنهم صنف يدّعون التحقيق والمعرفة ، ويزعمون أن الأمر

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٨ (٢) سورة الزخرف ، الآية : ٢٠

والنهي لازم لمن شهد لنفسه فعالاً ، وأثبت له صفات أما من شهد أن أفعاله مخلوقة ، أو أنه مجبور على ذلك ، وأن الله هو المتصرف فيه كما يحرك سائر المتحركات ، فانه يرتفع عنه الأمر والنهي ، والوعد ، والوعيد .

وقد يقولون : من شهد الارادة سقط عنه التكليف . ويزعمون أن الخضر سقط عنه التكليف لشهوده الإرادة .

فهؤلاء : يفرقون بين العامة ، والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية ، فشهدوا أن الله خالق أفعال العباد ، وأنه مريد ومدبر لجميع الكائنات .

وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علماً ، وبين من يراه شهوداً ، فلا يسقطون التكليف عمن يؤمن بذلك ويعلمه فقط ؛ ولكن [ يسقطونه ] عمن يشهده ، فلا يرى لنفسه فعلاً أصلاً .

وهؤلاء [ لا ] يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعاً من التكليف على هذا الوجه .

وقد وقع في هذا طوائف من المنتسبين إلى التحقيق والمعرفة والتوحيد .

وسبب ذلك : أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد [ لا ] يؤمر بما يقدر عليه خلافه . كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك .

ثم المتزلة أثبتت الأمر والنهي الشرعيين دون القضاء والقدر، اللذين هما إرادة الله العامة وخلقه لأفعال العباد. وهؤلاء أثبتوا القضاء والقدر، ونفوا الأمر والنهي في حق من شهد القدر، إذ لم يمكنهم نفي ذلك مطلقاً.

وقول هؤلاء شر من قول المعتزلة، ولهذا لم يكن في السلف من هؤلاء أحد، وهؤلاء يجعلون الأمر والنهي للمحجوبين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية، ولهذا يُسقطون عمن وصل إلى شهود هذه الحقيقة الأمر والنهي، ويقولون: إنه صار من الخاصة، وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)[1]. فاليقين عندهم هو معرفة هذه الحقيقة.

وقول هؤلاء كفر صريح، وإن وقع فيه [بالتقليد] طوائف لم يعلموا أنه كفر، فإنه قد عُلم بالاضطرار من دين الاسلام، أن الأمر والنهي لازمان لكل عبد مادام عقله حاضراً إلى أن يموت، لايسقطان عنه، لابشهوده القدر، ولا بغير ذلك. فمن لم يعرف ذلك عُرِّفه وبيّن له، فإن أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهي، فإنه يقتل [كفراً]، وقد كثرت مثل هذه المقالات في المستأخرين.

وأما المتقدمون من هذه الأمة، فلم تكن هذه المقالات معروفة

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٩

فيهم وهذه المقالات هي محادة لله ورسوله ومعاداة له، وصدٌّ عن سبيله ومشاقة له، وتكذيب لرسله، ومضادة له في حكمه، وإن كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك، ويعتقد أن هذا الذي هو عليه، هو طريق الرسول، وطريق أولياء الله المحققين، فهو في ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه، لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية، أو أن الخمر حلال له، لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر، أو أن الفاحشة حلال له، لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب ونحو ذلك!

فلا ريب أن المشركين الذين كذبوا الرسول يترددون بين البدعة المخالفة لشرع الله، وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر الله، فهذه الأصناف فيهم شبه من المشركين، [لأنهم] إما أن يبتدعوا، وإما أن يحتجوا بالقدر، وإما أن يجمعوا بين الأمرين، كما قال تعالى عن المشركين: (وإذا فعلوا فاحشة قالوا: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون؟)(١) وكما قال تعالى عنهم: (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء)(٢)

وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل

(١) سورة الاعراف، الآية: ٢٩ (٢) سورة الانعام، الآية: ١٤٨

الحرام وعبادة الله بما لم يشرع الله ، في مثل قوله تعالى : ( وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراءً عليه )(١) . إلى آخر السورة وكذلك في سورة الأعراف في قوله : ( يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ـ إلى قوله ـ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون ؟ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ـ إلى قوله ـ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ـ إلى قوله ـ قل إنما حرَّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون )(٢)

وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع : حقيقة ، كما يسمون مايشهدون من القدر حقيقة ، وطريق الحقيقة عندهم : هو [ الرياضة ] والسلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ، ولكن بما يراه هو ويذوقه ، ويجده [ في قلبه الغافل الضال عن الله ] ونحو ذلك .

وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقاً . بل عمدتهم اتباع آرائهم

(١) سورة الانعام ، الآية : ١٣٨ (٢) سورة الاعراف ، الآية ٢٦ ـ ٣٢

وأهوائهم، وجعلهم مايرونه ومايهوونه حقيقة ويأمرون باتباعها دون اتباع أمر الله ورسوله، نظير بدع أهل الكلام من الجهمية وغيرهم، الذين يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها، دون مادلت عليه السمعيات. ثم الكتاب والسنة، إما أن يحرفوا القول فيهما عن مواضعه، وإما أن يعرضوا عنه بالكلية، فلا يتدبرونه ولا يعقلونه، بل يقولون: نفوض معناه إلى الله، مع اعتقادهم نقيض مدلوله.

وإذا حقق على هؤلاء مايزعمونه من العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة، وكذلك أولئك [الصوفية] إذا حقق عليهم مايزعمونه من حقائق أولياء الله، المخالفة للكتاب والسنة، وجدت من الأهواء التي يتبعها أعداء الله لا أولياؤه.

وأصل كل ضلال من ضل، إنما هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله، وتقديم اتباع الهوى على اتباع أمر الله. فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد ويهواه. فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته وهواه.

فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد، مثل ما بينه النبي ﷺ

بقوله في الحديث الصحيح : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار »(١).

وقال ﷺ في الحديث الصحيح : « ذاق طعم الايمان : من رضي بالله رباً ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد نبياً »(٢) وأما أهل الكفر والبدع والشهوات ، فكلٌ بحسبه .

قيل لسفيان بن عيينة : ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم ؟ فقال : أنسيت قوله تعالى : ( وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم )(٣) أو نحو هذا من الكلام .

فعبَّاد الأصنام يحبون آلهتهم كما قال تعالى : ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله )(٤) وقال : ( فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتَّبع هواه بغير هدى من الله ؟ )(٥) وقال : ( إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى )(٦) .

ولهذا يميل هؤلاء ، ويغرمون بسماع الشعر والأصوات

(١) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٢) رواه مسلم عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٩٣ (٤) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥ .
(٥) سورة القصص ، الآية : ٥٠ (٦) سورة النجم ، الآية : ٢٣ .

[ والآلات الموسيقية ] التي تهيج المحبة المطلقة ، التي لا تختص بأهل الايمان ، بل يشترك فيها محب الرحمن ، ومحب الأوثان ، ومحب الصلبان ، ومحب الأوطان ، ومحب الاخوان ، ومحب المردان ، ومحب النسوان ، وهؤلاء [ هم الذين ] يتبعون أذواقهم ومواجيدهم ، من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة .

فالمخالف لما بعث الله به رسوله من عبادته وحده ، وطاعته وطاعة رسوله ، لا يكون متبعاً لدين شرعه الله أبداً ، كما قال تعالى : ( ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله وليُّ المتقين )[١] بل يكون متبعاً لهواه بغير هدى من الله . قال تعالى : ( أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؟ )[٢]

وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة ، يقدمونها على ما شرعه الله . وتارة يحتجون بالقدر الكوني على الشريعة ، كما أخبر الله عن المشركين كما تقدم .

ومن هؤلاء طائفة هم أعلاهم عندهم قدراً ، وهم مستمسكون بما اختاروا بهواهم من الدين في أداء الفرائض المشهورة ، واجتناب المحرمات المشهورة ، لكن يضلون بترك ما أمروا به من الأسباب التي

(١) سورة الجاثية ، الآيتان : ١٩ ، ٢٠ (٢) سورة الشورى ، الآية : ٢١

هي عبادة، ظانين أن العارف إذا شهد القدر أعرض عن ذلك، مثل من يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة، بناء على أن من شهد القدر، علم أن ما قدر سيكون، فلا حاجة إلى ذلك وهذا ضلال مبين

فإن الله قدّر الأشياء بأسبابها، كما قدّر السعادة والشقاوة بأسبابها، كما قال النبي ﷺ: «إن الله خلق للجنة أهلاً خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وبعمل أهل الجنة يعملون، وخلق للنار أهلاً، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وبعمل أهل النار يعملون»[(١)].

وكما قال النبي ﷺ لما أخبرهم: بأن الله كتب المقادير، فقالوا: يا رسول الله! أفلا ندع العمل، ونتكل على الكتاب؟ فقال: «لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة، فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة»[(٢)].

فكل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة، كما في قوله تعالى: (فاعبده وتوكل عليه)[(٣)] وفي قوله: (قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب)[(٤)] وقول

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود. (٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) سورة هود، الآية: ١٢٣ (٤) سورة الرعد. الآية ٣٣

شعيب عليه السلام : ( عليه توكلت وإليه أنيب )[1] .

ومنهم طائفة قد تترك المستحبات من الأعمال دون الواجبات، فتنقص بقدر ذلك .

ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة ، مثل مكاشفة أو استجابة دعوة مخالفة للعادة ، ونحو ذلك ، فيشتغل أحدهم بهذه الأمور عما أمر به من العبادة والشكر ، ونحو ذلك . فهذه الأمور ، ونحوها كثيراً ما تعرض لأهل السلوك والتوجه ، وإنما ينجو العبد منها بملازمة أمر الله الذي بعث به رسوله ، في كل وقت ، كما قال الزهري : كان من مضى من سلفنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة . وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه الله : مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .

والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ، ولها أصلان :

أحدها : أن لا يعبد إلا الله .

الثاني : أن لا يعبده إلا بما أمر وشرع ، لا يعبده بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع . قال تعالى : ( فمن كان يرجو لقاء ربه

(١) سورة هود ، الآية : ٨٨

فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً )[١] وقال تعالى : ( بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون )[٢] وقال تعالى : ( ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملّة إبراهيم حنيفاً ؟ واتخذ الله إبراهيم خليلاً )[٣].

فالعمل الصالح: هو الاحسان وهو فعل الحسنات ، والحسنات: هي ما أحبه الله ورسوله ، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب .

فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ، ولا في صحيح السنة ، فإنها ـ وإن قالها من قالها ، وعمل بها من عمل ـ ليست مشروعة فإن الله لا يحبها ولا رسوله ، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما أن من يعمل ما لا يجوز ، كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح .

وأما قوله : ( ولا يشرك بعبادة ربه أحداً )[٤] وقوله : ( أسلم وجهه لله )[٥] فهو إخلاص الدين لله وحده وكان عمر بن الخطاب يقول : اللهم اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً .

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١١
(٢) سورة البقرة ، الآية : ١١٢
(٣) سورة النساء ، الآية : ١٢٤
(٤) سورة الكهف ، الآية : ١١١
(٥) سورة البقرة ، الآية : ١١٢

وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى : ( ليبلوكم أيكم أحسن عملاً )[١] قال : أخلصه وأصوبه قالوا : يا أبا علي ؛ ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص: أن يكون لله . والصواب : أن يكون على السنة .

فإن قيل : فإذا كان جميع ما يحبه الله داخلاً في اسم العبادة ، فلماذا عطف عليها غيرها ؟ كقوله في فاتحة الكتاب : ( إياك نعبد وإياك نستعين ) وقوله لنبيه : ( فاعبده وتوكل عليه )[٢] ، وقول نوح : ( اعبدوا الله واتقوه وأطيعون )[٣] وكذلك قول غيره من الرسل ؟ .

قيل : هذا له نظائر ، كما في قوله : ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر )[٤] والفحشاء من المنكر وكذلك قوله : ( إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي )[٥] وإيتاء ذي القربى : هو من العدل والاحسان ، كما أن الفحشاء والبغي من المنكر ، وكذلك قوله :( والذين يمسّكون

(١) سورة الملك، الآية :٢
(٢) سورة هود ،الآية :١٢٣
(٣) سورة نوح ، الآية : ٣
(٤) سورة العنكبوت، الآية :٤٥
(٥) سورة النحل ، الآية : ٩٠

بالكتاب وأقاموا الصلاة )[١] ، وإقامة الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب .

وكذلك قوله عن أنبيائه : ( إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً )[٢] ودعاؤهم رغباً ورهباً من الخيرات . وأمثال ذلك في القرآن كثير .

وهذا الباب : يكون تارة مع كون أحدهما بعض الآخر ، فيعطف عليه تخصيصاً له بالذكر ، لكونه مطلوباً بالمعنى العام والمعنى الخاص .

وتارة تتنوع دلالة الاسم بحال الانفراد والاقتران . فإذا أُفرد عم ، وإذا قرن بغيره خص ، كاسم « الفقير » و « المسكين » لما أفرد أحدهما في مثل قوله : ( للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله )[٣] وقوله: ( أو إطعام عشرة مساكين )[٤] دخل فيه الآخر . ولما قرن بينهما في قوله : ( إنما الصدقات للفقراء والمساكين )[٥] صارا نوعين .

وقد قيل : إن الخاص المعطوف على العام ، لا يدخل في العام حال الاقتران ؛ بل يكون من هذا الباب .

---

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٦٩ (٢) سورة الانبياء ، الآية : ٩٠
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٣ (٤) سورة المائدة ، الآية : ٩٢
(٥) سورة التوبة ، الآية : ٦١

والتحقيق أن هذا ليس لازما . قال تعالى : ( من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال )[١] وقال تعالى : ( وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم )[٢] .

وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة ، تارة لكونه له خاصية ليست لسائر أفراد العام ، كما في نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وتارة لكون العام فيه إطلاق قد لا يفهم منه العموم ، كما في قوله : ( هدى المتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك )[٣] . فقوله : ( يؤمنون بالغيب ) . يتناول كل الغيب الذي يجب الإيمان به ، لكن فيه إجمال . فليس فيه دلالة على أن من الغيب : ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . وقد يكون المقصود أنهم يؤمنون بالمخبر به ، وهو الغيب ، وبالإخبار بالغيب ، وهو ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك .

ومن هذا الباب : قوله تعالى : ( اتل ما أوحي إليك من الكتاب

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٩٨

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٧

(٣) سورة البقرة ، الآيات : ٢ ـ ٥

وأقم الصلاة)[١] وقوله: (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة)[٢] وتلاوة الكتاب: هي اتباعه والعمل به، كما قال ابن مسعود في قوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته)[٣]. قال: يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويؤمنون بمتشابهه، ويعملون بمحكمه. فاتباع الكتاب: يتناول الصلاة وغيرها، لكن خصها بالذكر لمزيتها. وكذلك قوله لموسى: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري)[٤]. وإقام الصلاة لذكره: من أجلّ عبادته. وكذلك قوله تعالى: (اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا) وقوله: (اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة)[٦]. وقوله: (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)[٧]. فإن هذه الأمور هي أيضاً من تمام تقوى الله، وكذلك قوله: (فاعبده وتوكل عليه)[٨]. فإن التوكل هو الاستعانة، وهي من عبادة الله، لكن خصت بالذكر، ليقصدها المتعبد بخصوصها. فإنها هي العون على سائر أنواع العبادة، إذ هو سبحانه لا يعبد إلا بمعونته.

إذا تبين هذا فكمال المخلوق: في تحقيق عبوديته لله، وكلما

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥
(٢) سورة الاعراف، الآية: ١٧٠
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢١
(٤) سورة طه، الآية: ١٤
(٥) سورة الاحزاب، الآية: ٧١
(٦) سورة المائدة، الآية: ٣٦
(٧) سورة التوبة، الآية: ١٢٠
(٨) سورة هود، الآية: ١٢٣

ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته . ومن توهم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه ، أو أن الخروج عنها أكمل ؛ فهو من أجهل الخلق بل من أضلهم . قال تعالى : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون )(١) وقال تعالى : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئاً إدّاً . تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً . أن دعوا للرحمن ولداً . وماينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدهم عدّاً . وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً )(٢) . وقال تعالى في المسيح : ( إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل )(٣) . وقال تعالى : ( وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون )(٤) . وقال تعالى: ( لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين

(١) سورة الأنبياء، الآيتان : ٢٦ـ٢٨ (٢) سورة مريم، الآيات : ٨٩ـ٩٦

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٥٩ (٤) سورة الانبياء ، الآيتان : ١٩ـ٢٠

استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولايجدون لهم من دون الله ولياً ولانصيراً )[١] . وقال تعالى : ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين )[٢] وقال تعالى : ( ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون )[٣] . وقال تعالى : ( واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون )[٤] . وهذا ونحوه مما فيه وصف أكابر الخلق بالعبادة ، وذم من خرج عن ذلك متعدد في القرآن ، وقد أخبر أنه أرسل جميع الرسل بذلك . فقال تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون )[٥] . وقال : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )[٦] وقال تعالى لبني إسرائيل : ( ياعبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون )[٧] ( وإياي فاتقون )[٨] . وقال : (ياأيها

(١) سورة النساء ، الآيتان : ١٧١-١٧٢ (٢) سورة المؤمن ، الآية : ٦٠
(٣) سورة فصلت ، الآيتان : ٣٧-٣٨ (٤) سورة الاعراف ، الآيتان : ٢٠٤-٢٠٥
(٥) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥ (٦) سورة النحل ، الآية : ٣٦
(٧) سورة العنكبوت ، الآية : ٥٦ (٨) سورة البقرة ، الآية : ٤١

الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون )[١] .
وقال : ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون )[٢] . وقال تعالى :
( قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون
أول المسلمين . قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل
الله أعبد مخلصاً له ديني . فاعبدوا ماشئتم من دونه )[٣] .

وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء إلى عبادة الله، كقول
نوح ومن بعده عليهم السلام في سورة الشعراء وغيرها : ( اعبدوا الله
مالكم من إله غيره )[٤] .

وفي «المسند» عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « بعثت
بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لاشريك له ، وجعل رزقي
تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري »[٥] .

وقد بين أن عباده المخلصين ، هم الذين ينجون من السيئات التي
زينها الشيطان قال الشيطان : ( رب بما أغويتني لأزينن لهم في
الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين )[٦] قال تعالى :
( هذا صراط عليّ مستقيم . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ، إلا من

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١ (٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦
(٣) سورة الزمر ، الآيات : ١٢ ـ ١٦ (٤) سورة المؤمنون ، الآية : ٣٣
(٥) ورواه البخاري تعليقاً ، وأبو داود . قال الحافظ ابن حجر : إسناده
حسن . (٦) سورة الحجر ، الآيتان : ٤٩ و ٥٠

اتبعك من الغاوين )[١]. وقال ( فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين )[٢]. وقال في حق يوسف : ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين )[٣]. وقال تعالى : ( سبحان الله عما يصفون. إلا عباد الله المخلصين)[٤] وقال : ( إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون )[٥].

وبالعبودية نعت كل من اصطفى من خلقه في قوله : ( واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار )[٦]. وقوله ( واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب )[٧] وقال عن سليمان : ( نعم العبد إنه أواب )[٨]. وعن أيوب (نعم العبد)[٩] وقال عنه: (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه)[١٠]. وقال عن نوح عليه السلام : ( ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً )[١١]. وقال عن خاتم رسله :(سبحان

(١) سورة الحجر ، الآيتان : ٤١ ، ٤٤ (٢) سورة ص ، الآيتان : ٨٢، ٨٣
(٣) سورة يوسف ، الآية : ٢٤ (٤) سورة الصافات ، الآيتان : ١٥٩، ١٦٠
(٥) سورة النحل، الآيتان : ٩٩، ١٠٠ (٦) سورة ص ، الآيات : ٤٥ ـ ٤٧
(٧) سورة ص ، الآية : ١٧ (٨) سورة ص ، الآية : ٣٠
(٩) سورة ص ، الآية : ٤٤ (١٠) سورة ص ، الآية : ٤١
(١١) سورة الاسراء ، الآية : ٣

الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى )[١].
وقال : ( وأنه لما قام عبد الله يدعوه )[٢] وقال ( وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا )[٣] وقال : ( فأوحى إلى عبده ما أوحى )[٤].
وقال : ( عيناً يشرب بها عباد الله )[٥] وقال : ( وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً )[٦] ومثل هذا كثير متعدد في القرآن.

# فصل

إذا تبين ذلك ، فمعلوم أن الناس يتفاضلون في هذا الباب تفاضلاً عظيماً ، وهو تفاضلهم في حقيقة الإيمان وهم ينقسمون فيه إلى عام وخاص ، ولهذا كانت إلهية الرب لهم فيها عموم وخصوص ، ولهذا كان الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل . وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش . إن أعطي رضي ، وإن منع سخط »[٧] فسماه النبي ﷺ : عبد الدرهم ، وعبد الدينار ، وعبد القطيفة ، وعبد الخميصة ، وذكر مافيه

(١) سورة الاسراء ، الآية : ١
(٢) سورة الجن ، الآية : ١٩
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٣
(٤) سورة النجم ، الآية : ١٠
(٥) سورة الدهر ، الآية : ٦
(٦) سورة الفرقان ، الآية : ٦٣
(٧) رواه البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

دعاء وخبراً ، وهو قوله : « تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » والنقش: إخراج الشوكة من الرجل والمنقاش: مايخرج به الشوكة. وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ، ولم يفلح لكونه تعس وانتكس . فلا نال المطلوب ، ولا خاص من المكروه ، وهذه حال من عبد المال وقد وصف ذلك بأنه إذا أُعطي رضي ، وإذا منع سخط . كما قال تعالى : ( ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أُعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون )[1] . فرضاهم لغير الله ، وسخطهم لغير الله ، وهكذا حال من كان متعلقاً برئاسة أو بصورة ، ونحو ذلك من أهواء نفسه ، إن حصل له رضي ، وإن لم يحصل له سخط . فهذا عبد مايهواه من ذلك ، وهو رقيق له ، إذ الرق والعبودية في الحقيقة : هو رق القلب وعبوديته ، فما استرق القلب واستعبده ، فالقلب عبده . ولهذا يقال : العبد حر ماقنع والحر عبد ماطمع

وقال القائل :

أطعتُ مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حراً

ويقال : الطمع غل في العنق ، وقيد في الرجل ، فإذا زال الغل من العنق ، زال القيد من الرجل . ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه قال : الطمع فقر ، واليأس غنى ، وإن أحدكم إذا يئس

(١) سورة التوبة ، الآية : ٥٩

من شيء استغنى عنه . وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه ، فإن الأمر الذي ييأس منه لا يطلبه ، ولا يطمع فيه ، ولا يبقى قلبه فقيراً إليه ، ولا إلى من يفعله . وأما إذا طمع في أمر من الأمور ورجاه ، فإن قلبه يتعلق به ، فيصير فقيراً إلى حصوله ، وإلى من يظن أنه سبب في حصوله ، وهذا في المال والجاه والصور وغير ذلك . قال الخليل ﷺ : ( فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون )[1] .

فالعبد لا بد له من رزق ، وهو محتاج إلى ذلك، فإذا طلب رزقه من الله صار عبداً لله ، فقيراً إليه ، وإذا طلبه من مخلوق صار عبداً لذلك المخلوق فقيراً إليه . ولهذا كانت مسألة[2] المخلوق محرمة في الأصل ، وإنما أبيحت للضرورة . وفي النهي عنها أحاديث كثيرة في «الصحاح» و «السنن» و «المسانيد » . كقوله ﷺ : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُزْعة من لحم[3] » . وقال : « من سأل الناس وله ما يغنيه ، جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً ـ أو خموشاً أو كدوشاً ـ في وجهه[4] » . وقوله : « لا تحل المسألة إلا لذي غُرْم مُفظِع ، أو دم مُوجع ، أو فقر مُدْقِع »[5] . وهذا المعنى في «الصحيح»

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ١٧ (٢) أي سؤاله .

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) رواه الطبراني في الأوسط بمعناه عن جابر رضي الله عنه . قال الحافظ المنذري : بإسناد لا بأس به

(٥) رواه أبو داود والبيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وفيه أيضاً: «لأن يأخذ أحدكم [أ]حبله فيذهب فيحتطب، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه»(١). وقال: «ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل، ولا مستشرف فخذه، وما لا، فلا تتبعه نفسك»(٢). فكره أخذه مع سؤال اللسان، واستشراف القلب. وقال في الحديث الصحيح: «من يستغن يغنه الله. ومن يستعف يُعِفَّه الله. ومن يتصبر يصبره الله. وما أُعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»(٣). وأوصى خواص أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً. وفي «المسند»: أن أبا بكر كان يسقط السوط من يده، فلا يقول لأحد: ناولني إياه، ويقول: إن خليلي أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً»(٤). وفي «صحيح مسلم» وغيره، عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ بايعه في طائفة، وأسر إليهم كلمة خفية: أن لا تسألوا الناس شيئاً. فكان بعض أولئك النفر يسقط السوط من يد أحدهم ولا يقول لأحد: ناولني إياه.

وقد دلت النصوص على الأمر بمسألة الخالق، والنهي عن مسألة المخلوق في غير موضع. كقوله تعالى: (فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب)(٥). وقول النبي ﷺ لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله،

(١) رواه البخاري وابن ماجه وغيرهما عن الزبير بن العوام رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٣) رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والنسائي والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٤) وفي سنده انقطاع. قال الحافظ المنذري: ابن أبي مليكة ـ يعني راوي الحديث ـ لم يدرك أبا بكر.
(٥) سورة الانشراح، الآيتان: ٧، ٨

وإذا استعنت فاستعن بالله »[١]. ومنه قول الخليل: (فابتغوا عند الله الرزق)[٢] ولم يقل: فابتغوا الرزق عند الله، لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر، كأنه قال: لاتبتغوا الرزق إلا عند الله. وقد قال تعالى: (واسألوا الله من فضله)[٣].

والإنسان لابد له من حصول مايحتاج إليه من الرزق ونحوه، ودفع مايضره، وكلا الأمرين شرع له أن يكون دعاؤه لله، فلايسأل رزقه إلا من الله، ولا يشتكي إلا إليه، كما قال يعقوب عليه السلام: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله)[٤].

والله تعالى ذكر في القرآن الهجر الجميل، والصفح الجميل، والصبر الجميل وقد قيل: إن الهجر الجميل: هو هجر بلا أذى والصفح الجميل: صفح بلا معاتبة. والصبر الجميل: صبر بغير شكوى إلى المخلوق. ولهذا قرئ على أحمد بن حنبل في مرضه: أن طاووسا كان يكره أنين المريض ويقول: إنه شكوى. فما أنّ أحمد حتى مات. وأما الشكوى إلى الخالق فلا تنافي الصبر الجميل، فإن يعقوب قال (فصبر جميل)[٥]. وقال (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله)[٤]. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في الفجر بسورة يونس ويوسف والنحل، فمر بهذه الآية في قراءته.

(١) رواه الترمذي وأحمد، وهو حسن لغيره.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٧ (٣) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٦. (٥) سورة يوسف، الآية: ٨٣

فبكى حتى سمع نشيجه من آخر الصفوف .

ومن دعاء موسى : « اللهم لك الحمد وإليك المشتكى ، وأنت المستعان [وبك المستغاث] وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك».

وفي الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ لما فعل به أهل الطائف ما فعلوا : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربي ورب المستضعفين اللهم إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب عَلَيَّ فلا أُبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة : أن ينزل بي سخطك ، أو يحل عليَّ غضبك لك العُتْبَى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله» وفي بعض الروايات: «ولا حول ولا قوة إلا بك[1]».

وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته ، ورجاؤه لقضاء حاجته ودفع ضرورته ، قويت عبوديته له ، وحريته مما سواه ، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له ، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه ، كما قيل: استغن عمن شئت تكن نظيره ، وأَفْضِلْ على من شئت تكن أميره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره فكذلك طمع العبد في ربه ورجاؤه له يوجب عبوديته له ، وإعراض قلبه عن الطلب من الله والرجاء له ،

(١) إسناده ضعيف معضل . انظر « فقه السيرة » بتخريج محمد ناصر الدين الألباني صفحة ١٧٧ .

يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله . لاسيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق ، بحيث يكون قلبه معتمداً إما على رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه ، وإما على أهله وأصدقائه ، وإما على أمواله وذخائره ، وإما على ساداته وكبرائه ، كمالكه وملكه وشيخه ومخدومه وغيرهم ، ممن هو قد مات أو يموت قال تعالى : ( وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً )(١) وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه ، أو أن يهدوه ، خضع قلبه لهم ، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك ، وإن كان في الظاهر أميراً لهم ، مديراً لأمورهم ، متصرفاً بهم . فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر . فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ـ ولو كانت مباحة له ـ يبقى قلبه أسيراً لها تتحكم فيه وتتصرف بما تريد ، وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها أو مالكها ، ولكنه في الحقيقة هو أسيرها ومملوكها ، ولاسيما إذا علمت بفقره إليها وعشقه لها ، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها ، فإنها حينئذ تتحكم فيه تحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه ، بل أعظم ، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن ، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن ، فإن من استعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالي ما دام قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً ، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص .

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٥٨

وأما إذا كان القلب ـ الذي هو ملك الجسم ـ رقيقاً مستعبداً ، متيماً لغير الله ، فهذا هو الذل والأسر المحض ، والعبودية الذليلة لما استعبد القلب .

وعبودية القلب وأسره هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب ، فإن المسلم لو أسره كافر أو استرقه فاجر بغير حق ، لم يضره ذلك إذا كان قائماً بما يقدر عليه من الواجبات . ومن استعبد بحق ، إذا أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك وأما من استعبد قلبه فصار عبداً لغير الله ، فهذا يضره ذلك كل الضرر ، ولو كان في الظاهر ملك الناس .

فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب ، كما أن الغنى غنى النفس . قال النبي ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، وإنما الغنى غنى النفس »(١).

وهذا لعمر الله إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة . فأما من استعبد قلبه صورة محرمة : امرأة أو صبي . فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب .

وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذاباً وأقلهم ثواباً ،

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة .

فإن العاشق لصورة، إذا بقي قلبه متعلقاً بها، مستعبداً لها، اجتمع له من أنواع الشر والخسران والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى، فدوام تعلق القلب بها[1] بلا فعل الفاحشة، أشد ضررا عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب منه، ويزول أثره من قلبه[2].

وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين، كما قيل:

سكران سكر هوىً وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران؟

وقيل:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في حين

ومن أعظم أسباب هذا البلاء: إعراض القلب عن الله، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والاخلاص له، لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أمتع ولا أطيب.

والانسان لا يترك محبوباً إلا بمحبوب آخر يكون أحب اليه منه،

(١) يعني وهو غير مجاهد لصرفها عن نفسه، حتى تكون عبوديتها خالصة لربه. وإلا ففي حالة المجاهدة هذه يكون في طاعة ربه، فلا يصح أن تكون شراً مطلقاً، فكيف تكون أشد ضرراً مما ذكره المؤلف رحمه الله.

(٢) وذلك لأن دوام تعلق القلب بالصورة على التفسير السابق لا بد أن يحمل المرء على مخالفة الشرع ولو في ناحية لا تتعلق بالفاحشة الكبرى، مثل إهماله لبعض واجباته الشخصية أو العائلية ونحوهما.

أو خوفاً من مكروه ، فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح ، أو بالخوف من الضرر .

قال تعالى في حق يوسف : ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين )(١) فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصورة والتعلق بها ، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله

و[هذا] يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله ، والاخلاص له، بحيث تغلبه نفسه على اتباع هواها ، فاذا ذاق طعم الاخلاص لله ،وقوي في قلبه ، انقهر له هواه بلا كبير علاج .

قال تعالى : ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر )(٢) فان الصلاة فيها دفع لشر مكروه ،وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل لخير محبوب ، وهو ذكر الله . وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه ، فان ذكر الله ؛ عبادة لله ، وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها .

وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على سبيل التبع ، والقلب خلق يحب الحق ويريده ويطلبه ، فلما عرضت له إرادة الشر طلب دفع ذلك ، فانها تفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من

(١) سورة يوسف ، الآية : ٢٤ (٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٥

الدغل[١].

ولهذا قال تعالى: (قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها)[٢] وقال تعالى: (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى)[٣] وقال: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم)[٤] وقال تعالى: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً)[٥] فجعل سبحانه غض البصر، وحفظ الفرج، هو أقوى تزكية للنفس، وبين أن ترك الفواحش من زكاة النفوس، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور: من الفواحش والظلم، والشرك والكذب وغير ذلك.

وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض، قلبه رقيق لمن يعينه عليها، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم، فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم، فيبذل لهم الأموال والولايات، ويعفو عما يجترحونه ليطيعوه ويعينوه، فهو في الظاهر رئيس مطاع، وفي الحقيقة عبد مطيع لهم.

والتحقيق أن كلاهما فيه عبودية للآخر، وكلاهما تارك لحقيقة

(١) الدغل: دخل في الأمر مفسد.

(٢) سورة الشمس، الآيتان: ٩، ١٠ (٣) سورة الاعلى، الآيتان: ١٤، ١٥

(٤) سورة النور، الآية: ٣٠ (٥) سورة النور، الآية: ٢١

عبادة الله . وإذا كان تعاونهما على العلو في الأرض بغير الحق ، كانا بمنزلة المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق فكل واحد من الشخصين ، ـ لهواه الذي استعبده واسترقه ـ مستعبد للآخر . وهكذا أيضاً طالب المال ، فان ذلك المال يستعبده ويسترقه .

وهذه الأمور نوعان :

منها : ما يحتاج العبد اليه ، كما يحتاج اليه من طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ، ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ، ويرغب اليه فيه فيكون المال عنده ـ يستعمله في حاجته ـ بمنزلة حماره الذي يركبه ، وبساطه الذي يجلس عليه ، بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته ، من غير أن يستعبده ، فيكون هلوعاً : إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً .

ومنها : مالا يحتاج العبد اليه فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه به. فاذا علق قلبه به صار مستعبداً له . وربما صار معتمداً على غير الله ، فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ، ولا حقيقة التوكل عليه ، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله ، وشعبة من التوكل على غير الله ، وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة »[1] . وهذا هو عبد هذه الأمور ، فانه لو طلبها من

(١) رواه البخاري وابن ماجه ، وقد تقدم .

الله ، فان الله إذا أعطاه إياها رضي ، وإذا منعه إياها سخط . وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أحبه الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ، ويعادي أعداء الله تعالى . وهذا هو الذي استكمل الايمان ، كما في الحديث: « من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى لله ومنع لله ، فقد استكمل الايمان »(١) وقال : « أوثق عرى الايمان : الحب في الله ، والبغض في الله »(٢).

وفي « الصحيح » عنه ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار »(٣). فهذا وافق ربه فيما يحبه ومايكرهه . فكان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأحب المخلوق لله ، لا لغرض آخر . فكان هذا من تمام حبه لله ، فان محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب ، فاذا أحب أنبياء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الحق ، لا لشيء آخر ، فقد أحبهم لله لا لغيره . وقد قال تعالى : ( فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين )(٤). ولهذا قال تعالى : ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله )(٥).

---

(١) رواه أبو داود بسند حسن .

(٢) حديث حسن ، أخرجه أحمد عن البراء ، والطبراني في « الكبير » عن ابن عباس ، وفي « الصغير » عن ابن مسعود . (٣) متفق عليه .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٥٧ (٥) سورة آل عمران ، الآية : ٣١

فإن الرسول لا يأمر إلا بما يحب الله ، ولا ينهى إلا عما يبغضه الله ، ولا يفعل إلا ما يحبه الله ، ولا يخبر إلا بما يحب الله التصديق به . فمن كان محباً لله ، لزم أن يتبع الرسول ، فيصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ويتأسى به فيما فعل ، ومن فعل هذا ، فقد فعل ما يحبه الله ، فيحبه الله .

وقد جعل الله لأهل محبته علامتين : اتباع الرسول ، والجهاد في سبيله ، وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان ، والعمل الصالح ، وفي دفع ما يبغضه الله : من الكفر ، والفسوق والعصيان .

وقد قال تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ـ إلى قوله ـ حتى يأتي الله بأمره)[1] . فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله ، والجهاد في سبيله بهذا الوعيد الشديد ، بل قد ثبت عنه ﷺ في « الصحيح » أنه قال : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »[2] . وفي الصحيح : أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله ، والله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي فقال : « لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك » . فقال : فوالله لأنت أحب إليّ من نفسي .

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٥ (٢) رواه الشيخان .

فقال: « الآن يا عمر »[١].

فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب، وهو موافقته في حب ما يحب، وبغض ما يبغض. والله يحب الايمان والتقوى، ويبغض الكفر والفسوق والعصيان.

ومعلوم أن الحب يحرك إرادة القلب، فكلما قويت المحبة في القلب طلب القلب فعل المحبوبات، فاذا كانت المحبة تامة استلزمت إرادة جازمة في حصول المحبوبات، فإذا كان العبد قادراً عليها حصلها، وإن كان عاجزاً عنها ففعل ما يقدر عليه من ذلك، كان له أجر كأجر الفاعل. كما قال النبي ﷺ « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء »[٢]. وقال: « إن بالمدينة لرجالاً ماسرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم ». قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: « وهم بالمدينة، حبسهم العذر »[١].

والجهاد: هو بذل الوسع ـ وهو كل ما يملك من القدرة ـ في حصول محبوب الحق، ودفع ما يكرهه الحق. فاذا ترك العبد مايقدر عليه من الجهاد، كان تركه دليلاً على ضعف محبة الله ورسوله في قلبه.

---

(١) رواه الشيخان. (٢) رواه مسلم.

ومعلوم أن المحبوبات لا تنال غالباً إلا باحتمال المكروهات ، سواء كانت محبة صالحة أو فاسدة . فالمحبون للمال والرئاسة والصور ، لا ينالون مطالبهم إلا بضرر يلحقهم في الدنيا ، مع ما يصيبهم من الضرر في الدنيا والآخرة . فالمحب لله ورسوله إذا لم يحتمل ما يرى من تحمل المحبين لغير الله ما يحتملون في سبيل حصول محبوبهم ، دل ذلك على ضعف محبته لله ، إذ كان ما يسلكه أولئك في نظرهم ، هو الطريق الذي يسير به العقل .

ومن المعلوم أن المؤمن أشد حباً لله ، كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله )(١)

نعم قد يسلك المحب لضعف عقله وفساد تصوره طريقاً لا يحصل له بها المطلوب . فمثل هذه الطريق لا تحمد إذا كانت المحبة صالحة محمودة .

فكيف إذا كانت المحبة فاسدة ، والطريق غير موصل ؟! كما يفعله المتهورون في طلب المال والرئاسة والصور ، من حب أمور توجب لهم ضرراً ، ولا تحصل لهم مطلوباً ، وإنما المقصود : الطرق التي يسلكها ذو العقل السليم لحصوله مطلوبه

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥

وإذا تبين هذا، فكلما ازداد القلب حباً لله، ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبودية، ازداد له حباً وحرية عما سواه.

والقلب فقير بالذات إلى الله من جهتين: من جهة العبادة، وهي العلة الغائية، ومن جهة الاستعانة والتوكل؛ وهي العلة الفاعلة.

فالقلب لا يصلح، ولا يفلح، ولا ينعم، ولا يسر، ولا يلتذ، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن، إلا بعبادة ربه وحده، وحبه والإنابة اليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات، لم يطمئن، ولم يسكن، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة، من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة.

وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له، فانه لا يقدر على تحصيل ذلك السرور والسكون إلا الله، فهو دائماً مفتقر إلى حقيقة: (إياك نعبد وإياك نستعين)[1] فإنه لو أعين على حصول كل ما يحبه ويطلبه ويشتهيه ويريده، ولم يحصل له عبادة لله، فلن يحصل إلا على الألم والحسرة والعذاب، ولن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها، إلا بإخلاص الحب لله، بحيث يكون الله هو غاية مراده، ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكل ما سواه إنما يحبه لأجله،

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥

لا يحب شيئاً لذاته إلا لله ، ومتى لم يحصل له هذا ، لم يكن قد حقق حقيقة : « لا إله إلا الله » ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة لله ، وكان فيه من نقص التوحيد والايمان ، بل من الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك ولو سعى في هذا المطلوب ، ولم يكن مستعيناً بالله متوكلاً عليه ، مفتقراً اليه في حصوله ، لم يحصل له ، فانه ما شاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن .

فالعبد مفتقر إلى الله ؛ من حيث هو المطلوب المحبوب ، المراد المعبود ، ومن حيث هو المسؤول المستعان به ، المتوكل عليه ، فهو إلهه الذي لا إله له غيره ، وهو ربه الذي لا رب له سواه ، ولا تتم عبوديته لله إلا بهذين .

فمتى كان يحب غير الله لذاته ، أو يلتفت إلى غير الله أنه يعينه ، كان عبداً لما أحبه ، وعبداً لما رجاه ، بحسب حبه له ورجائه إياه ، وإذا لم يحب أحداً لذاته إلا الله ، وأي شيء أحبه سواه ، فانما أحبه له ، ولم يرج قط شيئاً إلا الله وإذا فعل ما فعل من الأسباب ، أو حصل ما حصل منها ،مشاهداً أن الله هو الذي خلقها وقدرها وسخرها له ،وأن كل ما في السماوات والأرض فالله ربه ومليكه وخالقه ومسخره ، وهو مفتقر اليه ، كان قد حصل له من تمام عبوديته لله بحسب ما قسم له من ذلك .

والناس في هذا على درجات متفاوتة ، لا يحصي طرقها إلا الله .

فأكمل الخلق وأفضلهم ، وأعلاهم وأقربهم إلى الله ، وأقواهم ، وأهداهم : أتمهم عبودية لله من هذا الوجه .

وهذا هو حقيقة دين الاسلام الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره ، فالمستسلم له ولغيره مشرك ، والممتنع عن الاستسلام له مستكبر .

وقد ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ : « أن الجنة لا يدخلها من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »[1] كما أن النار لا يخلد فيها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، فجعل الكبر مقابلاً للايمان ، فان الكبر ينافي حقيقة العبودية ، كما ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال: « يقول الله : العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحداً منهما عذبته »[2] فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية ، والكبرياء أعلى من العظمة ، ولهذا جعلها بمنزلة الرداء ، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار .

ولهذا كان شعار الصلاة والأذان والأعياد : هو التكبير ؛ وكان مستحباً في الأمكنة العالية ، كالصفا والمروة ، وإذا علا الإنسان

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه مسلم وأبو داود .

شرفاً ، أو ركب دابة ونحو ذلك ، وبه يطفأ الحريق وإن عظم ، وعند الأذان يهرب الشيطان قال تعالى : ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين )[1].

وكل من استكبر عن عبادة الله ، فلا بد أن يعبد غيره ، ويذل له ، فإن الانسان حساس يتحرك بالإرادة .

وقد ثبت في « الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « أصدق الأسماء : حارث وهمام »[2] فالحارث : الكاسب الفاعل ، والهمام : فعال من الهم ، والهم أول الإرادة ، فالإنسان له إرادة دائماً ، وكل إرادة فلا بد لها من مراد تنتهي اليه ، فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته ، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته ، بل استكبر عن ذلك ، فلا بد أن يكون له مراد محبوب ، يستعبده ويستذله غير الله ، فيكون عبداً ذليلاً لذلك المراد المحبوب : إما المال ، وإما الجاه ، وإما الصور ، وإما ما يتخذه إلهاً من دون الله ، كالشمس ، والقمر ، والكواكب ، والأوثان ، وقبور الأنبياء والصالحين ، والملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، الذين يتخذهم أرباباً ، وغير ذلك مما عبد من دون الله .

(١) سورة المؤمن ، الآية : ٦٠ (٢) الذي في « صحيح مسلم » : « أحب الاسماء إلى الله : عبدالله ، وعبدالرحمن » . وحديث « وأصدقها : حارث وهمام » . رواه أبو داود ، والنسائي ، وليس هو في الصحيح .

وإذا كان عبداً لغير الله كان لابد مشركاً، وكل مستكبر فهو مشرك، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكباراً عن عبادة الله، وكان مشركاً قال تعالى: ( ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ـ إلى قوله ـ وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. ـ إلى قوله ـ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار )[١]. وقال تعالى: ( وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين )[٢]. وقال تعالى ( إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم )[٣] وقال: ( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين )[٤]. ومثل هذا في القرآن كثير. وقد وصف فرعون بالشرك في قوله: ( وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك )[٥]. بل الاستقراء يدل على أنه كلما كان الرجل أعظم استكباراً عن عبادة الله، كان أعظم إشراكاً بالله، لأنه كلما استكبر عن عبادة الله، ازداد فقراً وحاجة إلى

(١) سورة المؤمن، الآيتان: ٢٣، ٣٥ (٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣٩
(٣) سورة القصص، الآية: ٤ (٤) سورة النمل، الآية: ١٤
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢٦

مراده المحبوب الذي هو مقصود قلبه بالقصد الأول ، فيكون مشركاً لما استعبده من ذلك .

ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات ، إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه . ولا يستعين إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه ، ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه ، ولا يوالي إلا من والاه الله ، ولا يعادي إلا من عاداه الله ، ولا يحب إلا لله ، ولا يبغض شيئاً إلا لله ، ولا يعطي إلا لله ، ولا يمنع إلا لله . فكلما قوي إخلاص حبه ودينه لله كملت عبوديته ، واستغناؤه عن المخلوقات . وبكمال عبوديته لله تكمل براءته من الكبر والشرك ، والشرك غالب على النصارى والكبر غالب على اليهود . قال تعالى في النصارى : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون )[١] وقال في اليهود : ( أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون؟ )[٢] . وقال تعالى : ( سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣٢

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٨٧

سبيل الغي يتخذوه سبيلاً )[١] .

ولما كان الكبر مستلزماً للشرك ، والشرك ضد الإسلام ، وهو الذنب الذي لا يغفره الله قال تعالى : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً )[٢] . وقال : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً )[٣] كان الأنبياء جميعهم مبعوثين بدين الإسلام ، فهو الدين الذي لا يقبل الله غيره ، لا من الأولين ، ولا من الآخرين قال نوح : ( فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين )[٤] . وقال في حق إبراهيم : ( ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسَه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ـ إلى قوله ـ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[٥] . وقال عن يوسف : ( توفني مسلماً وألحقني بالصالحين )[٦] . وقال عن موسى : ( إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا )[٧] . وقال تعالى : ( إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٤٥ (٢) سورة النساء ، الآية : ٤٧

(٣) سورة النساء ، الآية : ١١٥ (٤) سورة يونس ، الآية : ٧٢

(٥) سورة البقرة ، الآيات : ١٣٠ – ١٣٢

(٦) سورة يوسف ، الآية : ١٠١ (٧) سورة يونس ، الآية : ٨٤ ، ٨٥

يحكم بها النبيون الذين أسلموا الذين هادوا )[١] وقال عن بلقيس : ( رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين )[٢] . وقال: ( وإذ أوحيتُ إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون )[٣] . وقال : ( إن الدين عند الله الإسلام )[٤] . وقال : ( ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه )[٥] . وقال تعالى : ( أفغير دين الله يبغون ؟ وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً )[٦] .

فذكر إسلام الكائنات طوعاً وكرهاً ، لأن المخلوقات جميعها متعبدة له التعبد العام ، سواء أقر المقر بذلك أو أنكره ، وهم مدينون له مدبّرون ، فهم مسلمون له طوعاً وكرهاً ، ليس لأحد من المخلوقات خروج عما شاءه وقدّره وقضاه ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وهو رب العالمين ومليكهم ، يصرفهم كيف يشاء ، وهو خالقهم كلهم ، وبارئهم ومصورهم . وكل ما سواه فهو مربوب مصنوع مفطور ، فقير محتاج معبَّد مقهور ، وهو سبحانه الواحد القهار ، الخالق البارئ المصور ، وهو وإن كان قد خلق ما خلقه لأسباب ، فهو خالق السبب والمقدر له ،

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٤
(٢) سورة النمل ، الآية : ٤٤
(٣) سورة المائدة ، الآية : ١١٤
(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٩
(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥
(٦) سورة آل عمران ، الآية : ٨٣

والسبب مفتقر إليه كافتقار المسبب ، وليس في المخلوقات سبب مستقل بفعل خير ولا دفع ضر ، بل كل ماهو سبب فهو محتاج إلى سبب آخر يعاونه ، وإلى مايدفع عنه الضرر الذي يعارضه ويمانعه . وهو سبحانه وحده الغني عن كل ما سواه ، ليس له شريك يعاونه ، ولا ضد يناوئه ويعارضه . قال تعالى : ( قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنيَ الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون )(١) وقال تعالى : ( وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير )(٢). وقال تعالى عن الخليل : ( ياقوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . وحاجّه قومُه قال أتحاجُّونّي في الله وقد هدانِ ولا أخافُ ما تشركونَ به إلا أن يشاء ربي شيئاً — إلى قوله تعالى — : الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )(٣) .

وفي «الصحيحين» عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : يارسول الله! أينا

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣٨ (٢) سورة الانعام ، الآية : ١٧
(٣) سورة الانعام ، الآيات : ٧٨ ـ ٨٢

لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال : « إنما هو الشرك » ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح : إن الشرك لظلم عظيم» وإبراهيم الخليل إمام الحنفاء المخلصين، حيث بعث وقد طبق الأرض دين المشركين. قال الله تعالى : ( وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين )[1] . فبين أن عهده بالامامة لا يتناول الظالم ، فلم يأمر الله سبحانه أن يكون الظالم إماماً ، وأعظم الظلم الشرك . وقال تعالى : ( إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين )[2]. والأمة : هو معلم الخير الذي يؤتم به ، كما أن القدوة ، الذي يقتدى به[3]. والله تعالى جعل في ذريته النبوة والكتاب ، وإنما بعث الأنبياء بعده بملته . قال تعالى : ( ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)[4] وقال تعالى : ( إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين)[5] وقال تعالى : ( ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين)[6] . وقال تعالى: ( وقالوا كونوا هوداً

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٤ (٢) سورة النحل ، الآية : ١٢٠

(٣) الامة هنا : الجامع لصفات ومزايا من الهدى والخير لو وزعت في أمة لوسعتهم ، وكذلك كان خاتم المرسلين محمد ﷺ .

(٤) سورة النحل ، الآية : ١٢٣ (٥) سورة آل عمران ، الآية : ٦٨

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ٦٧

أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ـ إلى قوله ـ ونحن له مسلمون )[١] .

وقد ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ : « أن إبراهيم خير البرية »[٢] . فهو أفضل الأنبياء بعد النبي ﷺ ، وهو خليل الله تعالى .

وقد ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال : « إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً »[٣] . وقال : « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله »[٤] ـ يعني نفسه ـ وقال : « لا تبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر »[٥] وقال : « ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك »[٦] . وكل هذا في « الصحيح » وفيه أنه قال ذلك قبل موته بأيام ، وذلك من تمام رسالته ، فإن في ذلك تمام تحقيق مخاللته لله التي أصلها محبة الله تعالى للعبد ومحبة العبد لله ، خلافاً للجهمية .

وفي ذلك تحقيق توحيد الله ، وأن لا يعبدوا إلا إياه ، رداً على أشباه المشركين ، وفيه رد على الرافضة الذين يبخسون الصدّيق رضي

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ١٣٥ ، ١٣٦ . (٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم . (٤) متفق عليه . (٥) متفق عليه . (٦) رواه مسلم .

الله عنه حقه، وهم أعظم المنتسبين إلى القبلة إشراكاً بعبادة عليّ وغيره من البشر.

والخلة: هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله، ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه

ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب، فإنهم يقولون: قلب متيم إذا كان معبداً للمحبوب. والمتيم: المعبد، وتيم الله: عبد الله، وهذا على الكمال حصل لإبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم.

ولهذا لم يكن له ﷺ من أهل الأرض خليل، إذ الخلة لا تحتمل الشركة، فانه كما قيل لله المعنى:

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

بخلاف أصل الحب، فانه ﷺ قد قال في الحديث الصحيح في الحسن وأسامة: «اللهم إني أحبهما فأحبهما، وأحبّ من يحبهما»[1]. وسأله عمرو بن العاص: «أي النساء أحب اليك؟ فقال: عائشة. قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها»[2] وقال لعلي رضي الله عنه: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»[2] وأمثال ذلك كثير.

---

(١) رواه البخاري بلفظ: «اللهم أحبهما فاني أحبهما». وما أورده المؤلف فهو من رواية الترمذي في حق الحسن والحسين وفي سنده عبد الله بن أبي بكر ابن زيد بن المهاجر، وهو مجهول، كما في «التقريب». (٢) متفق عليه.

وقد أخبر تعالى أنه : ( يحب المتقين ) [١] و ( يحب المحسنين ) [٢] و : ( يحب المقسطين ) [٣] و : ( يحب التوابين ويحب المتطهرين ) [٤] و : ( يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ) [٥] وقال : ( فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ) [٦] فقد أخبر بمحبته لعباده المؤمنين ومحبة المؤمنين له ، حتى قال : ( والذين آمنوا أشد حباً لله ) [٧] .

أما الخلة فخاصة ، وقول بعض الناس : إن محمداً حبيب الله وإبراهيم خليل الله ، وظنه أن المحبة فوق الخلة ؛ فقول ضعيف ، فان محمداً أيضاً خليل الله ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة .

وما يروى أن العباس يحشر بين حبيب وخليل ، وأمثال ذلك ، فأحاديث موضوعة لا تصلح أن يعتمد عليها .

وقد قدمنا أن محبة الله تعالى هي محبته ومحبة ما أحب ، كما في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسولة أحب اليه مما سواهما ، ومن كان

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧٦ .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٩٥ وسورة المائدة ، الآية : ١٤
(٣) سورة الحجرات ، الآية : ٩ وسورة الممتحنة ، الآية : ٨
(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢ (٥) سورة الصف ، الآية : ٤
(٦) سورة المائدة ، الآية : ٥٧ (٧) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥

يحب المرء لا يحبه إلا الله، ومن كان يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار»[١] أخبر النبي ﷺ أن من كان فيه هذه الثلاث؛ وجد حلاوة الايمان، لأن وجود الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئاً أو اشتهاه؛ إذا حصل له به مراده، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى.

ومن قال: إن اللذة إدراك الملائم ـ كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والأطباء ـ فقد غلط في ذلك غلطاً بيّناً، فإن الادراك يتوسط بين المحبة واللذة، فإن الانسان مثلا يشتهي الطعام، فإذا أكله حصل له عقيب ذلك اللذة، فاللذة تتبع النظر إلى الشيء، فإذا نظر إليه التذ به. واللذة التي تتبع النظر ليست نفس النظر، وليست هي رؤية الشيء، بل تحصل عقيب رؤيته.

قال تعالى: (وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)[٢]. وهكذا جميع مايحصل للنفس من اللذات والآلام: من فرح، وحزن، ونحو ذلك يحصل بالشعور بالمحبوب، أو الشعور بالمكروه، وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن.

(١) رواه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٧١

فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح مايجده المؤمن الواجد حلاوة الإيمان، تتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها.

فتكميلها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فان محبة الله ورسوله لايكتفى فيها بأصل الحب، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما كما تقدم.

وتفريعها: أن يحب المرء لايحبه إلا لله.

ودفع ضدها: أن يكره ضد الايمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار.

فإذا كانت محبة الرسول والمؤمنين من محبة الله، وكان رسول الله ﷺ يحب المؤمنين الذين يحبهم الله، لأنه أكمل الناس محبة لله، وأحقهم بأن يحب مايحبه الله، ويبغض مايبغضه الله، والخلة ليس لغير الله فيها نصيب، بل قال: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»(١). علم مزيد مرتبة الخلة على مطلق المحبة.

والمقصود: هو أن الخلة والمحبة لله: تحقيق عبوديته، وإنما يغلط من يغلط في هذه من حيث يتوهمون العبودية مجرد ذل وخضوع فقط. لامحبة معه، وأن المحبة فيها انبساط في الأهواء، أو إذلال لا تحتمله

(١) متفق عليه.

الربوبية ، ولهذا يذكر عن ذي النون أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة فقال: أمسكوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدّعيها. وكره من كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية . وقال من قال من السلف : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق (١)، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء (٢)، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري (٣) ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحّد . ولهذا وجد في المتأخرين من انبسط في دعوى المحبة ، حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبودية ، وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح إلا لله ، فيدّعي أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين ، أو يطلب من الله ما لا يصلح بكل وجه إلا لله ، لا يصلح للأنبياء ولا المرسلين ، [ فضلاً عمن هم دونهم ] .

وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ . وسببه : ضعف تحقيق العبودية التي بيّنها الرسل ، وحررها الأمر والنهي الذي جاؤوا به ، بل ضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته . وإذا ضعف العقل ، وقل العلم بالدين ، وفي النفس محبة [طائشة جاهلة] ، انبسطت النفس بحمقها في ذلك ، كما ينبسط الإنسان في محبة الإنسان مع حمقه وجهله . ويقول:

(١) الزنديق : هو من يبطن الكفر ويظهر الايمان . (٢) المرجئة : قوم يعتقدون أنه لا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

(٣) الحرورية : هم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه من جيشه بسبب التحكيم ، وحاربوه عند قرية اسمها حروراء .

أنا محب، فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عدوان وجهل فهذا عين الضلال، وهو شبيه بقول اليهود والنصارى: (نحن أبناء الله وأحباؤه)[1]. قال الله تعالى لهم: (قل فلم يعذبكم بذنوبكم؟ بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء)[1] فإن تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضي أنهم غير محبوبين، ولا منسوبين إليه بنسبة البنوة، بل يقتضي أنهم مربوبون مخلوقون. فمن كان الله يحبه استعمله فيما يحبه. ومحبوبه لا يفعل ما يبغضه الحق ويسخطه: من الكفر، والفسوق، والعصيان. ومن فعل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها فإن الله يبغضه ويبغض منه ذلك، كما يحب عبده المؤمن ويحب منه ما يفعله من الخير، إذ أن حبه للعبد بحسب إيمانه وتقواه. ومن ظن أن الذنوب لا تضره لكون الله يحبه مع إصراره عليها، كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه، وعدم تداويه منه لصحة مزاجه. ولو تدبر الأحمق ما قص الله في كتابه من قصص أنبيائه، وما جرى لهم من التوبة والاستغفار، وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي كان فيه تمحيص لهم وتطهير بحسب أحوالهم، علم ضرر الذنوب بأصحابها، ولو كان أرفع الناس مقاماً، فإن المحب للمخلوق إذا لم يكن عارفاً بمحابه ولا مريداً لها، بل يعمل بمقتضى الحب، وإن كان جهلاً وظلماً، كان ذلك

(١) سورة المائدة، الآية: ١٨

سبب بغض المحبوب له، ونفوره عنه، بل سبباً لعقوبته.

وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حب الله أنواعاً من الجهل بالدين: إما من تعدي حدود الله، وإما من تضييع حقوق الله، وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لا حقيقة لها، كقول بعضهم: أيُّ مريد لي ترك في النار أحداً فأنا بريء منه. فقال الآخر: أيّ مريد لي ترك أحداً من المؤمنين يدخل النار فأنا منه بريءٌ.

فالأول: جعل مريده يخرج كل من في النار. والثاني: جعل مريده يمنع من دخول النار.

ويقول بعضهم: إذا كان يوم القيامة نصبت خيمتي على جهنم حتى لا يدخلها أحد.

وأمثال ذلك من الأقوال التي تؤثر عن بعض المشايخ المشهورين. وهي إما كذب عليهم، وإما غلط منهم.

ومثل هذا قد يصدر في حال سكر وغلبة وفناء يسقط فيها تمييز الانسان، أو يضعف حتى لا يدري ما قال. والسكر لذة مع عدم تمييز. ولهذا كان من هؤلاء من إذا صحا استغفر من ذلك الكلام، والذين توسعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والعذل والغرام، كان هذا أصل مقصدهم، فان هذا الجنس يحرك ما في القلب من الحب كائناً ما كان، ولهذا أنزل الله محبته يمتحن

بها المحب. فقال: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)[1] فلا يكون محباً لله إلا من يتبع رسوله. وطاعة الرسول ومتابعته لا تكون إلا بتحقيق العبودية. وكثير ممن يدّعي المحبة يخرج عن شريعته وسنته ﷺ، ويدّعي من الحالات ما لا يتسع هذا الموضع لذكره. حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له، وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسنته وطاعته، بل قد جعل الله أساس محبته ومحبة رسوله، الجهاد في سبيله والجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر الله به، وكمال بغض ما نهى الله عنه، ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه: (أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)[2].

ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها، وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم. وأكمل هذه الأمة في ذلك: هم أصحاب محمد ﷺ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل. فأين هذا من قوم يدّعون المحبة؟ وسمعوا كلام بعض الشيوخ: المحبة نار تحرق في القلب ما سوى مراد المحبوب، وأرادوا أن الكون كله قد أراد الله وجوده. فظنوا أن كمال المحبة أن يحب العبد كل شيء، حتى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤

الكفر والفسوق والعصيان . ولا يمكن أحد أن يحب كل موجود ، بل لا يمكن أن يحب إلا ما يلائمه وينفعه ، وأن يبغض ما ينافيه ويضره ، ولكن استفادوا هذا الضلال من اتباع أهوائهم ، ثم زادهم انغماساً في أهوائهم وشهواتهم، فهم يحبون ما يهوونه، كالصور، والرئاسة، وفضول المال ، والبدع المضلة . زاعمين أن هذا من محبة الله ، وكذبوا وضلوا ، فان محبة الله لاتكون إلا ببغض ما يبغضه الله ورسوله ، وجهاد أهله بالنفس والمال .

وأصل ضلالهم : أن هذا القائل الذي قال : إن المحبة نار تحرق ما سوى مراد المحبوب ، قصد بمراد الله تعالى، الإرادة الكونية في كل الموجودات .

أما لو قال مؤمن بالله وكتبه ورسله ، من غير هؤلاء الصوفية مثل هذه المقالة ،فإنه يقصد الإرادة الدينية الشرعية التي هي بمعنى محبته ورضاه ، فكأنه قال : تحرق من القلب ما سوى المحبوب لله ، وهذا معنى صحيح ، فإن من تمام الحب لله ؛ أن لا يحب إلا ما يحبه الله ، فاذا أحببت مالا يحب ؛ كانت المحبة ناقصة . وأما ما قضاه وقدره وهو يبغضه ويكرهه ويسخطه وينهى عنه ،فان لم أوافقه في بغضه وكراهته وسخطه ، لم أكن محباً له ، بل محباً لما يبغضه .

فاتباع هذه الشريعة والقيام بالجهاد بها من أعظم الفروق بين

أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه ، وبين من يدَّعي محبة الله ناظراً إلى عموم ربوبيته ، أو متبعاً لبعض البدع المخالفة لشريعته ، فان دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبَّة لله ، بل قد تكون دعوى هؤلاء شراً من دعوى اليهود والنصارى ، لما فيهم من النفاق الذي هم به في الدرك الأسفل من النار ، كما قد تكون دعوى اليهود والنصارى شراً من دعواهم إذا لم يصلوا إلى مثل كفرهم .

وفي التوراة والانجيل من الترغيب في محبة الله ما هم متفقون عليه ، حتى إن ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس .

ففي الانجيل : أعظم وصايا المسيح : أن تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك ، والنصارى يدَّعون قيامهم بهذه المحبة ، وأن ما هم فيه من الزهد والعبادة ؛هو من ذلك ، وهم براء من محبة الله ، إذ لم يتبعوا ما أحبه ، بل اتبعوا ما أسخط الله، وكرهوا رضوانه ، فأحبط أعمالهم. والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم ، وهو سبحانه يحب من يحبه . لا يمكن أن يكون العبد محباً لله ، والله تعالى غير محب له ، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له ، وإن كان جزاء الله لعبده أعظم . كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالى أنه قال : « من تقرَّب إليَّ شبراً تقرَّبت اليه ذراعا ، ومن تقرَّب إليَّ ذراعاً تقرَّبت اليه باعاً،

ومن أتاني يمشي أتيته هرولة »[١] .

وقد أخبر الله سبحانه أنه يحب المتقين المحسنين ، والصابرين ، ويحب التوّابين، ويحب المتطهرين ، بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب ، كما في الحديث الصحيح : « لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به »[٢] ... الحديث وكثير من المخطئين الذين ابتدعوا أشياء في الزهد والعبادة وقعوا فيما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته ، وترك المجاهدة في سبيله ، ونحو ذلك ، ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى ربهم بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه ، والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ، ولو صدق لم يكن قائلها معصوماً ، فيجعلون متبوعيهم وشيوخهم شارعين لهم ديناً ، كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم ديناً . ثم إنهم ينتقصون العبودية ، ويدّعون أن الخاصة يتعدونها ، كما يدّعي النصارى في المسيح والقساوسة ، ويثبتون

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد تكلم عليه الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » فليراجع.

لخاصتهم من المشاركة في الله ، من جنس ما تثبته النصارى في المسيح وأمه والقسيسين والرهبان ، إلى أنواع أخر يطول شرحها في هذا الموضع .

وإنما الدين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه ، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة ، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه ، وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا ، وكلما كان في القلب حب لغير الله ، كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك ، وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة ، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل . فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله ، ولا يكون لله إلا ما أحبه الله ورسوله ، وهو المشروع .

فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله ، وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله ، بل لا يكون لله إلا ما جمع الوصفين : أن يكون لله ، وأن يكون موافقاً لمحبة الله ورسوله ، وهو الواجب والمستحب ، كما قال تعالى : ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً )[١] فلا بد من العمل الصالح ، وهو الواجب والمستحب ، ولا بد أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى ، كما قال تعالى : ( بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١٠

يحزنون )[١] .

وقال النبي ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »[٢] .

وقال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه »[٣] .

وهذا الأصل هو أصل الدين ، وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين ، وبه أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، وإليه دعا الرسول ، وعليه جاهد ، وبه أمر ، وفيه رغب ، وهو قطب الدين الذي يدور عليه رحاه .

والشرك غالب على النفوس ، وهو كما جاء في الحديث : « هو في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل »[٤] وفي حديث آخر : « قال أبو بكر : يا رسول الله ، كيف ننجو منه ، وهو أخفى من دبيب النمل ؟ فقال النبي ﷺ لأبي بكر : ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٢

(٢) رواه أحمد ومسلم عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) رواه البزار بلفظ : « الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا » . وفي سنده عبد الأعلى بن أعين ، وهو ضعيف .

من دِقّه وجِله . قل : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم »(١)، وكان عمر يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً .

وكثيراً ما يخالط النفوس الجاهلة من الشهوات الخفية مايفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له ، وإخلاص دينها له ، كما قال شدّاد ابن أوس : يا بقايا العرب ! يا بقايا العرب ! إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . وقيل لأبي داود السجستاني : وما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة .

وعن كعب بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال :« ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه »(٢).

قال الترمذي : حديث حسن صحيح . فبيَّن ﷺ أن الحرص على المال والشرف ، [ في إفساد الدين ] ، لا ينقص عن إفساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم ، فإن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص ، وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبودية الله ومحبته له ، لم يكن شيء أحب اليه من ذلك حتى يقدمه عليه ، وبذلك يصرف ـ عن أهل

(١) رواه أبو يعلى بمعناه عن شيخه عمرو بن الحصين العقيلي ،وهو متروك، كما قال الهيثمي في «المجمع». (٢) رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى. وقال المنذري :إسناده جيد ، وقد كتب الحافظ ابن رجب في هذا الحديث رسالة قيمة أدرجت في كتاب « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر .

الإخلاص لله ـ السوء والفحشاء ،كما قال تعالى : ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين )(١) فان المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره ، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره ، إذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الايمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له ، وإخلاصه الدين كله له ، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله ، فيصير القلب منيباً إلى الله ، خائفاً منه ، راغباً راهباً ، كما قال تعالى : (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب )(٢) إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه ، أو حصول مرهوبه ، فلا يكون عبد الله ومحبه ، إلا بين خوف ورجاء ، كما قال تعالى : ( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً )(٣).

وإذا كان العبد مخلصاً لله اجتباه ربه ، فأحيى قلبه واجتذبه اليه ، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ، ويخاف من حصول ضد ذلك ، بخلاف القلب الذي لم يخلص لله ، فان فيه طلباً وإرادة وحباً مطلقاً ، فيهوى كل ما يسنح له ويتشبث بما يهواه ، كالغصن ،

(١) سورة يوسف ، الآية : ٢٤ (٢) سورة ق ، الآية : ٣٣
(٣) سورة الاسراء ، الآية : ٥٧

أي نسيم مرَّ به عطفه وأماله. فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة، فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذه هو عبداً له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذماً.

وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة، فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة، ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق.

وتارة يستعبده الدرهم والدينار، وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب، والقلوب تهواها، فيتخذ إلهه هواه، ويتبع هواه بغير هدى من الله

ومن لم يكن محباً مخلصاً لله، عبداً له، قد صار قلبه معبَّداً لربه وحده لا شريك له، بحيث يكون الله أحب اليه من كل ما سواه، ويكون ذليلاً له خاضعاً، وإلا استعبدته الكائنات، واستولت على قلبه الشياطين، وكان من الغاوين إخوان الشياطين، وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه.

فالقلب إن لم يكن حنيفاً مقبلاً على الله معرضاً عما سواه، كان مشركا: ( فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون. منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون )[1].

(١) سورة الروم، الآيتان: ٣٠ ـ ٣٢

وقد جعل الله سبحانه إبراهيم وآل ابراهيم أئمة لهؤلاء الحنفاء المخلصين أهل محبة الله وعبادته، وإخلاص الدين له، كما جعل فرعون وآل فرعون أئمة للمشركين المتبعين أهواءهم. قال تعالى في إبراهيم: (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين)[1]. وقال في فرعون وقومه: (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنةً ويوم القيامة هم من المقبوحين)[2]. ولهذا يصير أتباع فرعون أولاً إلى أن لا يميزون بين ما يحبه الله ويرضاه، وبين ما قدره وقضاه، بل ينظرون إلى المشيئة المطلقة الشاملة، ثم في آخر الأمر لا يميزون بين الخالق والمخلوق، بل يجعلون وجود هذا وجود هذا. ويقول محققوهم: الشريعة فيها طاعة ومعصية، والحقيقة فيها معصية بلا طاعة، والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية. وهذا التحقيق هو مذهب فرعون وقومه الذين أنكروا الخالق وأنكروا تكليمه لعبده موسى، وما أرسله به من الأمر والنهي.

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٢، ٧٣

(٢) سورة القصص، الآيتان: ٤١، ٤٢

وأما إبراهيم وآل إبراهيم الحنفاء من الأنبياء والمؤمنين بهم، فهم يعلمون أنه لا بد من الفرق بين الخالق والمخلوق، ولا بد من الفرق بين الطاعة والمعصية، وأن العبد كلما ازداد تحقيقاً لهذا الفرق، ازدادت محبته لله وعبوديته له، وطاعته له، وإعراضه عن عبادة غيره ومحبة غيره، وطاعة غيره. وهؤلاء المشركون الضالون يسوون بين الله وبين خلقه. والخليل يقول: (أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الأقدمون. فإنهم عدوٌّ لي إلاَّ ربَّ العالمين)[1]. ويتمسكون بالمتشابه من كلام المشايخ كما فعلت النصارى.

مثال ذلك: اسم «الفناء» فإن الفناء ثلاثة أنواع: نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين، ونوع للمنافقين الملحدين المشبهين.

فأما الأول: فهو الفناء عن إرادة ماسوى الله، بحيث لايحب إلا الله، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يطلب من غيره. وهو المعنى الذي يجب أن يقصد بقول الشيخ أبي يزيد حيث قال: أريد أن لا أريد إلا مايريد، أي المراد المحبوب المرضي. وهو المراد بالإرادة الدينية. وكمال العبد أن لا يريد ولا يحب ولا يرضى إلا ماأراده الله ورضيه وأحبه، وهو ماأمر به أمر إيجاب أو استحباب، ولا يحب إلا مايحبه الله،

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ ـ ٧٧

كالملائكة والأنبياء والصالحين، وهذا معنى قولهم في قوله تعالى: ( إلا من أتى الله بقلب سليم )(١). قالوا : هو السليم مماسوى الله ، أو مما سوى عبادة الله ، أو مماسوى إرادة الله ، أو مماسوى محبة الله ، فالمعنى واحد. وهذا المعنى إن سمي فناءً ، أو لم يسم ؛ هو أول الإسلام وآخره ، وباطن الدين وظاهره .

وأما النوع الثاني : فهو الفناء عن شهود السوى ، وهذا يحصل لكثير من السالكين ، فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ومحبته ، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ماتعبد ، وترى غير ماتقصد ، لايخطر بقلوبهم غير الله ، بل ولا يشعرون به . كما قيل في قوله تعالى : ( وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها )(٢) قالوا : فارغاً من كل شيء ، إلا من ذكر موسى . وهذا كثيراً مايعرض لمن دهمه أمر من الأمور ، إما حب ، وإما خوف ، وإما رجاء ، يبقى قلبه منصرفاً عن كل شيء ، إلا عما قد أحبه أو خافه أو طلبه ؛ بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لايشعر بغيره ، فإذا قوي على صاحب الفناء هذا ،فانه يغيب بموجوده عن وجوده،وبمشهوده عن شهوده ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته ، حتى يفنى من لم يكن ،وهي المخلوقات، العبد فمن سواه، ويبقى من لم يزل ، وهو

(١) سورة الشمراء ، الآية : ٨٩ (٢) سورة القصص ، الآية : ١٠

الرب تعالى والمراد فناؤها في شهود العبد وذكره ، وفناؤه عن أن يذكرها أو يشهدها وإذا قوي هذا ، ضعف المحب حتى يضطرب في تمييزه .فقد يظن أنه هو محبوبه كما يذكر أن رجلاً ألقى نفسه في اليم، فألقى محبه نفسه خلفه فقال : أنا وقعت ، فما أوقعك خلفي ؟ قال : غبت بك عني ، فظننت أنك أني . وهذا الموضع زلت فيه أقدام أقوام، وظنوا أنه اتحاد ، وأن المحب يتحد بالمحبوب ، حتى لا يكون بينهما فرق في نفس وجودهما .

وهذا غلط ، فإن الخالق لا يتحد به شيء أصلاً ، لأنه ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )[1] . وهو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد بل لا يمكن أن يتحد شيء بشيء ، إلا إذا استحالا وفسدت حقيقة كل منهما، وحصل من اتحادهما أمر ثالث، لا هو هذا ولا هذا، كما إذا اتحد الماء واللبن، والماء والخمر ، ونحو ذلك. ولكن يتحد المراد والمحبوب ، والمراد والمكروه، ويتفقان في نوع الإرادة والكراهة فيحب هذا ما يحب هذا ، ويبغض هذا ما يبغض هذا ، ويرضى ما يرضى ، ويسخط ما يسخط ، ويكره ما يكره، ويوالي من يوالي ، ويعادي من يعادي وهذا الفناء كله فيه نقص

وأكابر الأولياء ، كأبي بكر وعمر ، والسابقين الأولين من

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١

المهاجرين والأنصار، لم يقعوا في هذا الفناء، فضلاً عمن هو فوقهم من الأنبياء. وإنما وقع شيء من هذا بعد الصحابة. وكذلك كل ما كان من هذا النمط مما فيه غيبة العقل وعدم التمييز لما يرد على القلب من أحوال الايمان، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أكمل وأقوى عقولاً، وأثبت في الأحوال الإيمانية من أن تغيب عقولهم، أو يحصل لهم غشي أو صعق أو سكر، أو فناء، أو وَلَه، أو جنون، وإنما كان مبادئ هذه الأمور في التابعين من عبّاد البصرة، فإنه كان فيهم من يغشى عليه إذا سمع القرآن، ومنهم من يموت، كأبي جهير الضرير، وزرارة ابن أبي أوفى قاضي البصرة. وكذلك صار في شيوخ الصوفية من يعرض له من الفناء والسكر مايضعف معه تمييزه، حتى يقول في تلك الحال من الأقوال ماإذا صحا عرف أنه غالط فيه، كما يحكى نحو ذلك عن مثل أبي يزيد(١) وأبي الحسن النوري، وأبي بكر الشبلي، وأمثالهم، بخلاف أبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والفضيل بن عياض، بل وبخلاف الجنيد وأمثاله، ممن كانت عقولهم وتمييزهم يصحبهم في أحوالهم، فلا يقعون في مثل هذا الفناء والسكر ونحوه، بل الكمل [من المؤمنين الذين لايهتدون إلا بهدي الكتاب والسنة] لايكون في قلوبهم سوى محبة الله وإرادته وعبادته، لأن عندهم من سعة العلم والتمييز مايشهدون به الأمور على ماهي عليه، بل يشهدون المخلوقات

(١) أي البسطامي.

قائمة بأمر الله ، مدبرة بمشيئته ، بل مسبحة له ، قانتة له . فيكون لهم فيها تبصرة وذكرى ، ويكون ما يشهدونه من ذلك مؤيداً وممداً لما في قلوبهم من إخلاص الدين ؛ وتجريد التوحيد لله ، والعبادة له وحده لا شريك له .

وهذه هي الحقيقة التي دعا إليها القرآن ، وقام بها أهل تحقيق الإيمان والكمل من أهل العرفان ونبينا ﷺ إمام هؤلاء وأكملهم ، ولهذا لما عرج به إلى السماوات وعاين ما هنالك من الآيات ، وأوحى إليه ربه من أنواع المناجاة ما أوحى ، أصبح فيهم وهو لم يتغير حاله ، ولا ظهر عليه ذلك ، بخلاف ما كان يظهر على موسى من التغشي صلى الله [ وسلم ] عليهم أجمعين .

وأما النوع الثالث ، مما قد يسمى فناء ، فهو أن يشهد أن لا موجود إلا الله ، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق ، فلا فرق بين الرب والعبد ، فهذا فناء أهل الضلال والإلحاد ، الواقعين في الحلول والاتحاد ، وهذا يبرأ منه المشايخ [ المستقيمون على هدي الكتاب والسنة ، كالصحابة والأئمة المهتدين ، فإنهم ] إذا قال أحدهم : ما أرى غير الله أو لا أنظر إلى غير الله ونحو ذلك ، فمرادهم بذلك ما أرى رباً غيره ، ولا خالقاً ولا مدبراً غيره ، ولا إلهاً لي غيره ، ولا أنظر إلى غيره محبة له أو خوفاً منه أو رجاء له ، فان العين تنظر إلى ما يتعلق به القلب فمن أحب

شيئاً أو رجاه أو خافه التفت إليه . وإذا لم يكن في القلب محبة له ولا رجاء له، ولا خوف منه، ولا بغض له ، ولا غير ذلك من تعلق القلب له، لم يقصد القلب أن يلتفت إليه ، ولا أن ينظر إليه ، ولا أن يراه ، وإن رآه اتفاقاً رؤية مجردة ، كان كما لو رأى حائطاً ونحوه مما ليس في قلبه تعلق به .

والمشايخ والصالحون رضي الله عنهم يذكرون شيئاً من تجريد التوحيد الربانية وتحقيق إخلاص الدين كله ، بحيث لا يكون العبد ملتفتاً إلى غير الله ، ولا ناظراً إلى ما سواه ، لا حباً له ولا خوفاً منه ولا رجاء له ، بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات ، خالياً منها ، لا ينظر إليها إلا بنور الله .

فبالحق يسمع ، وبالحق يبصر ، وبالحق يبطش ، وبالحق يمشي . فيحب منها ما يحبه الله ، ويبغض منها ما يبغضه الله ، ويوالي منها ما والاه الله ، ويعادي منها ما عاداه الله ، ويخاف الله فيها ، ولا يخافها في الله ، ويرجو الله فيها ، ولا يرجوها في الله ، فهذا هو القلب السليم الحنيف الموحد المسلم المؤمن المحقق العارف بمعرفة الأنبياء والمرسلين وبحقيقتهم وتوحيدهم .

فهذا النوع الثالث - الذي هو الفناء في الوجود - هو تحقيق آل فرعون ومعرفتهم وتوحيدهم ، كالقرامطة وأمثالهم [من كل من يدين

بوحدة الوجود الذين نطق عنهم الحلاج وابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والعفيف التلمساني] .

وأما النوع الذي عليه أتباع الأنبياء فهو التحقيق المحمود، الذي يكون صاحبه به ممن أثنى الله عليهم من أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين .

وليس مراد المشايخ والصالحين بهذا القول، أن الذي أراه بعيني من المخلوقات : هو رب الأرض والسماوات، فإن هذا لا يقوله إلا من هو في غاية الضلال والفساد : إما فساد العقل ، وإما فساد الاعتقاد . فهو متردد بين الجنون والالحاد . وكل المشايخ الذين يقتدى بهم في الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، من أن الخالق سبحانه مباين للمخلوقات ، وليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته . وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث ، وتمييز الخالق عن المخلوق ، وهذا في كلامهم أكثر من أن يمكن ذكره هنا . وهم قد تكلموا على ما يعرض للقلوب من الأمراض والشبهات ، فإن بعض الناس قد يشهد وجود المخلوقات ، فيظنه خالق الأرض والسماوات ، لعدم التمييز والفرقان في قلبه ـ بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أن ذلك هو الشمس التي في السماء . وهم قد يتكلمون

في الفرق والجمع ، ويدخل في ذلك من العبارات المختلفة نظير ما دخل في الفناء .

فإن العبد إذا شهد التفرقة والكثرة في المخلوقات ، يبقى قلبه متعلقاً بها مشتتاً ناظراً إليها ، وتعلقه بها ؛ إما محبة ، وإما خوفاً ، وإما رجاء ، فاذا انتقل إلى الجمع اجتمع قلبه على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، فالتفت قلبه إلى الله بعد التفاته إلى المخلوقين ، فصارت محبته لربه ، وخوفه من ربه ، ورجاؤه لربه ، واستعانته بربه ، وهو في هذا الحال قد لا يتسع قلبه للنظر إلى المخلوق ، ليفرّق بين الخالق والمخلوق [ فقد يكون مجتمعاً على الحق ، معرضاً عن الخلق ، نظراً وقصداً ] وهو نظير النوع الثاني من الفناء ، ولكن بعد ذلك الفرق الثاني ، وهو أن يشهد أن المخلوقات قائمة بالله ، مدبرة بأمره ، ويشهد كثرتها معدومة بوحدانية الله سبحانه وتعالى ، وأنه سبحانه رب المصنوعات وإلهها ، وخالقها ومالكها ، فيكون ـ مع اجتماع قلبه على الله إخلاصاً ومحبة وخوفاً ورجاء واستعانة وتوكلا على الله وموالاة فيه ، ومعاداة فيه ، وأمثال ذلك ـ ناظراً إلى الفرق بين الخالق والمخلوق ، مميزاً بين هذا وهذا ، يشهد في تفرق المخلوقات كثرتها ، مع شهادته أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأنه هو الذي لا إله إلا هو .

وهذا هو الشهود الصحيح المستقيم ، وذلك واجب في علم

القلب وشهادته وذكره ومعرفته ، وفي حال القلب وعبادته ، وقصده وإرادته ، ومحبته وموالاته وطاعته ، وذلك تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، فإنها تنفي عن القلب ألوهية ما سوى الحق ، وتثبت في قلبه ألوهية الحق.

فيكون نافيا لألوهية كل شيء من المخلوقات ، مثبتاً لألوهية رب العالمين ، رب الأرض والسماوات ، وذلك يتضمن اجتماع القلب على الله ، وعلى مفارقة ما سواه ، فيكون مفرقا في علمه وقصده ، في شهادته وإرادته ، في معرفته ومحبته : بين الخالق والمخلوق ، بحيث يكون عالماً بالله تعالى ، ذاكراً له ، عارفاً به ، وهو مع ذلك عالم بمباينته لخلقه ، وانفراده عنهم ، وتوحده دونهم ويكون محباً لله ، معظما له ، عابداً له ، راجيا له ، خائفاً منه ، محباً فيه ، موالياً فيه ، معادياً فيه ، مستعيناً به ، متوكلاً عليه ، ممتنعاً عن عبادة غيره ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، والخوف منه ، والرجاء له ، والموالاة فيه ، والمعاداة فيه ، والطاعة لأمره ، وأمثال ذلك مما هو من خصائص إلهية الله سبحانه وتعالى.

وإقراره بألوهية الله تعالى دون ما سواه ، يتضمن إقراره بربوبيته ، وهو أنه رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره ، فحينئذ يكون موحداً لله.

وذلك يبيّن أن أفضل الذكر « لا إله إلا الله » كما رواه

الترمذي، وابن أبي الدنيا وغيرهما مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله»[(١)].

وفي «الموطأ» وغيره عن طلحة بن عبيد الله بن كثير أن النبي ﷺ قال: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»[(٢)].

ومن زعم أن هذا ذكر العامة، وأن ذكر الخاصة: هو الاسم المفرد، وذكر خاصة الخاصة: هو الاسم المضمر، فهم ضالّون غالطون، واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله: (قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)[(٣)] من أبين غلط هؤلاء، فإن الاسم [الله] مذكور في الأمر بجواب الاستفهام في الآية قبله وهو قوله: (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس) ــ إلى قوله ــ: (قل الله)[(٣)] أي الله هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى، فالاسم [الله] مبتدأ، خبره قد دل عليه الاستفهام، كما في نظائر ذلك، يقال: من جاءك؟ فتقول: زيد.

وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً، فليس بكلام تام، ولا جملة

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، وهو حديث حسن. والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي. (٢) رواه مالك في «الموطأ» مرسلاً، ورواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب. (٣) سورة الأنعام، الآية: ٩١

مفيدة ، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ، ولا أمر ولا نهي .

ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ، ولا شرع ذلك رسول الله ﷺ ، ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ، ولا حالاً نافعاً ،وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات .

فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ، مايفيد بنفسه ، وإلا لم يكن فيه فائدة ، والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه ، لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره .

وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر بالاسم المفرد ، وبـ : هو ، في فنون من الالحاد ، وأنواع من الاتحاد ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال : أخاف أن أموت بين النفي والإثبات ، حال لا يقتدى فيها بصاحبها ، فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء به ، إذ لو مات العبد في هذه الحال ، لم يمت إلا على ما قصده ونواه ، إذ الأعمال بالنيات : وقد ثبت أن النبي ﷺ أمر بتلقين الميت : « لا إله إلا الله »(١) ، وقال : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »(٢) ، ولو كان ما ذكره محذوراً ، لم يلقن الميت كلمة

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي .

(٢) رواه أبو داود ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

يخاف أن يموت في أثنائها موتاً غير محمود، بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد.

والذكر بالاسم المضمر [ أو ] المفرد، أبعد عن السنة، وأدخل في البدعة، وأقرب إلى ضلال الشيطان، فإن من قال : يا هو يا هو، أو هو هو، ونحو ذلك، لم يكن الضمير عائداً إلا إلى مايصوره قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل[١].

[وقد صنف صاحب «الفصوص»[٢] كتاباً سماه كتاب «الهو» وزعم بعضهم أن قوله : ( ومايعلم تأويله إلا الله )[٣] معناه : ومايعلم تأويل هذا الاسم الذي هو الهو، وهذا وإن كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل، فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء، حتى قلت مرة لبعض من قال شيئاً من ذلك : لو كان هذا كما قلته لكتبت الآية : وما يعلم تأويل «هو» منفصلة.

ثم كثيراً[٤] ما يذكر بعض الشيوخ أنه يحتج على قول القائل : «الله» بقوله : ( قل الله، ثم ذرهم )[٥] ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد، وهذا غلط باتفاق أهل العلم، فإن قوله : ( قل الله ) ، معناه : الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى،

---

(١) إلى هنا انتهت النسخة الهندية التي طبعنا عليها، وما زاد إلى آخر الكتاب إنما هو من بعض النسخ المطبوعة .

(٢) هو محيي الدين بن عربي .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ٧ .

(٤) في هذا الكلام تكرار لبعض ما سبق .

(٥) سورة الأنعام، الآية : ٩١ .

وهو جواب لقوله : ( قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ؟ قل : الله )[1] أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ، والكلام رد لقول من قال من المكذبين لرسول الله : ( ما أنزل الله على بشر من شيء )[1] فقال : ( من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ؟ )[1] ثم قال : ( قل الله ) أنزله ، ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون .

ومما يبين ماتقدم ، ماذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو : أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاماً ، لايحكون به ما كان قولاً . فالقول لايحكى به إلا كلام تام ، أو جملة اسمية ، أو جملة فعلية ، ولهذا يكسرون « إن » إذا جاءت بعد القول ، فالقول لايحكى به اسم ، والله تعالى لايأمر أحداً بذكر اسم مفرد ، ولا شرع للمسلمين ذكراً باسم مفرد مجرد والاسم المجرد لايفيد شيئاً من الايمان باتفاق أهل الاسلام ، ولا يؤمر به في شيء من العبادات ، ولا في شيء من المخاطبات .

ونظير من اقتصر على الاسم المفرد : مايذكر أن بعض الأعراب سمع مؤذناً يقول : « أشهد أن محمداً رسولَ الله » فقال : ماذا يقول هذا ؟ هذا الاسم ، فأين الخبر عنه الذي يتم به الكلام ؟

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٩١ .

وما في القرآن من قوله (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً)[١] وقوله: (سبح اسم ربك الأعلى)[٢]. وقوله: (قد أفلح من تزكّى. وذكر اسم ربه فصلى)[٣]. وقوله: (فسبح باسم ربك العظيم)[٤]. ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفرداً.

بل في «السنن» أنه لما نزل قوله: (فسبح باسم ربك العظيم)[٥]. قال ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما نزل قوله: (سبح اسم ربك الأعلى)[٦]. قال: «اجعلوها في سجودكم»[٧]. فشرع لهم أن يقولوا في الركوع: «سبحان ربي العظيم». وفي السجود: «سبحان ربي الأعلى».

وفي «الصحيح» «أنه كان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم». وفي سجوده: «سبحان ربي الأعلى»[٨]. وهذا معنى قوله: «اجعلوها في ركوعكم وسجودكم». باتفاق المسلمين. فتسبيح اسم ربه الأعلى وذكر اسم ربه ونحو ذلك هو بالكلام التام المفيد، كما في «الصحيح»

(١) سورة المزمل، الآية: ٨ (٢) سورة الأعلى، الآية: ١

(٣) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤، ١٥ (٤) سورة الواقعة، الآية: ٧٤

(٥) سورة الواقعة، الآيتان: ٧٤، ٩٦ وسورة الحاقة، الآية: ٥٢

(٦) سورة الأعلى، الآية: ١

(٧) رواه أحمد في «المسند» وأبو داود وابن ماجه.

(٨) الذي في «الصحيح» بلفظ: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»، وأما هذا فرواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وهو صحيح.

عنه ﷺ أنه قال : « أفضل الكلام بعد القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر »(١)

وفي « الصحيح » عنه ﷺ أنه قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »(٢).

وفي « الصحيحين » عنه ﷺ أنه قال : « من قال في يومه مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له حرزاً من الشيطان يومه ذلك ، حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثل ماقال أو زاد عليه »(٣). و « من قال في يومه مائة مرة : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم حطت عنه خطاياه ، ولو كانت مثل زبد البحر »(٤).

وفي «الموطأ» وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير »(٥). وفي «سنن ابن ماجه» وغيره عنه

(١) رواه مسلم بلفظ : « أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله .. » ورواه ابن حبان بلفظ « أفضل الكلام » وجملة : بعد القرآن ليست عندهما .
(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . (٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) رواه البخاري ومسلم . (٥) رواه مالك مرسلاً والترمذي وتقدم .

ﷺ أنه قال: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمدلله»(١).
ومثل هذه الأحاديث كثيرة في أنواع مايقال من الذكر والدعاء ، وكذلك مافي القرآن من قوله تعالى : ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه )(٢) . وقوله : ( فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه )(٣) . إنما هو قول: باسم الله . وهذا جملة تامة ، إما اسمية ، على أظهر قولي النحاة ، أو فعلية . والتقدير : ذبحي باسم الله ، أو أذبح باسم الله . وكذلك قول القارئ : « بسم الله الرحمن الرحيم » . فتقديره : قراءتي باسم الله ، أو أقرأ باسم الله . ومن الناس من يضمر في مثل هذا: ابتدائي باسم الله ، أو ابتدأت باسم الله ، والأول أحسن ، لأن الفعل كله مفعول باسم الله ، ليس مجرد ابتدائه ، كما أظهر المضمر في قوله : ( اقرأ باسم ربك الذي خلق )(٤) . وفي قوله : ( باسم الله مجراها ومرساها )(٥) . وفي قول النبي ﷺ : « من كان ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى ، ومن لم يكن ذبح فليذبح باسم الله »(٦) . ومن هذا قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح لربيبه عمر بن أبي سلمة :

(١) رواه الترمذي ، وهو حديث حسن .
(٢) سورة الانعام ، الآية : ١٢١ (٣) سورة المائدة ، الآية : ٥
(٤) سورة الأعلى ، الآية : ١ (٥) سورة هود ، الآية : ٤١
(٦) رواه البخاري ومسلم .

« ياغلام ، سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك »(١) . فالمراد أن يقول : باسم الله ، ليس المراد أن يذكر الاسم مجرداً . وكذلك قوله في الحديث الصحيح لعدي بن حاتم : « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل »(٢) . وكذلك قوله ﷺ : « إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله ، وعند خروجه ، وعند طعامه ، قال الشيطان : لامبيت لكم ولا عشاء »(٣) . وأمثال ذلك كثير .

وكذلك ماشرع للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحجهم وأعيادهم: من ذكر الله تعالى ، إنما هو بالجملة التامة ، كقول المؤذن : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله . وقول المصلي : الله أكبر ؛ سبحان ربي العظيم سبحان ربي الأعلى ، سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، التحيات لله . وقول الملبي : لبيك اللهم لبيك . وأمثال ذلك

فجمع ما شرعه الله من الذكر ، إنما هو كلام تام ، لا اسم مفرد ، لا مظهر ولا مضمر

وهذا هو الذي يسمى في اللغة : كلمة ، كقوله : « كلمتان خفيفتان

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه مسلم .

على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(١). وقوله: «أفضل كلمة قالها الشاعر: كلمة لبيد: ألا كل شيء ماخلا الله باطل»(٢). ومنه قوله تعالى: (كبرت كلمة تخرج من أفواههم)(٣) الآية. وقوله: (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)(٤).

وأمثال ذلك مما استعمل فيه لفظ: «الكلمة». من الكتاب والسنة، بل وسائر كلام العرب، إنما يراد به الجملة التامة، كما كانوا يستعملون الحرف في الاسم، فيقولون: هذا حرف غريب؛ أي: لفظ الاسم غريب.

وقسم سيبويه الكلام إلى: اسم وفعل وحرف. جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وكل من هذه الأقسام يسمى حرفا. لكن خاصة الثالث أنه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وسمى حروف الهجاء باسم الحرف، وهي أسماء.

ولفظ الحرف يتناول هذه الأسماء وغيرها، كما قال النبي ﷺ «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، أما أني

(١) رواه البخاري ومسلم
(٢) رواه البخاري.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٥
(٤) سورة الانعام، الآية: ١١٥

لا أقول: الٓمٓ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[1] وقد سأل الخليل بن أحمد أصحابه عن النطق بحرف الزاي من زيد، فقالوا: زاي. فقال: جئتم بالاسم، وإنما الحرف: «ز».

ثم إن النحاة اصطلحوا على أن هـذا المسمى في اللغة بالحرف، يسمى كلمة، وأن لفظ الحرف يخص لما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، كحروف الجر ونحوها.

وأما ألفاظ حروف الهجاء، فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ، وتارة باسم ذلك الحرف، ولما غلب هذا الاصطلاح صار يتوهم من اعتاده أنه هكذا في لغة العرب، ومنهم من يجعل لفظ الكلمة في اللغة لفظاً مشتركاً بين الاسم مثلاً، وبين الجملة، ولا يُعرف في صريح اللغة من لفظ «الكلمة» إلا الجملة التامة.

والمقصود هنا: أن المشروع في ذكر الله سبحانه، هو ذكره بجملة تامة، وهو المسمى بالكلام، والواحد منه بالكلمة، وهو الذي ينفع القلوب، ويحصل به الثواب والأجر، ويجذب القلوب إلى الله ومعرفته، ومحبته وخشيته، وغير ذلك من المطالب العالية، والمقاصد السامية.

---

(١) رواه الترمذي بلفظ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ...» وقال: حديث حسن صحيح غريب.

وأما الاقتصار على الاسم المفرد؛ مظهراً أو مضمراً، فلا أصل له، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة، من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد، كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع.

وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)[1] وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله.

ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه.

وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره.

وقد بيّن ﷺ لنا ما نعبد الله به، ونهانا عن محدثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة. قال تعالى: (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[2] وكما أننا مأمورون أن لا نخاف إلا الله، ولا نتوكل إلا على الله، ولا نرغب إلا إلى الله،

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠ (٢) سورة البقرة، الآية: ١١٢

ولا نستعين إلا بالله ، وأن لا تكون عبادتنا إلا لله ، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ، ونتأسى به .

فالحلال ما حلله ، والحرام ما حرّمه ، والدين ما شرعه قال تعالى: ( ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون )[1] فجعل الإيتاء لله وللرسول ، كما قال : ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )[2] وجعل التوكل على الله وحده بقوله: ( وقالوا حسبنا الله )[1] ولم يقل: ورسوله، كما قال في وصف الصحابة رضي الله عنهم : ( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل )[3] ومثله قوله : ( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتّبعك من المؤمنين )[4] أي حسبك وحسب المؤمنين، كما قال : ( أليس الله بكاف عبده )[5] ثم قال : ( وقالوا سيؤتينا الله من فضله ورسوله )[1] فجعل الإيتاء ، لله وللرسول، وقدم ذكر الفضل لله ، لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وله الفضل على رسوله وعلى المؤمنين. وقال : ( إنا إلى الله راغبون )[1] فجعل الرغبة إلى الله وحده،

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٠
(٢) سورة الحشر ، الآية : ٧
(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣
(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٦٤
(٥) سورة الزمر ، الآية : ٣٦

كما في قوله : ( فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب )(١) .

وقال النبي ﷺ لابن عباس : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله »(٢) والقرآن يدل على مثل هذا في غير موضع.

• فجمع العبادة والخشية والتقوى لله ، وجمع الطاعة والمحبة لله ورسوله ، كما في قول نوح عليه السلام : ( أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون )(٣) وقوله : ( ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتّقه فأولئك هم الفائزون )(٤) وأمثال ذلك .

فالرسل أمروا بعبادته وحده ، والرغبة اليه ، والتوكل عليه وطاعته ، والطاعة لهم ، فأضل الشيطان النصارى وأشباههم ، فأشركوا بالله وعصوا الرسول ، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ، فجعلوا يرغبون اليهم ويتوكلون عليهم ، ويسألونهم مع معصيتهم لأمرهم ، ومخالفتهم لسنتهم ، وهدى الله المؤمنين المخلصين لله ، أهلَ الصراط المستقيم ، الذين عرفوا الحق واتبعوه ، فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا من الضالين ، فأخلصوا دينهم لله وأسلموا وجوههم لله ، وأنابوا إلى ربهم ، وأحبوه ورجوه ، وخافوه وسألوه ، ورغبوا اليه وفوضوا أمورهم اليه ، وتوكلوا عليه ، وأطاعوا رسله ،

(١) سورة الانشراح ، الآيتان : ٧ ـ ٨

(٢) رواه أحمد ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وهو حسن لغيره .

(٣) سورة نوح ، الآية : ٣

(٤) سورة النور ، الآية : ٥٢

وعزّروهم(١) ووقروهم، وأحبوهم ووالوهم، واتبعوهم واقتفوا آثارهم، واهتدوا بمنارهم

وذلك هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد ديناً إلا إياه، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين.

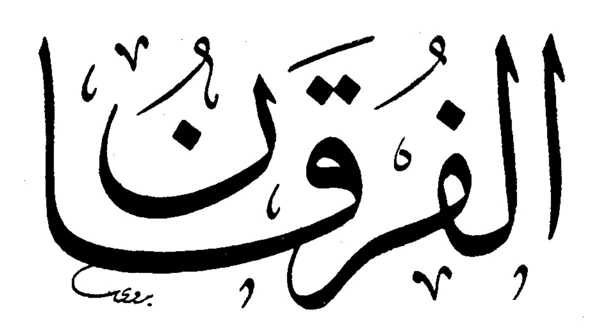
فنسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه، ويكمله لنا ويميتنا عليه، وسائر إخواننا المسلمين.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم](٢).

---

(١) أي عظموهم.

(٢) من الصفحة (١٩٥) إلى هنا، كله زيادة ـ على النسخة الهندية ـ من بعض النسخ المطبوعة.




## بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تأليف

شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً ، فهدى به من الضلالة ، وبصر به من العمى ،

وأرشد به من الغي ، وفتح به اعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، وفرق به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والرشاد والغي ، والمؤمنين والكفار ، والسعداء أهل الجنة ، والأشقياء أهل النار ، وبين أولياء الله وأعداء الله . فمن شهد له محمد ﷺ بأنه من أولياء الله فهو من أولياء الرحمن ، ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من أعداء الله وأولياء الشيطان .

وقد بيّن سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن لله أولياء من الناس، وللشيطان أولياء ، ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقال تعالى: (ألا إن أولياءَ اللهِ لاخوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البُشْرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوزُ العظيم )[1] وقال تعالى : ( الله ولي الذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون )[2] وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض

(١) سورة يونس ، الآيات : ٦٢ ـ ٦٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٧ .

يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم نادمين. ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم؟ حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين. يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتِ الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلَّة على المؤمنين، أعزَّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم. إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)[(١)]. وقال تعالى: (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً)[(٢)].

وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)[(٣)] وقال تعالى: (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان

(١) سورة المائدة، الآيات: ٥١ ـ ٥٦ (٢) سورة الكهف، الآية: ٤٤

(٣) سورة النحل، الآيات: ٩٨ ـ ١٠٠.

ضعيفاً )[١] . وقال تعالى : ( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلاً )[٢] . وقال تعالى : ( ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً )[٣] . وقال تعالى : ( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين )[٤] . وقال تعالى : ( إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون . وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا )[٥] إلى قوله : ( إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون )[٦] وقال تعالى : ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم )[٧] وقال الخليل عليه السلام : ( يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً )[٨] وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم

(١) سورة النساء ، الآية : ٧٦ (٢) سورة الكهف ، الآية : ٥٠

(٣) سورة النساء ، الآية : ١١٩

(٤) سورة آل عمران ، الآيات : ١٧٣ ـ ١٧٥

(٥) سورة الأعراف ، الآيتان : ٢٧ ، ٢٨ (٦) سورة الاعراف ، الآية : ٣٠

(٧) سورة الأنعام ، الآية : ١٢١ . (٨) سورة مريم ، الآية : ٤٥

أولياء تلقون إليهم بالمودّة)[١] الآيات إلى قوله: (إنك أنت العزيز الحكيم)[٢].

# فصل

وإذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء، كما فرق الله ورسوله بينهما، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، كما قال تعالى: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)[٣].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني[٤] بالمحاربة ـ أو فقد آذنته بالحرب ـ وما تقرب إليّ

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١، وتمامها: (وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم، أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل). (٢) سورة الممتحنة، الآية: ٥

(٣) سورة يونس، الآيتان: ٦٢، ٦٣ (٤) لفظ «المبارزة» لم يرد في «صحيح البخاري»، وإنما هو من رواية الطبراني عن أبي أمامة، والحديث في «البخاري» مروي في كتاب «الرقائق باب التواضع» ولفظه: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»... وقد تكلم الحافظ ابن رجب الحنبلي على هذا الحديث في «جامع العلوم والحكم» فليراجع.

عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » . « ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته . ولا بد له منه » وهذا أصح حديث يروى في الأولياء ، فبين النبي ﷺ أنه من عادى ولياً لله فقد بارز الله في المحاربة .

وفي حديث آخر : « [و]إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحَرِب » أي : آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره ، وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب ، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط ، وأمروا بما يأمر ، ونهوا عما نهى ، وأعطوا لمن يحب أن يعطى ، ومنعوا من يحب أن يمنع ، كما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « أوثق عرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله[1] » وفي حديث آخر رواه أبو داود وقال : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل

(١) حديث حسن أخرجه أحمد في « المسند » عن البراء والطبراني في « الكبير » عن ابن عباس وفي « الصغير » عن ابن مسعود .

الايمان »[١] .

والولاية : ضد العداوة ، وأصل الولاية : المحبة والقرب ، وأصل العداوة : البغض والبعد . وقد قيل : إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات ، أي متابعته لها ، والأول أصح . والولي : القريب ، يقال : هذا يلي هذا ، أي : يقرب منه . ومنه قوله ﷺ : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر »[٢] أي لأقرب رجل إلى الميت ووكده بلفظ الذكر ليبين أنه حكم يختص بالذكور ، ولا يشترك فيه الذكور والإناث ، كما قال في الزكاة : «فابن لبون ذكر»[٣] .

فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ، ويبغضه ويسخطه ، ويأمر به وينهى عنه ، كان المعادي لوليه معادياً له ، كما قال تعالى : ( لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة )[٤] فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ، فلهذا قال : « ومن عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة » .

(١) رواه أبوداود بسند حسن .

(٢) رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس . (٣) هذا اللفظ جاء في رواية أبي داود عن أبي بكر ونصه : « فيما دون خمس وعشرين من الابل والغنم ، في كل خمس ذود شاة ، فاذا بلغت خمساً وعشرين ففيها بنت مخاض إلى أن تبلغ خمساً وثلاثين فان لم يكن فيها بنت مخاض فابن لبون ذكر » . ورواه النسائي والبخاري بمعناه . (٤) سورة الممتحنة ، الآية : ١ .

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين أولو العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ . قال تعالى : ( شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه )(١) وقال تعالى : ( وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً )(٢) .

وأفضل أولي العزم : محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين ، وسيد ولد آدم ، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا ، وخطيبهم إذا وفدوا ، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، وصاحب لواء الحمد ، وصاحب الحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب الوسيلة والفضيلة ، الذي بعثه الله بأفضل كتبه ، وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل أمته خير أمة أُخرجت للناس ، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم ، وهم آخر الأمم خلقاً ، وأول الأمم بعثاً ، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه

(١) سورة الشورى ، الآية : ١٣ (٢) سورة الأحزاب ، الآيتان : ٧ ، ٨

من بعدهم ، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه ــ يعني يوم الجمعة ــ فهدانا الله له : الناس لنا تبع فيه ، غداً لليهود ، وبعد غد للنصارى »(١) .

وقال ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض »(٢) . وقال ﷺ: « آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول : أنا محمد . فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك »(٣) .

وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيرة ، ومن حين بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه : فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء به ، واتبعه باطناً وظاهراً ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه ، فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان . قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله )(٤) قال الحسن البصري رحمه الله : ادعى قوم أنهم يحبون الله ، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم وقد بين الله فيها ، أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه ، ومن ادَّعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ ، فليس من أولياء الله ؛ وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم ، أو في غيرهم ، أنهم من أولياء الله ، ولا يكونون من أولياء الله ، فاليهود والنصارى يدَّعون أنهم أولياء لله [وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان منهم ، بل يدَّعون

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . (٢) رواه الترمذي وأبو داود ، ومسلم بمعناه . (٣) رواه مسلم في « صحيحه » عن أنس .
(٤) سورة آل عمران ، الآية . ٣١

أنهم أبناؤه] وأحباؤه . قال تعالى : ( قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق )[١] الآية ، وقال تعالى : ( وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم )[٢] ، إلى قوله : ( ولا هم يحزنون )[٣] .

وكان مشركو العرب يدَّعون أنهم أهل الله ، لسكناهم مكة ، ومجاورتهم البيت ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم، كما قال تعالى : (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً تهجرون )[٤] وقال تعالى : ( وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك )[٥] إلى قوله : ( وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون )[٦] فبين سبحانه أن المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته ، إنما أولياؤه المتقون .

وثبت في « الصحيحين » عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول جهاراً من غير سر : « إن آل فلان ليسوا لي بأولياء ـ يعني طائفة من أقاربه ـ إنما وليي الله وصالح المؤمنين »[٧]

---

(٥) سورة المائدة ، الآية : ١٨ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١١١
(٣) سورة البقرة ، الآية : ١١٣ (٤) سورة المؤمنون ، الآيتان : ٦٦ ، ٦٧
(٥) سورة الانفال ، الآية : ٣٠ (٦) سورة الانفال ، الآية : ٣٤
(٧) أخرجه « البخاري » في كتاب « الادب » باب « يبل الرحم ببلالها » ، وأخرجه مسلم في « كتاب الايمان » باب « موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم » عن عمرو بن العاص .

وهذا موافق لقوله تعالى: (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين)[١] الآية وصالح المؤمنين: هو من كان صالحاً من المؤمنين. وهم المؤمنون المتقون أولياء الله ودخل في ذلك أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وكلهم في الجنة، كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»[٢] ومثل هـذا الحديث الآخر: إن أوليائي المتقون أيّاً كانوا وحيث كانوا[٣].

كما أن من الكفار من يدّعي أنه ولي الله، وليس ولياً لله، بل عدوٌّ له. فكذلك من المنافقين الذين يظهرون الاسلام، يقرون في الظاهر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنه مرسل إلى جميع الانس، بل إلى الثقلين: الانس والجن، ويعتقدون في الباطن ما يناقض ذلك؛ مثل أن لا يقروا في الباطن بأنه رسول الله، وإنما

(١) سورة التحريم، الآية: ٤

(٢) أخرجه مسلم بلفظ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة ـ أحد ـ الذين بايعوا تحتها»، وأبو داود والترمذي عن جابر.

(٣) روى الحاكم في «المستدرك» مرفوعاً: «إن أوليائي منكم المتقون»، وفي سنده إسماعيل بن عبيد وهو مجهول. ولفظ: أياً كانوا وحيث كانوا، إنما هو من كلام مجاهد.

كان ملكاً مطاعاً ، ساس الناس برأيه ، من جنس غيره من الملوك ، أو يقولون : إنه رسول الله إلى الأميين دون أهل الكتاب ، كما يقوله كثير من اليهود والنصارى ، أو أنه مرسل إلى عامة الخلق ، وأن لله أولياء خاصة ، لم يرسل اليهم ، ولا يحتاجون اليه ، بل لهم طريق إلى الله من غير جهته ، كما كان الخضر مع موسى ، أو أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون اليه وينتفعون به من غير واسطة ، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها . وأما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها ، أو لم يكن يعرفها ، أو هم أعرف بها منه ، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته .

وقد يقول بعض هؤلاء : إن أهل الصفّة كانوا مستغنين عنه ، ولم يرسل اليهم ، ومنهم من يقول : إن الله أوحى إلى أهل الصفّة في الباطن ما أوحى اليه ليلة المعراج ، فصار أهل الصفّة بمنزلته ، وهؤلاء من فرط جهلهم ، لا يعلمون أن الإسراء كان بمكة ، كما قال تعالى : ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله )(١) وأن الصفّة لم تكن إلا بالمدينة ، وكانت صفّة في شمالي مسجده ﷺ ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم، فان المؤمنين كانوا يهاجرون إلى النبي ﷺ إلى المدينة ،

(١) سورة الاسراء ، الآية : ١

فمن أمكنه أن ينزل في مكان نزل به ؛ ومن تعذّر ذلك عليه نزل في المسجد ، إلى أن يتيسر له مكان ينتقل اليه .

ولم يكن أهل الصفّة ناساً بأعيانهم يلازمون الصفّة ، بل كانوا يقلّون تارة ويكثرون أخرى ، ويقيم الرجل بها زماناً ، ثم ينتقل منها ، والذين ينزلون بها هم من جنس سائر المسلمين ، ليس لهم مزية في علم ولا دين ، بل فيهم من ارتد عن الاسلام وقتله النبي ﷺ ،كالعرنيين الذين اجتوَوا المدينة ، أي: استوخموها ، فأمرهم النبي ﷺ بلقاح ـ أي إبل لها لبن ـ وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها ، فلما صحوا ؛ قتلوا الراعي ، واستاقوا الذود ، فأرسل النبي ﷺ في طلبهم ، فأتي بهم ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمرت أعينهم ، وتركهم في الحرّة يستسقون فلا يسقون .

وحديثهم في « الصحيحين »(١) من حديث أنس ؛ وفيه أنهم

(١) أخرجه « البخاري » في « كتاب الحدود » باب: لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا ، ونصه : قدم رهط من عكل على النبي ﷺ كانوا في الصفة فاجتووا المدينة ، فقالوا : يا رسول الله ! أبغنا رسلاً ، فقال : « ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بابل رسول الله » . فأتوها فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صحوا وسمنوا وقتلوا الراعي واستاقوا الذود . فأتى النبي ﷺ الصريخ ، فبعث الطلب في آثارهم ، فما ترجل النهار حتى أتي بهم ، فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم وما حسمهم، ثم ألقوا في الحرة يستسقون فما سقوا حتى ماتوا ». اجتووا: استوخموا أبغنا رسلا : بكسر الراء وسكون السين : أي اطلب لنا لبناً . الذود: بفتح =

نزلوا الصفّة ، فكان ينزلها مثل هؤلاء ، ونزلها من خيار المسلمين سعد بن أبي وقاص ، وهو أفضل من نزل بالصفّة ، ثم انتقل عنها ، ونزلها أبو هريرة وغيره ، وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي تاريخ من نزل الصفّة .

وأما الأنصار فلم يكونوا من أهل الصفّة ، وكذلك أكابر المهاجرين ـ كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي عبيدة [ بن الجراح ] وغيرهم ـ لم يكونوا من أهل الصفّة .

وقد روي أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة ، وأن النبي ﷺ قال : « هذا واحد من السبعة » وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم ، وإن كان قد رواه أبو نعيم في « الحلية » وكذا كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء ، والأبدال ، والنقباء ، والنجباء ، والأوتاد ، والأقطاب ، مثل أربعة ، أو سبعة ، أو اثني عشرة ، أو أربعين ، أو سبعين ، أو ثلاثمائة ، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والقطب الواحد ، فليس

= الذال وسكون الواو : مابين الثلاثة إلى العشرة من الابل . الصريخ : المستغيث . ترجل النهار : ارتفع . ما حسمهم : ما كوى مواضع القطع . الحرة : أرض ذات حجارة سوداء .

في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال .

وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً ؛ وأنهم بالشام ، وهو في « المسند »[1] من حديث علي كرم الله وجهه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت ، ومعلوم أن علياً ومن معه من الصحابة ، كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي .

وقد أخرجا في « الصحيحين » عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال : « تمرق مارقة من الدين على حين فُرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين مرقوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي ، فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه ، فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه ، وكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما .

(١) قال الشيخ أحمد في تعليقه على « المسند » : إسناده ضعيف لانقطاعه ، شريح بن عبيد الحضرمي الحمصي لم يدرك علياً ، بل لم يدرك إلا بعض متأخري الوفاة من الصحابة .

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ أنه أنشد منشد :

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

وأن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه ، فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ، وأكذب منه ما يرويه بعضهم أنه مزّق ثوبه ، وأن جبريل أخذ قطعة منه ، فعلقها على العرش ، فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله ﷺ أنه من أظهر الأحاديث كذبا عليه ﷺ .

وكذلك ما يروونه عن عمر رضي الله عنه أنه قال : كان النبي ﷺ وأبو بكر يتحدثان، وكنت بينهما كالزنجي، وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

والمقصود هنا ؛ أنه فيمن يقر برسالته العامة في الظاهر ومن يعتقد في الباطن ما يناقض ذلك، فيكون منافقاً ،وهو يدعي في نفسه وأمثاله أنهم أولياء الله مع كفرهم في الباطن بما جاء به رسول الله ﷺ ، إما عناداً ، وإما جهلاً ، كما أن كثيراً من النصارى واليهود يعتقدون أنهم أولياء الله ، وأن محمداً رسول الله ، لكن يقولون : إنما أرسل إلى غير أهل الكتاب ، وإنه لا يجب علينا اتباعه ، لأنه أرسل الينا رسلاً قبله؛

فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يعتقدون في طائفتهم أنهم أولياء الله، وإنما أولياء الله الذين وصفهم الله تعالى بولايته بقوله: ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون )(١).

ولا بد في الايمان من أن يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. ويؤمن بكل رسول أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله، كما قال تعالى: ( قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم )(٢). وقال تعالى: ( آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)(٣)

(١) سورة يونس، الآيتان: ٦٢، ٦٣ (٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٣٦، ١٣٧
(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢٨٥، ٢٨٦

وقال في أول السورة ( الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون )[١] فلا بد في الايمان من أن تؤمن أن محمداً ﷺ خاتم النبيين ، لا نبي بعده[٢]، وأن الله أرسله إلى جميع الثقلين : الجن والانس . فكل من لم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن ، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله المتقين. ومن آمن ببعض ماجاء به وكفر ببعض ، فهو كافر ليس بمؤمن ، كما قال الله تعالى : ( إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً. والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً )[٣] .

ومن الايمان : الايمان بأنه هو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، وحلاله وحرامه . فالحلال ما أحله

---

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١-٥

(٢) وبذلك تعلم كفر القاديانية الذين يزعمون بأن النبوة لم تنقطع بعد محمد ﷺ .

(٣) سورة النساء ، الآيات : ١٥٠ - ١٥٢

الله ورسوله ، والحرام ماحرمه الله ورسوله ، والدين ماشرعه الله ورسوله ﷺ . فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان .

وأما خلق الله تعالى للخلق ، ورزقه إياهم ، وإجابته لدعائهم ، وهدايته لقلوبهم ، ونصرهم على أعدائهم ، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار ، فهذا لله وحده ، يفعله بما يشاء من الأسباب ، لا يدخل في مثل هذا وساطة الرسل .

ثم لو بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس بمؤمن ، ولا ولي لله تعالى ، كالأحبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبادهم . وكذلك المنتسبين إلى العلم والعبادة من المشركين ، مشركي العرب والترك والهند ، وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك ، وله علم أو زهد وعبادة في دينه ، وليس مؤمناً بجميع ما جاء به محمد ، فهو كافر عدو لله ، وإن ظن طائفة أنه ولي لله ؛ كما كان حكماء الفرس من المجوس كفاراً مجوساً ، وكذلك حكماء اليونان ، مثل أرسطو وأمثاله ، كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب ، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام بثلاثمائة سنة ، وكان وزيراً للاسكندر بن فيلبس المقدوني ، وهو الذي يؤرخ

له تواريخ الروم واليونان ، ونؤرخ به اليهود والنصارى . وليس هذا هو ذا القرنين الذي ذكره الله في كتابه ؛ كما يظن بعض الناس أن أرسطو كان وزيراً لذي القرنين لما رأوا أن ذاك اسمه الاسكندر ؛ وهذا قد يسمى بالاسكندر ، ظنوا أن هـذا ذاك ، كما يظنه ابن سينا وطائفة معه .

وليس الأمر كذلك ، بل هذا الاسكندر المشرك ـ الذي قد كان أرسطو وزيره ـ متأخر عن ذاك ، ولم يبنِ هذا السور، ولا وصل إلى بلاد يأجوج ومأجوج، وهذا الاسكندر الذي كان أرسطو من وزرائه ؛ يؤرخ له تاريخ الروم المعروف .

وفي أصناف المشركين ، من مشركي العرب ، ومشركي الهند ، والترك ، واليونان ، وغيرهم ، من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة ، ولكن ليس بمتبع للرسل ، ولا مؤمن بما جاؤوا به ، ولا يصدقهم فيما أخبروا به ، ولا يطيعهم فيما أمروا ، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ، ولاأولياء الله ، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم ، فيكاشفون الناس ببعض الأمور، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم جنس من الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين ، قال تعالى : (هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين ، تنزّل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع

وأكثرهم كاذبون )[١].

وهؤلاء جميعهم ينتسبون إلى المكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرسل ، فلا بد أن يكذبوا وتكذبهم شياطينهم ، ولا بد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور ، مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة .

ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقترنت بهم ، فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن . قال الله تعالى : ( ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين )[٢] وذكر الرحمن هو الذكر الذي بعث به رسول الله ﷺ مثل القرآن ، فمن لم يؤمن بالقرآن ، ويصدق خبره ، ويعتقد وجوب أمره ، فقد أعرض عنه ، فيقيض له الشيطان فيقترن به .

قال تعالى : ( وهذا ذكر مبارك أنزلناه )[٣] وقال تعالى : (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى )[٤] ، فدل ذلك على أن ذكره هو آياته

(١) سورة الشعراء ، الآيات: ٢٢١-٢٢٣ (٢) سورة الزخرف ، الآية : ٣٦
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٥٠ . (٤) سورة طه ، الآيات : ١٢٤ - ١٢٦

التي أنزلها ، ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائماً ليلاً ونهاراً مع غاية الزهد ، وعبده مجتهداً في عبادته ، ولم يكن متبعاً لذكره الذي أنزله — وهو القرآن — كان من أولياء الشيطان ، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء ، فان الشيطان يحمله في الهواء ، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع .

# فصل

ومن الناس من يكون فيه إيمان ، وفيه شعبة من نفاق ، كما جاء في « الصحيحين » عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا عاهد غدر » .

وفي « الصحيحين » أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الايمان بضع وستون ، أو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان » فبين النبي ﷺ أن من كان فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها .

وقد ثبت في « الصحيحين » أنه قال لأبي ذر وهو من خيار المؤمنين : « إنك امرؤٌ فيك جاهلية » ، فقال : يا رسول الله ! أعلى كِبَر سني ؟ قال : « نعم » .

وثبت في « الصحيح » عنه أنه قال : « أربع في أمتي من أمر الجاهلية : الفخر في الاحساب ، والطعن في الانساب ، والنياحة على الميت ، والاستسقاء بالنجوم » (١)

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » .

وفي « صحيح مسلم » : « وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » .

وذكر البخاري عن ابن أبي مليكة أنه قال : أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه . وقد قال الله تعالى : ( وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان ) (٢) ، فقد جعل

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز عن أبي مالك الأشعري .

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٦٦ ، ١٦٧

هؤلاء إلى الكفر ، أقرب منهم للايمان ، فعلم أنهم مخلطون ، وكفرهم أقوى ، وغيرهم يكون مخلطاً وإيمانه أقوى .

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين ، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى ، كان أكمل ولاية لله ، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل ، بحسب تفاضلهم في الايمان والتقوى ، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله ، بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق ، قال الله تعالى : ( وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون )(١) وقال تعالى : ( إنما النسيء زيادة في الكفر )(٢) وقال تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)(٣) وقال تعالى في المنافقين : (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً )(٤) فبين سبحانه وتعالى : أن الشخص الواحد ، قد يكون فيه قسط من ولاية الله ، بحسب إيمانه ، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله ، بحسب

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ١٢٤ ، ١٢٥
(٢) سورة التوبة ، الآية : ٣٧ (٣) سورة محمد ، الآية : ١٧
(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٠

كفره ونفاقه . وقال تعالى : ( ويزداد الذين آمنوا إيمانا )[١] وقال تعالى: ( ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم )[٢] .

# فصل

وأوليـاء الله على طبقتين : سابقون مقرَّبون ، وأصحاب يمين مقتصدون ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز ، في أول سورة (الواقعة) وآخرها ، وفي سورة (الانسان) و(المطففين)، وفي سورة (فاطر) ؛ فانه سبحانه وتعالى ذكر في (الواقعة) القيامة الكبرى في أولها، وذكر القيامة الصغرى في آخرها ؛فقال في أولها : ( إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . إذا رجَّت الأرض رجًّا . وبست الجبال بساً . فكانت هباءاً منبثاً . وكنتم أزواجاً ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمـة ما أصحاب المشأمـة . والسابقون السابقون . أولئك المقرَّبون. في جنات النعيم . ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين )[٣].

فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها الأولين والآخرين ، كما وصف الله سبحانه ذلك في كتابه في غير

(١) سورة المدثر ، الآية : ٣١ (٢) سورة الفتح ، الآية : ٤

(٣) سورة الواقعة ، الآيات : ١ - ١٤ .

موضع ، ثم قال تعالى في آخر السورة : ( فلولا ) أي فهلاً ( إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون فلولا ان كنتم غيرمدينين ترجعونها إن كنتم صادقين . فأما إن كان من المقرَّبين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين . فنزل من حميم وتصلية جحيم . إن هذا لهو حق اليقين . فسبح ربك العظيم )[1].

وقال تعالى في سورة الإنسان :( إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً . إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً . إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً . عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً .يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً. ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً . إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقَّاهم نضرة وسروراً . وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا )[2] الآيات .

وكذلك ذكر في سورة المطففين فقال :( كلا إن كتاب

(١) سورة الواقعة ، الآيات ٨٣ ـ ٩٦ (٢) سورة الدهر ، الآيات : ٣ ـ ١٢

الفجار لفي سجين وما أدراك ماسجين . كتاب مرقوم ويل يومئذ المكذبين الذين يكذبون بيوم الدين . ومايكذب به إلا كل معتد أثيم . إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم إنهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون . كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين . وما أدراك ماعليون . كتاب مرقوم يشهده المقرَّبون . إن الأبرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسنيم . عيناً يشرب بها المقرَّبون )(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف، قالوا : يمزج لأصحاب اليمين مزجا ، ويشرب بها المقرَّبون صرفا ، وهو كما قالوا : فإنه تعالى قال : ( يشرب بها ) ، ولم يقل يشرب منها ، لأنه ضمن قوله : يشرب معنى يروى ، فان الشارب قد يشرب ولا يروى ، فاذا قيل : يشربون منها، لم يدل على الري ، فاذا قيل : يشربون بها ، كان المعنى يروون بها ، فالمقرَّبون ، يروون بها فلا يحتاجون معها إلى ما دونها ، فلهذا يشربون منها صرفا ، بخلاف أصحاب اليمين فإنها مزجت لهم مزجا ،

(١) سورة المطففين ، الآيات : ١٨ ـ ٢٨ ،

وهو كما قال تعالى في سورة الانسان : ( كان مزاجها كافوراً . عيناً يشرب بها عباد الله يفجِّرونها تفجيراً )[1].

فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة ، وهذا لأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر ، كما قال النبي ﷺ: « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه » . رواه مسلم في « صحيحه » . وقال ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[2] قال الترمذي: حديث صحيح .

وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في « السنن » يقول الله

(١) سورة الدهر ، الآيتان : ٥ ، ٦ .

(٢) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

تعالى : أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته »[1] ، وقال : « ومن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله »[2] ، ومثل هذا كثير .

وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون ، وأصحاب يمين ، كما تقدم ، وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء فقال : « يقول الله تعالى : « من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة . وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها »[3] .

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض ، يفعلون ماأوجب الله عليهم ، ويتركون ماحرم الله عليهم ، ولا يكلفون أنفسهم

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف ، وقال : حسن صحيح . قال الحافظ المنذري : وفي تصحيح الترمذي له نظر ، فان أبا سلمة ابن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئاً .

(٢) رواه البخاري ومسلم بلفظ : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله » .

(٣) رواه البخاري في « صحيحه » وليس فيه لفظ المبارزة ، وإنما هو من رواية الطبراني عن أبي أمامة . وقد تقدم .

بالمندوبات ، ولا الكف عن فضول المباحات .

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات، والمكروهات ، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حباً تاماً ، كما قال تعالى : « ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه »(١)، يعني الحب المطلق كقوله تعالى : ( اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين )(٢) أي أنعم عليهم الانعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى : ( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً )(٣) .

فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله عز وجل ، فكانت أعمالهم كلها عبادات لله ، فشربوا صرفاً ، كما عملوا له صرفاً . والمقتصدون كان في أعمالهم مافعلوه لنفوسهم ، فلا يعاقبون عليه، ولا يثابون عليه ، فلم يشربوا صرفاً ، بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب مامزجوه في الدنيا .

ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبد رسول ، ونبي

(١) حديث قدسي رواه البخاري في « صحيحه » عن أبي هريرة .
(٢) سورة الفاتحة ، الآيتان : ٦ ، ٧ (٣) سورة النساء ، الآية : ٦٩

ملك، وقد خير الله سبحانه محمداً ﷺ، بين أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون نبياً ملكاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً، فالنبي الملك، مثل داود وسليمان ونحوهما عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى في قصة سليمان الذي قال: (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب. فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب. والشياطين كل بناء وغواص. وآخرين مقرنين في الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب)[1]. أي: أعط من شئت، وأحرم من شئت، لا حساب عليك، فالنبي الملك، يفعل مافرض الله عليه، ويترك ماحرم الله عليه، ويتصرف في الولاية والمال بما يحبه ويختار، من غير إثم عليه.

وأما العبد الرسول، فلا يعطي أحداً إلا بأمر ربه، ولا يعطي من يشاء، ويحرم من يشاء، بل يعطي من أمره ربه باعطائه، ويولي من أمره ربه بتوليته، فأعماله كلها عبادات لله تعالى، كما في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إني والله لا أعطي أحداً، ولا أمنع أحداً، إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت»[2] ولهذا يضيف الله الأموال الشرعية إلى الله والرسول، كقوله تعالى: (قل الأنفال

---

(١) سورة ص، الآيات: ٣٥ ـ ٣٩

(٢) رواه البخاري بلفظ: «ما أعطيكم ولا أمنعكم، أنا قاسم، أضع حيث أمرت».

لله والرسول )[١] وقوله تعالى : ( ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله والرسول )[٢] وقوله تعالى : ( واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه والرسول )[٣] .

ولهذا كان أظهر أقوال العلماء ، أن هذه الأموال تصرف فيما يحبه الله ورسوله بحسب اجتهاد ولي الأمر، كما هو مذهب مالك وغيره من السلف ، ويذكر هذا رواية عن أحمد ، وقد قيل في الخمس : إنه يقسم على خمسة ، كقول الشافعي ، وأحمد في المعروف عنه ، وقيل: على ثلاثة ، كقول أبي حنيفة رحمه الله.

والمقصود هنا ، أن العبد الرسول ، هو أفضل من النبي الملك ، كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام ، أفضل من يوسف ، وداود ، وسليمان عليهم السلام ، كما أن المقربين السابقين، أفضل من الأبرار أصحاب اليمين ، الذين ليسوا مقربين سابقين ، فمن أدى ماأوجب الله عليه ، وفعل من المباحات مايحبه ، فهو من هؤلاء ، ومن كان إنما يفعل مايحبه الله ويرضاه ، ويقصد أن يستعين بما أبيح له على ما أمره الله ، فهو من أولئك.

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ١ (٢) سورة الحشر ، الآية : ٧

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٤١ .

# فصل

وقد ذكر الله تعالى أولياءه المقتصدين والسابقين في سورة (فاطر)، في قوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير. جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير. وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور. الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب)[1] لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية، هم أمة محمد ﷺ خاصة، كما قال تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير)[1].

وأمة محمد ﷺ، هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة، وليس ذلك مختصاً بحفاظ القرآن، بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء، وقسمهم إلى ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق، بخلاف الآيات التي في (الواقعة)[2] و(المطففين) و(الانفطار) فإنه دخل فيها جميع الأمم

(١) سورة فاطر، الآيات: ٣٢ - ٣٥

(٢) والآيات في سورة الواقعة: (وكنتم أزواجاً ثلاثة. فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة. والسابقون السابقون). =

المتقدمة، كافرهم ومؤمنهم، وهذا التقسيم لأمة محمد ﷺ، فالظالم لنفسه: أصحاب الذنوب المصرّون عليها. والمقتصد: المؤدي للفرائض، المجتنب للمحارم. والسابق للخيرات: هو المؤدي للفرائض والنوافل، كما في تلك الآيات. ومن تاب من ذنبه، أي ذنب كان، توبة صحيحة، لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين، كما في قوله تعالى: ( وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ).

وقوله: ( جنات عدن يدخلونها )[2] مما يستدل به أهل السنة،

= والآيات في سورة الانفطار: ( إن الأبرار لفي نعيم. وإن الفجار لفي جحيم ). وفي سورة المطففين: ( يوم يقوم الناس لرب العالمين. كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ) إلى قوله تعالى: ( كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ).

(١) في سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٦.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٣.

على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد .

وأما دخول كثير من أهل الكبائر النار ، فهذا مما تواترت به السنن عن النبي ﷺ ، كما تواترت بخروجهم من النار ، وشفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر ، وإخراج من يخرج من النار بشفاعة نبينا ﷺ ، وشفاعة غيره ؛ فمن قال : إن أهل الكبائر مخلدون في النار ، وتأول الآية على أن السابقين ، هم الذين يدخلونها ، وأن المقتصد أو الظالم لنفسه لا يدخلها ، كما تأوله [ من تأوله ] من المعتزلة ، فهو مقابل بتأويل المرجئة ، الذين لا يقطعون بدخول أحد من أهل الكبائر النار، ويزعمون أن أهل الكبائر قد يدخل جميعهم الجنة من غير عذاب ، وكلاهما مخالف للسنة المتواترة عن النبي ﷺ ، ولإجماع سلف الأمة وأئمتها .

وقد دل على فساد قول الطائفتين قول الله تعالى في آيتين من كتابه ، وهو قوله تعالى : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )(١) فأخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك ، وأخبر أنه يغفر مادونه لمن يشاء ، ولا يجوز أن يراد بذلك التائب ، كما يقوله من يقوله من المعتزلة ، لأن الشرك يغفره الله لمن تاب، وما دون الشرك ، يغفره الله أيضاً للتائب ، فلا تعلق بالمشيئة ، ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين ؛

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٨

قال تعالى : ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم )[١] ، فهنا عمم المغفرة وأطلقها ، فإن الله يغفر للعبد أي ذنب تاب منه ، فمن تاب من الشرك غفر الله له ، ومن تاب من الكبائر غفر الله له ، وأي ذنب تاب العبد منه غفر الله له .

في آية التوبة[٢]؛ عمم وأطلق، وفي تلك الآية[٢] خصص وعلق، فخص الشرك بأنه لا يغفره ،وعلق ما سواه على المشيئة ، ومن الشرك التعطيل للحالتين ، وهذا يدل على فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب ، ونبه بالشرك على ما هو أعظم منه ، كتعطيل الخالق ، أو يجوّز أن لا يعذب بذنب، فانه لو كان كذلك، لما ذكر أنه يغفر للبعض دون البعض ،ولو كان كل ظالم لنفسه مغفوراً له ، بلا توبة ولا حسنات ماحية ، لم يعلق ذلك بالمشيئة .

وقوله تعالى : ( ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )[٣] دليل على أنه يغفر للبعض دون البعض ، فبطل النفي والعفو العام .

(١) سورة الزمر ، الآية : ٥٣ .
(٢) المراد آية التوبة الواردة في سورة الزمر : ( قل يا عبادي الذين أسرفوا الخ .. ) وقوله في تلك الآية إشارة إلى قوله تعالى : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به الخ . )
(٣) سورة النساء ، الآية : ٤٨

# فصل

وإذا كان أولياء الله عز وجل، هم المؤمنين المتقين، والناس يتفاضلون في الايمان والتقوى، فهم متفاضلون في ولاية الله بحسب ذلك، كما أنهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والنفاق، كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك.

وأصل الايمان والتقوى: الايمان برسل الله، وجماع ذلك: الايمان بخاتم الرسل محمد ﷺ؛ فالايمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله. وأصل الكفر والنفاق، هو الكفر بالرسل، وبما جاؤوا به، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة، فان الله تعالى أخبر في كتابه، أنه لا يعذب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة. قال الله تعالى: ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً )[1] وقال تعالى: ( إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً. ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله

(١) سورة الاسراء، الآية: ١٥

حجة بعد الرسل )[١] وقال تعالى عن أهل النار : ( كلما أُلقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير )[٢] فأخبر أنه كلما أُلقي في النار فوج أقروا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه ، فدل ذلك على أنه لا يلقى فيها فوج إلا من كذب النذير. وقال تعالى في خطابه لابليس: (لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين )[٣] فأخبر أنه يملؤها بإبليس ومن اتبعه ، فإذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم . فعلم أنه لا يدخل النار إلا من تبع الشيطان ، وهذا يدل على أنه لا يدخلها من لا ذنب له ، فإنه ممن لم يتبع الشيطان ولم يكن مذنباً ، وماتقدم يدل على أنه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسل .

## فصل

ومن الناس من يؤمن بالرسل إيماناً [ عاماً ] مجملاً ، وأما الايمان المفصل ، فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل ولم يبلغه بعض ذلك، فيؤمن بما بلغه عن الرسل ، ومالم يبلغه لم يعرفه ، ولو بلغه لآمن به ، ولكن آمن بما جاءت به الرسل إيماناً مجملاً ، فهذا إذا عمل بما علم أن الله

---

(١) سورة النساء ، الآيات : ١٦٣ ـ ١٦٥

(٢) سورة الملك ، الآيتان : ٨ ، ٩ (٣) سورة ص ، الآية : ٨٥

أمره به مع ايمانه وتقواه ، فهو من أولياء الله تعالى ، له من ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه . ومالم تقم عليه الحجة به ، فإن الله تعالى لم يكلفه معرفته ، والايمان المفصل به ، فلا يعذبه على تركه ، لكن يفوته من كمال ولاية الله بحسب مافاته من ذلك ، فمن علم بما جاء به الرسول ، وآمن به إيماناً مفصلاً ، وعمل به ، فهو أكمل إيماناً وولاية لله ممن لم يعلم ذلك مفصلاً ، ولم يعمل به ، وكلاهما ولي لله تعالى . والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً ، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم . قال الله تبارك وتعالى: ( من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلناله جهنم يصلاها مذموماًمدحوراً. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً . كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً. انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا )[1] .

فبين الله سبحانه وتعالي ، أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه ، وأن عطاءه ما كان محظوراً من برّ ولا فاجر ، ثم قال تعالي : ( انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا )[2] ؛ فبين الله سبحانه ، أن أهل الآخرة

(١) سورة الاسراء ، الآيات : ١٨ ـ ٢١ (٢) سورة الاسراء ، الآية : ٢١

يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا ، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا ، وقد بين تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين ،فقال تعالى: ( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم اللهُ ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس )[1] وقال تعالى : ( ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً )[2] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ماينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجِز ، وإن أصابك شيء ، فلاتقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ؛ ولكن قل : قدر الله وماشاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة ، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . وقد قال الله تعالى: ( لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى )[3] وقال تعالى : ( لايستوي القاعدون

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٣

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٥٥ (٣) سورة الحديد ، الآية : ١٠

من المؤمنين غير أولي الضر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً)(١) وقال تعالى: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجه عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم)(٢) وقال تعالى: (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب)(٣)؛ وقال تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)(٤).

(١) سورة النساء، الآيتان: ٩٥، ٩٦.

(٢) سورة التوبة، الآيات: ١٩ ـ ٢٢ (٣) سورة الزمر، الآية: ٩

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١١

# فصل

وإذا كان العبد لا يكون ولياً لله إلا إذا كان مؤمناً تقياً ، لقوله تعالى : ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون )(١) .

وفي « صحيح البخاري » الحديث المشهور ، وقد تقدم يقول الله تبارك وتعالى فيه : « ولا يزال عبدي يتقرّب إلي بالنوافل حتى أحبه» ولا يكون مؤمناً تقياً حتى يتقرب إلى الله بالفرائض ، فيكون من الأبرار أهل اليمين ، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل، حتى يكون من السابقين المقربين ؛ فمعلوم أن أحداً من الكفار والمنافقين لا يكون ولياً لله ، وكذلك من لا يصح إيمانه وعباداته وإن قدر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار ، ومن لم تبلغه الدعوة ، وإن قيل : إنهم لا يعذبون حتى يرسل اليهم ، فلا يكونون من أولياء الله ، إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين ، فمن [لم] يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات ، لم يكن من أولياء الله ؛ وكذلك المجانين والأطفال ، فان النبي ﷺ قال : « يرفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي

(١) سورة يونس ، الآيتان : ٦٢ ، ٦٣

حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ »[1].

وهذا الحديث قد رواه أهل « السنن » من حديث علي وعائشة رضي الله عنهما، واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول، لكن الصبي المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جمهور العلماء، وأما المجنون الذي رفع عنه القلم؛ فلا يصح شيء من عباداته باتفاق العلماء، ولا يصح منه إيمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات، بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمور الدنيا كالتجارة والصناعة، فلا يصلح أن يكون بزّازاً ولا عطاراً ولا حداداً ولا نجاراً، ولا تصح عقوده باتفاق العلماء، فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا إقراره ولا شهادته، ولا غير ذلك من أقواله، بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي، ولا ثواب ولا عقاب، بخلاف الصبي المميز فإن له أقوالاً معتبرة في مواضع بالنص والإجماع، وفي مواضع فيها نزاع.

وإذا كان المجنون لا يصح منه الايمان ولا التقوى، ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، وامتنع أن يكون ولياً لله، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله، لا سيما أن تكون حجته على ذلك، إما مكاشفة سمعها منه، أو نوع من تصرف، مثل أن يراه قد أشار إلى واحد، فمات

(١) رواه أحمد في « المسند »، وأبو داود والحاكم. وقال الحافظ ابن حجر بعد ما أورد له طرق عديدة بألفاظ متقاربة، هذه طرق يقوي بعضها بعضاً. وصححه أحمد شاكر في « المسند ».

أو صرع ، فانه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب ، لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية ، كالكهان والسحرة وعبّاد المشركين ، وأهل الكتاب ، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله ، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله ، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله ، مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطناً وظاهراً ، بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة ، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقاً إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو يقول : إن الأنبياء ضيقوا الطريق ، أو هم قدوة على العامة ، دون الخاصة ، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية ، فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الايمان ، فضلاً عن ولاية الله عز وجل ، فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم ، كان أضل من اليهود والنصارى .

وكذلك المجنون ، فان كونه مجنوناً ، يناقض أن يصح منه الايمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله ، ومن كان يجن أحياناً ويفيق أحياناً ، إذا كان في حال إفاقته مؤمناً بالله ورسوله ، ويؤدي الفرائض ، ويجتنب المحارم ، فهذا إذا جن ، لم يكن جنونه مانعاً من أن يثيبه الله على إيمانه وتقواه الذي أتى به في حال إفاقته ، ويكون له من ولاية الله بحسب ذلك ، وكذلك من طرأ عليه الجنون بعد إيمانه

وتقواه ، فان الله يثيبه ويأجره على ماتقدم من إيمانه وتقواه ،ولا يحبطه بالجنون الذي ابتلي به من غير ذنب فعله ، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه .

فعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ،ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك ، لم يكن لأحد أن يقول : هذا ولي لله ، فان هذا ان لم يكن مجنوناً ، بل كان متولهاً من غير جنون ، أو كان يغيب عقله بالجنون تارة ،ويفيق أخرى ، وهو لا يقوم بالفرائض، بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ ، فهو كافر . وإن كان مجنوناً باطناً وظاهراً قد ارتفع عنه القلم ، فهذا وإن لم يكن معاقباً عقوبة الكافرين ، فليس هو مستحقاً لما يستحقه أهل الايمان والتقوى من كرامة الله عز وجل ، فلا يجوز على التقديرين أن يعتقد فيه أحد أنه ولي لله ، ولكن إن كان له حالة في إفاقته ، كان فيها مؤمناً بالله متقياً؛ كان له من ولاية الله بحسب ذلك ، وإن كان له حال إفاقته فيه كفر أو نفاق ، أو كان كافراً أو منافقاً ، ثم طرأ عليه الجنون ، فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقب عليه ،وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال إفاقته من كفر أو نفاق .

# فصل

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات ، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظفره ، إذا كان مباحا ، كما قيل : كم من صديق في قباء ، وكم من زنديق في عباء . بل يوجد في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور ، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم ، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف ، ويوجدون في التجّار والصنّاع والزرّاع .

وقد ذكر الله أصناف أمة محمد ﷺ في قوله تعالى : ( إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه )(١).

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم : ( القرّاء ) فيدخل فيهم العلماء والنسّاك ، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء .

(١) سورة المزمل ، الآية : ٢٠

واسم الصوفية : هو نسبة إلى لباس الصوف ، هذا هو الصحيح

وقد قيل : إنه نسبة إلى صفوة الفقهاء . وقيل : إلى صوفة [ بن مر] بن أد بن طابخة ، قبيلة من العرب ، كانوا يعرفون بالنسك ، وقيل: إلى أهل الصفّة . وقيل : إلى [ أهل ] الصفاء وقيل : إلى الصفوة . وقيل : إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى ؛ وهذه أقوال ضعيفة ، فإنه لو كان كذلك لقيل : صفي ، أو صفائي ، أو صفوي أو صفي(١) ، ولم يقل : صوفي ، وصار اسم الفقراء ، يعنى به أهل السلوك ، وهـذا عرف حادث ؛ وقد تنازع النـاس : أيهما أفضل ، مسمى الصوفي ، أو مسمى الفقير ؟ ويتنازعون أيضاً أيهما أفضل ، الغني الشاكر ، أو الفقير الصابر ؟

وهذه المسألة فيها نزاع قديم ، بين الجنيد وبين أبي العباس بن عطاء ، وقد روي عن أحمد بن حنبل فيها روايتان ، والصواب في هذا كله ما قاله الله تبارك وتعالى ، حيث قال : ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند

(١) صفي بضم الصاد وتشديد الفاء ، نسبة إلى أهل الصفة ، وصفائي نسبة إلى أهل الصفاء ، وصفوي بفتح الصاد وسكون الفاء ، نسبة إلى صفوة ، وصفي بفتح الصاد وتشديد الفاء نسبة إلى الصف المقدم .

الله أتقاكم)[١].

وفي « الصحيح » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه سئل : أي الناس أفضل ؟ قال : « أتقاهم » قيل له : ليس عن هذا نسألك ، فقال : « يوسف نبي الله ، ابن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق نبي الله ، ابن إبراهيم خليل الله » . فقيل له : ليس عن هذا نسألك . فقال : « عن معادن العرب تسألوني ؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ، إذا فقهوا »[٢].

فدل الكتاب والسنة أن أكرم الناس عند الله أتقاهم.

وفي « السنن » عن النبي ﷺ أنه قال : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ،ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب »[٣].

وعنه أيضاً ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى أذهب عنكم عُبِيَّةَ[٤] الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، الناس رجلان: مؤمن تقي، وفاجر شقي[٥].

فمن كان من هذه الأصناف أتقى لله ، فهو أكرم عند الله ، وإذا استويا في التقوى ، استويا في الدرجة .

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ (٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه أحمد في « المسند » عن أبي نضرة ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . (٤) العبية : الكبر .
(٥) حديث صحيح ، رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حسن صحيح .

ولفظ الفقر في الشرع، يراد به الفقر من المال، ويراد به فقر المخلوق إلى خالقه، كما قال تعالى: ( إنما الصدقات للفقراء والمساكين)[١] وقال تعالى: ( يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله )[٢] وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين من الفقراء: أهل الصدقات، وأهل الفيء.

فقال في الصنف الأول: ( للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً )[٣].

وقال في الصنف الثاني، وهم أفضل الصنفين: ( للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون )[٤].

وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السيئات، وجاهدوا أعداء الله باطناً وظاهراً، كما قال النبي ﷺ: « المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم »[٥] و« المسلم من سلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »[٦] « والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله »[٧].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠ (٢) سورة فاطر، الآية: ١٥

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣ (٤) سورة الحشر، الآية: ٨

(٥) رواه أحمد، والترمذي وقال: حسن. ورواه ابن ماجه، ورجاله ثقات.

(٦) رواه البخاري ومسلم. (٧) رواه الترمذي، وأحمد، والطبراني، قال العلائي: حديث حسن.

وأما الحديث الذي يرويه بعضهم، أنه قال في غزوة تبوك: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فلا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله[1]، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال، بل هو أفضل ما تطوع به الانسان. قال الله تعالى: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً)[2]: وقال تعالى: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم)[3].

وثبت في «صحيح مسلم» وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: كنت عند النبي ﷺ، فقال رجل: ما أبالي ألا أعمل عملاً

(١) قال الحافظ العراقي، رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر. وقال الحافظ ابن حجر: هو من كلام إبراهيم بن عيلة.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٥ (٣) سورة التوبة، الآيات: ١٩ - ٢٢

بعد الاسلام إلا أن أسقي الحاج ، وقال آخر : ما أبالي أن أعمل عملاً بعد الاسلام ، إلا أن أعمر المسجد الحرام ، وقال علي بن أبي طالب : الجهاد في سبيل الله أفضل مما ذكرتما ، فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ ولكن إذا قضيت الصلاة سألته ، فسأله فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت: يارسول الله أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله» . قال : حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني .

وفي « الصحيحين » عنه ﷺ أنه سئل أي الأعمال أفضل ؟ قال : « إيمان بالله ، وجهاد في سبيله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » .

وفي « الصحيحين » أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ! أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله ، قال : « لا تستطيعه ، أو لا تطيقه » قال : فأخبرني به ، قال : « هل تستطيع إذا خرجت مجاهداً أن تصوم ولا تفطر ، وتقوم ولا تفتر؟ »

وفي «السنن» عن معاذ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه وصاه لما بعثه إلى اليمن، فقال: «يامعاذ اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»(١) وقال: «يامعاذ إني لأحبك، فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك»(٢)، وقال له وهو رديفه: «يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقه عليهم أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً. أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقهم عليه ألاَّ يعذبهم»(٣).

وقال أيضاً لمعاذ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» وقال: «يامعاذ ألا أخبرك بأبواب البر؟ الصوم جُنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وقيام الرجل في جوف الليل» ثم قرأ: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون. فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون)(٤) ثم قال: «يامعاذ ألا أخبرك بما هو أملك لك من ذلك؟» فقال: «امسك عليك لسانك هذا، فأخذ بلسانه، قال:

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث. وهو كما قال.

(٢) رواه أبو داود، والنسائي، وسنده صحيح.

(٣) رواه الشيخان.

(٤) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « ثكلتك أمك يامعاذ، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »[1].

وتفسير هذا ماثبت في «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه ، والصمت عن الشر خير من التكلم به ، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها ، وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء ، فذلك من البدع المذمومة أيضاً ، كما ثبت في «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ رأى رجلاً قائماً في الشمس ، فقال : ماهذا؟ فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ، ولا يستظل، ولا يتكلم،ويصوم ، فقال النبي ﷺ: « مروه فليجلس ، وليستظل ، وليتكلم ، وليتم صومه » .

وثبت في « الصحيحين » عن أنس أن رجالا سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ ، فكأنهم تقالُّوها ،فقالوا: وأينا مثل رسول الله ﷺ ؟ ثم قال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الآخر : أما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال الآخر : أما أنا فلا آكل اللحم[2]، وقال الآخر : أما

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وقد تكلم عليه الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » ، فليراجع . (٢) جملة : « لا آكل اللحم » هي من رواية مسلم ، وليست في البخاري .

أنا فلا أتزوج النساء، فقال رسول الله ﷺ: «مابال رجال يقول أحدهم: كذا وكذا، ولكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»؛ أي سلك غيرها ظاناً أن غيرها خير منها، فمن كان كذلك فهو بريء من الله ورسوله، قال تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)(١) بل يجب على كل مسلم أن يعتقد أن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ؛ كما ثبت عنه في «الصحيح»(٢) أنه كان يخطب بذلك كل يوم جمعة.

## فصل

وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطىء، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى، وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته، ولا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٠

(٢) أي «صحيح مسلم». ولفظه: «أما بعد، فان خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد» ﷺ.

يعرف أنها من الشيطان ، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى ، فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، فقال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين )[١] .

وقد ثبت في « الصحيح »[٢] أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء وقال : « قد فعلت » .

ففي « صحيح مسلم » عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما نزلت هذه الآية (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير )[٣] . قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه ، فقال النبي ﷺ : « قولوا سمعنا وأطعنا وسلّمنا » قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٢٨٥ ، ٢٨٦ (٢) أي « صحيح مسلم » .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٤

الله تعالى : ( لا يكلف الله نفساً إلا وسعها )[١] إلى قوله (أو أخطأنا)[١] قال الله : «قد فعلت» ( ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا )[١] قال : « قد فعلت » ( ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين )[٢] قال : «قد فعلت» وقد قال تعالى : (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمّدت قلوبكم )[٣].

وثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً ، أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر » . فلم يؤثّم المجتهد المخطئ ، بل جعل له أجراً على اجتهاده ، وجعل خطأه مغفوراً له، ولكن المجتهد المصيب له أجران ، فهو أفضل منه ، ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط ، لم يجب على الناس الايمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله ، إلا أن يكون نبياً ، بل ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على مايلقى إليه في قلبه ، إلا أن يكون موافقاً ، وعلى مايقع له مما يراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً من الحق ، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ماجاء به محمد ﷺ

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ .

فإن وافقه قبله ، وإن خالفه لم يقبله ، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف، توقف فيه .

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف : طرفان ووسط ، فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنه ولي لله ، وافقه في كل مايظن أنه حدثه به قلبه عن ربه ، وسلّم إليه جميع مايفعله ؛ ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ماليس بموافق للشرع ، أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهداً مخطئاً ؛ وخيار الأمور أوساطها ، وهو أن لا يُجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً ، فلا يتبع في كل مايقوله ، ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده .

والواجب على الناس اتباع مابعث الله به رسوله، وأما إذا خالف قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين ، لم يكن لأحد أن يلزمه بقول المخالف ، ويقول : هذا خالف الشرع .

وقد ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم » . وروى الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر »(١) .

---

(١) ليس هو في الترمذي ، وإنما أخرجه ابن عدي ، وفي سنده زكريا بن يحيى الوقار . قال ابن عدي : يضع الحديث ، وللحديث شواهد كلها ضعيفة . =

وفي حديث آخر : «إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه»(١).

وفيه : «لو كان نبي بعدي لكان عمر»(٢) وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر . ثبت هذا عنه من رواية الشعبي(٣). وقال ابن عمر : ما كان عمر يقول في شيء : إني لأراه كذا ، إلا كان كما يقول . وعن قيس بن طارق قال : كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك وكان عمر يقول : اقتربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم مايقولون ، فإنه تتجلى لهم أمور صادقة .

وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنها تتجلى للمطيعين ، هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم، فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات ، وأفضل هؤلاء في هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ؛ فان خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر(٤).

= والذي في جاء في الترمذي : « لو كان نبي بعدي لكان عمر » . وهو حديث حسن . (١) رواه الترمذي بلفظ « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » وقال : حديث حسن ، وهو كما قال .

(٢) رواه الترمذي ، وهو حديث حسن .

(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » .

(٤) أخرج البخاري عن ابن عمر قال : كنا نخير الناس في زمن النبي ﷺ ؛ فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم . وأخرج البخاري وأبو داود عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي رضي الله عنه : =

وقد ثبت في « الصحيح » تعيين عمر ، بأنه محدَّث في هذه الأمة فأي محدَّث ومخاطب فرض في أمة محمد ﷺ ، فعمر أفضل منه ، ومع هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه ، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ ، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر ، كما نزل القرآن بموافقته غير مرة ، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك ، كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأى محاربة المشركين ؛ والحديث معروف في « البخاري » وغيره ، فإن النبي ﷺ قد اعتمر سنة ست من الهجرة ، ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمائة ، وهم الذين بايعوه تحت الشجرة ، وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت بينه وبينهم ، على أن يرجع في ذلك العام ، ويعتمر من العام القابل ، وشرط لهم شروطاً فيها نوع غضاضة على المسلمين في الظاهر ، فشق ذلك على كثير من المسلمين ، وكان الله ورسوله أعلم وأحكم بما في ذلك من المصلحة ، وكان عمر فيمن كره ذلك حتى قال للنبي ﷺ : يا رسول الله ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » ، قال : أفليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : « بلى » قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال له : النبي ﷺ : « إني رسول الله وهو ناصري ، ولست أعصيه » ثم قال : أفلم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به ، قال :

= يا أبت ! أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال أبو بكر : قلت : ثم من ؟ قال : عمر ، وخشيت أن أقول : ثم من ؟ فيقول : عثمان ، فقلت : ثم أنت ، قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين .

«بلى» ، قال : «أقلت لك : إنك تأتيه العام ؟» قال : لا . قال : «إنك آتيه ومطوف به» .

فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ ، ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبي ﷺ ، ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي ﷺ . فكان أبو بكر رضي الله عنه أكمل موافقة لله وللنبي ﷺ من عمر ، وعمر رضي الله عنه رجع عن ذلك ، وقال : فعملت لذلك أعمالا [١] .

وكذلك لما مات النبي ﷺ ، أنكر عمر موته أولا ، فلما قال أبو بكر : إنه مات ، رجع عمر عن ذلك [٢] .

---

(١) رواه البخاري في «باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (ج ٣/٢٣٩) (٢) روى البخاري عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح . قال إسماعيل : (هو شيخ البخاري) يعني بالعالية ، فقام عمر يقول : والله مامات رسول الله ﷺ . قالت : وقال عمر : والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله فقال : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً ، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً . ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك . فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فان محمداً قد مات ؛ ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . وقال : (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) أخرجه البخاري عقب باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلا . في المناقب (٥/٦) .

وكذلك في قتال مانعي الزكاة قال عمر لأبي بكر: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألم يقل: «إلا بحقها» فان الزكاة من حقها، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ماهو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعلمت أنه الحق[1].

ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر، مع أن عمر رضي الله عنه محدّث، فان مرتبة الصدّيق فوق مرتبة المحدّث، لأن الصدّيق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله، والمحدّث يأخذ عن قلبه أشياء، وقلبه ليس بمعصوم، فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي المعصوم ﷺ.

ولهذا كان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة رضي الله عنهم، ويناظرهم ويرجع اليهم في بعض الأمور، وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة، ويقرّهم على منازعته، ولا يقول

(١) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة. وفي مسلم بلفظ: لو منعوني عقالاً، بدل: عناقاً.

لهم: أنا محدّث ملهم مخاطب فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني، فأي أحد ادعى، أو ادعى له أصحابه أنه ولي لله، وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله، ولا يعارضوه ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة، فهو وهم مخطؤون، ومثل هذا أضل الناس، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل منه، وهو أمير المؤمنين، وكان المسلمون ينازعونه ويعرضون ما يقوله، وهو وهم على الكتاب والسنة، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ.

وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم، فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، يجب لهم الايمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء، فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الايمان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً، وإن كان صاحبه من أولياء الله، وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله، له أجر على اجتهاده، ولكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً، وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع، فان الله تعالى يقول: ( فاتقوا

الله ما استطعتم )(١) .

وهذا تفسير قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته )(٢) .

قال ابن مسعود وغيره : حق تقاته : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر . أي بحسب استطاعتكم ،فان الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، كما قال تعالى : ( لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت )(٣) وقال تعالى : ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون )(٤) وقال تعالى : (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها )(٥) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الايمان بما جاءت به الأنبياء في غير موضع ، كقوله تعالى : ( قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون )(٦) وقال تعالى: ( الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين

(١) سورة التغابن ، الآية : ١٦
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦
(٤) سورة الاعراف ، الآية : ٤٢
(٥) سورة الانعام ، الآية : ١٥٢
(٦) سورة البقرة ، الآية : ١٣٦

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون )[١] وقال تعالى : ( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون )[٢] .

وهذا الذي ذكرته ، من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ، ومن خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم ، بل إما أن يكون كافراً ، وإما أن يكون مفرطاً في الجهل .

وهذا كثير في كلام المشايخ، كقول الشيخ أبي سليمان الداراني[٣]:

---

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١ ـ ٥ (٢) سورة البقرة، الآية : ١٧٧

(٣) هو عبدالرحمن بن أحمد بن عطية الداراني ، نسبة الى داريا ، قرية من دمشق ، توفي سنة ٢١٥

أنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة.

وقال أبو القاسم الجنيد[1] رحمة الله عليه: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث، لا يصلح له أن يتكلم في علمنا، أو قال: لا يقتدى به.

وقال أبو عثمان النيسابوري: من أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمّر الهوى على نفسه قولاً وفعلا، نطق بالبدعة، لأن الله تعالى يقول في كلامه القديم: (وإن تطيعوه تهتدوا)[2].

وقال أبو عمر بن نجيد: كل وَجْد لايشهد له الكتاب والسنة فهو باطل.

وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع، فيظن في شخص أنه ولي لله، ويظن أن ولي الله يُقبل منه كل مايقوله، ويسلّم اليه كل مايقوله ويسلّم إليه كل ما يفعله، وان خالف الكتاب والسنة، فيوافق ذلك الشخص له، ويخالف مابعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع

(١) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أصله من نهاوند، ومولده بالعراق. تفقه على مذهب أبي ثور، توفي سنة ٢٩٧

(٢) سورة النور، الآية: ٥٤

الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار؛ وبين السعداء والأشقياء، فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين، وجنده المفلحين، وعباده الصالحين، ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين، فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال، وآخراً إلى الكفر والنفاق، ويكون له نصيب من قوله تعالى: (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، وكان الشيطان للانسان خذولا)[1] وقوله تعالى: (يوم تقلّب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً)[2] وقوله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتّبعوا من الذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب. وقال الذين اتّبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧-٢٩

(٢) سورة الاحزاب، الآيات: ٦٦-٦٨

يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار )[١] .

وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لاإله إلا هو سبحانه عما يشركون )[٢] .

وفي « المسند » وصححه[٣] الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسيره هذه الآية ، لما سأل النبي ﷺ عنها فقال : ماعبدوهم ، فقال النبي ﷺ « أحلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال ، فأطاعوهم وكانت هذه عبادتهم إياهم » ولهذا قيل في مثل هؤلاء : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ، فإن أصل الأصول تحقيق الايمان بما جاء به الرسول ﷺ فلابد من الايمان بأن محمداً رسول الله ﷺ إلى جميع الخلق ، إنسهم وجنهم ، عربهم وعجمهم ، علمائهم وعبادهم ، ملوكهم وسوقتهم ، وأنه لاطريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعته باطناً وظاهراً حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه ، كما قال تعالى : ( وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١٦٥ ـ ١٦٧ (٢) سورة التوبة ، الآية : ٣١
(٣) الترمذي لم يصححه وإنما حسنه فقط وهو الصواب .

الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون )[١] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ، وقد قال تعالى : ( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً . فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً . أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً . وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما )[٢] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان : ٨١ ، ٨٢

(٢) سورة النساء ، الآيات : ٦٠-٦٥

وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول ، مقلداً في ذلك لمن يظن أنه ولي لله ، فانه بنى أمره على أنه ولي لله ، وأن ولي الله لا يخالف في شيء ، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله ، كأكابر الصحابة والتابعين لهم باحسان ، لم يقبل منه ماخالف الكتاب والسنة ، فكيف إذا لم يكن كذلك ؟! وتجد كثيراً من هؤلاء ؛ عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله ، أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور ، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة ، مثل أن يشير إلى شخص فيموت ، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها ، أو يمشي على الماء أحياناً ، أو يملأ أبريقاً من الهواء ، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب ، أو يختفي أحياناً عن أعين الناس ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه ، فقضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سُرق لهم ، أو بحال غائب لهم أو مريض ، أو نحو ذلك من الأمور ، وليس في شيء من هذه الأمور مايدل على أن صاحبها ولي لله ، بل قد اتفق أولياء الله ، على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ، لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه .

وكرامات أولياء الله تعالى ، أعظم من هذه الأمور ، وهذه الأمور الخارقة للعادة ، وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله ، فقد

يكون عدواً لله ، فان هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع ، وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الايمان والقرآن، وبحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة .

مثال ذلك أن الأمور المذكورة وأمثالها ، قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة ، بل يكون ملابساً للنجاسات ، معاشراً للكلاب ، يأوي إلى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل ، رائحته خبيثة ، لا يتطهر الطهارة الشرعية، ولا يتنظف. وقد قال النبي ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جنب ولا كلب[1] » وقال عن هذه الأخلية : « إن هذه الحشوش محتضرة »[2] أي يحضرها الشيطان ، وقال : « من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين ، فلا يقربن مسجدنا ، فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم »[3].

(١) أخرجه أبو داود والنسائي عن علي ، ورجاله ثقات ، إلا أن نجي ـ وهو أحد الرواة ـ لم يوثقه سوى العجلي ، والحديث في « الصحيحين » دون قوله : « ولا جنب » ، وروى أبو داود في « سننه » : « ثلاثة لا تقربهم الملائكة : جيفة الكافر ، والمتضمخ بالخلوق ، والجنب إلا أن يتوضأ » ، وهو حديث حسن لطرقه .

(٢) أخرجه أبو داود عن زيد بن أرقم ، ورجاله ثقات .

(٣) رواه مسلم بلفظ : « من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن =

وقال: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»(١) وقال: «إن الله نظيف يحب النظافة»(٢) وقال: «خمس من الفواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية والفأرة والغراب والحدأة والكلب العقور»(٣).

وفي رواية: «الحية والعقرب» وأمر صلوات الله وسلامه عليه بقتل الكلاب(٤) وقال: «من اقتنى كلباً لا يغني عنه زرعاً ولا ضرعاً، نقص من عمله كل يوم قيراط»(٥) وقال: «لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب»(٦) وقال: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله، سبع مرات إحداهن بالتراب»(٧).

وقال تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبي

= مسجدنا، فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» ورواه البخاري بلفظ: «من أكل بصلاً أو ثوماً فليعتزلنا» أو «ليعتزل مسجدنا»، ولفظة الخبيثتين وردت من قول عمر، كما في «صحيح مسلم».

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة. (٢) رواه الترمذي بلفظ: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة»، وهو حسن. (٣) أخرجه مسلم بهذا اللفظ، والبخاري بلفظ: «خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور». (٤) ثبت أنه ﷺ أمر بقتل الكلاب، ثم نهى عن ذلك واستثنى من النهي الكلب العقور، والاسود البهيم. (٥) متفق عليه، عن سفيان بن أبي زهير. (٦) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وأحمد، عن أبي هريرة. (٧) رواه مسلم بلفظ: «أولاهن»، ولفظة إحداهن وردت عند الدارقطني، وإسنادها ضعيف.

الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)(١).

فاذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان، أو يأوي إلى الحمامات والحشوش، التي تحضرها الشياطين، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير، وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان، أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات، ويتوجه اليها أو يسجد إلى ناحية شيخه، ولا يخلص الدين لرب العالمين، أو يلابس الكلاب أو النيران أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة، أو يأوي إلى المقابر، ولا سيما إلى مقابر الكفار، من اليهود والنصارى، أو المشركين، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن، فهذه علامات أولياء الشيطان، لا علامات أولياء الرحمن.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فان كان يحب القرآن، فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن

(١) سورة الأعراف، الآيتان : ١٥٦، ١٥٧

فهو يبغض الله ورسوله .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل .

وقال ابن مسعود : الذكر ينبت الايمان في القلب ، كما ينبت الماء البقل ، والغناء ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت الماء البقل .

وإن كان الرجل خبيراً بحقائق الايمان الباطنة، فارقاً بين الأحوال الرحمانية ، والأحوال الشيطانية ، فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره ، كما قال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم )[1] وقال تعالى: ( وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به مانشاء من عبادنا )[2] فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . قال الترمذي حديث حسن [3].

وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره قال فيه : لايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ،

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ (٢) سورة الشورى ، الآية : ٥٢

(٣) وهو حديث حسن لغيره ، كما قال الهيثمي وغيره .

ورجله التي يمشي بها . [ فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ][1]، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ، ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، [ ولا بد له منه ][1]

فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وحال أولياء الشيطان ، كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف ، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء ، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان ، وكما أنه يجب الفرق بين النبي الصادق وبين المتنبي الكذاب ، فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين ، وموسى والمسيح وغيرهم وبين مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي ، وطليحة الأسدي ، والحارث الدمشقي ، وباباه الرومي ، وغيرهم من الكذابين ، وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين ، وأولياء الشيطان الضالين .

## فصل

والحقيقة حقيقة الدين ، دين رب العالمين : هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج ، فالشرعة : هي الشريعة

(١) ما بين المربعين ليس من رواية البخاري .

قال الله تعالى : ( لـكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً )[1] وقال تعالى : ( ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين )[2] والمنهاج : هو الطريق . قال تعالى : ( وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً )[3] .

فالشرعة بمنزله الشريعة للنهر ، والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه ، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين، وهي عبادة الله وحده لاشريك له وهي حقيقة دين الاسلام ، وهي أن يستسلم العبد لله رب العالمين لايستسلم لغيره ، فمن استسلم لغيره كان مشركا ، والله ( لا يغفر أن يشرك به )[4] ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته ، كان ممن قال الله فيه: (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)[5] .

ودين الاسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين. وقوله تعالى : ( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه )[6] عام في كل زمان ومكان .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ (٢) سورة الجاثية ، الآيتان : ١٨ ، ١٩
(٣) سورة الجن ، الآيتان : ١٦ : ١٧ (٤) سورة النساء ، الآية : ٤٨
(٥) سورة غافر ، الآية : ٦٠ (٦) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥

فنوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والحواريون، كلهم دينهم الاسلام، الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له. قال الله تعالى عن نوح: (يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم)[١] إلى قوله: (وأمرت أن أكون من المسلمين)[٢] وقال تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[٣] وقال تعالى: (وقال موسى لقومه يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)[٤].

وقال السحرة: (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين)[٥].

وقال يوسف عليه السلام: (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين)[٦].

وقالت بلقيس: (أسلمت مع سليمان لله رب العالمين)[٧] وقال تعالى: (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون

(١) سورة يونس، الآية: ٧١ (٢) سورة يونس، الآية: ٧١
(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٣٠ ـ ١٣٢
(٤) سورة يونس، الآية: ٨٤ (٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢٦
(٦) سورة يوسف، الآية: ١٠١ (٧) سورة النمل، الآية: ٤٤

والأحبار )[١] وقال الحواريون ( آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون )[٢].

فدين الأنبياء واحد، وإن تنوعت شرائعهم ، كما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ قال: « إنا معشر الأنبياء ديننا واحد » قال تعالى : ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه )[٣] ، وقال تعالى : ( يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم . وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون . فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون )[٤].

# فصل

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ، وسائر أولياء الله تعالى ، على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب، فقال تعالى: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٤ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ٥٢
(٣) سورة الشورى ، الآية : ١٣
(٤) سورة المؤمنون ، الآيات : ٥١ ـ ٥٣

والصالحين وحسن أولئك رفيقا )[١] .

وفي الحديث : « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » وأفضل الأمم أمة محمد ﷺ قال تعالى : ( كنتم خير أمة أخرجت للناس )[٢] وقال تعالى: ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا )[٣] . وقال النبي ﷺ في الحديث الذي في « المسند » : « أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله » وأفضل أمة محمد ﷺ ، القرن الأول.

وقد ثبت عن النبي ﷺ ، من غير وجه أنه قال : « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، وهذا ثابت في « الصحيحين » من غير وجه .

وفي « الصحيحين » أيضاً عنه ﷺ أنه قال : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده ، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ، مابلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه» .

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، أفضل من سائر الصحابة .

---

(١) سورة النساء ، الآية :٦٩

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠ (٣) سورة فاطر ، الآية : ٣٢

قال تعالى : ( لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى )[١] وقال تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه )[٢] والسابقون الأولون : الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، والمراد بالفتح : صلح الحديبية فانه كان أول فتح مكة ، وفيه أنزل الله تعالى : ( إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر )[٣] فقالوا : يارسول الله أوَ فتح هو ؟ قال : « نعم » .

وأفضل السابقين الأولين ، الخلفاء الأربعة ، وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الأمة وجماهيرها ، وقد دلت على ذلك دلائل ، بسطناها في «منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية » .

وبالجملة اتفقت طوائف السنة والشيعة ، على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء ، ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة . وأفضل أولياء الله تعالى ، أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٠ (٢) سورة التوبة ، الآية : ١٠٠
(٣) سورة الفتح ، الآيتان : ١ ، ٢

واتباعاً له، كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه، وأبو بكر الصدّيق أكمل معرفة بما جاء به وعملاً به، فهو أفضل أولياء الله، إذ كانت أمة محمد ﷺ أفضل الأمم، وأفضلها أصحاب محمد ﷺ وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه.

وقد ظن طائفة غالطة، أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء، قياساً على خاتم الأنبياء، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء، إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي، فانه صنف مصنفاً غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء، ومنهم من يدّعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته، كما زعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب «الفتوحات المكية» وكتاب «الفصوص»، فخالف الشرع والعقل، مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه، كما يقال لمن قال: فخرّ عليهم السقف من تحتهم: لا عقل ولا قرآن.

وذلك أن الانبياء أفضل في الزمان من أولياء هذه الأمة، والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، أفضل من الأولياء، فكيف الأنبياء كلهم؟! والأولياء إنما يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدهم، ويدّعي أنه خاتم الأولياء، وليس آخر الأولياء أفضلهم، كما أن آخر الأنبياء أفضلهم، فان فضل محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك،

كقوله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وقوله : « آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت ، أن لا أفتح لأحد قبلك » .

وليلة المعراج ، رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم ، فكان أحقهم بقوله تعالى : ( تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات )[1] إلى غير ذلك من الدلائل ، كل منهم يأتيه الوحي من الله ، لاسيما محمد ﷺ ، لم يكن في نبوّته محتاجاً إلى غيره ، فلم تحتج شريعته إلى سابق ، ولا إلى لاحق ، بخلاف المسيح ، أحالهم في أكثر الشريعة على التوراة ، وجاء المسيح فكملها ، ولهذا كان النصارى محتاجين إلى النبوات المتقدمة على المسيح ، كالتوراة والزبور ، وتمام الأربع وعشرين نبوة ، وكان الأمم قبلنا محتاجين إلى محدّثين ، بخلاف أمة محمد ﷺ ، فان الله أغناهم به ، فلم يحتاجوا معه إلى نبي ، ولا إلى محدّث ، بل جمع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرّقه في غيره من الأنبياء ، فكان مافضله الله به عما أنزله إليه ، وأرسله إليه ، لا بتوسط بشر .

وهذا بخلاف الأولياء ، فان كل من بلغه رسالة محمد ﷺ ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٣

لا يكون ولياً لله إلا باتباع محمد ﷺ ، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق ، هو بتوسط محمد ﷺ ، وكذلك من بلغه رسالة رسول اليه ، لا يكون ولياً لله إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل اليه .

ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ ، من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد ، فهذا كافر ملحد ، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر ، دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة ، دون علم الحقيقة ، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا : إن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب ، فان أولئك آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، فكانوا كفاراً بذلك ، وكذلك هذا الذي يقول : إن محمداً بعث بعلم الظاهر ، دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به ، وكفر ببعض ، فهو كافر ، وهو أكفر من أولئك ، لأن علم الباطن ، الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها ، هو علم بحقائق الايمان الباطنة ، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الاسلام الظاهرة.

فاذا ادعى المدّعي ، ان محمداً ﷺ ، إنما علم هذه الأمور الظاهرة ، دون حقائق الايمان ، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة ، فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول ، دون البعض الآخر ، وهذا شر ممن يقول : أومن ببعض ، وأكفر ببعض ، ولا يدّعي أن هذا البعض الذي آمن به ، أدنى القسمين .

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولاية أفضل من النبوة ، ويلبِّسون على الناس ، فيقولون : ولايته أفضل من نبوّته ، وينشدون :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون : نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته ، وهذا من أعظم ضلالهم ، فان ولاية محمد لم يماثله فيها أحد ، لا إبراهيم ولا موسى ، فضلاً عن أن يماثله فيها هؤلاء الملحدون .

وكل رسول نبي ولي ، فالرسول نبي ولي ، ورسالته متضمنة لنبوّته ، ونبوّته متضمنة لولايته ، وإذا قدروا مجرد إنباء الله إياه بدون ولايته لله ، فهذا تقدير ممتنع ، فانه حال إنبائه إياه ، ممتنع أن يكون إلا ولياً لله ، ولا تكون مجردة عن ولايته ، ولو قدرت مجردة ، لم يكن أحد مماثلا للرسول في ولايته .

وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب « الفصوص » ابن عربي : إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول ، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة المتفلسفة ، ثم أخرجوها في قالب المكاشفة ، وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا : إن الافلاك قديمة أزلية ، لها علة تتشبه بها ، كما يقوله أرسطو وأتباعه : أو لها موجب بذاته ، كما يقوله متأخروهم ، كابن سينا ، وأمثاله ، ولا يقولون : إنها لرب خلق

السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته ، ولا يعلم الجزئيات ، بل إما أن ينكروا علمه مطلقاً ، كقول أرسطو ، أو يقولوا : إنما يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها ، كما يقول ابن سينا ، وحقيقة هذا القول إنكار علمه بها ، فان كل موجود في الخارج فهو معين جزئي الأفلاك ، كل معين منها جزئي ، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها ؛ فمن لم يعلم إلا الكليات ، لم يعلم شيئاً من الموجودات ، والكليات إنما توجد كليات في الأذهان ، لا في الأعيان .

والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر ، في رد تعارض العقل والنقل وغيره ، فان كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصاى ، بل ومشركي العرب ، فان جميع هؤلاء يقولون: إن الله خلق السماوات والأرض ، وإنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته .

وأرسطو ونحوه من المتفلسفة واليونان ، كانوا يعبدون الكواكب والأصنام ، وهم يعرفون الملائكة والأنبياء ، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء من ذلك ، وإنما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية .

وأما الأمور الإلهية ، فكل منهم فيها قليل الصواب ، كثير الخطأ ، واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالهيئات منهم

بكثير، ولكن متأخروهم كابن سينا [وغيره] أرادوا أن يلفقوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل، فأخذوا أشياء من أصول الجهمية والمعتزلة، وركبوا مذهباً قد يعتزى اليه متفلسفة أهل الملل، وفيه من الفساد والتناقض ما قد نبهنا على بعضه في غير هذا الموضع.

وهؤلاء لما رأوا أمر الرسل، كموسى وعيسى ومحمد ﷺ قد بهر العالم، واعترفوا بالناموس الذي بعث به محمد ﷺ، أعظم ناموس طرق العالم، ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن، أرادوا أن يجمعوا بين ذلك، وبين أقوال سلفهم اليونان، الذين هم أبعد الخلق عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأولئك قد أثبتوا عقولاً عشرة، يسمونها: المجردات، والمفارقات.

وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن، وسموا تلك: المفارقات، لمفارقتها المادة، وتجردها عنها. وأثبتوا الأفلاك، لكل فلك نفساً، وأكثرهم جعلوها أعراضاً، وبعضهم جعلها جواهر.

وهذه المجردات التي أثبتوها، ترجع عند التحقيق إلى أمور موجودة في الأذهان، لا في الأعيان [كما أثبت أصحاب فيثاغورس أعداداً مجردة، و] كما أثبت أصحاب أفلاطون الأمثال الافلاطونية المجردة، أثبتوا هيولى مجردة عن الصورة، ومدة وخلاء مجردين، وقد

اعترف حذّاقهم، بأن ذلك إنما يتحقق في الأذهان، لا في الأعيان؛ فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم، كابن سينا، أن يثبت أمر النبوات على أصولهم الفاسدة، زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة، من اتصف بها فهو نبي:

١ — أن تكون له قوة علمية، يسمونها القوّة القدسية، ينال بها العلم بلا تعلم.

٢ — وأن يكون له قوة تخيلية، تخيل له ما يعقل في نفسه، بحيث يرى في نفسه صوراً، أو يسمع في نفسه أصواتاً، كما يراه النائم ويسمعه، ولا يكون لها وجود في الخارج، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة الله، وتلك الأصوات هي كلام الله تعالى.

٣ — وأن يكون له قوة فعّالة، يؤثر بها في هيولى العالم، وجعلوا معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، وخوارق السحرة، هي [ من ] قوى الأنفس، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم، من قلب العصا حية، دون انشقاق القمر ونحو ذلك، فانهم ينكرون وجود هذا.

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في مواضع، وبينا أن كلامهم هذا أفسد الكلام، وأن هذا الذي جعلوه من خصائص النبي تحصّل، ماهو

أعظم منه لآحاد العامة، ولأتباع الأنبياء، وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل، أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله، وهم كثيرون، كما قال تعالى: ( وما يعلم جنود ربك إلا هو )[1] وليسوا عشرة، وليسوا أعراضاً، لا سيما وهؤلاء يزعمون أن الصادر الأول هو العقل الأول، وعنه صدر كل مادونه، والعقل الفعّال العاشر، ربّ كل ماتحت فلك القمر.

وهذا كله يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل، فليس أحد من الملائكة مبدع لكل ما سوى الله. وهؤلاء يزعمون أن العقل المذكور في حديث يروى: « إن أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل، فأقبل، فقال له: أدبر، فأدبر، فقال: وعزّتي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك، فبك آخذ، وبك أعطي، ولك الثواب وعليك العقاب » ويسمونه أيضاً القلم لما روي « إن أول ما خلق الله القلم » الحديث رواه الترمذي[2].

والحديث الذي ذكروه في العقل كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي، والدارقطني، وابن الجوزي، وغيرهم. وليس في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها،

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١

(٢) وهو حديث صحيح أخرجه أحمد، والترمذي وصححه.

ومع هذا فلفظه لو كان ثابتاً حجة عليهم ، فان لفظه « أول ماخلق الله تعالى العقل » قال : ـ ويروى ـ « لما خلق الله العقل قال له ..»[1] ، فمعنى الحديث أنه خاطبه في أول أوقات خلقه، وليس معناه أنه أول المخلوقات ( وأول ) منصوب على الظرف كما في اللفظ الآخر (لما) وتمام الحديث « ماخلقت خلقاً أكرم عَلَيَّ منك » فهذا يقتضي أنه خلق قبل غيره ، ثم قال : « فبك آخذ ، وبك أُعطي ، ولك الثواب ، وعليك العقاب » فذكر أربعة أنواع من الأعراض . وعندهم أن جميع جواهر العالم العلوي والسفلي صدر عن ذلك العقل . فأين هذا من هذا ؟

وسبب غلطهم أن لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان ، فان العقل في لغة المسلمين مصدر عقل

---

(١) أخرج عبد الله ابن الامام أحمد في « زوائد المسند » قال : حدثنا علي بن مسلم ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر ، حدثنا مالك بن دينار عن الحسن يرفعه : « لما خلق الله تعالى العقل قال له : أقبل فأقبل ؛ ثم قال له : أدبر فأدبر . قال : ماخلقت خلقاً أحب إلي منك ، بك آخذ وبك أعطي » وهو مرسل وهو في « معجم الطبراني الاوسط » موصول من حديث أبي أمامة وأبي هريرة باسنادين ضعيفين ، ومما يحسن التنبيه عليه أن كل ماورد في فضل العقل من الأحاديث لايصح منها شيء ، وهي تدور بين الضعف والوضع .

وقد أخرج الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» عن داود بن المحبر بضعاً وثلاثين حديثاً في فضل العقل . قال الحافظ ابن حجر: كلها موضوعة . وقال ابن القيم في «المنار» ص (٢٥) أحاديث العقل كلها كذب .

يعقل عقلاً ، كما في القرآن ( وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير )[١] ( إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون )[٢] ( أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها )[٣] ويراد بالعقل الغريزة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها .

وأما أولئك، فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعاقل ، وليس هذا مطابقاً للغة الرسل والقرآن، وعالم الخلق عندهم كما يذكره أبو حامد عالم الأجسام: العقل والنفوس، فيسميها عالم الأمر، وقد يسمي (العقل) عالم الجبروت (والنفوس) عالم الملكوت، و(الأجسام) عالم الملك، ويظن من لم يعرف لغة الرسل ولم يعرف معنى الكتاب والسنة أن ما في الكتاب والسنة من ذكر الملك والملكوت والجبروت موافق لهذا ، وليس الأمر كذلك.

وهؤلاء يلبسون على المسلمين تلبيساً كثيراً كاطلاقهم أن الفلك محدث ، أي معلول ، مع أنه قديم عندهم ، والمحدث لا يكون إلا مسبوقاً بالعدم ، ليس في لغة العرب ولا في لغة أحد أنه يسمى القديم الأزلي:

---

(١) سورة تبارك ، الآية : ١٠ (٢) سورة الرعد ، الآية : ٤

(٣) سورة الحج ، الآية : ٤٦

محدثاً ، والله قد أخبر أنه خالق كل شيء . وكل مخلوق فهو محدث ، وكل محدث كائن بعد أن لم يكن ، لكن ناظرهم أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ماأخبر به الرسول، ولا أحكموا فيها قضايا المعقول ، فلا للاسلام نصروا، ولا للأعداء كسروا، وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة، ونازعوهم في بعض المعقولات الصحيحة ، فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبريل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي ﷺ ، والخيال تابع للعقل، فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا أنهم أولياء الله ، وأن أولياء الله أفضل من أنبياء الله ، وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة ، كابن عربي صاحب «الفتوحات» و «الفصوص» فقال : إنه يأخذ من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول ، والمعدن عنده هو العقل ، والملك هو الخيال ، والخيال تابع للعقل ، وهو بزعمه يأخذ عن الذي هو أصل الخيال ، والرسول يأخذ عن الخيال ، فلهذا صار عند نفسه فوق النبي ، ولو كان خاصة النبي ماذكروه ، ولم يكن هو من جنسه ، فضلاً عن أن يكون فوقه، فكيف وماذكروه يحصل لآحاد المؤمنين؟! والنبوة أمر وراء ذلك، فإن ابن عربي وأمثاله وإن ادعوا أنهم من

الصوفية، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل العلم، فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة، كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وأمثالهم رضوان الله عليهم أجمعين، والله سبحانه وتعالى قد وصف الملائكة في كتابه بصفات تباين قول هؤلاء، كقوله تعالى: ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون . لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون. ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين )[١] وقال تعالى: ( وكم من ملك في السماوات لاتغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى )[٢] وقال تعالى: ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له )[٣] وقال تعالى: ( وله من في السماوات والأرض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون . يسبحون الليل والنهار لايفترون )[٤] .

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦-٢٩ (٢) سورة النجم، الآية: ٢٦
(٣) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢، ٢٣ (٤) سورة الانبياء، الآيتان: ١٩، ٢٠

وقد أخبر أن الملائكة جاءت إبراهيم عليه السلام في صورة البشر، وأن الملك تمثل لمريم بشراً سوياً، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، وفي صورة أعرابي، ويراهم الناس كذلك.

وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ذو قوة (عند ذي العرش مكين. مطاع ثَمَّ أمين)(١) وأن محمداً ﷺ (رآه بالأفق المبين)(٢) ووصفه بأنه (شديد القوى ذو مرّة فاستوى وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى)(٣).

وقد ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها غير مرتين، يعني المرة الأولى بالأفق الأعلى، والنزلة الأخرى عند سدرة المنتهى. ووصف جبريل عليه السلام في موضع آخر بأنه الروح الأمين، وأنه روح

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٢٠، ٢١ (٢) سورة التكوير، الآية: ٢٣
(٣) سورة النجم، الآيات: ٥-١٨

القدس ، إلى غير ذلك من الصفات التي تبين أنه من أعظم مخلوقات الله تعالى الأحياء العقلاء ، وأنه جوهر قائم بنفسه ، ليس خيالاً في نفس النبي، كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة ، والمدّعون ولاية الله وأنهم أعلم من الأنبياء .

وغاية حقيقة هؤلاء إنكار أصول الإيمان ، بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وحقيقة أمرهم جحد الخالق، فانهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق ، وقالوا : الوجود واحد، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع، فان الموجودات تشترك في مسمى الوجود، كما تشترك الأناسي في مسمى الانسان، والحيوانات في مسمى الحيوان . ولكن هذا المشترك الكلي لايكون مشتركاً كلياً إلا في الذهن ، وإلا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس ، ووجود السماوات ليس هو بعينه وجود الانسان ، فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته .

وحقيقة قولهم ، قول فرعون الذي عطل الصانع ، فانه لم يكن منكراً هذا الموجود والمشهود، لكن زعم أنه موجود بنفسه، لاصانع له ، وهؤلاء وافقوه في ذلك ، لكن زعموا بأنه هو الله ، فكانوا أضل منه ، وإن كان قوله هذا هو أظهر فساداً منهم ، ولهذا جعلوا عُبَّاد

الاصنام ماعبدوا إلا الله ، وقالوا : لما كان فرعون في منصب التحكم صاحب السيف ـ وإن جاز في العرف الناموس ـ لذلك قال : أنا ربكم الأعلى ـ أي وإن كان الكل أرباباً بنسبةٍ ما ، فأنا الأعلى منكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم .

قالوا : ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله، أقروا له بذلك وقالوا : ( اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة )[1] قالوا : فصح قول فرعون : ( أنا ربكم الأعلى )[2] .

وكان فرعون عين الحق ، ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر ، فجعلوا أهل النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة ، فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر ، وبملائكته وكتبه ورسله ، مع دعواهم أنهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل ولاية الله ، وأنهم أفضل من الأنبياء وأن الأنبياء إنما يعرفون الله من مشكاتهم .

وليس هذا موضع بسط إلحاد هؤلاء ، ولكن لما كان الكلام في أولياء الله ، والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاء لولاية الله ، وهم أعظم الناس ولاية للشيطان، نبهنا على ذلك ، ولهذا عامة كلامهم ، إنما هو في الحالات

(١) سورة طه ، الآية : ٧٢ (٢) سورة النازعات ، الآية : ٢٤

الشيطانية ، ويقولون ما قاله صاحب « الفتوحات » (باب أرض الحقيقة) ويقولون : هي أرض الخيال .

فتعرف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال ، ومحل تصرف الشيطان ، فان الشيطان يخيل للانسان الأمور بخلاف ما هي .

قال تعالى : ( ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون )[1] وقال تعالى : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً )[2] إلى قوله : ( يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً )[3] وقال تعالى : ( وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين عذاب أليم )[4] وقال تعالى : ( وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم فلما تراءت

(١) سورة الزخرف ، الآيات : ٣٦ـ ٣٩ (٢) سورة النساء ، الآية : ١١٦
(٣) سورة النساء ، الآية : ١٢٠ (٤) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٢

الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب )[١].

وقد روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح : أنه رأى جبريل يزع الملائكة[٢] ، والشياطين إذا رأت ملائكة الله التي يؤيد بها عباده هربت منهم ، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته .

قال تعالى : ( إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا )[٣] وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها )[٤] وقال تعالى :( إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها )[٥] وقال تعالى : ( إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزَلين . بلى إن تصبروا

(١) سورة الانفال ، الآية : ٤٨

(٢) في « موطأ مالك » باب جامع الحج، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال : ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولاأحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما أرى يوم بدر . قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله؟ قال: «أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة» أي يصفهم للقتال. وهو حديث مرسل.

(٣) سورة الانفال ، الآية : ١٢ (٤) سورة الاحزاب ، الآية : ٩

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٤٠

وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين )(١).

وهؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم، وهي جن وشياطين، فيظنونها ملائكة؛ كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام.

وكان من أول ما ظهر من هؤلاء في الاسلام: المختار بن أبي عبيد الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومبير (٢)» وكان الكذاب: المختار بن أبي عبيد، والمبير: الحجاج بن يوسف فقيل لابن عمر وابن عباس إن المختار يزعم أنه ينزل اليه، فقالا: صدق، قال الله تعالى: ( هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين؟ تنزّل على كل أفّاك أثيم )(٣).

وقال الآخر: وقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى اليه، فقال: قال الله تعالى: ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم )(٤).

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٢٤، ١٢٥

(٢) رواه مسلم بلفظ: «أن في ثقيف كذابا ومبيرا»، والمبير: المهلك.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٢١، ٢٢٢

(٤) سورة الانعام، الآية: ١٢١

وهذه الأرواح الشيطـانية ؛ هي الروح الذي يزعم صـاحب « الفتوحات » أنه ألقى اليه ذلك الكتاب، ولهذا يذكر أنواعاً من الخلوات بطعام معين ، وشيء معين ، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالاً بالجن والشياطين ، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء ، وإنما هو من الأحوال الشيطانية ، وأعرف من هؤلاء عدداً ، ومنهم من كان يحمل في الهواء إلى مكان بعيد ويعود ، ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق ، تسرقه الشياطين وتأتيه به ، ومنهم من كانت تدله على السرقات بجعل يحصل له من الناس أو لعطاء يعطونه إذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك .

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطـانية ؛ كانوا مناقضـين للرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات المكية » و« الفصوص » وأشباه ذلك يمدح الكفار، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم، وينتقص الأنبياء، كنوح وإبراهيم وموسى وهارون، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين، كالجنيد بن محمد ، وسهل ابن عبد الله التستري وأمثالهما . ويمدح المـذمومين عند المسلـمين ، كالحلاج ونحوه ؛ كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية ، فإن الجنيد ـ قدس الله روحه ــ كان من أئمة الهدى ، فسئل عن التوحيد فقال :

التوحيد إفراد الحدوث عن القدم فبين أن التوحيد أن تميز بين القديم والمحدث، وبين الخالق والمخلوق.

وصاحب «الفصوص» أنكر هذا وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له: يا جنيد! هل يميز بين المحدث والقديم إلا من يكون غيرهما؟ فخطأ الجنيد في قوله: إفراد الحدوث عن القدم، لأن قوله هو: إن وجود المحدث هو عين وجود القديم، كما قاله في «فصوصه»: ومن أسمائه الحسنى: (العلي) على من؟ وما ثمّ إلا هو. وعن ماذا؟ وما هو إلا هو، فعلوّه لنفسه وهو عين الموجودات. فالمسمى محدثات، هي العلية لذاتها، وليست إلا هو.. إلى أن قال:

هو عين ما بطن، وهو عين ما ظهر، وما ثمّ من يراه غيره، وما ثمّ من ينطق عنه سواه، وهو المسمى أبو سعيد الخرّاز، وغير ذلك من الأسماء المحدثات.

فيقال لهذا الملحد: من شرط المميز بين الشيئين بالعلم والقول أن يكون ثالثاً غيرهما، فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره، وليس هو ثالثاً، فالعبد يعرف أنه عبد، ويميز بين نفسه خالقه، والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته، ويعلم أنه ربهم، وأنهم عباده، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطناً وظاهراً.

وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمساني منهم؛ وهو أحذقهم في اتحادهم ـ لما قرئ عليه «الفصوص» فقيل له: القرآن يخالف «فصوصكم» فقال: القرآن كله شرك، وإنما التوحيد من كلامنا. فقيل له فاذا كان الوجود واحداً، فلم كانت الزوجة حلالاً والأخت حراماً؟ فقال: الكل عندنا حلال، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم.

وهذا مع كفره العظيم متناقض ظاهراً، فان الوجود إذا كان واحداً، فمن المحجوب ومن الحاجب؟ ولهذا قال شيوخهم لمريده: من قال لك: إن في الكون سوى الله فقد كذب. فقال له مريده: فمن هو الذي يكذب؟ وقالوا لآخر: هذه مظاهر. فقال لهم: المظاهر غير المظاهر، أم هي؟ فان كانت غيرها فقد قلتم بالنسبة، وإن كانت إياها فلا فرق.

وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر؛ وبينا حقيقة قول كل واحد منهم، وإن صاحب «الفصوص» [illegible] المعدوم شيء، ووجود الحق فاض عليها، فيفرق بين الوجود والثبوت.

والمعتزلة الذين قالوا: المعدوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم

خير منه. فإن أولئك قالوا: إن الرب خلق لهذه الاشياء الثابتة في العدم وجوداً ليس هو وجود الرب، وهذا زعم أن عين وجود الرب فاض عليهما، فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق، وصاحبه الصدر القونوي يفرق بين المطلق والمعين، لأنه كان أقرب إلى الفاسفة، فلم يقر بأن المعدوم شيء، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق، وصنف مفتاح غيب الجمع والوجود.

وهذا القول أدخل في تعطيل الخالق وعدمه، فإن المطلق بشرط الإطلاق، وهو الكلي العقلي، لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان، والمطلق لا بشرط، وهو الكلي الطبيعي. وإن قيل: إنه موجود في الخارج، فلا يوجد في الخارج إلا معيناً، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في الخارج، فيلزم أن يكون وجود الرب، إما منتفياً في الخارج، وإما أن يكون جزءاً من وجود المخلوقات، وإما أن يكون عين وجود المخلوقات. وهو يخلق الجزء الكل أم يخلق الشيء نفسه؟ أم العدم يخلق الوجود؟ أو يكون بعض الشيء خالقاً لجميعه؟

وهؤلاء يفرون من لفظ الحلول لأنه يقتضي حالاً ومحلاً، ومن لفظ الاتحاد، لأنه يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر، وعندهم الوجود

واحد ويقولون: النصارى كفروا لما خصصوا المسيح بأنه هو الله، ولو عمموا لما كفروا.

وكذلك يقولون في عباد الاصنام: إنما أخطأوا لما عبدوا بعض المظاهر دون بعض، فلو عبدوا الجميع لما أخطأوا عندهم، والعارف المحقق عندهم لا يضره عبادة الأصنام.

وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم، ففيه ما يلزمهم دائماً من التناقض، لانه يقال لهم: فمن المخطىء؟ لكنهم يقولون: إن الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصف بها المخلوق، ويقولون: إن المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق ويقولون ما قاله صاحب «الفصوص»: فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوعب به جميع النعوت الوجودية والنسب العدمية، سواء كانت محمودة عرفاً أو عقلاً أو شرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة.

وهم مع كفرهم هذا لا يندفع عنهم التناقض، فانه معلوم بالحس والعقل أن هذا ليس هو ذاك، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني: إنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل ويقولون: من أراد التحقيق ـ يعني تحقيقهم ـ فليترك العقل والشرع.

وقد قلت لمن خاطبته منهم: ومعلوم أن كشف الأنبياء أعظم

وأتم من كشف غيرهم ، وخبرهم أصدق من خبر غيرهم ، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته لا بما يعرف الناس بعقولهم أنه ممتنع ، فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول ، ويمتنع أن يكون في أخبار الرسول ما يناقض صريح العقول ، ويمتنع أن يتعارض دليلان قطعيان ، سواء كانا عقليين أو سمعيين ، أو كان أحدهما عقلياً والآخر سمعياً ، فكيف بمن ادعى كشفاً يناقض صريح الشرع والعقل ؟!

وهؤلاء قد لا يتعمدون الكذب ، لكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج ، وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين ، وتكون من تلبيسات الشياطين .

وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة قد يقدّمون الأولياء على الأنبياء، ويذكرون أن النبوة لم تنقطع ، كما يذكر عن ابن سبعين وغيره ، ويجعلون المراتب ثلاثة: يقولون: العبد يشهد أولا طاعة ومعصية ، ثم طاعة بلا معصية ، ثم لا طاعة ولا معصية، والشهود الأول هو الشهود الصحيح ، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي ، وأما الشهود الثاني ، فيريدون به شهود القدر ، كما أن بعض هؤلاء يقول : أنا كافر برب

يعصى، وهذا يزعم أن المعصية: مخالفة الإرادة التي هي المشيئة، والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة. ويقول شاعرهم:

أصبحت منفعلاً لما تختاره ... مني ففعلي كله طاعات

ومعلوم أن هذا خلاف ماأرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، فان المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب، مخالفة أمر الله ورسوله، كما قال تعالى: (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)(١) وسنذكر الفرق بين الإرادة الكونية والدينية، والأمر الكوني والديني

وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية، فبينها الجنيد رحمه الله لهم، فمن اتبع الجنيد فيها كان على السداد، ومن خالفه ضل، لأنهم تكلموا بأن الأمور كلها بمشيئة الله وقدرته وفي شهود هذا التوحيد، وهذا يسمونه الجمع الأول، فبين لهم الجنيد أنه لابدمن شهود الفرق الثاني، وهو أنه مع شهود كون الأشياء كلها مشتركة في مشيئة الله وقدرته وخلقه، يجب الفرق بين مايأمر به ويحبه ويرضاه، وبين ماينهى عنه ويكرهه ويسخطه، ويفرق بين أوليائه وأعدائه، كما

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤

قال تعالى : ( أفنجعل المسلمين كالمجرمين . مالكم كيف تحكمون )(١) .

وقال تعالى : ( أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار )(٢) وقال تعالى : ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون )(٣) . وقال تعالى : ( ومايستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ماتتذكرون )(٤) .

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن ، لا رب غيره، وهو مع ذلك أمر بالطاعة ، ونهى عن المعصية وهو لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء ، وإن كانت واقعة بمشيئته ، فهو لا يحبها ، ولا يرضاها ، بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم .

وأما المرتبة الثالثة : أن لا يشهد طاعة ولا معصية ، فانه يرى أن الوجود واحد ، وعندهم أن هذا غاية التحقيق والولاية لله ؛ وهو في الحقيقة غاية الالحاد في أسماء الله وآياته ، وغاية المداوة لله ، فان

---

(١) سورة القلم ، الآيتان: ٣٥،٣٦ (٢) سورة ص ، الآية : ٢٨
(٣) سورة الجاثية ، الآية : ٢١ (٤) سورة غافر ، الآية : ٥٨

صاحب هـذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء ، وقد قال تعالى : ( ومن يتولَّهم منكم فانه منهم ) (١) ولا يتبرَّأ من الشرك والأوثان فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ، قال الله تعالى : ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ) (٢) ، وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين : (أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدوٌّ لي إلا ربَّ العالمين ) (٣) ، وقال تعالى : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله ولو كان آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيَّدهم بروح منه ) (٤) ، وهؤلاء قد صنف بعضهم كتباً وقصائد على مذهبه ، مثل قصيدة ابن الفارض المسماة بنظم السلوك ، يقول فيها :

لها صلواتي في المقام أقيمُها ... وأشهد فيها أنها ليَ صلَّت

كلانا مصلٍ واحدٌ ساجدُ إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلَّى سواي ولم تكن ... صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ (٢) سورة الممتحنة ، الآية : ٤

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ٧٥-٧٧ (٤) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢

إلى أن قال :

وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي صلّت

إليّ رسولاً كنت مني مرسلاً وذاتي بآياتي عليّ استدلت

فان دعيت كنت المجيب وإن أكن

منادى أجابت من دعاني ولبّت

إلى أمثال هذا الكلام ، ولهذا كان هذا القائل عند الموت ينشد ويقول :

إن كان منزلتي في الحب عندكمُ ما قد لقيت فقد ضيّعت أيامي

أمنية ظفرتْ نفسي بها زمناً واليوم أحسبها أضغاث أحلامي

فانه كان يظن أنه هو الله ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه، تبين بطلان ما كان يظنه ، وقال الله تعالى : ( سبّح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم )(١) ، فجميع ما في السماوات والأرض يسبح لله ، ليس هو الله ، ثم قال تعالى : ( له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . هو الأول والآخر الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم )(٢) .

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ١ (٢) سورة الحديد ، الآيتان : ٢ ، ٣

وفي « صحيح مسلم » عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه : « اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء افضِ عني الدَّين ، وأغنني من الفقر » .

ثم قال : ( هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير )[1] فذكر أن السماوات والأرض ، وفي موضع آخر : ( وما بينهما ) مخلوق مسبح له ، وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شيء .

وأما قوله : ( وهو معكم ) فلفظ ( مع ) لا تقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر ، كقوله تعالى: ( اتقوا الله وكونوا مع الصادقين )[2] ، وقوله تعالى : ( محمد رسول الله والذين معه أشدَّاء على الكفار )[3] ، وقوله تعالى : ( والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم )[4] ، ولفظ ( مع ) جاءت

(١) سورة الحديد ، الآية : ٤ (٢) سورة التوبة ، الآية : ١١٩
(٣) سورة الفتح ، الآية : ١٩ (٤) سورة الأنفال ، الآية : ٧٥

وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين )(١).

وهؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم، وهي جن وشياطين، فيظنونها ملائكة، كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام.

وكان من أول ما ظهر من هؤلاء في الاسلام: المختار بن أبي عبيد الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في « صحيحه » عن النبي ﷺ أنه قال: « سيكون في ثقيف كذاب ومبير (٢)» وكان الكذاب: المختار بن أبي عبيد، والمبير: الحجاج بن يوسف فقيل لابن عمر وابن عباس إن المختار يزعم أنه ينزل اليه، فقالا: صدق، قال الله تعالى: ( هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين؟ تنزّل على كل أفّاك أثيم )(٣).

وقال الآخر: وقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى اليه، فقال: قال الله تعالى: ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم )(٤).

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٢٤، ١٢٥
(٢) رواه مسلم بلفظ: «أن في ثقيف كذاباً ومبيراً» والمبير: المهلك.
(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٢١، ٢٢٢
(٤) سورة الانعام، الآية: ١٢١

وهذه الأرواح الشيطـانية ؛ هي الروح الذي يزعم صـاحب « الفتوحات » أنه ألقى اليه ذلك الكتاب، ولهذا يذكر أنواعاً من الخلوات بطعام معين ، وشيء معين ، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالاً بالجن والشياطين ، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء ، وإنما هو من الأحوال الشيطانية ، وأعرف من هؤلاء عدداً ، ومنهم من كان يحمل في الهواء إلى مكان بعيد ويعود ، ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق ، تسرقه الشياطين وتأتيه به ، ومنهم من كانت تدله على السرقات بجعل يحصل له من الناس أو لعطاء يعطونه إذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك .

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطـانية ؛ كانوا مناقضـين للرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات المكية » و« الفصوص » وأشباه ذلك يمدح الكفار، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم، وينتقص الأنبياء، كنوح وإبراهيم وموسى وهارون، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين، كالجنيد بن محمد ، وسهل ابن عبد الله التستري وأمثالهما . ويمدح المـذمومين عند المسلمـين ، كالحلاج ونحوه ؛ كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية ، فإن الجنيد ـ قدس الله روحه ـ كان من أئمة الهدى ، فسئل عن التوحيد فقال :

التوحيد إفراد الحدوث عن القدم فبين أن التوحيد أن تميز بين القديم والمحدث، وبين الخالق والمخلوق.

وصاحب «الفصوص» أنكر هذا وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له: يا جنيد! هل يميز بين المحدث والقديم إلا من يكون غيرهما؟ فخطأ الجنيد في قوله: إفراد الحدوث عن القدم، لأن قوله هو: إن وجود المحدث هو عين وجود القديم، كما قاله في «فصوصه»: ومن أسمائه الحسنى: (العلي) على من؟ وما ثمّ إلا هو. وعن ماذا؟ وما هو إلا هو، فعلوّه لنفسه وهو عين الموجودات. فالمسمى محدثات، هي العلية لذاتها، وليست إلا هو... إلى أن قال:

هو عين ما بطن، وهو عين ما ظهر، وما ثمّ من يراه غيره، وما ثمّ من ينطق عنه سواه، وهو المسمى أبو سعيد الخرّاز، وغير ذلك من الأسماء المحدثات.

فيقال لهذا الملحد: من شرط المميز بين الشيئين بالعلم والقول أن يكون ثالثا غيرهما، فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره، وليس هو ثالثاً، فالعبد يعرفه أنه عبد، ويميز بين نفسه خالقه، والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته، ويعلم أنه ربهم، وأنهم عباده، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطناً وظاهراً.

وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمساني منهم؛ وهو أحذقهم في اتحادهم ـ لما قرئ عليه «الفصوص» فقيل له: القرآن يخالف «فصوصكم» فقال: القرآن كله شرك، وإنما التوحيد من كلامنا. فقيل له فاذا كان الوجود واحداً، فلمَ كانت الزوجة حلالاً والأخت حراماً؟ فقال: الكل عندنا حلال، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم.

وهذا مع كفره العظيم متناقض ظاهراً، فان الوجود إذا كان واحداً، فمَن المحجوب ومَنْ الحاجب؟ ولهذا قال شيوخهم لمريده: من قال لك: إن في الكون سوى الله فقد كذب. فقال له مريده: فمن هو الذي يكذب؟ وقالوا لآخر: هذه مظاهر. فقال لهم: المظاهر غير المظاهر، أم هي؟ فان كانت غيرها فقد قلتم بالنسبة، وإن كانت إياها فلا فرق.

وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر؛ وبينا حقيقة قول كل واحد منهم، وإن صاحب «الفصوص» [illegible] المعدوم شيء، ووجود الحق فاض عليها، فيفرق بين الوجود والثبوت.

والمعتزلة الذين قالوا: المعدوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم

وقد نهى عن الشرك وعقوق الوالدين ، وأمر بإيتاء ذي القربى الحقوق ، ونهى عن التبذير ، وعن التقتير ، وأن يجعل يده مغلولة إلى عنقه ، وأن يبسطها كل البسط ، ونهى عن قتل النفس بغير الحق ، وعن الزنا ، وعن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن إلى أن قال : ( كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً )[1] .

وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ، والعبد مأمور أن يتوب إلى الله تعالى دائماً قال الله تعالى: ( وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون )[2] .

وفي « صحيح للبخاري » عن النبي ﷺ أنه قال : ( أيها الناس توبوا إلى ربكم ، فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » .

وفي « صحيح مسلم » عنه ﷺ أنه قال : « إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » .

وفي « السنن » عن ابن عمر قال : كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول : « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التوّاب

---

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٣٨ (٢) سورة النور ، الآية : ٣١

الرحيم، مائة مرة »[١] أو قال : «أكثر من مائة مرة »

وقد أمر الله سبحانه أن يختموا الأعمال الصالحات بالاستغفار ، فكان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثاً ويقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام »[٢].

كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه . وقد قال تعالى : ( والمستغفرين بالأسحار )[٣] فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار .

وكذلك ختم سورة ( المزمل ) وهي سورة قيام الليل بقوله تعالى : ( واستغفروا الله إن الله غفور رحيم )[٤].

وكذلك قال في سورة « الحج » : ( فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم )[٤].

بل أنزل سبحانه وتعالى في آخر الأمر لما غزا النبي ﷺ

(١) رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب .

(٢) أخرجه مسلم عن ثوبان

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٧ (٤) سورة البقرة ، الآية : ١٩٩

غزوة تبوك وهي آخر غزواته . ( لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوبُ فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التوّاب الرحيم )(١) وهي من آخر ما نزل من القرآن .

وقد قيل : إن آخر سورة نزلت قوله تعالى : ( إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا )(٢) فأمره الله تعالى أن يختم عمله بالتسبيح والاستغفار .

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي » ـ يتأول القرآن » .

وفي « الصحيحين » عنه ﷺ أنه كان يقول: « اللهم اغفر لي خطيئتي، وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي هزلي وجدّي، وخطئي، وعمدي ، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي

---

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ١١٧ ـ ١١٨

(٢) سورة النصر

ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت، لا إله إنت » .

وفي « الصحيحين » أن أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي ،قال: قل: « اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم »

وفي « السنن » عن أبي بكر رضي الله عنه قال : يا رسول الله ! علمني دعاء أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت ، فقال: « قل : اللهم فاطر السماوات والارض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً، أو أجرّه إلى مسلم» قُله إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك [١] .

فليس لأحد أن يظن استغناءه عن التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب؛ بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائماً قال الله تبارك وتعالى : ( وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً . ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً ) [٢] .

(١) رواه أبو داود ، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الاحزاب ، الآيتان : ٧٢ ، ٧٣

فالإنسان ظالم جاهل ،وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم .

وثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « لن يدخل الجنة أحد بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »[1] . وهذا لا ينافي قوله : ( كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية )[2] ، فإن الرسول ﷺ نفى باء المقابلة والمعادلة ، والقرآن أثبت باء السبب .

وقول من قال : إذا أحب الله عبداً لم تضره الذنوب ، معناه أنه إذا أحب عبداً ألهمه التوبة والاستغفار فلم يصر على الذنوب ، ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصر عليها ، فهو ضال مخالف للكتاب والسنة ، وإجماع السلف والأئمة ؛ بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وإنما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله : ( وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم

(١) رواه البخاري ومسلم (٢) سورة الحاقه ، الآية : ٢٤

ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون )[١] .

ومن ظن أن القدر حجة لأهل الذنوب فهو من جلس المشركين الذين قال الله تعالى عنهم : (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء )[٢] قال الله تعالى رداً عليهم : ( كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين )[٣]

ولو كان القدر حجة لأحد لم يعذّب الله المكذبين الرسل، كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات ، وقوم فرعون ، ولم يأمر بإقامة الحدود على المعتدين ، ولا يحتج أحد بالقدر إلا إذا كان متبعاً لهواه بغير هدى من الله ، ومن رأى القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم الذمّ والعقاب، فعليه أن لا يذم أحداً ولا يعاقبه إذا اعتدى عليه ، بل يستوي عنده ما يوجب اللذة وما يوجب الألم ، فلا يفرق بين من يعمل معه خيراً ولا بين من يفعل معه شراً ، وهذا ممتنع طبعاً وعقلاً وشرعاً . وقد قال تعالى : ( أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ١٣٣ـ١٣٥ (٢) سورة الانعام، الآية : ١٤٨
(٣) سورة الأنعام ، الآيتان : ١٤٨ ، ١٤٩

أم نجعل المتقين كالفجّار )(١) ، وقال تعالى : ( أفنجعل المسلمين كالمجرمين )(٢) ، وقال تعالى : ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون )(٣) ، وقال تعالى : ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون )(٤) ، وقال تعالى : ( أيحسب الانسان أن يترك سُدى )(٥) أي مهملاً لا يُؤمر ولا يُنهى .

وقد ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « احتجّ آدم وموسى ، قال موسى : يا آدم ! أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ، وكتب لك التوراة بيده؟ فبكم وجدت مكتوباً عليّ قبل أن أخلق : ( وعصى آدم ربه فغوى )(٦) ؟ قال : بأربعين سنة ؟ قال : فلِمَ تلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن أُخلق بأربعين سنة ؟ قال : فحجّ آدم موسى » أي غلبه بالحجة .

---

(١) سورة ص ، الآية : ٢٨
(٢) سورة القلم ، الآية : ٣٥
(٣) سورة الجاثية ، الآية : ٢١
(٤) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥
(٥) سورة القيامة ، الآية : ٣٦
(٦) سورة طه ، الآية : ١٢١

وهذا الحديث ضلّت فيه طائفتان : طائفة كذّبت به لما ظنوا أنه يقتضي رفع الذم والعقاب عمن عصى الله لأجل القدر ، وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة وقد يقولون: القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه، أو الذين لا يرون أن لهم فعلاً ، ومن النـاس من قال : إنما حج آدم موسى لأنه أبوه ، أو لأنه قـد تاب ؛ أو لأن الذنب كان في شريعة واللوم في أخرى ، أو لأن هـذا يكون في الدنيا دون الأخري ، وكل هذا باطل .

ولكن وجه الحديث أن موسى عليه السلام لم يلم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة ، فقال له : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ لم يلمه لمجرد كونه أذنب ذنباً وتاب منـه ، فان موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يُلام ، وهو قد تاب منه أيضاً ، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنـه لأجل القدَر لم يقل : ( ربنا ظلمنـا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ) [١] .

والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلّم ، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب ، قال الله تعالى : ( فاصبر إن وعد الله حقّ واستغفر لذنبك ) [٢] ، فأمره بالصبر على المصائب ، والاستغفار من المعائب .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٣ (٢) سورة غافر ، الآية : ٥٥

وقال تعالى : ( ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه )[1] . قال ابن مسعود : هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلّم .

فالمؤمنون إذا أصابتهم مصيبة مثل المرض والفقر والذل، صبروا لحكم الله،وإن كان ذلك بسبب ذنب غيرهم ، كمن أنفق أبوه ماله في المعاصي فافتقر أولاده لذلك ، فعليهم أن يصبروا لما أصابهم ، وإذا لاموا الأب لحظوظهم، ذكر لهم القدر

والصبر واجب باتفاق العلماء ، وأعلى من ذلك الرضى بحكم الله ، والرضى قد قيل: إنه واجب، وقيل: هو مستحب، وهو الصحيح، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها،حيث جعلها سبباً لتكفير خطاياه ، ورفع درجاته ، وإنابته إلى الله وتضرعه إليه ، وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين .

وأما أهل البغي والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر إذا أذنبوا واتّبعوا أهواءهم ، ويضيفون الحسنات إلى أنفسهم إذا أنعم عليهم بها ، كما قال أحد العلماء : أنت عند الطاعة قدري ، وعند المعصية جبري ، أيّ مذهب وافق هواك تمذهبت به

وأهل الهدى والرشاد إذا فعلوا حسنة، شهدوا إنعام الله عليهم بها،

(١) سورة التغابن ، الآية : ١١

وأنه هو الذي أنعم عليهم وجعلهم مسلمين ، وجعلهم يقيمون الصلاة ، وألهمهم التقوى ، وأنه لا حول ولا قوة إلا به ، فزال عنهم بشهود القدر العُجْب والمنّ والأذى ، وإذا فعلوا سيئة استغفروا الله وتابوا إليه منها .

ففي « صحيح البخاري » عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : « سيِّد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عَلَيّ وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها إذا أصبح موقناً بها فمات من ليلته دخل الجنة » .

وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا . يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أبالي، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم . يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري

فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة . يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »[1].

فأمر سبحانه بحمد الله على ما يجده العبد من خير وأنه إذا وجد شراً فلا يلومن إلا نفسه .

وكثير من الناس يتكلم بلسان الحقيقة ، ولا يفرّق بين الحقيقة الكونية القدرية المتعلقة بخلقه ومشيئته ، وبين الحقيقة الدينية الأمرية المتعلقة برضاه ومحبته ، ولا يفرّق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقاً لما أمر الله به على ألسن رسله ، وبين من يقوم بوجده وذوقه غير معتبر ذلك بالكتاب والسنة ، كما أن لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ،

(١) رواه مسلم مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه .

ولا يفرّق بين الشرع المنزّل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله، فإن هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه، ولا يخرج عنه إلا كافر، وبين الشرع الذي هو حكم الحاكم، فالحاكم تارة يصيب وتارة يخطئ. هذا إذا كان عالماً عادلاً، وإلا ففي «السنن» عن النبي ﷺ أنه قال: «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة؛ رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق فقضى بغيره فهو في النار»[1].

وأفضل القضاة العالمين العادلين سيد ولد آدم محمد ﷺ. فقد ثبت عنه في «الصحيحين» أنه قال: «إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بنحو مما أسمع؛ فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار».

فقد أخبر سيد الخلق أنه إذا قضى بشيء مما سمعه وكان في الباطن بخلاف ذلك، لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضي به له، وأنه إنما يقطع له به قطعة من النار.

وهذا متفق عليه بين العلماء في الأملاك المطلقة. إذا حكم الحاكم

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه

بما ظنه حجة شرعية كالبينة والاقرار، وكان الباطن بخلاف الظاهر، لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضي به له بالاتفاق. وإن حكم في العقود والفسوخ بمثل ذلك، فأكثر العلماء يقول: إن الأمر كذلك، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وفرّق أبو حنيفة رضي الله عنه بين النوعين.

. فلفظ الشرع والشريعة إذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء الله ولا لغيرهم أن يخرج عنه، ومن ظن أن لأحد من أولياء الله طريقاً إلى الله غير متابعة محمد ﷺ باطناً وظاهراً فلم يتابعه باطناً وظاهراً فهو كافر.

ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر، كان غالطاً من وجهين:

أحدهما: أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولا كان على الخضر اتباعه، فان موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل، وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين: الجن، والانس. ولو أدركه من هو أفضل من الخضر، كإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم اتباعه، فكيف بالخضر سواء كان نبياً أو ولياً؟! ولهذا قال الخضر لموسى: «أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله

علمكه الله، لا أعلمه»[1] وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا.

الثاني: أنما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام، وموسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بيَّنها له وافقه على ذلك، فانّ خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفاً من الظالم أن يأخذها، إحسان اليهم، وذلك جائز، وقتل الصائل جائز وان كان صغيراً، ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع إلا بقتله جاز قتله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لنجدة الحروري لما سأله عن قتل الغلمان، قال له: ان كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم، وإلا فلا تقتلهم، رواه البخاري.

وأما الاحسان إلى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع، فهذا من صالح الأعمال، فلم يكن في ذلك شيء مخالفاً شرع الله.

وأما إذا أريد بالشرع حكم الحاكم، فقد يكون ظالماً، وقد يكون عادلاً، وقد يكون صواباً، وقد يكون خطأً، وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه، كأبي حنيفة والثوري ومالك بن أنس والأوزاعي والليث ابن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق وداود وغيرهم، فهؤلاء أقوالهم

(١) أخرجه الشيخان والترمذي.

يحتج لها بالكتاب والسنة . وإذا قلد غيره حيث يجوز ذلك ، كان جائزاً، أي ليس اتباع أحدهم واجباً على جميع الأمة ، كاتباع الرسول ﷺ ، ولا يحرم تقليد أحدهم ، كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم .

وأما إن أضاف أحد إلى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة، أو تأول النصوص بخلاف مراد الله ، ونحو ذلك ، فهذا من نوع التبديل ، فيجب الفرق بين الشرع المنزّل ، والشرع المؤوّل ، والشرع المبدّل ، كما يفرق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية الأمرية ، وبين ما يستدل عليها بالكتاب والسنة ، وبين ما يكتفى فيها بذوق صاحبها ووجده .

# فصل

وقد ذكر الله في كتابه الفرق بين الارادة والأمر والقضاء والاذن والتحريم والبعث والارسال والكلام والجعل ، وبين الكوني الذي خلقه وقدره وقضاه ، وإن كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثيب أصحابه ، ولا يجعلهم من أوليائه المتقين ، وبين الديني الذي أمر به وشرعه وأثاب فاعليه وأكرمهم ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين وجنده الغالبين ، وهذا من أعظم الفروق التي يفرق بها بين أولياء الله وأعدائه ، فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ، ومات على

ذلك ، كان من أوليائه ، ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه ، ومات على ذلك كان من أعدائه .

فالإرادة الكونية هي مشيئته لما خلقه، وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وإرادته الكونية ، والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه المتناولة لما أمر به وجعله شرعاً وديناً .

وهذه مختصة بالايمان والعمل الصالح ، قال الله تعالى : ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعّد في السماء ) (١) .

وقال نوح عليه السلام لقومه : ( ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ) (٢) ، وقال تعالى : ( وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ ) (٣)، وقال تعالى في الثانية (٤) : ( ومن كان مريضاً أو على سفر فعدّة من أيام أُخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ) (٥). وقال في آية الطهارة : ( ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتمّ نعمته عليكم لعلكم تشكرون ) (٦) . ولما ذكر ما أحلّه وما حرّمه من

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٥ (٢) سورة هود ، الآية : ١٣٤

(٣) سورة الرعد ، الآية : ١١

(٤) لعله يريد بقوله : الثانية : الاية الثانية بهذا المعنى ، والأولى قوله تعالى : ( فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ) . (٥) سورة البقرة، الآية : ١٨٥ (٦) سورة المائدة، الآية: ٦

النكاح قال: ( يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً يريد الله أن يخفف عنكم وخُلق الانسان ضعيفاً )[١] .

وقال لما ذكر ما أمر به أزواج النبي ﷺ وما نهاهن عنه : ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً )[٢] ، والمعنى أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، فمن أطاع أمره كان مطهراً قد أذهب عنه الرجس، بخلاف من عصاه .

وأما الأمر، فقال في الأمر الكوني: ( إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون )[٣] ، وقال تعالى : ( وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر )[٤] ، وقال تعالى : ( أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس )[٥] .

وأما الأمر الديني فقال تعالى : ( إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون )[٦] ، وقال تعالى : ( إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات

(١) سورة النساء ، الآيات : ٢٦-٢٨ (٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣
(٣) سورة النحل ، الآية : ٤٠ (٤) سورة القمر ، الآية : ٥٠
(٥) سورة يونس ، الآية : ٢٤ (٦) سورة النحل ، الآية : ٩٠

إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمًّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً )(١) .

وأما الإذن، فقال في الكوني لما ذكر السحر: ( وما هم بضارِّين به من أحد إلا بإذن الله )(٢) أي بمشيئته وقدرته ؛ وإلا فالسحر لم يبحه الله عز وجل .

وقال في الإذن الديني : ( أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله )(٣) ، وقال تعالى : ( إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه )(٤) ، وقال تعالى : ( وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله )(٥) ، وقال تعالى : ( ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله )(٦) .

وأما القضاء فقال في الكوني : ( فقضاهنَّ سبع سماوات في يومين )(٧) ، وقال سبحانه : ( إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فيكون )(٨) .

وقال في الديني : ( وقضى ربك أن تعبدوا إلا إياه )(٩) أي

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٥ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢
(٣) سورة الشورى ، الآية : ١٢١ (٤) سورة الاحزاب ، الآيتان : ٤٥،٤٦
(٥) سورة النساء ، الآية : ٦٤ (٦) سورة الحشر ؛ الآية : ٥
(٧) سورة السجدة ، الآية : ١٢ (٨) سورة البقرة ، الآية : ١١٧
(٩) سورة الاسراء ، الآية : ٢٣

أمر ، وليس المراد به : قدّر ذلك ، فانه قد عبد غيره ، كما أخبر في غير موضع ، كقوله تعالى: ( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم وما لا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله )(١) .

وقال الخليل عليه لقومه : ( أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي إلا ربّ العالمين )(٢) وقال تعالى : ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء )(٣) وقال تعالى : ( قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين)(٤) وهذه كلمة تقتضي براءته من دينهم، ولا تقتضي رضاه بذلك، كما قال تعالى في الآية الأخرى : ( وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون )(٥) .

ومن ظن من الملاحدة أن هذا رضى منه بدين الكفار ، فهو من

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨ (٢) سورة الشعراء ، الآيات : ٧٥-٧٧
(٣) سورة الممتحنة ، الآية : ٤ (٤) سورة الكافرون
(٥) سورة يونس ، الآية : ٤١

أكذب الناس وأكفرهم ، كمن ظن أن قوله : ( وقضى ربك )[١] بمعنى قدر، وأن الله سبحانه ما قضى بشي إلا وقع ،وجعل عبّاد الأصنام ما عبدوا إلا الله ، فان هذا من أعظم الناس كفراً بالكتب.

وأما لفظ البعث، فقال تعالى في البعث الكوني: ( فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً )[٢] .

وقال في البعث الديني : ( هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة )[٣] وقال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )[٤].

وأما لفظ الارسال فقال في الارسال الكوني : ( ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزّاً )[٥] وقال تعالى: ( وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته )[٦] .

وقال في الديني : ( إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً )[٧] وقال

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٢٣
(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٥
(٣) سورة الجمعة ، الآية : ٢
(٤) سورة النحل ، الآية : ٣٦
(٥) سورة مريم ، الآية : ٨٣
(٦) سورة الفرقان ، الآية : ٤٨
(٧) سورة الاحزاب ، الآية : ٤٥

تعالى : ( إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه ) (١) وقال تعالى : ( إنا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً ) (٢) وقال تعالى: ( الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ) (٣) .

وأما لفظ الجعل، فقال في الكوني: ( وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار )(٤) .

وقال في الديني : ( لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا ) (٥) وقال تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)(٦) .

وأما لفظ التحريم ، فقال في الكوني: ( وحرّمنا عليه المراضع من قبل )(٧) وقال تعالى : ( فانها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض )(٨) .

وقال في الديني : ( حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به )(٩) وقال تعالى : ( حرّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت)(١٠) الآية.

---

(١) سورة نوح ، الآية : ١
(٢) سورة المزمل ، الآية : ١٥
(٣) سورة الحج ، الآية : ٧٥
(٤) سورة القصص ، الآية : ٤١
(٥) سورة المائدة ، الآية : ٤٨
(٦) سورة المائدة ، الآية : ١٠٣
(٧) سورة القصص ، الآية ١٢
(٨) سورة المائدة ، الآية : ٢٦
(٩) سورة المائدة ، الآية : ٣
(١٠) سورة النساء ، الآية : ٢٣

وأما لفظ الكلمات، فقال في الكلمات الكونية : ( وصدّقت بكلمات ربها وكتبه )(١)

وثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه كان يقول : «أعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق ، ومن غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون »(٢) وقال ﷺ « من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك »(٣). وكان يقول: « أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر، ومن شر ماذرأ في الأرض ومن شر مايخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق. إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن »(٤).

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ١٢

(٢) ليس في الصحيح بهذا اللفظ وإنما رواه مالك في « الموطأ » عن يحيى بن سعيد قال : بلغني أن خالد بن الوليد قال لرسول الله ﷺ إني أروع في منامي فقال له رسول الله ﷺ : «قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون».

(٣) أخرجه مسلم عن خولة بنت حكيم قالت : قال رسول الله ﷺ: «من نزل منزلا ... » الحديث

(٤) روى الطبراني عن خالد بن الوليد أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أجد فزعاً في الليل فقال : « ألا أعلمك كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام وزعم أن عفريتاً من الليل يكيدني فقال : أعوذ بكلمات الله التامات التي =

وكلمات الله التامَّات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر، هي التي كوّن بها الكائنات، فلا يخرج برّ ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته. وأما كلماته الدينية، وهي كتبه المنزلة ومافيها من أمره ونهيه، فأطاعها الأبرار، وعصاها الفجّار.

وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية، وجعله الديني، وإذنه الديني، وإرادته الدينية.

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها برّ ولا فاجر، فانه يدخل تحتها جميع الخلق، حتى إبليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل النار، فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشيئة والقدرة والقدر لهم، فقد افترقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضى والغضب.

وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور، وتركوا المحظور، وصبروا على المقدور، فأحبهم وأحبّوه، ورضي عنهم ورضوا عنه.

وأعداؤه أولياء الشياطين، وإن كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم، ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم.

وبسط هذه الجمل له موضع آخر، وإنما كتبت هنا تنبيهاً على

---

= لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماينزل من السماء ومايعرج فيها ومن شر ماذرأ في الأرض ومايخرج منها ومن شر فتن الليل وفتن النهار ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يارحمان »، ورواه مالك بنحوه.

مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وجمع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله ﷺ ،فانه هو الذي فرّق الله تعالى به بين أوليائه السعداء ، وأعدائه الأشقياء ، وبين أوليائه أهل الجنة ، وأعدائه أهل النار ، وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد ، وبين أعدائه أهل الغي والضلال والفساد ، وأعدائه حزب الشيطان ، وأوليائه الذين كتب في قلوبهم الايمان ، وأيّدهم بروح منه قال تعالى : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله )[1] الآية ، وقال تعالى : ( إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان )[2] .

وقال في أعدائه : ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم )[3] ، وقال : ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً )[4] ، وقال : ( هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين . تنزّل على كل أفّاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢
(٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٢
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٢١
(٤) سورة الانعام ، الآية : ١١٢

آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون )[١] ، وقال تعالى : ( فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين . ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين . وإنه لتذكرة للمتقين . وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وإنه لحسرة على الكافرين . وإنه لحقّ اليقين . فسبح باسم ربك العظيم )[٢] ، وقال تعالى : ( فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون )[٣] ، إلى قوله : ( إن كانوا صادقين )[٤] .

فنزّه سبحانه وتعالى نبينا محمداً ﷺ عمن تقترن به الشياطين من الكهّان والشعراء والمجانين ، وبيّن أن الذي جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه قال الله تعالى : ( الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس )[٥] ، وقال تعالى : ( وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح

(١) سورة الشعراء ، الآيات : ٢٢١ ـ ٢٢٧

(٢) سورة الحاقة ، الآيات : ٣٨ـ٥٢ (٣) سورة الطور ، الآية : ٢٩

(٤) سورة الطور ، الآية : ٣٤ (٥) سورة الحج ،الآية : ٧٥

الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين )[١] ، وقال تعالى : ( قل من كان عدواً لجبريل فانه نزّله على قلبك باذن الله )[٢] الآية ، وقال تعالى : ( فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم )[٣] إلى قوله : ( وبشرى للمسلمين )[٤] ، فسماه الروح الأمين وسماه روح القدس ، وقال تعالى : ( فلا أُقسم بالخُنَّس . الجوار الكنَّس )[٥] يعني الكواكب التي تكون في السماء خانسة، أي مختفية قبل طلوعها ، فاذا ظهرت رآها الناس جارية في السماء فاذا غربت ذهبت إلى كناسها الذي يحجبها ( والليل إذا عسعس )[٦] أي إذا أدبر وأقبل الصبح (والصبح إذا تنفس)[٧] أي أقبل ( إنه لقول رسول كريم)[٨] وهو جبريل عليه السلام ( ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين )[٩] أي مطاع في السماء أمين، ثم قال:( وما صاحبكم بمجنون)[١٠] أي صاحبكم الذي منّ الله عليكم به ، إذ بعثه اليكم رسولاً من جنسكم يصحبكم إذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة، كما قال تعالى :(وقالوا

---

(١) سورة الشعراء، الآيات:١٩٢-١٩٥ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٩٧
(٣) سورة النحل ، الآية : ٦٨ (٤) سورة النحل ، الاية : ١٠٢
(٥) سورة التكوير ، الايتان : ١٥ ، ١٦
(٦) سورة التكوير ، الاية : ١٧ (٧) سورة التكوير ، الاية : ١٨
(٨) سورة التكوير ، الاية : ١٩ (٩) سورة التكوير ، الايتان: ٢٠، ٢١
(١٠) سورة التكوير ، الاية: ٢٢

لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون. ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلاً الآية )[1] وقال تعالى : ( ولقد رآه بالأفق المبين )[2] أي رأى جبريل عليه السلام ( وما هو على الغيب بظنين )[3] أي بمتهم، وفي القراءة الأخرى ( بضنين )[4] أي ببخيل يكتم العلم ولا يبذله إلا بجعل، كما يفعل من يكتم العلم إلا بالعوض ( وما هو بقول شيطان رجيم )[5] فنزّه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطاناً ، كما نزّه محمداً ﷺ عن أن يكون شاعراً أو كاهناً .

فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ ، فيفعلون ما أمر به ، وينتهون عما عنه زجر ، ويقتدون به فيما بيّن لهم أن يتبعوه فيه ، فيؤيدهم بملائكته وروح منه ، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره ، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار أولياء الله، كراماتهم لحجة في الدين ، أو لحاجة بالمسلمين ، كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك .

وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ مثل انشقاق القمر[6]

(١) سورة الانعام ، الايتان : ٨، ٩ (٢) سورة التكوير ، الاية: ٢٣

(٣) سورة التكوير ، الاية: ٢٤ (٤) سورة التكوير: الآية ٢٤ وهي قراءة حفص

(٥) سورة التكوير ، الاية : ٢٥

(٦) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك .

وتسبيح الحصا في كفه[١] ، وإتيان الشجر اليه[٢] ، وحنين الجذع اليه[٣] ، وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس[٤] ، وإخباره بما كان وما يكون[٥] ، وإتيانه بالكتاب العزيز ، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة ، كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام وهو لم ينقص ، في حديث أم سليم المشهور[٦] ، وروّى العسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء ولم تنقص ، وملأ أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل ولم ينقص ، وهم نحو ثلاثين ألفاً ونبع الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه ، كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة[٧] ، ورده لعين أبي قتادة حين سالت على خده فرجعت أحسن عينيه[٨] ولما أرسل محمد بن مسلمة لقتل كعب بن

(١) رواه البزار والطبراني عن أبي ذر . (٢) رواه مسلم عن جابر .
(٣) في «الصحيحين» .
(٤) في «الصحيحين» والترمذي عن جابر . قال : قال رسول الله ﷺ « لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه » .
(٥) أخرج مسلم من حديث له عن عمرو بن أخطب « فأخبرنا ما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا » . (٦) في الصحيحين عن جابر .
(٧) في «الصحيحين» عن جابر .
(٨) رواه الطبراني وأبو يعلى . قال الهيثمي في «المجمع» وفي اسناد الطبراني من لم أعرفهم ، وفي إسناد أبي يعلى ، الحماني ، وهو ضعيف .

الأشرف فوقع وانكسرت رجله فمسحها فبرأت(١)، وأطعم من شواء مائة وثلاثين رجلاً كلاً منهم حز له قطعة، وجعل منها قطعتين فأكلوا منها جميعهم، ثم فضل فضلة(٢). و[قضى] دين عبد الله أبي جابر لليهودي وهو ثلاثون وسقاً(٣).

قال جابر: فأمر صاحب الدَّين أن يأخذ التمر جميعه بالذي كان له فلم يقبل؛ فمشى فيها رسول الله ﷺ، ثم قال لجابر: جد له، فوفاه الثلاثين وسقاً، وفضل سبعة عشر وسقاً ومثل هذا كثير، قد جمعت نحو ألف معجزة.

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت لقراءته(٤) وكانت

(١) الذي في البخاري أن الذي كسرت رجله فمسحها رسول الله ﷺ فبرأت هو عبد الله بن عتيك الذي بعثه رسول الله ﷺ لقتل أبي رافع، وأما محمد بن مسلمة فقد قتل كعباً ولم تكسر رجله.

(٢) في «الصحيحين» عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

(٣) أخرجه البخاري في باب إذا قضى دون حقه أو حلله.

(٤) نزول الظلة والسرج كان عند قراءة سورة البقرة كما أخرجه البخاري عن أسيد. أما ما حدث له عند قراءة الكهف فقد ورد بلفظ «تغشته سحابة» وهو في «الصحيحين».

الملائكة تسلّم على عمران بن حصين، وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة، فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها . وعباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة، فأضاء لهما نور مثل طرف السوط، فلما افترقا؛ افترق الضوء معهما رواه البخاري وغيره .

وقصة الصديق في « الصحيحين » لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك . فنظر اليها أبو بكر وامرأته؛ فاذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله ﷺ، وجاء اليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا .

وخبيب بن عدي كان أسيراً عند المشركين بمكة شرّفها الله تعالى، وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة(١) .

وعامر بن فهيرة قتل شهيداً، فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، وكان لما كان قتل رفع، فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع . وقال عروة: فيرون الملائكة رفعته .

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة .

تموت من العطش ، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة ، سمعت حساً على رأسها ، فرفعته فاذا دلو معلّق ، فشربت منه حتى رويت ، وما عطشت بقية عمرها .

وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله ﷺ ، فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده[١] .

والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبرّ قسمه[٢] ، وكان الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون : يابراء ! أقسم على ربك ، فيقول : يارب ! أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم ، فيهزم العدو ، فلما كان يوم القادسية قال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد ، فنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً .

وخالد بن الوليد حاصر حصناً منيعاً ، فقالوا : لا نسلم حتى تشرب السم ، فشربه فلم يضرّه .

وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة[٣] ، ما دعا قط إلا

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .
(٢) رواه الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال : « رب أشعث أغبر لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك » .
(٣) روى الترمذي أن النبي ﷺ قال : « اللهم استجب لسعد إذا دعاك » . فكان لا يدعو إلا استجيب له .

استجيب له ، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق .

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشاً أمّر عليهم رجلاً يسمى سارية ، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر : يا سارية ! الجبل ، يا سارية الجبل الجبل، فقدم رسول الجيش فسأله ،فقال: ياأمير المؤمنين ! لقينا عدواً فهزمونا فاذا بصائح : يا سارية الجبل، ياسارية الجبل،فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله[1] .

ولما عذّبت الزّنيرة على الاسلام في الله ، فأبت إلا الاسلام وذهب بصرها ، قال المشركون : أصاب بصرها اللات والعزّى ، قالت : كلا والله ، فردّ الله عليها بصرها[2] .

ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت عليه ، فقال : اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها، فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت[3] .

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين ، وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم يا عليّ يا عظيم، فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضؤوا لما عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم، فأجيب ،

---

(١) رواه البيهقي في « الدلائل » قال ابن حجر في «الاصابة» إسناده حسن .
(٢) أخرج القصة عثمان بن أبي شيبة في تاريخه كما في «الاصابة» .
(٣) القصة أخرجها مسلم .

ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم ، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم ، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات ، فلم يجدوه في اللحد ، وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار ، فانه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة ، وهي ترمي بالخشب من مدّها ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : تفقدون من متاعكم شيئاً حتى أدعو الله عز وجل فيه؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة ، فقال : اتبعني ، فتبعته فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها ، وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة، فقال له : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فأمر بنار فألقي فيها ، فوجدوه قائماً يصلي فيها ، وقد صارت عليه برداً وسلاماً .

وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما ، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله ، ووضعت له جاريته السم في طعامه فلم يضره، وخببت امرأة عليه زوجته، فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت ، فدعا لها فرد الله عليها بصرها .

وكان عامر بن عبدقيس يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه، وما يلقاه سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد ، ثم يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها

ولا وزنها. ومرّ بقافلة قد حبسهم الأسد، فجاء حتى مس بثيابه الأسد، ثم وضع رجله على عنقه وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن، وإني أستحيي من الله أن أخاف شيئاً غيره، ومرّت القافلة، ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء له بخار، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة، فلم يقدر عليه.

وتغيب الحسن البصري[1] عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه، ودعا على بعض الخوارج ـ كان يؤذيهم ـ فخرّ ميتاً.

وصلة بن أشيم[2] مات فرسه وهو في الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق عليّ منّة. ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني خذ سرج الفرس فانه عارية، وأخذ سرجه فمات الفرس. وجاع مرة بالأهواز، فدعا الله عز وجل واستطعمه، فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير، فأكل التمر، وبقي الثوب عند زوجته زماناً. وجاءه الأسد وهو يصلي في غيضة بالليل، فلما سلّم قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع؛ فولّى الأسد وله زئير.

(١) هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، تابعي جليل توفي رحمه الله بالبصرة سنة ١١٠ هـ.

(٢) هو أبو الصهباء، تابعي من زهاد البصرة وعبادهم، قتل بكابل في ولاية الحجاج سنة ٧٥هـ.

وكان سعيد بن المسيب[1] في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله ﷺ في أوقات الصلوات ، وكان المسجد قد خلا ، فلم يبق غيره .

ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق ، فقال له أصحابه: هلم نتوزع متاعك على رحالنا ، فقال لهم : أمهلوني هنيهة ، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ، ودعا الله تعالى فأحيا له حماره ، فحمل عليه متاعه .

ولما مات أويس القرني[2] وجدوا في ثيابه أكفاناً لم تكن معه قبل ، ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد في صخرة ، فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الأثواب .

وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلي يوماً في شدة الحر فأظلته غمامة وكان السبع يحميه ، وهو يرعى ركاب أصحابه ، لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم

وكان مطرّف بن عبد الله بن الشخّير[3] إذا دخل بيته سبّحت

(١) هو أبو محمد سعيد بن المسيب القرشي المخزومي ، أحد العلماء الأثبات ، والفقهاء الكبار ، توفي رحمه الله سنة ٩٣ هـ .

(٢) هو أويس بن عامر القرني ، من سادات التابعين ، أصله من اليمن ، بشر به الرسول ﷺ ، كما في «صحيح مسلم» توفي رحمه الله سنة ٣٧ هـ .

(٣) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير أبو عبد الله البصري ، ثقة عابد فاضل توفي رحمه الله سنة ٩٥هـ .

معه آنيته ، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة ، فأضاء لهما طرف السوط .

ولما مات الأحنف بن قيس[١] ، وقعت قلنسوة رجل في قبره ، فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر .

وكان إبراهيم التيمي[٢] يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً ، وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يقدر عليه ، فمر بسهلة حمراء فأخذ منها ، ثم رجع إلى أهله ففتحها فاذا هي حنطة حمراء ، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حباً متراكباً .

وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال : صوتاً حسناً ، ودمعاً غزيراً ، وطعاماً من غير تكلف . فكان إذا قرأ بكى وأبكى، ودموعه جارية دهره ، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه .

وكان عبد الواحد بن زيد[٣] أصابه الفالج ، فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء ، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده .

(١) هو الأحنف بن قيس التميمي ، سيد تميم ، يضرب به المثل في الحلم، توفي رحمه الله سنة ٦٧هـ .

(٢) هو أبو أسماء ابراهيم بن يزيد التيمي ، عابد مشهور توفي رحمه اللهسنة٩٢.

(٣) من الزاهدين توفي سنة ١٩٧

وهذا باب واسع،[و] قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع .

وأما ما نعرفه نحن عياناً ونعرفه في هذا الزمان فكثير ، ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فاذا احتاج إليها الضعيف الايمان أو المحتاج، أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك، لعلوّ درجته وغناه عنها ، لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم ، فهؤلاء أعظم درجة .

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية ، مثل حال عبد الله بن صياد[1] الذي ظهر في زمن النبي ﷺ ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجّال ، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجّال، لكنه كان من جنس الكهان . قال له النبي ﷺ : « قد خبأت لك خبأ » قال : الدّخ الدّخ . وقد كان خبأ له سورة الدخان ، فقال له النبي ﷺ : « اخسأ فلن تعدوَ قدرك » يعني إنما أنت من إخوان الكهان ، والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره

(١) وحديثه في « الصحيحين » .

بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع ، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال : « إن الملائكة تنزل في العنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الأمر قضي في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم »

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما النبي ﷺ في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار ، فقال النبي ﷺ : « ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه ؟ » قالوا: كنا نقول : يموت عظيم أو يولد عظيم قال رسول الله ﷺ :« فإنه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ؛ ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبّح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ، ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش: ماذا قال ربنا؟ فيخبرونهم ، ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا. وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه إلى أوليائهم ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون».

وفي رواية ، قال معمر : قلت للزهري : أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ .

والأسود العنسي الذي ادّعى النبوة كان له من الشياطين من

يخبره ببعض الأمور المغيَّبة . فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه ، حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبيَّن لها كفره فقتلوه .

وكذلك مسيلمة الكذَّاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيَّبات ويعينه على بعض الأمور .

وأمثال هؤلاء كثيرون، مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادَّعى النبوة ، وكانت الشياطين تخرج رجليه من القيد ، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه ، وتسبح الرّخامة إذا مسحها بيده ، وكان يري الناس رجالاً وركباناً على خيل في الهواء ويقول : هي الملائكة ، وإنما كانوا جنًّا ، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك : إنك لم تسمّ الله فسمى الله فطعنه فقتله

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها، مثل آية الكرسي ، فانه قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر ، فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه ، فيقول له النبي ﷺ : « مافعل أسيرك البارحة ؟ »

فيقول: زعم أنه لا يعود، فيقول: «كذبك وإنه سيعود» فلما كان في المرة الثالثة، قال: دعني حتى أعلمك ما ينفعك: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)[1] إلى آخرها، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فلما أخبر النبي ﷺ قال: «صدقك وهو كذوب» وأخبره أنه شيطان[2]

ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها، مثل من يدخل النار بحال شيطاني، أو يحضر سماع المكاء والتصدية[3] فتنزل عليه الشياطين وتتكلم على لسانه كلاماً لا يعلم، وربما لا يفقه. وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه، وربما تكلم بألسنة مختلفة، كما يتكلم الجني على لسان المصروع. والانسان الذي حصل له الحال لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس ولبسه وتكلم على لسانه، فاذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال.

ولهذا قد يضرب المصروع [ضرباً كثيراً حتى قد يقتل مثله الإنسي أو يمرضه لو كان هو المضروب] وذلك الضرب لا يؤثر في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ (٢) رواه البخاري.

(٣) المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق.

الإنسي ، ويخبر إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء، لأن الضرب كان على الجني الذي لبسه .

ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ، ومنهم من يطير به الجني إلى مكة، أو بيت المقدس أو غيرهما ، ومنهم من يحمله عشية عرفة ، ثم يعيده من ليلته، فلا يحج حجاً شرعياً ، بل يذهب بثيابه ، ولا يحرم إذا حاذى الميقات ، ولا يلبِّي، ولا يقف بمزدلفة ،ولا يطوف بالبيت ، ولا يسعى بين الصفا والمروة ، ولا يرمي الجمار ، بل يقف بعرفة بثيابه ، ثم يرجع من ليلته ، وهذا ليس بحج [ مشروع باتفاق المسلمين، بل هو كمن يأتي الجمعة ويصلي بغير وضوء وإلى غير القبلة، ومن هؤلاء المحمولين، من حمل مرة إلى عرفات ورجع فرأى في النوم ملائكة يكتبون الحجاج ] فقال : ألا تكتبوني ؟ فقالوا : لست من الحجاج . يعني لم تحج حجاً شرعياً .

وبين كرامات الأولياء ، وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة: منها ، أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية ، سببها ما نهى الله عنه ورسوله.

وقد قال تعالى : ( قل إنما حرَّم ربيَ الفواحش ما ظهر منها وما

بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون)[١] فالقول على الله بغير علم، والشرك والظلم والفواحش؛ قد حرمها الله تعالى ورسوله، فلا تكون سبباً لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها، فاذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن، بل تحصل بما يحبه الشيطان، وبالأمور التي فيها شرك، كالاستغاثة بالمخلوقات، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش، فهي من الأحوال الشيطانية، لا من الكرامات الرحمانية

ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصدية يتنزل عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء ويخرجه من تلك الدار، فاذا حضر رجل من أولياء الله تعالى، طرد شيطانه فيسقط، كما جرى هذا لغير واحد.

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سواء كان ذلك المخلوق مسلماً أو نصرانياً أو مشركا، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث؛ فيظن أنه ذلك الشخص، أو هو ملك تصور على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشركين.

---

(١) سورة الاعراف، الآية: ٣٣

ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور. وأعانه على بعض مطالبه؛ كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب، يموت لهم الميت، فيأتي الشيطان بعد موته على صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضي الديون، ويرد الودائع، ويفعل أشياء تتعلق بالميت، ويدخل إلى زوجته ويذهب، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار، كما تصنع كفار الهند، فيظنون أنه عاش بعد موته ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال: إذا أنا مت فلا تدع أحداً يغسلني، وأنا أجيء وأغسل نفسي، فلما مات رأى خادمه شخصاً في صورته، فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه، فلما قضى ذلك الداخل غسله، أي غسل الميت، غاب، وكان ذلك شيطاناً، وكان قد أضل الميت، وقال: إنك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك، فلما مات جاء أيضاً في صورته ليغوي الأحياء، كما أغوى الميت قبل ذلك.

ومنهم من يرى عرشاً في الهواء، وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه ويقول: أنا ربك، فإن كان من أهل المعرفة؛ علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه، فيزول.

ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة يدعي أحدهم أنه نبي أو

صدِّيق أو شيخ من الصالحين ، وقد جرى هذا لغير واحد [ وهؤلاء منهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره، فيرى القبر قد انشق وخرج اليه صورة ، فيعتقدها الميت ، وإنما هو جني تصوَّر بتلك الصورة . ومنهم من يرى فارساً قد خرج من قبره ، أو دخل في قبره ، ويكون ذلك شيطاناً ، وكل من قال: إنه رأى نبياً بعين رأسه فما رأى إلا خيالاً ] .

ومنهم من يرى في منامه أن بعض الأكابر ؛إما الصدِّيق رضي الله عنه أو غيره قد قصَّ شعره ، أو حلقه ، أو ألبسه طاقيته ، أوثوبه ، فيصبح وعلى رأسه طاقية ، وشعره محلوق ، أو مقصر ، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصروه ، وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة ، وهم درجات ، والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم وعلى مذهبهم ، والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطىء ، فان كان الأنسي كافراً أو فاسقاً أو جاهلاً ، دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال ، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر، مثل الإقسام عليهم بأسماء من يعظِّمونه من الجن وغيرهم ، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة، أو يقلب فاتحة الكتاب ،أو سورة الإخلاص، أو آية الكرسي، أوغيرهن، ويكتبهن بنجاسةفيغوِّرون له

الماء ، وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر ، وقد يأتونه بمن يهواه من امرأة أو صبي ؛ إما في الهواء ، وإما مدفوعاً ملجأً اليه . إلى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها ، والايمان بها ؛ إيمان بالجبت والطاغوت والجبت: السحر. والطاغوت: الشياطين والأصنام وإن كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطناً وظاهراً ؛ لم يمكنهم الدخول معه في ذلك ، أو مسالمته ،

ولهذا لما كانت عبادة المسلمين المشروعة في المساجد التي هي بيوت الله ، كان عمّار المساجد أبعد عن الأحوال الشيطانية ، وكان أهل الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتى، فيدعون الميت أو يدعون به، أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب ، أقرب إلى الأحوال الشيطانية ، فانه ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وثبت في « صحيح مسلم » عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس ليال : « إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وذات يده أبو بكر ، ولو كنت متّخذاً خليلاً من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله، لا يبقينّ في المسجد خوخة إلا سدّت، إلا

خوخة أبي بكر ، إن من كان قبلكم يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فاني أنهاكم عن ذلك »

وفي « الصحيحين » عنه أنه ذُكر له في مرضه كنيسة بأرض الحبشة ، وذكروا من حسنها وتصاوير فيها ، فقال : « إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيها تلك التصاوير ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

وفي «المسند» و «صحيح أبي حاتم»[1] عنه ﷺ قال: « إن من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين اتخذوا القبور مساجد » .

وفي « الصحيح » عنه ﷺ أنه قال : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها » .

وفي « الموطأ » عنه ﷺ أنه قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد ، اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وفي « السنن » عنه ﷺ أنه قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، وصلوا عليّ حيثما كنتم ، فان صلاتكم تبلغني » .

---

(١) وهو المعروف بـ « صحيح ابن حبان »

وقال ﷺ : «ما من رجل يسلّم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام »[١].

وقال ﷺ : « إن الله وكّل بقبري ملائكة يُبلغونني عن أمتي السلام ».

وقال ﷺ : «أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة عليّ » قالوا : يا رسول الله ! كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ ـ يقولون : بليت ـ فقال : « إن الله حرّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء »[٢].

وقد قال الله تعالى في كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام : ( وقالوا : لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّاً ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً )[٣] ، قال ابن عباس وغيره من السلف : هؤلاء قوم كانوا صالحين من قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوّروا تماثيلهم فعبدوهم ، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان .

---

(١) أخرجه أبو داود باسناد صحيح كما قال النووي .
(٢) أخرجه أبو داود باسناد صحيح كما قال النووي .
(٣) سورة نوح ، الآية: ٢٣

فنهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ليسد باب الشرك كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ ، والشيطان يقارنها[1] وقت الطلوع ووقت الغروب ، فتكون في الصلاة حينئذ مشابهة لصلاة المشركين ، فسدّ هذا الباب . والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته ، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل أهل دعوة الكواكب ، فانه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور ، ويسمون ذلك روحانية الكواكب ، وهو شيطان ، والشيطان وإن أعان الانسان على بعض مقاصده ، فانه يضره أضعاف ما ينفعه ، وعاقبة من أطاعه إلى شر ، إلا أن يتوب الله عليه .

وكذلك عبّاد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين ، وكذلك من استغاث بميت أو غائب ، وكذلك من دعا الميت أو دعا به ، أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد ، ويروون حديثاً هو كذب باتفاق أهل المعرفة وهو : « إذا أعيتكم المعرفة فعليكم بأصحاب القبور . وإنما هذا وضع من فتح باب الشرك .

(١) قال ﷺ « لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فانها تطلع بين قرني شيطان » أخرجه مسلم .

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عبّاد الأصنام والنصارى والضلاّل من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات وهي من الشياطين، مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انعقد، أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه، يفعل الشيطان هذا ليضلّهم، وإذا قرأت آية الكرسي هناك بصدق بطل هذا، فان التوحيد يطرد الشيطان. ولهذا حُمل بعضهم في الهواء فقال: لا إله إلا الله، فسقط، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشقّ وخرج منه إنسان فيظنه الميت وهو شيطان

وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع.

ولما كان هذا الانقطاع إلى المغارات والبوادي من البدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله، صارت الشياطين كثيراً ما تأوي المغارات والجبال، مثل مغارة الدم التي بجبل قاسيون، وجبل لبنان الذي بساحل الشام، وجبل الفتح بأسوان بمصر، وجبال بالروم وخراسان، وجبال بالجزيرة، وغير ذلك، وجبل اللكام، وجبل الأحيش، وجبل سولان قرب أردبيل، وجبل شهنك عند تبريز، وجبل ماشكو عند أقشوان، وجبل نهاوند، وغير ذلك من الجبال التي يظن بعض الناس أن بها رجالاً من الصالحين من الإنس، ويسمونهم: رجال الغيب، وإنما هناك رجال من الجن، فالجن رجال، كما أن الإنس رجال، قال تعالى:

(وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً)(١).

ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجل شعراني، جلده يشبه جلد الماعز، فيظن من لا يعرفه أنه إنسي، وإنما هو جني. ويقال: بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال وهؤلاء الذين يظن أنهم الأبدال هم جن بهذه الجبال، كما نعرف ذلك بطرق متعدده.

وهذا باب لا يتسع هذا الموضع لبسطه، وذكر مانعرفه من ذلك، فإنا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه في هـذا المختصر الذي كتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام على أولياء الله تعالى ما يعرف به جمل ذلك.

والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام: قسم يكذّب وجود ذلك لغير الأنبياء؛ وربما صدق به مجملاً، وكذّب ما يذكر له عن كثير من الناس، لكونه عنده ليس من الأولياء. ومنهم من يظن أن كل ما كان له نوع من خرق العادة كان وليّاً لله وكلا الأمرين خطأ. ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين، وأنهم من أولياء الله. وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة، والصواب القول

(١) سورة الجن، الآية: ٧

الثالث، وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم، لا من أولياء الله عز وجل، كما قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم)[1].

وهؤلاء العبّاد والزهّاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة، تقترن بهم الشياطين، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً، وإذا حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم، ولا بد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً أو عمداً، ومن الإثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرّق الله بذلك بين أوليائه المتقين، وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين قال الله تعالى: (هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين؟ تنزّل على كل أفّاك أثيم)[2] والأفاك: الكذاب. والأثيم: الفاجر.

ومن أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية؛ سماع الغناء والملاهي وهو سماع المشركين قال الله تعالى: (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)[3].

قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهما من السلف:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١ (٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٢١، ٢٢٢

(٣) سورة الانفال، الآية: ٣٥

التصدية : التصفيق باليد ، والمكاء : مثل الصفير . فكان المشركون يتخذون هذا عبادة .

وأما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك ، والاجتماعات الشرعية ، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط، لا بكف، ولا بدف، ولا تواجد، ولا سقطت بردته ، بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه .

وكان أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ ، والباقون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري : ذكِّرْنا ربنا ، فيقرأ وهم يستمعون ، ومرّ النبي ﷺ بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال له : مررت بك البارحة وأنت تقرأ، فجعلت أستمع لقراءتك فقال: لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيراً[١] ،أي لحسنته لك تحسيناً، كما قال النبي ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم»[٢] وقال ﷺ : «لله أشد أذناً ـ أي استماعاً ـ إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته[٣] » وقال ﷺ لابن مسعود : «اقرأ عليّ القرآن» فقال : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود ، والدارمي ، والحاكم ، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن ماجه وابن حبان، والحاكم. قال في« الزوائد» إسناده حسن .

فقال: « إني أحب أن أسمعه من غيري » فقرأت عليه سورة (النساء)، حتى انتهيت إلى هذه الآية: ( فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً )(١) قال: «حسبك»، فاذا عيناه تذرفان من البكاء.

ومثل هذا السماع؛ هو سماع النبيين وأتباعهم، كما ذكر الله ذالك في القرآن فقال: (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكيا )(٢).

وقال في أهل المعرفة: ( وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق )(٣).

ومدح سبحانه أهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الايمان، واقشعرار الجلد، ودمع العين، فقال تعالى: ( الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرُ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله )(٤) وقال تعالى: ( إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذ تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم )(٥).

(١) سورة النساء، الآية: ٤١ (٢) سورة مريم، الآية: ٥٨
(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٣ (٤) سورة الزمر، الآية: ٢٣
(٥) سورة الانفال، الآيات: ٢ـ٤

وأما السماع المحدث ؛ سماع الكف والدف والقصب، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين، يجعلون هذا طريقاً إلى الله تبارك وتعالى، ولا يعدونه من القرب والطاعات ، بل يعدونه من البدع المذمومة ؛ حتى قال الشافعي : خلّفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة، يسمونه التغبير، يصدون به الناس عن القرآن . وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك ، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيباً وافراً . ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم .

ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله، كان نصيب الشيطان فيه أكثر، وهو بمنزلة الخمر، [بل هو] يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر ، ولهذا إذا قويت سكرة أهله ؛ نزلت عليهم الشياطين ، وتكلمت على ألسنة بعضهم، وحملت بعضهم في الهواء ، وقد تحصل عداوة بينهم ، كما تحصل بين شرّاب الخمر، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونه . ويظن الجهّال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين ، وإنما هذا مبعد لصاحبه عن الله ، وهو من أحوال الشياطين ، فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما حلّه الله ، فكيف يكون قتل المعصوم مما يكرم الله به أولياءه؟ ! وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة. فلم يكرم الله عبداً بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ، ويزيده مما يقربه اليه ، ويرفع به درجته .

وذلك أن الخوارق منها ما هو من جنس العلم ، كالمكاشفات ، ومنها ما هو من جنس القدرة والملك ، كالتصرفات الخارقة للعادات ، ومنها ما هو من جنس الغنى ، من جنس ما يعطاه الناس في الظاهر ، من العلم ، والسلطان ، والمال ، والغنى .

وجميع ما يؤتيه الله لعبده من هذه الأمور ، إن استعان به على ما يحبه الله ويرضاه ، ويقربه إليه ، ويرفع درجته ، ويؤمره الله به ورسوله ، ازداد بذلك رفعة وقربا إلى الله ورسوله ، وعلت درجته وإن استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله ، كالشرك ، والظلم ، والفواحش ، استحق بذلك الذم والعقاب ، فان لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية ، وإلا كان كأمثاله من المذنبين ، ولهذا كثيراً ما يعاقب أصحاب الخوارق ، تارة بسلبها ، كما يعزل الملك عن ملكه ، ويسلب العالم علمه ، وتارة بسلب التطوعات ، فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة ، وتارة ينزل إلى درجة الفسّاق ، وتارة يرتد عن الاسلام ، وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية ، فان كثيراً من هؤلاء يرتد عن الاسلام ، وكثيراً منهم لا يعرف أن هذه شيطانية ، بل يظنها من كرامات أولياء الله ، ويظن من يظن منهم أن الله عز وجل ، إذا أعطى عبداً خرق عادة لم يحاسبه على ذلك ، كمن يظن أن الله إذا أعطى عبداً ملكاً ومالاً وتصرفاً ؛ لم يحاسبه عليه ، ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة

لا مأمور بها ولا منهي عنها ، فهذا يكون من عموم الأولياء ، وهم الأبرار المقتصدون ، وأما السابقون المقرّبون فأعلى من هؤلاء ، كما أن العبد الرسول أعلى من النبي الملك .

ولما كانت الخوارق كثيراً ما ينقص بها درجة الرجل ، كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ، ويستغفر الله تعالى، كما يتوب من الذنوب ، كالزنا ، والسرقة ، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها، وكلهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها ، ولا يجعلها همته ، ولا يتبجح بها ، مع ظنهم أنها كرامات ، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها ؟! فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع ، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر ، وتقول : هنيئاً لك يا ولي الله ، فيقرأ آية الكرسي ، فيذهب ذلك وأعرف من يقصد صيد الطير ، فتخاطبه العصافير وغيرها ، وتقول : خذني حتى يأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها، كما يدخل في الإنس ، ويخاطبه بذلك ، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق ، فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح ، وبالعكس ، وكذلك في أبواب المدينة ،وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة، أو تريه أنواراً ، وتحضر عنده من يطلبه ، ويكون ذلك من الشياطين

يتصورون بصورة صاحبه ، فاذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ،ذهب ذلك كله .

وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له : أنا من أمر الله ،ويعده بأنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ ، ويظهر له الخوارق ، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء ،فاذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يميناً وشمالاً ، ذهب حيث أراد ، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي ، أو نومه، أوذهابه ، حصل له ما أراد من غير حركة منه في الظاهر ، وتحمله إلى مكة ، وتأتي به ، وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة ، وتقول له هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك ، فيقول في نفسه : كيف تصوروا بصورة المردان ، فيرفع رأسه فيجدهم بلحى ، ويقول له: علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة، فتنبت ويراها ، وغير ذلك ، وكله من مكر الشيطان .

وهذا باب واسع، لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج إلى مجلد كبير. وقد قال تعالى : ( فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن . وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن)[1] قال الله تبارك وتعالى : ( كلا ) ولفظ ( كلا ) فيها زجر وتنبيه ، زجر

---

(١) سورة الفجر ، الآيتان : ١٥ ، ١٦

عن مثل هذا القول ، وتنبيه على ما يخبر به ، ويؤمن به بعده ؛ وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعدُّ كرامة ، يكون الله عز وجل مكرماً له بها ، ولا كل من قدِّر عليه ذلك يكون مهيناً له بذلك ، بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسراء والضراء ، فقد يعطي النعم الدنيوية لمن لا يحبه ، ولا هو كريم عنده ، ليستدرجه بذلك ، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه ، لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده ، أو يقع بسببها فيما يكرهه منه .

وأيضاً كرامات الأولياء لا بد أن يكون سببها الايمان والتقوى ، فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان ، فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله ، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة ، والقراءة ، والذكر ، وقيام الليل ، والدعاء ، وإنما تحصل عند الشرك ، مثل دعاء الميت ، والغائب ، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرَّمات ، كالحيات ، والزنابير ، والخنافس ، والدم ، وغيره من النجاسات ، ومثل الغناء ، والرقص ، لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان ، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن ، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان ، فيرقص ليلاً طويلاً ، فاذا جاءت الصلاة صلَّى قاعداً ، أو ينقر الصلاة نقر الديك ، وهو يبغض سماع القرآن ، وينفر عنه ، ويتكلفه ، ليس له فيه

محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده ، ويحب سماع المكاء والتصدية [١] ويجد عنده مواجيد . فهذه أحوال شيطانية ، وهو ممن يتناوله قوله تعالى : ( ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيضْ له شيطاناً فهو له قرين ) [٢].

فالقرآن هو ذكر الرحمن ، قال تعالى : ( ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى )[٣] يعني تركت العمل بها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : تكفّل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ، أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ، ثم قرأ هذه الآية .

## فصل

ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمداً ﷺ إلى جميع الانس والجن ، فلم يبق إنسي ولا جني إلا وجب عليه الايمان بمحمد ﷺ واتباعه ،

(١) المكاء : الصفير . والتصدية : التصفيق .
(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٣٦
(٣) سورة طه ، الآيات : ١٢٤ ـ ١٢٦

فعليه أن يصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر . ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به ، فهو كافر ، سواء كان إنسياً أو جنياً .

ومحمد ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استمعت الجن القرآن ، وولّوا إلى قومهم منذرين لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف ، وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله : ( وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين . قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين )[(١)] وأنزل الله تعالى بعد ذلك : ( قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً . وأنه تعالى جدّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذباً وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً )[(٢)] أي السفيه منا في أظهر قولي العلماء .

(١) سورة الاحقاف ، الآيات : ٢٩-٣٢ (٢) سورة الجن ، الآيات : ١-٦

وقال غير واحد من السلف : كان الرجل من الانس إذا نزل بالوادي قال : أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، فلما استغاثت الانس والجن ، ازدادت الجن طغياناً وكفراً ، كما قال تعالى : (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً . وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً . وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً )[1] وكانت الشياطين ترمى بالشهب قبل أن ينزل القرآن ، لكن كانوا أحياناً يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب إلى أحدهم ، فلما بعث محمد ﷺ ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً ، وصارت الشهب مرصدة لهم قبل أن يسمعوا ، كما قالوا : ( وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً )[2] وقال تعالى في الآية الأخرى : ( وما تنزّلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون )[3] قالوا : (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا . وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا )[4] أي على مذاهب شتّى، كما قال العلماء منهم: المسلم والمشرك ، واليهودي والنصراني والسني والبدعي.

---

(١) سورة الجن ، الآيات : ٦-٧ (٢) سورة الجن ، الآية : ٩

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ٢١٠ - ٢١٢

(٤) سورة الجن ، الآيتان : ١٠ ، ١١

( وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا )[١] أخبروا أنهم لا يعجزونه ؛ لا إن أقاموا في الأرض ولا إن هربوا منه : ( وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا . وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون )[٢] أي الظالمون.

يقال : أقسط إذا عدل ، وقسط : إذا جار وظلم ( فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً . وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً . لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعدا . وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا . قل إنما أدعو ربي ولاأشرك به أحداً . قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا . قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجدمن دونه ملتحداً)[٣] أي ملجأً ومعاذاً ( إلا بلاغاً من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا . حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً )[٤] .

ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به، وهم جن

---

(١) سورة الجن ؛ الآية : ١٢ (٢) سورة الجن ، الآيتان : ١٣، ١٤

(٣) سورة الجن ، الآيات : ١٤-٢٢ (٤) سورة الجن ، الآيتان : ٢٣، ٢٤

نصيبين، كما ثبت ذلك في «الصحيح من حديث ابن مسعود وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمن وكان إذ قال: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)[١] قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد[٢].

ولما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوابهم، فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم» قال النبي ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فانهما زاد إخوانكم من الجن»[٣] وهذا النهي ثابت عنه من وجوه متعددة، وبذلك احتج العلماء على النهي عن الاستنجاء بذلك، وقالوا: فاذا منع من الاستنجاء بما للجن ولدوابهم، فما أعد للانس ولدوابهم من الطعام والعلف أولى وأحرى.

ومحمد ﷺ أرسل إلى جميع الانس والجن، وهذا أعظم قدراً عند الله تعالى من كون الجن سخروا لسليمان عليه السلام، فانهم سخروا له يتصرف فيهم بحكم الملك، ومحمد ﷺ أرسل اليهم يأمرهم بما أمر الله به ورسوله، لأنه عبد الله ورسوله، ومنزلة العبد الرسول فوق منزلة النبي الملك.

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ١٣

(٢) أخرجه ابن جرير، ورجال إسناده ثقات.

(٣) أخرجه أحمد ومسلم عن ابن مسعود.

وكفار الجن يدخلون النار بالنص والاجماع ، وأما مؤمنوهم، فجمهور العلماء على أنهم يدخلون الجنة ، وجمهور العلماء على أن الرسل من الانس ولم يبعث من الجن رسول؛ لكن منهم النذر، وهذه المسائل لبسطها موضع آخر

والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال : فمن كان من الانس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ، ويأمر الانس بذلك ، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى ، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ﷺ ونوابه ، ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له ، فهو كمن استعمل الانس في أمور مباحة له، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم ، وينهاهم عما حرّم عليهم ، ويستعملهم في مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك لذين يفعلون مثل ذلك .

هذا إذا قدّر أنه من أولياء الله تعالى، فغايته أن يكون في عموم أولياء الله تعالى ، مثل النبي الملك مع العبد الرسول، كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله. إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم ، أو في العدوان عليهم بغير القتل، كتمريضه وإنسائه العلم ، وغير ذلك ؛ وإما في فاحشة، كجلب من يطلب فيه

الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان ، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص ، إما فاسق،وإما مذنب غير فاسق .

وإن لم يكن تامّ العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات، مثل أن يستعين بهم على الحج ، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي ، أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله ، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة ، ونحو ذلك ، فهذا مغرور قد مكروا به .

وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن ؛ بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات ، وليس عندهم من حقائق الايمان ومعرفة القرآن ما يفرّق به بين الكرامات الرحمانية ، وبين التلبيسات الشيطانية ، فيمكرون به بحسب اعتقاده ، فان كان مشركاً يعبد الكواكب والأوثان ، أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة ، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل بمن صوّر ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح ، فيظن أنه يعبد ذلك النبي أو الصالح ، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان ، قال الله تعالى : ( ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك

أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون)[١].

ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها، فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له، ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون، فإن كان نصرانياً واستغاث بجرجس أو غيره، جاء الشيطان في صورة جرجس أو من يستغيث به. وإن كان منتسباً إلى الاسلام واستغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين، جاء في صورة ذلك الشيخ. وإن كان من مشركي الهند، جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك.

ثم إن الشيخ المستغاث به، إن كان ممن له خبرة بالشريعة، لم يعرفه الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغيثين به، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة له، أخبره بأقوالهم، ونقل أقوالهم له، فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البعد وأجابهم، وإنما هو بتوسط الشيطان.

ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هذا بصورة مكاشفة ومخاطبة فقال: يريني الجن شيئاً برّاقاً مثل الماء والزجاج، ويمثلون له فيه ما يطلب منه الإخبار به، قال: فأُخبر الناس به، ويوصلون إليّ كلام من استغاث بي من أصحابي فأجيبه، فيوصلون جوابي إليه.

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٤٠، ٤١

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق ـ إذا كُذّب بها من لم يعرفها وقال: إنكم تفعلون هذا بطريق الحيلة، كما يدخل النار بحجر الطلق وقشور النارنج، ودهن الضفادع، وغير ذلك من الحيل الطبيعية، ـ يتعجب هؤلاء المشايخ ويقولون: نحن والله لا نعرف شيئاً من هذه الحيل. فلما ذكر لهم الخبير: إنكم لصادقون في ذلك، ولكن هذه الأحوال شيطانية، أقرّوا بذلك، وتاب منهم من تاب الله عليه لما تبين لهم الحق، وتبين لهم من وجوه أنها من الشيطان، ورأوا أنها من الشياطين، لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي لله، فلا تحصل عندما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية، فعلموا أنها حينئذ من مخارق الشيطان لأوليائه لا من كرامات الرحمن لأوليائه.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب،

وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه، وعلى آله

وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه، صلاة

وسلاماً نستوجب بها شفاعته

آمين

تنبيه : سقط من التعليق رقم (٣) في الصفحة (٣١) من رسالة الفرقان هذه ، ما يلي :

وأخرجه أحمد بن حنبل في « مسنده » عن عبد الله بن عمر بلفظ : قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس . فقال قائل : يا رسول الله ! وما فتنة الأحلاس؟ قال : « هي فتنة هَرَبٍ وحَرَبٍ ، ثم فتنة السراء دَخَلُها أو دَخَنُها من تحت قَدَمَيْ رَجُلٍ من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني ، إنما وليي المتقون » .

قال أحمد شاكر في تعليقه عليه : إسناده صحيح .

---

# الحزب المقبول من أحاديث الرسول ﷺ

تأليف الفاضل الأجل أبي سعيد محمد بن الفيض الأنصاري

المقدمة وفيها ثلاثة فصول

## الفصل الأول في فضل الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

« الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : ( وقال ربكم ادعوني استجب لكم )[1] .

« الدعاء مخ العبادة »[2] .

« ليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء »[3] .

« لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر »[4] .

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٠ والحديث رواه أحمد وغيره بسند صحيح .

(٢) رواه الترمذي بسند ضعيف .

(٣) رواه أحمد، والترمذي وقال : غريب ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، وأقره الذهبي .

(٤) رواه الترمذي وقال : حسن غريب، وفيه أبو مودود فضة : لينه الحافظ في «التقريب» ورواه ابن حبان في «صحيحه» والحاكم وقال : صحيح الاسناد.

«إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء »(١)

« ما من أحـد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل ، أو كف عنه من السوء ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم »(٢).

« من لم يسأل الله يغضب عليه »(٣) .

« من فتح له منكم باب الدعاء ، فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئاً ـ يعني أحب اليه ـ من أن يسأل العافية »(٤).

« إن ربكم حيي كريم ، يستحيي من عبده إذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا »(٥)

« ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم ، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث . إما أن يعجل دعوته ، وإما أن يدخرها له

(١) رواه الترمذي ، والحاكم وصححه ، وتعقبه الذهبي بأن فيه عبد الرحمن أي: المليكي ، ولينه الحافظ ابن حجر .

(٢) رواه أحمد ، والترمذي ، والحاكم ، وفي سنده ابن لهيعة ، وللحديث شواهد من طريق أبي سعيد وعبادة بن الصامت .

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه ، وفي سنده أبو صالح الخوزي ، ضعفه ابن معين ، وقال أبو زرعة : لا بأس به .

(٤) رواه الترمذي وقال : حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث أبي بكر المليكي ، وهو ضعيف في الحديث .

(٥) رواه أحمد ، وأبو داود والترمذي وقال : حسن غريب . قال ابن حجر العسقلاني : سنده جيد .

في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها » قالوا : إذاً نكثر . قال : « الله أكثر »(١) .

# الفصل الثاني

## في آداب الدعاء

«إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها»(٢)

« [وكان] إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه »(٣)

« [وكان] يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه »(٤)

قال : كان يجعل إصبعيه حذاء منكبيه ويدعو .

قال : إن رفعكم أيديكم بدعة ، مازاد رسول الله ﷺ على هذا ، يعني إلى الصدر .

---

(١) قال المنذري : رواه أحمد ، والبزار ، وأبو يعلى بأسانيد جيدة ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٢) قال أبو داود : روي هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب القرظي كلها واهية ، وهذا الطريق أمثلها ، وهو ضعيف أيضاً .

(٣) رواه الترمذي وقال : غريب لانعرفه إلا من حديث حماد بن عيسى تفرد به وهو قليل الحديث ، وقد حدث عنه الناس . وضعفه العراقي .

(٤) رواه مسلم .

« إذ دخل رجل فصلى ، فقال : اللهم اغفر لي وارحمني . فقال رسول الله ﷺ : « عجلت أيها المصلي ! إذا صليت فقعدت ، فاحمد الله بما هو أهله ، وصلِّ عليَّ ، ثم ادعه »(١)

قال : ثم صلى رجل آخر بعد ذلك ، فحمد الله وصلى على النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : « أيها المصلي ! ادعُ تُجبْ » . فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى ، ثم الصلاة على النبي ﷺ ، ثم دعوت لنفسي . فقال النبي ﷺ : « سلْ تعطه ، سل تعطه »(٢)

« إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك »(٣)

كان يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك(٤)

« لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم »(٥)

---

(١) رواه أبو داود ، والترمذي والنسائي ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .
(٢) رواه النسائي بسند صحيح .
(٣) رواه الترمذي موقوفاً على عمر بن الخطاب .
(٤) رواه أبو داود في الصلاة ، والحاكم في الدعاء عن عائشة . قال الحاكم : صحيح ، وأقره الذهبي ، وجود إسناده النووي في «الأذكار» و «الرياض» .
(٥) رواه مسلم عن جابر .

« إذا دعا أحدكم فلا يقل : اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ، ارزقني إن شئت ، وليعزم مسألته ، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له »(١).

« يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل » قيل : يا رسول الله ! ما الاستعجال ؟ قال : « يقول : قد دعوت وقد دعوت ، فلم أر يستجيب لي ، فيستحسر عند ذلك ويدَع الدعاء »(٢)

«دعوة الرجل المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكّل ، كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل »(٣)

« إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب »(٤)

« أشركنا يا أخيّ في دعائك ولا تنسنا ، فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا »(٥)

« ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها ، حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع »(٦)

(١) رواه أحمد في « المسند » والبخاري ومسلم في الدعوات عن أنس .
(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة . (٣) رواه مسلم عن أبي الدرداء .
(٤) رواه أبو داود، والترمذي، والطبراني عن عبدالله بن عمرو ، وقد ضعفه الترمذي
(٥) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .
(٦) رواه الترمذي وابن حبان عن أنس .

وفي رواية عن ثابت البناني مرسلاً : « حتى يسأله الملح ، وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع »(١)

« إذا ذكر أحداً فدعا له ، بدأ بنفسه »(٢)

« من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد ، فليكثر الدعاء في الرخاء »(٣)

« ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ »(٤)

« يا غلام ! احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف »(٥).

---

(١) رواه الترمذي عن ثابت البناني مرسلا ، ورواه البزار عن أنس مرفوعاً: « ليسأل أحدكم ربه حاجته أو حوائجه كلها ، حتى يسأله شسع نعله اذا انقطع ، وحتى يسأله الملح » قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، غير سيار بن حاتم وهو ثقة .

(٢) رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب صحيح

(٣) رواه الترمذي، والحاكم وصححه ، وأقره الذهبي .

(٤) رواه الترمذي ، والحاكم . وفي سنده صالح المري ، وهو ضعيف .

(٥) رواه الترمذي عن عبد الله بن عباس ، وقال : حديث حسن صحيح.

« إذا قال العبد : يا رب ! يا رب ! قال الله : لبّيك عبدي ، سل تُعط »(١) .

قال النبي ﷺ : « أوجب إن ختم » فقال رجل من القوم: بأي شيء يختم ؟ قال : بـ « آمين »(٢) .

# الفصل الثالث

## في أوقات قبولية الدعاء

أي الدعاء أسمع ؟ قال : « جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبات »(٣) .

« لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة »(٤) .

« إن في يوم الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه »(٥) .

« هي ما بين أن يجلس الامام إلى أن تقضى الصلاة »(٦) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء عن عائشة ، وهو ضعيف، ولكن له شاهد عند البزار . (٢) رواه أبو داود عن أبي زهير النميري .

(٣) رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال : حديث حسن .

(٤) رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحيهما » . (٥) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة

(٦) رواه مسلم وأبو داود . قال أحمد : أكثر الأحاديث في الساعة التي ترجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد صلاة العصر . ومن شاء التفصيل فليراجع «فتح الباري» (٢/٣٥١) .

« التمسوا الساعة التي ترجى في يوم الجمعة بعد العصر إلى غيبوبة الشمس »[١].

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[٢].

وفي رواية عن ابن عباس : «وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم »[٣].

« إذا دخلت على مريض فمره يدعو لك ، فإن دعاءه كدعاء الملائكة »[٤].

« ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتي لأنصرنَّك ولو بعد حين »[٥].

« ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة الوالد ، ودعوة

(١) رواه الترمذي من حديث أنس، وقال : حديث غريب ، وقد روي عن أنس من غير وجه ، وله شواهد ، وفي الباب عن جابر عند أبي داود وغيره، وصححه الحاكم والذهبي والنووي .

(٢) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، عن أبي هريرة .

(٣) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي .

(٤) رواه ابن ماجه . قال المنذري : رواته ثقات ، لكن ميمون بن مهران لم يسمع من عمر .

(٥) رواه أحمد في «المسند» والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة. وفيه مقال، تكلم فيه الحافظ ابن حجر وغيره .

المسافر ، ودعوة المظلوم »[١] .

إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة »[٢] .

« ثنتان لا تردّان : الدعاء عند النداء ، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً »[٣] .

وفي رواية : « وتحت المطر »[٤] .

« كنا نؤمر بالدعاء عند أذان المغرب » .

باب الدعاء عند القيام من النوم

« الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور »[٥] .

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على

---

(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود ، كلهم من حديث أبي جعفر المدني . قال المناوي وغيره : لا يعرف . وقال ابن العربي في «العارضة» : الحديث مجهول، وربما شهدت له الاصول .

(٢) رواه أحمد ومسلم عن جابر رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود ، والدارمي ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواها الحاكم ثم قال : تفرد به يعقوب الزمعي ، قال عنه الحافظ في « التقريب » : صدوق سيء الحفظ .

(٥) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح.

كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، رب اغفرلي »(١) .

« لا إله إلا أنت ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك . اللهم زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب »(٢) .

« اللهم إني أسألك خيراً » .

« الله أكبر « عشراً » الحمد لله « عشراً » سبحان الله وبحمده عشراً ، سبحان الملك القدوس عشراً ، استغفر الله عشراً ، لاإله إلا الله عشراً ، اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا ، وضيق يوم القيامة عشراً »(٣) .

---

(١) رواه البخاري والترمذي وأبو داود ، وهو بتمامه : من تعار من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، وسبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : رب اغفر لي ، أو دعا ، استجيب له ، فان توضأ وصلى قبلت صلاته » وتعار : أي استيقظ .

(٢) أخرجه أبو داود والنسائي ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان اذا استيقظ من الليل قال : « لا إله إلا أنت . . . » وفي سنده عبد الله بن الوليد ، وهو المصري ، وهو ليّن الحديث كما في « التقريب » .

(٣) رواه أبو داود ، وفي سنده شريق الهوزني ، لا يعرف ، وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس ، ولكن رواه أحمد ، وابن أبي شيبة ، وأبو داود بلفظ : كان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة ، وإسناده صحيح .

« سبحان رب العالمين » .

« سبحان الله وبحمده » .

اللهم لك الحمد ، أنت قيم[١] السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت نور[٢] السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت واليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ولا إله غيرك[٣] .

« إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . . »[٤] إلى ختم السورة .

---

(١) أي حافظها وراعيها . (٢) أي منورها ، وبك يهتدي من فيهما.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والدارمي .

(٤) سورة آل عمران ، الآيات : ١٩٠ـ٢٠٠ روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بت عند خالتي ميمونة ، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ، ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر ، قعد فنظر الى السماء فقال : « إن في خلق السماوات والأرض ... الآيات » الحديث ...

## باب الدعاء عند افتتاح صلاة الليل

« اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »[١].

« سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك »[٢].

« الله أكبر كبيراً »[٣].

« أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه »[٤].

« الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة »[٥].

(١) رواه مسلم عن عائشة. (٢) رواه أبو دواد والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وقد روي من غير وجه بأسانياد جياد.

(٣) رواه مسلم، وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » استفتح به رجل فقال: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلا، فقال ﷺ: « عجبت لها، فتحت لها أبواب السماء ».

(٤) رواه أبو داود، والترمذي بسند حسن، والهمز: المؤتة، نوع من الجنون. والنفخ: الكبر. والنفث: الشعر، والمراد به الشعر المذموم.

(٥) رواه أبو داود بسند صحيح.

## باب القنوت في الوتر

« اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت »(١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

« اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ، ونثني عليك الخير ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك »(٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

« اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، ونخشى عذابك الجد ، ونرجو رحمتك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق »(٣) .

---

(١) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن ، وأحمد ، والطبراني ، قال الترمذي : ولا نعرف عن النبي ﷺ في القنوت شيئاً أحسن من هذا . ورواه ابن أبي شيبة ، وابن عساكر بسند صحيح .

(٢) هو من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) وهو أيضاً من دعاء عمر بن الخطاب .

« اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك »(١).

« سبحان الملك القدوس »(٢) ثلاثاً .

## باب إجابة المؤذن والدعاء بعد الأذان

« إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر ، فقال أحدكم : الله أكبر الله أكبر ، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله قال: أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : أشهد أن محمداً رسول الله . ثم قال : حيّ على الصلاة ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال : حيّ على الفلاح ، قال: لا حول قوة إلا بالله. ثم قال : الله أكبر الله أكبر ، قال: الله أكبر الله أكبر . ثم قال : لا إله إلا الله ، قال : لا إله إلا الله »(٣) .

« أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده

(١) رواه مسلم وأصحاب « السنن » عن عائشة .

(٢) روى أبو داود والنسائي بإسناد صحيح عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الوتر قال : « سبحان الملك القدوس » وفي رواية النسائي وابن السني : « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات .

(٣) رواه مسلم ، وأبو دواد ، والنسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا قال المؤذن . . . » وقال في آخره : « ثم قال : لا إله إلا الله . قال : لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة » .

ورسوله ، رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً ، وبالاسلام ديناً »(١) .

« اللهم ربّ هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته »(٢) .

« اللهم هذا إقبال ليلك ، وإدبار نهارك ، وأصوات دعاتك فاغفر لي »(٣) .

« أقامها الله وأدامها »(٤) .

## باب الدعاء بعد ركعتي الفجر

اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً ، وفوقي نوراً ، وتحتي نوراً ، وأمامي نوراً ، وخلفي نوراً ، واجعل لي نوراً ، وفي لساني نوراً ، وعصبي

---

(١) رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : حين يسمع المؤذن : أشهد ... » وفي آخره : « غفر له ذنبه » .

(٢) رواه البخاري ، وأبو داود وغيرهما عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم ... » وفي آخره : حلت له شفاعتي يوم القيامة » .

(٣) رواه أبو داود ، والبيهقي في « الدعوات الكبير » وإسناده ضعيف ، فيه أبو كثير ، وهو مجهول ، كما قال النووي وغيره .

(٤) رواه أبو داود ، وإسناده ضعيف ، فيه مجهول وضعيفان ، ولذلك جزم النووي والعسقلاني بأنه حديث ضعيف .

نوراً ، ولحمي نوراً ، ودمي نوراً ، وشعري نوراً ،وبشري نوراً ،واجعل في نفسي نوراً، واعظم لي نوراً ، اللهم أعطني نوراً »[(١)] .

## باب الدعاء عند الخروج من البيت

« بسم الله ، توكلت على الله ، اللهم إنا نعوذ بك من أن نذل أو نضل أو نظلم أو نظلم أو نجهل أو يُجهل علينا »[(٢)] .

« بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »[(٣)] .

« اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل ، أو أظلم أو أُظلم ، أو أجهل أو يُجهل عليّ »[(٤)] .

## باب الدعاء عند دخول المسجد

أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان

(١) رواه مسلم وابن أبي شيبة .

(٢) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه أبو داود ، والترمذي وحسنه ،والنسائي من حديث أنس ،والحديث بتمامه : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : ـ يعني اذا خرج من بيته ـ بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، يقال له: كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان .

(٤) رواه أبو داود ؛ والترمذي ، والنسائي وقال الترمذي :وهو حديث صحيح .

الرجيم »[١].

« بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله »[٢].

« رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك »[٣].

## باب الدعاء والذكر بعد صلاة الصبح والمغرب

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير »[٤].

« اللهم أجرني من النار ( سبع مرات ) ».

« اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبَّلاً ، ورزقاً طيباً »[٥].

## باب الدعاء والذكر عند الصبح والمساء

« بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات) »[٦].

(١) قال النووي في « الأذكار »: حديث حسن ،ورواه أبو داود بسند جيد.

(٢) قال النووي في « الاذكار » : روينا في كتاب ابن السني عن أنس رضي الله عنه . قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال : « بسم الله اللهم صل على محمد » .

(٣) رواه ابن السني بلفظ : « اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك » .

(٤) رواه الطبراني من رواية يحيى بن عبدالله البابلتي ،وهو ضعيف كما في «التقريب» .

(٥) رواه أحمد وابن ماجه وابن السني عن أم سلمة .

(٦) رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي ، وقال: حديث حسن غريب صحيح .

« اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري لا إله إلا أنت ( ثلاث مرات ) »[١] .

«رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا (ثلاث مرات)»[٢] .

« أصبحنا على فطرة الاسلام ، وكلمة الاخلاص ، وعلى دين نبينا محمد ﷺ ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»[٣] .

« أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله ، والكبرياء والعظمة لله ، والخلق والأمر ، والليل والنهار ، وما سكن فيهما لله »[٤] .

« اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحاً ، وأوسطه نجاحاً ، وآخره فلاحاً يا أرحم الراحمين ، أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين » .

اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته

(١) رواه أبو داود

(٢) رواه الترمذي عن ثوبان بلفظ : « من قال حين يمسي : رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً » دون ذكر ثلاث مرات . وفي إسناده سعد ابن المرزبان ، وهو ضعيف ، وقال الترمذي عنه : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، ولعله صح عنده من طريق آخر . ورواه أبو داود والنسائي . قال النووي : بأسانيد جيدة .

(٣) حديث صحيح أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد «المسند» عن عبد الرحمن ابن أبزى ، وأخرجه أحمد ، والدارمي ، وابن السني في « اليوم الليلة » .

(٤) ذكره النووي في « الاذكار » رواية ابن السني .

وهداه ، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده ( في الصباح )[١] .

أمسينا وأمسى الملك لله رب العالمين .

اللهم إني أسألك خير هذه الليلة ، فتحها ونصرها ونورها وبركتها وهداها ، وأعوذ بك من شر ما فيها وشر ما بعدها ( في المساء ) .

اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ( في الصباح ) .

اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ( في المساء ) .

اللهم إني أصبحت أشهدك ، وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله ؛ لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ( في الصباح ) .

اللهم إني أمسيت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ( في المساء ) .

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ( سبع مرات ) .

(١) رواه أبو داود عن أبي مالك الاشعري .

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت(١) .

اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة .

اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي.

اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي .

اللهم احفظني من بين يديّ ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي(٢).

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير(٣).

( فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السماوات والأرض وعشيّاً وحين تظهرون. يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحيّ ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون )(٤) .

---

(١) رواه البخاري عن شداد بن أوس

(٢) أخرجه النسائي ، وابن ماجه ، وصححه الحاكم .

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» عن عبدالله بن مسعود رضي الله قال: كان النبي ﷺ إذا أمسى قال : « أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ... » .

(٤) سورة الروم ، الآيات : ١٧-١٩ روى الطبراني عن عبد الله بن عباس عن =

اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض ، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه[1] .

اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك المصير[2] ( في الصباح ) .

اللهم بك أمسينا ، وبك أصبحنا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور[3] (في المساء) .

أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خير ما في هذه الليلة . وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها ، رب أعوذ بك من الكسل ، ومن سوء الكبر

---

= رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والارض وعشياً وحين تظهرون .. الآية بكاملها أدرك ما فاته في يومه ، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته » ، ورواه أبو داود ، وضعفه البخاري في « التاريخ الكبير » وفي كتابه « كتاب الضعفاء » .

(١) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .

(٣) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن.

والكفر ، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر[١] (في المساء) .

أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله، لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر والكفر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر[٢] (في الصباح) .

(حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير )[٣] .

( الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم)[٤] .

(١) رواه مسلم دون لفظة « والكفر » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم أيضاً دون لفظة « والكفر » عن ابن مسعود .

(٣) سورة المؤمن ، الآيات : ١ـ٣

(٤) سورة البقرة ، الآية: ٢٥٥ روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة المال، وفي آخر الحديث: اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي ، فانه لن يزال معك من الله تعالى حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح .

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ( ثلاث مرات )
( هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم )(١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

( قل هو الله أحد . الله الصمد ، لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد ) « ثلاث مرات » .

بسم الله الرحمن الرحيم

( قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن غاسق إذا

(١) سورة الحشر ، الآيات : ٢٢-٢٤ وأخرج أحمد في « المسند » عن معقل ابن يسار عن النبي ﷺ : « من قال حين يصبح : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي » ورواه الترمذي وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ورواه ابن السني ، والترمذي بإسناد فيه ضعف

وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد )[١] « ثلاث مرات » .

بسم الله الرحمن الرحيم

( قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شرّ الوسواس الخنّاس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجِنّة والناس )[٢] « ثلاث مرات » .

اللهم بك أُحاول ، وبك أُصاول ، وبك أُقاتل ( يس . والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين )[٣] إلى آخر السورة .

## باب الدعاء عند الخروج من المسجد

اللهم إني أسألك من فضلك[٤] « بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله »[٥] ، « رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك »[٦] .

---

(١) سورة الفلق (٢) سورة الناس

(٣) سورة يس ، الآيات : ١-٣

(٤) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي وابن ماجه .

(٥) رواه ابن السني بلفظ : بسم الله اللهم صل على محمد .

(٦) رواه ابن السني اذا دخل المسجد قال : اللهم اغفر لي واذا خرج : اللهم افتح لي أبواب فضلك .

## باب الدعاء عند دخول البيت

اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وعلى الله ربنا توكلنا[١] .

## باب الدعاء عند الأكل والشرب

بسم الله ، وعلى بركة الله .

الحمد لله الذي أشبعنا وأروانا وأنعم علينا وأفضل .

بسم الله أوله وآخره[٢] .

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفيٍّ ولامودَّعٍ ولا مستغنى عنه ، ربنا[٣] .

الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين[٤] .

الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوَّغه ، وجعل له مخرجاً[٥] .

---

(١) رواه أبو داود عن أبي مالك الاشعري .

(٢) رواه أبو داود ، والترمذي عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله ، فانه نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : بسم الله أوله وآخره . قال الترمذي : حسن صحيح .

(٣) رواه البخاري عن أبي أمامة .

(٤) رواه أبو داود ، والترمذي عن أبي سعيد الخدري .

(٥) رواه أبو داود ، والنسائي بسند صحيح .

اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه .

اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم (١) .

## باب الدعاء عند دخول الخلاء وخروجه

اللهم إني أعوذ بك من الخُبُث والخبائث (٢) .

أعوذ بالله من الخبث والخبائث بسم الله ( عند الدخول ) .

غفرانك ، الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني ( بعد الخروج ) (٣) .

## باب الدعاء قبل الوضوء وبعده

بسم الله الرحمن الرحيم . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم اجعلني من التوّابين واجعلني من المتطهرين (٤) ( بعد الوضوء ) .

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن بسر .

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك .

(٣) روى أبو داود ، والترمذي أن رسول الله ﷺ كان يقول : « غفرانك » وروى النسائي ، وابن ماجه باقيه .

(٤) روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما منكم من أحد يتوضأ » ثم قال : « أشهد أن لا إله إلا الله وحده . . . » وزاد الترمذي : « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » وسندها صحيح .

## باب الدعاء بعد التكبيرة الاولى

اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد[١] .

وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي ، واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك والخير كله في يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك[٢] ، الله أكبر كبيراً ( ثلاثاً ) والحمد لله كثيراً ( ثلاثاً )[٣] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن حبان ، وأحمد ، والشافعي ، والطبراني .

(٣) رواه أبو داود ، والطحاوي بسند حسن .

وسبحان الله بكرة وأصيلاً[١] ( ثلاثاً ) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه[٢] .

## باب الدعاء في الركوع وبعده وفي السجود وبين السجدتين

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي[٣] .

سبوح قدوس رب الملائكة والروح[٤] .

سمع الله لمن حمده[٥] .

اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد .

اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ماشئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد .

اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجد ، ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، سبحان ربي العظيم « ثلاثاً » سبحان ربي الأعلى « ثلاثاً » سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة .

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، والدارقطني ، والحاكم وصححه هو وابن حبان ، والذهبي . (٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه مسلم . (٥) رواه البخاري ومسلم .

اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي .

اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد

اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهي للذي خلقه ، وصوّره ، وشقّ سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين .

اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دِقّه ، وجِلّه ، وأوله ، وآخره ، وعلانيته ، وسره .

اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أُحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

اللهم اغفرلي وارحمني واهدني وعافني وارزقني، رب اغفر لي .

## باب التشهد والصلاة على النبي ﷺ والدعاء

التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل

إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات

اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم .

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم .

اللهم اغفر لي ماقدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت .

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وأسألك من خير ماتعلم ، وأعوذ بك من شر ماتعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

## باب الدعاء والذكر بعد الصلاة

الله أكبر ، أستغفر الله ( ثلاثاً ) اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام . رب أعني على ذكرك

وشكرك وحسن عبادتك . لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء . لا حول ولا قوة إلا بالله . لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن . لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

اللهم إنى أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر . سبحان الله ( ثلاث وثلاثون ) والحمد لله ( ثلاث وثلاثون ) والله أكبر ( أربع وثلاثون ) الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم . قل أعوذ برب الفلق ( إلى آخرها ) ، قل أعوذ برب الناس ( إلى آخرها ) .

## باب الدعاء عند عيادة المريض

أذهب البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً . لا بأس طهور إن شاء الله تعالى . قل أعوذ برب الناس ( إلى آخر السورة ) بسم الله تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، ليشفى سقيمنا بإذن ربنا . بسم الله ( ثلاثاً ) أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ( سبعاً ) بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، بسم الله أرقيك . أعيذكما بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامّة ، ومن كل عين لامّة . أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك . بسم الله الكبير ، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعّار ، ومن شر حر النار . ربنا الله الذي في السماء تقدّس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء ، فاجعل رحمتك في الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع .

اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدواً أو يمشي لك إلى جنازة .

اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي .

## باب الدعاء والذكر عند من حضره الموت

لا إله إلا الله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجُرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها

اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يارب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين. يس والقرآن الحكيم (السورة).

## باب الدعاء في صلاة الجنازة ودفنها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين... (السورة)

اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرَد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار.

اللهم اغفر لحيِّنا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الايمان ، اللهم لاتحرمنا أجره ، ولا تفتنِّا بعده

اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك، وحبل جوارك ، فقه من فتنة القبر وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحق .

اللهم اغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم .

اللهم أنت ربها ، وأنت خلقتها ، وأنت هديتها إلى الاسلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها ، جئنا شفعاء فاغفر له .

اللهم اجعله لنا سلفاً وفرطاً وذخراً وأجراً .

اللهم عبدك وابن عبدك كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدك ورسولك، وأنت أعلم به مني ، إن كان محسناً فزد في إحسانه ، وإن كان مسيئاً فاغفر له ، ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده .

بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ( الٓمٓ . ذلك الكتاب لا ريب فيه) . إلى قوله:(وأولئك هم المفلحون)[١] عند رأسه ( آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون )[٢]... إلى آخر السورة. عند رجليه .

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١ ـ ٥

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥

باب الدعاء عند زيارة القبور

السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون. نسأل الله لنا ولكم العافية .

السلام عليكم يا أهل القبور ، يغفر الله لنا ولكم ، أنتم سلفنا ونحن بالأثر .

السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون .

اللهم اغفر لأهل البقيع الغرقد ، السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون .

باب دعاء الاستخارة

اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدُر لي الخير حيث كان ، ثم أرضني به .

## باب دعاء الحاجة

لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين .

أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل برٍ ، والسلامة من كل إثمٍ ، لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ، ولا همَّاً إلا فرجته ، ولا حاجة هي لك رضىً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين .

## باب خطبة الحاجة كالنكاح وغيره وما يتعلق به

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[١] (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة...)إلى قوله : (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً )[٢] ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً )[٣] .

(١) سورة آل عمران ، الاية : ١٠٢ (٢) سورة النساء ، الآية : ١

(٣) سورة الاحزاب ، الآيتان : ٧٠ ، ٧١

بارك الله لك ، وبارك عليكما ، وجمع بينكما في خير .

اللهم إني أسألك من خيرها وخير ماجبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ماجبلتها عليه .

بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان مارزقتنا .

## باب الدعاء عند دخول السوق

لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حي لايموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . بسم الله ، اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير مافيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها .

اللهم إني أعوذ بك أن أُصيب فيها صفقة خاسرة .

## باب الدعاء عند الكرب والغضب

اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا .

اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لاإله إلا أنت .

اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك وفي قبضتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدل فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، وأنزلته في كتابك ، أو علّمته أحداً من خلقك ،

أو استأثرت به في مكنون الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، وجلاء همي وغمي . ياحي ياقيوم ، برحمتك أستغيث . لاإله إلا الله العظيم الحليم ، لاإله إلا الله رب العرش العظيم ، لاإله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ، رب العرش الكريم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

## باب الدعاء عند صياح الديك ونهيق الحمار

اللهم إني أسألك من فضلك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

## باب الدعاء في السفر ومشايعة المسافر

الله أكبر ( ثلاثاً ) .

( سبحان الذي سخر لنا هذا وما كناله مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون )[1] .

اللهم إنا نسألك في سفرنا هـذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ،اللهم هوّن علينا سفرنا هذاواطو لنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل . اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل، آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون .

---

(١) سورة الزخرف ، الآيتان : ١٣ ، ١٤

اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكور ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال .

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق، سمع سامع بحمد الله ونعمته، وحسن بلائه علينا، ربنا صاحبنا حافظنا وأفضل علينا عائذاً بالله من النار، الله أكبر ( ثلاثاً ) لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ؛ آيبون تائبون، ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم

اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم .

اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل.

بسم الله ، الحمد لله( سبحان الذي سخر لنا هذا وما كناله مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون )[1] الحمد لله ( ثلاثاً ) والله أكبر ( ثلاثاً ) سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، يا أرض! ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر مافيك ، وشر ما خلق فيك ، وشر مايدب عليك ، وأعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب ، ومن شر ساكن البلد ومن والد وما ولد .

(١) سورة الزخرف ، الآيتان : ١٣ ، ١٤

استودع الله دينك وأمانتك وآخر عملك . استودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم. زودك الله التقوى، وغفر ذنبك ، ويسر لك الخير حيثما كنت .

اللهم اطو ِ له البعد ، وهوّن عليه السفر .

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا أيها الكافرون . . . إلى آخر السورة .

إذا جاء نصر الله والفتح . . . السورة .

قل هو الله أحد . . . السورة .

قل أعوذ برب الفلق . . . السورة .

قل أعوذ برب الناس . . . السورة

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرَين ، فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها .

اللهم بارك لنا فيها ( ثلاثاً )

اللهم ارزقنا جناها وحببنا إلى أهلها وحبب صالحي أهلها الينا .

## باب دعاء الاحرام والتلبية

لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

لبيك اللهم لبيك وسعديك، والخير في يديك لبيك والرغباء اليك والعمل .

اللهم إني أسألك رضاك والجنة ، وأسألك العفو برحمتك من النـار .

## باب دعاء الطواف والمقام والصفا والمروة

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

اللهم قنعني بما رزقتني ، وبارك لي فيه ، واخلف على كل غائبة لي بخير ، (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) .

اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي ، فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي ، فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي .

اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي، ورضى بما قسمت لي يا أرحم الراحمين (إن الصفا والمروة من شعائر الله)(١) أبدأ بما بدأ الله به: لا إله إلا الله وحده، الله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

اللهم إنك قلت: ادعوني أستجب لكم، وإنك لا تخلف الميعاد، وإني أسألك كما هديتني للاسلام أن لا تنزعه مني حتى توفاني وأنا مسلم، رب اغفر وارحم أنت الأعز الأكرم.

## باب دعاء عرفة(٢) بعرفة

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيراً مما نقول.

اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، وإليك مآبي، ولك ربي تراثي.

اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ووسواس الصدر، وشتات الأمر.

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ١٥٨

(٢) في الأصل: العرفة

اللهم إني أسألك من خير ما تجيء به الريح ، وأعوذ بك من شر ما تجيء به الريح ، لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي قلبي نوراً .

اللهم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، وأعوذ بك من وساوس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر .

اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل ، وشر ما يلج في النهار ، وشر ما تهب به الريح ، وشر بوائق الدهر .

لبيك اللهم لبيك ، إنما الخير خير الآخرة ، الله أكبر ، ولله الحمد ، الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر ولله الحمد . لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد .

اللهم اجعله حجاً مبروراً ، وذنباً مغفوراً .

اللهم اهدنا بالهدى ، وزيّنّا بالتقوى ، واغفر لنا في الآخرة والأولى .

اللهم إني أسألك رزقاً حلالاً طيباً مباركاً .

اللهم إنك أمرتني بالدعاء ولك الاجابة وإنك لا تخلف الميعاد ، ولا تنكث عهدك .

اللهم ما أحببت من خير فحببه إلينا ويسره لنا ، وما كرهت من شر فكرّهه إلينا وجنبناه ، ولا تنزع منا الاسلام بعد إذ هديتنا ( ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار )(١) .

اللهم إني أسألك من خير ما سألك به نبيك ﷺ ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ به نبيك ﷺ ( ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين )(٢) ( رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبّل دعاء . ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب )(٣) ( رب ارحمهما كما ربياني صغيرا )(٤) ( ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم )(٥) ( ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)(٦) ( وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم )(٧) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اللهم إنك تعلم وترى مكاني وتسمع كلامي ، وتعلم سري وعلانيتي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري ، وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠١ (٢) سورة الاعراف ، الآية : ٢٣
(٣) سورة ابراهيم ، الآيتان : ٤٠، ٤١ (٤) سورة الاسراء ، الآية : ٢٤
(٥) سورة الحشر ، الآية : ١٠ (٦) سورة البقرة ، الآية : ١٢٧
(٧) سورة البقرة ، الآية : ١٢٨

الوجل المشفق المقر المعترف بذنبي ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه ، ونحل لك جسده ، ورغم لك أنفه .

اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقياً ، وكن لي رؤوفاً رحيماً ، يا خير المسؤولين يا خير المعطين ، يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين ؛ آمين .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ( مائة مرة ) قل هو الله أحد .. السورة ( مائة مرة ) اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وعلينا معهم ( مائة مرة ) .

باب الدعاء عند رؤية الهلال

اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله ، هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد . آمنت بالذي خلقك ( ثلاث مرات ) الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا ، أعوذ بالله من شر هذا .

اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان .

باب دعاء الإفطار

اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، ذهب الظمأ ، وابتلت

العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله .

اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر ذنوبي.

باب الدعاء في ليلة القدر

اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني .

باب الدعاء عند لبس الثوب الجديد

اللهم لك الحمد كما كسوتنيه ، أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له ، الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول ولا قوة ، الحمد لله الذي رزقني من اللباس ما أتجمل به في الناس ، وأواري به عورتي وأتجمل به في حياتي . الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي .

باب دعاء كفارة المجلس

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب اليك .

باب دعاء حفظ القرآن

اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني ، وارحمني أن أتكلف مالا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني .

اللهم بديع السماوات والأرض ، ذا الجلال والاكرام ، والعزة

التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني .

اللهم بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والاكرام ، والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمان بجلالك ونور وجهك أن تنوّر بكتابك بصري ، وأن تطلق بين لساني ، وأن تفرح به عن قلبي ،وأن تشرح به صدري ، وأن تغسل به بدني ، فانه لايعينني على الحق غيرك، ولا يؤتيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى العظيم .

## باب الدعاء اذا رأى مبتلى

الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً .

## باب دعاء قضاء الدين

اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من البخل والجبن ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال .

اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك .

## باب دعاء الاستسقاء

اللهم اسق عبادك وبهيمتك ، وانشر رحمتك ، وأحي بلدك الميت .

اللهم إسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً نافعاً غير ضار ، عاجلاً غير آجل . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . لا إله إلا الله يفعل ما يريد .

اللهم أنت الله الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين .

## باب دعاء الرياح والرعد والمطر

اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به .

اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به .

اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً ، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً .

اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك .

سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .

اللهم إني أعوذ بك من شر ما فيه .

اللهم سقياً نافعاً . اللهم صيباً نافعاً .

باب دعاء التوبة

اللهم إني أتوب إليك منها لا أرجع إليها أبداً .

اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي .

باب صلاة التسبيح

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

باب الدعاء عند رؤية الثمار الجديدة

اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدّنا .

اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره .

باب الدعاء عند رؤية المرآة

اللهم أنت حسنت خَلْقي فحسن خُلُقي .

اللهم كما حسنت خلقي فأحسن خلُقي ، وحرّم وجهي على النار .

الحمد لله الذي سوّى خلقي وأحسن صورتي ، وزان مني ماشان من غيري .

الحمد لله الذي سوّى خلقي فعدّله ، وصور صورة وجهي فأحسنها وجعلني من المسلمين .

## باب اسم الله الأعظم

اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم أسألك. وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

## باب أسماء الله تعالى

هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر،

المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي المتعالي ، البَر ، التوّاب ، المنتقم ، العفوُ ، الرؤوف ، ملك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .

## باب الاستعاذة

اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء .

اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال .

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، والهرم ، وعذاب القبر .

اللهم آت نفسي تقواها ، وزكّها أنت خير من زكّاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها .

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك .

اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل .

اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت .

اللهم إني أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت ، أن تضلني ، أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والانس يموتون

اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلّة والذّلة ، وأعوذ بك من أن أظلم أو أُظلم .

اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق .

اللهم إني أعوذ بك من الجوع ، فانه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة .

اللهم إني أعوذ بك من البرص ، والجذام ، والجنون ، ومن سيّء الأسقام .

اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء

اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري ، وشر لساني وشر قلبي وشر منيي .

اللهم إني أعوذ بك من الهدم ، وأعوذ بك من التردي ، ومن الغرق والحرق والهرم وأعوذ بك من أن يتخبّطني الشيطان عند

الموت . وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبراً . وأعوذ بك من أن أموت لديغاً .

اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع .

اللهم ألهمني رشدي ، وأعذني من شر نفسي .

اللهم إني أسألك الجنة ( ثلاث مرات ) .

اللهم إني أستجيرك من النار (ثلاث مرات) أعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيء أعظم منه ، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بَرّ ولا فاجر ، بأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، أعوذ بالله من الكفر والدَّين .

## باب جامع الدعاء

اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني .

اللهم اغفر لي جدِّي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي .

اللهم اغفر لي ما قدَّمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدّم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير .

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي

التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير ، واجعل الموت راحةً لي من كل شر .

اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى . اللهم اهدني وسدّدني .

اللهم اغفر لي وارحمني ، واهدني وعافني وارزقني .

اللهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

ربِّ أعني ولا تعنْ عليَّ ، وانصرني ولا تنصر علي ، وامكر لي ولا تمكر علي ، واهدني ويسر الهدى لي ، وانصرني على من بغى عليَّ

رب اجعلني لك شاكراً ، لك ذاكراً ، لك راهباً ، لك مطواعاً ، لك مخبتاً ، إليك أوّاهاً منيباً رب تقبّل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي ، وثبّت حجتي ، وسدّد لساني ، واهد قلبي ، واسلل سخيمة صدري .

اللهم إني أسألك العفو والعافية . رب إني أسألك العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة .

اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك .

اللهم ما رزقتني مما أُحب فاجعله قوةً لي فيما تحب .

اللهم ما زويت عني مما أُحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب .

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصيبات الدنيا؛ ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

اللهم انفعني بما علّمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً. الحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل النار.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا.

اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك، والعمل الذي يبلّغني حبك.

اللهم اجعل حبك أحبّ إليّ من نفسي ومالي وأهلي، ومن الماء البارد.

اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي.

اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق

في الرضى والغضب ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضى بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضرّاء مضرّة ، ولا فتنة مضلّة.

اللهم زيّنّا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهديين .

اللهم اجعلني أعظم شكرك ، وأُكثر ذكرك وأتبع نصحك ، وأحفظ وصيتك .

اللهم إني أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق ، والرضى بالقدر.

اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب ، وعيني من الخيانة، فانك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي ، واجعل علانيتي صالحة.

اللهم إني أسألك من صالح ما تؤتي الناس من الأهل والمال والولد غير الضالّ ولا المضلّ .

## باب الدعاء عند المنام

اللهم باسمك أموت وأحيا ؛ باسمك ربي وضعت جنبي وبك

أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين .

اللهم أسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضت أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا اليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت.

الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي .

سبحان الله ( ثلاثاً وثلاثين ) .

الحمد لله ( ثلاثاً وثلاثين ) .

الله أكبر ( أربعاً وثلاثين ) .

اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته . أنت الأول فليس قبلك شيء ،وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ؛ اقض عني الدَّين ، واغنني من الفقر . بسم الله وضعت جنبي لله .

اللهم اغفر لي ذنبي ، وأخسئ شيطاني ، وفك رهاني ، واجعلني

في النديّ الأعلى .

الحمد لله الذي كفاني وآواني وأطعمني وسقاني ، والذي منّ علي فأفضل ، والذي أعطاني فأجزل . الحمد لله على كل حال .

اللهم رب كل شيء ومليكه ، وإله كل شيء ، أعوذ بك من النار .

اللهم رب السماوات السبع وما أظلّت ، ورب الأرضين وما أقلّت ، ورب الشياطين وما أضلّت ، كن لي جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط عليّ أحد منهم ، وأن يبغي ، عزّ جارك ، وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك ، لا إله إلا أنت

اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ( ثلاث مرات ) .

اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم ، وكلماتك التّامّات ، من شر ما أنت آخذ بناصيته .

اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم .

اللهم لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعدك ، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ ، سبحانك وبحمدك . أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ( ثلاث مرات ) ( الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده

حفظهما وهو العلي العظيم )[١] ( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين )[٢] .

قل هو الله أحد ... السورة .

قل أعوذ برب الفلق ... السورة .

قل أعوذ برب الناس ... السورة .

( حم. والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين ... )[٣] السورة .

( الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ... )[٤] السورة.

( تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير .. )[٥] السورة

( قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد).

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٢) سورة البقرة ، الآيتان: ٢٨٥،٢٨٦

(٣) سورة الدخان، الآيات:١ـ٣ (٤) سورة السجدة، الآيتان : ٢٢١،٢٢٢

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٠ إلى آخر السورة .

( قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين ) .

( إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب )[1] إلى آخر السورة .

# الخاتمة وفيها خمسة فصول

## الفصل الأول

### في ذكر الله عز وجل

لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده .

مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه ، مثل الحي والميت .

إن لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ؛ فاذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم . قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا .. الحديث .

ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورِق ، وخير لكم من أن

(١) سورة آل عمران ، الآيات: ١٩٠-٢٠٠

تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى قال: ذكر الله.

طوبى لمن طال عمره، وحسن عمله.

قال يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله.

من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة.

ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة.

كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله.

لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فان كثرة الكلام بغير ذكر قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي.

أي المال نتخذ؟ قال: لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه. لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله.

أيّ العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات ... الحديث.

الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فاذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس.

ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين . الحديث .

ما عمل العبد عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله .

إن الله تعالى يقول : أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه .

لكل شيء صقالة ، وصقالة القلوب ذكر الله ... الحديث .

# الفصل الثاني

## في فضل تلاوة القرآن وفضائل سوره

خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتمتع فيه وهو عليه شاق له أجران .

لا حسد إلا على اثنين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار . ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار .

المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة .

إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين .

لا تجعلوا بيوتكم مقابر ؛ إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة .

اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه .

اقرؤوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان[١]، أو فِرقان[٢] من طير صواف تحاجّان عن أصحابهما . اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة .

يا أبا المنذر : أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قلت: ( الله لا إله إلا هو الحي القيوم ) قال : فضرب صدري وقال : ليهنك العلم يا أبا المنذر .

أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته .

من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال .

إني أحب هذه السورة : ( قل هو الله أحد ) ، قال : « إن حبك إياها أدخلك الجنة » .

ألم ترَ آيات أُنزلت الليلة لم يُرَ مثلهن قط : ( قل أعوذ برب الفلق ) ( قل أعوذ برب الناس ) .

يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ، ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا ، فان منزلك عند آخر آية تقرؤها .

(١) الغياية : ماأظل الانسان من فوق رأسه ، كالسحابة ونحوه .

(٢) الفرقان : الطائفتان

إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب .

يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .

من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها،لاأقول:الٓمٓ حرف: ولكن ألف حرف،ولام حرف وميم حرف.

من قرأ القرآن وعمل بما فيه ، أُلبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم ، فما ظنكم بالذي عمل بهذا ؟ .

من قرأ القرآن فاستظهره ، فأحل حلاله ، وحرّم حرامه ، أدخله الله الجنة ، وشفّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار .

إن لكل شيء قلباً ، وقلب القرآن ( يس ) ، من قرأ ( يس ) : كتب الله بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات[1] .

إن سورةً في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له ، وهي : ( تبارك الذي بيده الملك ) .

( إذا زلزلت ) تعدل نصف القرآن ، و ( قل هو الله أحد ) تعدل ثلث القرآن ، و ( قل يا أيها الكافرون ) تعدل ربع القرآن .

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث غريب .

من قرأ كل يوم مائتي مرة : ( قل هو الله أحد ) مُحي عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين .

[ كان ] يتعوذ رسول الله ﷺ بـ ( قل أعوذ برب الفلق ) و ( قل أعوذ برب الناس ) ، ويقول : يا عقبة ! تعوَّذ بهما ، فما تعوَّذ متعوِّذ بمثلهما .

قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن في غير الصلاة ، وقراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من التسبيح والتكبير .

قراءة الرجل القرآن في غير المصحف ألف درجة ، وقراءته في المصحف تضعَّف على ذلك إلى ألفي درجة .

إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء . قيل : يا رسول الله ! وما جلاؤها؟ قال : « كثرة ذكر الموت ، وتلاوة القرآن » .

في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء .

من قرأ سورة ( آل عمران ) يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل .

اقرؤوا سورة ( هود ) يوم الجمعة .

من قرأ سورة ( الكهف ) في يوم الجمعة ، أضاء له النور ما بين الجمعتين .

من قرأ ( يس ) ابتغاء وجه الله تعالى غُفر له ما تقدم من ذنبه ، فاقرؤوها عند موتاكم

إن لكل شيء سناماً ، وإن سنام القرآن سورة ( البقرة ) .

وإن لكل شيء لباباً ، وإن لباب القرآن المفصل .

لكل شيء عروس ، وعروس القرآن ( الرحمن ) .

[ كان ] يحب هذه السورة : ( سبح اسم ربك الأعلى ) .

« ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم ؟ » قالوا : ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟! قال : « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ( ألهاكم التكاثر ) ؟ » .

من قرأ (قل هو الله أحد) عشر مرات ، بُني له قصر في الجنة ، ومن قرأ عشرين مرة بُني له بها قصران في الجنة ، ومن قرأ ثلاثين مرة بُني له بها ثلاثة قصور في الجنة . فقال عمر بن الخطاب : والله يا رسول الله ! إذاً لنكثرنّ قصورنا . فقال رسول الله ﷺ : « الله أوسع من ذلك » .

إذا أحب أحدكم أن يحدث ربّه فليقرأ القرآن .

# الفصل الثالث

## في فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

أفضل الكلام أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحب [إليّ] مما طلعت عليه الشمس .

من قال : « سبحان الله وبحمده » في يوم مائة مرة حُطّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر .

كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .

[أ]يعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة، فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : « يسبح مائة تسبيحة ، فيكتب له ألف حسنة ، أو يُحطّ عنه ألف خطيئة » .

سئل رسول الله ﷺ : أي الكلام أفضل ؟ قال : « ما اصطفى الله لملائكته : سبحان الله وبحمده » .

لقد قلت بعدك أربع كلمات ( ثلاث مرات ) لو وُزنت بما قلت

منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٌ قدير في يومه مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه .

من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة في الجنة .

أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله .

أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون ، الذين يحمدون الله في السرّاء والضرّاء .

قال موسى: يا رب ! علمني شيئاً أذكرك به أو أدعوك به فقال: يا موسى ! قل : لا إله إلا الله فقال : يا رب ! كل عبادك يقولون هذا ؛ إنما أريد شيئاً تخصني به قال : يا موسى ! لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري ، والأرضين السبع وضعن في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، لمالت بهن لا إله إلا الله .

التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس لها حجاب دون الله تخلص اليه .

ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصاً قط إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر.

إن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وإنها قيعان، وإن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس، واعقدن بالأنامل، فإنهن مسؤولات مستنطقات، ولا تغفلن فتنسين الرحمة.

قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم. قال: فهؤلاء لربي، فمالي؟ فقال: قل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني.

إن، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله والله أكبر، تساقط ذنوب العبد كما يتساقط ورق هذه الشجرة.

أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فانها من كنز الجنة.
قال مكحول: فمن قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا منجى من الله إلا اليه، كشف الله عنه سبعين باباً من الضر أدناها الفقر.

لا حول ولا قوه إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم.
سبحان الله هي صلاة الخلائق، والحمد لله كلمة الشكر، ولا إله

إلا الله كلمة الاخلاص ، والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض ، وإذا قال العبد : لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله تعالى : أسلم واستسلم

# الفصل الرابع

## في فضل الاستغفار والتوبة

والله إني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة .

يا أيها الناس توبوا إلى الله ، فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة /

إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها .

إن العبد إذا اعترف ثم تاب ، تاب الله عليه .

من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، تاب الله عليه .

لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان [على] راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك ، إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ؛ أخطأ من شدة الفرح .

إن عبداً أذنب ذنباً فقال : رب ! أذنبت ذنباً فاغفره . فقال ربه: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي . . . الحديث .

قال الله تعالى: يا ابن آدم ! إنك [إن] دعوتني ورجوتني ، غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي ، يا ابن آدم ! إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة .

قال الله تعالى : من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً .

من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب.

ما أصر من استغفر ، وإن عاد في اليوم سبعين مرة .

كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون

إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب واستغفر، صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى. ( كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون )[1]

إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر .

إن الشيطان قال :وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك مادامت

(١) سورة المطففين ، الآية : ١٤

أرواحهم في أجسادهم فقال الرب عز وجل : وعزتي وجلالي وارتفاعي [في] مكاني ، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ) ولا يبالي .

يقول : رب اغفر لي ، وتُب عليّ ، إنك أنت التواب الغفور « مائة مرة » .

من قال : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، غُفر له وإن كان قد فرّ من الزحف .

إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة ، فيقول : يا رب ! أنّى لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك .

ما الميت في القبر إلا كالغريق المتغوّث ، ينتظر دعوةً تلحقه من أب أو أم أو أخ أو صديق ، فإذا لحقته كان أحبّ إليه من الدنيا وما فيها ، وإن الله تعالى ليُدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال ، وإن هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم .

طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً .

اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أساؤوا استغفروا .

التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

# الفصل الخامس

## فضل الصلاة والسلام على النبي ﷺ

من صلّى عَليَّ صلاة واحدةً صلى الله عليه عشراً.

من صلّى عليَّ صلاةً واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحُطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات.

أوْلى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة.

إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلّغوني من أمتي السلام.

ما من أحد يسلّم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام.

إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت». قلت: الربع؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك». قلت: النصف؟ قال: «ما شئت، فان زدت فهو خير لك» قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك». قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذاً تُكفى همك، ويُكفَّر لك ذنبك».

البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ.

من صلّى عليَّ عند قبري سمعته؛ ومن صلّى عليَّ غائباً أُبلغته.

من صلّى على النبي ﷺ واحدةً صلّى الله عليه وملائكته سبعين صلاة .

ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلُّوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة ، فإن شاء عذّبهم ، وإن شاء غفر لهم

أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة ، فإنه مشهود تشهده الملائكة ؛ وإن أحداً لم يصل عليّ إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها

من صلّى على محمد ﷺ وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي

سبحان ربك رب العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

---